بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحابته والمسلمين

الجزء الخامس

من كتاب النجوم الزاهرة

ذكر ولاية المستنصر بالله على مصر

هو أبو تَميم مَعَدّ الملقَّب بالمستنصر بالله بن الظاهر لإعزاز دين الله علىّ بن الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله نِزَار بن المعزّ لدين الله مَعَدّ أوّل خلفاء الفاطميّين بمصر آبن المنصور بالله إسماعيل بن القائم بالله محمد بن المهدىّ عُبَيْد الله العُبيدىّ الفاطمىّ المَغْرِبىّ الأصل، المصرىّ المولد والمنشأ والدار والوفاة؛ وهو الخامس من خلفاء مصر من بنى عُبيد، والثامن من المهدىّ عبيد الله. وَلِى الخلافة بعد موت أبيه الظاهر لإعزاز دين الله فى يوم الأحد منتصف شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة. وكان عمرُه يومَ ولِىَ الخلافة سبعَ سنين وسبعةً وعشرين يوما، وخُتِن وهو آبن ستّ سنين.

قال الذهبىّ رحمه الله: «هو مَعَدّ أبو تَميم الملقَّب بأمير المؤمنين المستنصر بالله ابن الظاهر بن الحاكم بأمر الله — وساق بقية نسبه بنحو ما سُقْناه إلى أن قال —: بقى فى الخلافة ستّين سنة وأربعةَ أشهر؛ وهو الذى خُطب له بإمْرة المؤمنين

على منابر العراق فى نَوْبة الأمير أبى الحارث أَرْسلان المعروف بالبَسَاسِيرىّ[١] فى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة . ولا أعلم أحدًا فى الإسـلام، لا خليفةً ولا سـلطانا ، طالت مدّتُه مثلَ المستنصر هذا . وولِى وهو آبن سبع سنين . ولمّا كان فى سـنة ثلاث وأربعين وأربعمائة قطع الخطبةَ له من المغرب الأميرُ المعزّ بن باديس – وقيل : بل قطعها فى سنة خمس وثلاثين – وخطَب لبنى العبّاس وخرج عن طاعة بنى عُبيد الباطنيّة . وحدَث فى أيّام المستنصر بمصر الغلاءُ الذى ما عُهِد بمثله منذ زمان يوسف عليه السلام، ودام سبعَ سنين حتّى أكل الناس بعضُهم بعضًا، حتّى قيل : إنّه بيع رغيفٌ واحد بخمســين دينارا – فإنّا لله و إنّا اليه راجعون – وحتّى إنّ المستنصر هذا بقِى يركب وحده، وخواصُّه ليس لهم دوابُّ يركبونها؛ و إذا مشَوْا سـقطوا من الجوع؛ وآل الأمرُ إلى أن آستعار المستنصر بغلةً يركبها من صاحب[٢] ديوان الإنشاء . وآخرشىءٍ نزَحت أُمّ المستنصر و بنـاتُه إلى بغداد خوفًا من أن يَمُتْنَ جُوعًا . وكان ذلك فى سنة ستّين[٣] وأربعمائة . ولم يزل هذا الغلاء حتّى تحرّك الأمير بدرٌ الجَمَالِىّ والد الأفضـل أمير الجيوش من عَكّا وركب فى البحر وجاء إلى مصر وتولّى تدبيرَ الأمور

(١) هو أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيرىّ التركىّ مقـدم الأتراك ببغداد . كان من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه ، وهو الذى خرج على الإمام القائم بأمر الله ببغداد ، وكان قد قدمه على جميع الأتراك بها ، وقلده الأمور بأسرها وخطب له على منابر العراق وخوزستان فعظم أمره وهابته الملوك . ثم خرج عليه وأخرجه من بغـداد وخطب للستنصر العبيدى صاحب مصر وسيذكر هـذا المؤلف مفصلا بعد قليل . والبساسيرىّ : نسـبة الى بلدة بفارس يقال لها «بسا» وبالعربيـة «فسا» والنسبة اليها بالعربىّ فسوىّ أيضا ، وأهل فارس يقولون فى النسـبة اليها البساسيرىّ ، وهى نسبة شاذة على خلاف الأصل . (عن تاريخ ابن خلكان) . (٢) فى تاريخ آبن خلكان : «وكان المستنصر يسـتعير من آبن هبة صاحب ديوان الإنشاء بغلته ليركبها صاحب مظلته» . (٣) الذى فى تاريخ آبن خلكان : «فى سنة آثنتين وستين وأربعمائة» .

وشَرَع فى إصلاح الأمر[1] . وتُوفّى المستنصر فى ذى الحِجّة . وفى دولته كان الرَّفْض والسبّ فاشيا مُجْهَرا ، والسنّة والإسلام غريبا ! فسبحان الحليم الخبير الذى يفعل فى ملكه ما يريد . وقام بعده آبنه المُستعلِي أحمد، أقامه أمير الجيوش الأفضل . وآستقامت الأحوال، فخرج أخوه نِزَار من مصر خُفْيَةً، فسار إلى ناصر الدولة أمير الإسكندرية، فأعانه ودعا إليه، فتمّت بين أمير الجيوش و بينهم حروبٌ وأمور إلى أن ظَفِر بهم » . انتهى كلام الذهبيّ فى أمر المستنصر .

ونشرع الآن فى ذكر المستنصر وأمرِ الغلاء بأوسع ممّا ذكره الذهبيّ من أقوال جماعة من المؤرّخين وغيرهم .

قال العلّامة أبو المظفّر فى تاريخه : « ولم يَلِ أحدٌ من الخلفاء الأُمويّين ولا العباسيّين ولا المصريّين مثلَ هذه المدّة (يعنى مدّة إقامة المستنصر فى الخلافة ستّين سنة) قال : وعاش المستنصر سبعًا وستّين سنة وخمسة أشهر فى المزاهز[2] والشدائد والوباء والغلاء والجلاء والفتن . وكان القحط فى أيّامه سبع سنين مثل سِنِي يوسف الصدّيق صلوات الله وسلامه عليه، من سنة سبع[3] وخمسين إلى سنة أربع وستّين وأربعمائة . أقامت البلادُ سبعَ سنين يطلُع النيل فيها وينزل ، ولا يوجد مَن يزرع لموتِ النّاس وآختلاف الوُلاة والرعيّة، فآستولى الخراب على كلّ البلاد، ومات أهلها، وآنقطعت السُّبُل برًّا وبحرًا . وكان معظم الغلاء سنة آثنتين وستّين .

---

(١) فى الأصل : « وشرع الأمر فى إصلاح » . وعبارة ابن خلكان : « وتولى تدبير الأمور فانصلحت » . (٢) المزاهز : الحروب والشدائد التى تهزهز ، وقيل : الفتن التى تهز الناس .
(٣) كذا فى مرآة الزمان لأبى المظفر . وفى الأصل : « تسع » وهو تحريف .

وقال أبو يَعْـلَى بن القَلَانِسىّ [1] : « فى أيّامه (يعنى المستنصر) ثارت الفتن فى [2] بنى حَمْدان وأكابر القوّاد، وغلت الأسـعار، وٱضطربت الأحوال، وٱختلّت [3] الأعمال، وحُصِر فى قصره وطُمِع فيه. ولم يزل على ذلك حتّى ٱستَدْعَى أميرَ الجيوش بدرًا الجمـالىّ من عَكّا إلى مصر فٱسـتولى على التـدبير، وقتـل جماعة ممّن يطلب الفساد، فتمهّدت الأمور، ولم يبقَ للستنصر أمرٌ ولا نهىٌ إلّا الركوب فى العيدين. ولم يزل كذلك حتّى مات بدرُ الجَمالىّ وقام بعده ولده الأفضل. ولـمّا مات المستنصر وقام المستعلِى مقامَه وتقرّرت الأمور، خرج عبد الله ونِزَار ٱبنا المستنصر من مصر خفْيةً، وقصد نِزَار الإسكندريّة إلى ناصر الدولة [4] واليها، وجرتْ بينه وبين الأفضل حروبٌ بسبب ذلك إلى أن ثَبَت أمر المُستعلى » . انتهى كلام أبى يَعْلَى بٱختصار .

قلت: وأمّا ماذكره الذهبىّ — رحمه الله — من الخطبة للستنصر [5] على منابر بغداد وبالعراق كلِّه، وخلع القائم بأمر الله العبّاسىّ من الدعوة، فكان من قصّته أنّ السلطان

(١) هو العلامة المؤرخ أبو يعلى حمزة بن أسد بن على بن محمد التميمى الدمشقى العميد الكاتب المعروف بابن القلانسى المتوفى بدمشق الشام فى يوم الجمعة السابع من شهر ربيع الأول سنة ٥٥٥ هـ، ودفن فى اليوم التالى بقاسيون . وكتابه ذيل على تاريخ مدينة دمشـق لابن عساكر رتبه على السـنين من غير استقصاء لجميعها، وذكر بعد كل سنة شرح حال الحوادث الواقعـة فيها والأخبار التى علقها وأخذها من أفواه الثقات من سنة ٣٦٣ هـ، وانتهى فيه إلى سنة ٥٥٥ هـ . وقد طبع فى ليدن سنة ١٩٠٨ م . وهذه العبارة واردة فى صفحة ٨٤ من كتابه المذكور . وقد نقلها أيضا صاحب مرآة الزمان فى كتابه . (٢) فى تاريخ ابن القلانسى : « من » . (٣) كذا فى تاريخ ابن القلانسى ومرآة الزمان . وفى الأصل : « واختلفت » وهو تحريف . (٤) كذا فى الأصل وابن الأثير . وفى مرآة الزمان : « نصير الدولة » . وفى تاريخ ابن القلانسى (ص ١٢٨) : « نصر الدولة » . (٥) فى الأصل : « من خطبة المستنصر » .

طُغْرُلْبَك[1] آشتغل بحصار تلك النّواحى ونازل المَوْصِل، ثمّ توجّه إلى نَصيبين لفتح الجزيرة وتمهيدها . وأرسل الأمير أبو الحارث أَرْسلان المعروف بالبساسيرىّ إلى إبراهيم يَنَّال أخى السلطان طُغْرُلْبَك ليُنجده، فأخذ البساسيرىّ يَعده ويُمنّيه ويُطمعه فى المُلك حتّى أصغى إليه وخالف أخاه طغرلبك . وساق إبراهيم يَنّال فى طائفة من العسكر إلى الرّىّ . وبلغ السلطان طغرلبك خبر عصيان إبراهيم فآنزعج ، وسار وراءه وترك بعض عسكره فى ديار بكر مع زوجته الخاتون ووزيره عميد المُلك الكُنْدُرِىّ[2] ، فتفرقت العساكر . وعادت زوجته الخاتون بالعسكر الذى صحبها إلى بغداد . وأمّا زوجها السلطان طغرلبك فإنّه التقى هو وأخوه إبراهيم يَنّال وتقاتلا ، فظفر عليه أخوه إبراهيم يَنّال وآنهزم السلطان طغرلبك إلى هَمَذان ؛ فساق أخوه إبراهيم خلفه وحاصره بها . فعزمت الخاتون على إنجاد زوجها . وآختبطت بغداد وعظُم البلاء بها ، وقامت الفتنة على ساق . وتمّ للأمير أبى الحارث أرسلان البساسيرىّ مادبّره من المكر . وأَرْجَف النّاسُ ببغداد بمجىء البَسَاسيرىّ . ونفَر الوزير عميد الملك وزير طُغْرُلْبَك والأمير أنوشروان إلى الجانب الغربىّ من بغداد وقطعا الجسر . ونهَبت الغزّ دار خاتون . وأكل القوىُّ الضعيفَ . ووقع ببغداد وأعمالها أمورٌ هائلة شَنِعة . ثمّ دخل الأمير

(١) هو أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب ركن الدين طغرلبك أول ملوك السلجوقية . كان كريما حليما محافظا على الطاعة وصلاة الجماعة وصوم الأثنين والخميس ، وكان لا يرى القتل ولا يسفك دما ولا يهتك محرما وكان شديد الاحتمال سديد الأفعال . وأخباره بتاريخ دولة آل سلجوق من صفحة ٧ — ٢٨ طبع ليدن سنة ١٨٨٩ م . وترجمه ابن خلكان فى تاريخه وضبطه بالعبارة فقال : «طغرلبك بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وضم الراء وسكون اللام وفتح الباء وبعدها كاف» وقد آتبعنا هذا الضبط واعتمدناه ، وسيأتى للؤلف ضبط يخالف هذا .

(٢) هو الوزير عميد الملك أبو نصر محمد ابن منصور الكندرى أول وزراء الدولة السلجوقية . كان من رجال الدهر جودا وسخاء وكتابة وشهامة . استوزره السلطان طغرلبك السلجوق . ومدحه جماعة من أكابر شعراء عصره ، منهم ، الباخرزى وصرّ درّ . (راجع ترجمته بتفصيل فى تاريخ ابن خلكان وتاريخ دولة آل سلجوق) .

أبو الحارث أرسلان البَسَاسيرى بغداد فى ثامن ذى القعدة بالرّايات المستنصريّة وعليها ألقاب المستنصر هذا صاحب مصر؛ فمال إلى البساسيرى أهل باب الكَرْخ وفرحوا به لكونهم[(١)] رافضة، والبساسيرى وخلفاء مصر أيضا رافضة؛ فآنضمّوا إلى البساسيرى وتشفَّوْا من أهل السُّنّة، وشمخت أنوف المنافقين الرافضة، وأعلنوا بالأذان بـ «حىّ على خير العمل» ببغداد. وآجتمع خَلْق من أهل السنّة على الخليفة القائم بأمر الله العباسى وقاتلوا معه، وفشَت الحربُ بين الفريقين فى السفن أربعة أيام. وخُطِب يوم الجمعة ثالث عشر ذى القعدة ببغداد للستنصر هذا صاحب الترجمة بجامع المنصور وأذّنوا[(٢)] بـ «حىّ على خير العمل». وعُقِد الجسر وعبّرت عساكرُ البساسيرى إلى الجانب الشرقىّ؛ فخَنْدق الخليفةُ القائم بأمر الله على نفسه حولَ داره وحولَ نهر المُعَلّى[(٣)]، فأحرقت الغوغاءُ نهرَ المُعَلّى ونهبت ما فيه، وقوِى البساسيرى وتفلّل عن الخليفة القائم أكثرُ النّاس. فآستجار القائم بقُرَيْش[(٤)] بن بَدْرَان أمير العرب، وكان مع البَسَاسيرى، فأجاره ومَن معه وأخرجه إلى مُخَيّمه. وقبض البساسيرى على وزير القائم بأمر الله رئيس الرؤساء[(٥)] أبى القاسم بن المُسْلِمة، وقيّده

(١) فى الأصل: «كونهم». (٢) فى تاريخ ابن القلانسى: «وزيد فى الأذان».

(٣) كان أشهر وأعظم محلة ببغداد من الجانب الشرق وفيها دور الخلافة المعظمة وحريمها وهى منتهى الطرائف والنفائس. قال ياقوت: «وهو نهر يدخل من باب بين (بكسر الباء) وهو باق الى الآن مستمده من الخالص فيسير تحت الأرض حتى يدخل دار الخلافة وهو المسمى بالفردوس، ينسب الى المعلى بن طريف مولى المهدى، وكان من كبار قواد الرشيد، جمع له من الأعمال ما لم يجمع لكبير أحد، ولى البصرة وفارس والأهواز واليمامة والبحرين». (٤) هو قريش بن بدران بن المقلد أبو المعالى العقيلى أمير بنى عقيل. توفى سنة ٤٥٣ هـ. (٥) هو رئيس الرؤساء على بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر بن المسلمة قد مثل به البساسيرى كما ذكر هنا أفظع تمثيل، كان وزير القائم قبل ابن جهير ومن أجله وقعت فتنة البساسيرى وكان قبل الوزارة أحد المعدّلين ببغداد. وممن له معرفة بالفقه وأنس بالعلم ورواية الحديث وجل أمره وعظمت منزلته الى أن وقع الشر بينه وبين البساسيرى فظفر به وأذاقه من العذاب ما ذكره المؤلف هنا.

وشهّره على جمل وعليه طُرْطُور وعباءة، وجعل فى رقبته قلائد كالمسخرة(١) وطِيف به بالشوارع، وخَلْفه من يصفعه، ثم سُلِخ له ثَوْرٌ وأُلْبس جِلْدَه وخيط عليه، وجُعلت قرون الثور فى رأسه، ثمّ عُلِّق على خشبة، وعُمِل فى فيه كَلُّوبَان(٢)، فلم يزل يضطرب حتّى مات رحمه الله. ونُصِب للقائم الخليفة خيمة صغيرة بالجانب الشرقىّ(٣) فى المعسكر، ونَهَبت العامّةُ دارَ الخلافة، فأخذوا منها مالا يُحصى ولا يُوصف كثرةً. فلمّا كان يومُ الجمعة رابع ذى الحِجة لم تُصَلَّ الجمعة بجامع الخليفة، وخُطِب بسائر الجوامع للستنصر المذكور، وقُطِعت الخطبةُ العباسيّة بالعراق. وهذا شىء لم يفرح به أحد من آباء المستنصر.

ثم حُمِل القائم بأمر الله إلى حَدِيثة(٤) عانةَ فجلس بها، وسُلِّم إلى صاحبها مُهَارِش(٥). وذلك أن البَسَاسِيرىّ وقريشًا آختلفا فى أمر القائم بأمر الله، ثمّ وقع آتفاقهما بعد أمور على أن يكون عند مُهَارِش إلى أن يتّفقا على ما يتّفقان عليه فى أمره. ثمّ جمع أبو الحارث أرسلان البَسَاسيرىّ القضاةَ والأشرافَ ببغداد، وأخذ عليهم البَيْعة للستنصر العبيدىّ صاحب الترجمة فبايعوا قَهْرًا على رغم الأنف.

وقال الشيخ عزّ الدّين آبن الأثير فى تاريخه: «إنّ إبراهيم يَنَّال كان أخوه السلطان طُغْرُلْبَك قد ولّاه المَوْصِل عام أوّل، وإنّه فى سنة خمسين فارق [الموصل](٦) ورحَل نحو

(١) عبارة ابن طباطبا فى كتابه «الفخرى فى الآداب السلطانية»: «وفى رقبته مخنقة فيها جلود مقطعة شبيهة بالتعاويذ». (٢) كذا فى تاريخ الاسلام للذهبى. وعبارة ابن القلانسى فى تاريخه: «وجعل على فكيه كلابان من حديد». وفى الأصل: «وعمل فى قلبه». (٣) فى تاريخ ابن القلانسى: «فى الجانب الغربى». (٤) لعل المراد بها حديثة الفرات، وتعرف بحديثة النورة. وهى على فراسخ من الأنبار، وبها قلعة حصينة فى وسط الفرات والماء يحيط بها. وعانة: بلدة مشهورة بين الرقة وهيت، وهى تعدّ فى أعمال الجزيرة ومشرفة على الفرات قرب حديثة النورة.

(٥) هو أمير العرب محيى الدين أبو الحارث مهارش بن المجلى العقيلى صاحب الحديثة وعانة.

(٦) التكلة عن تاريخ ابن الأثير.

بلاد الجبل، فنَسَب السلطان رحيلَه إلى العِصْيان، فبعث وراءه رسولا معه الفرجيّة التي خلعها عليه الخليفة. ولـمّا فارق الموصل قصدها البساسيرىّ وقُرَيش بن بَدْرَان وحاصراها، وأخذا البلد ليومه، وبقيت القلعة، فحاصراها أربعة أشهر حتّى أكل أهلها دوابّهم ثمّ سلّموها بالأمان، فهدمها البساسيرىّ وعفّى أثرها. وسار طُغْرُلْبَك بجريدة[(١)] فى ألفين إلى الموصل، فوجد البساسيرىّ وقريشـا فارقاها فساق وراءهم، ففارقه أخوه وطلب همذان فوصلها فى رمضان. قال: وقـد قيل إنّ المصريّين كاتبوه، وإنّ البساسيرىّ آستماله وأطمعه فى السلطنة، فسار طغرلبك فى أثره (يعنى أثر أخيه إبراهيم ينّال).

قال: وأمّا البساسـيرىّ فوصل إلى بغداد فى ثامن ذى القعـدة ومعه أربعمائة فارس على غاية الضّر والفقر، فنزل بمَشْرَعة الروايا، ونزل قُرَيْش فى مائتى فارس عند مَشْرَعة باب البصرة، ومالت العامّة للبساسيرىّ: أما الشّيعة فللمذهب، وأمّا أهل السنة فلِما فعَل بهم الأتراك. وكان رئيس الرؤساء لقلّة معرفته بالحرب ولِـما عنده من ضعف البساســيرىّ يرى المبادرةَ إلى الحرب، فآتفق أنه فى بعض الأيام التى تحاربوا فيها حضر القاضى الهَمَذَانىّ عند رئيس الرؤساء، ثمّ آستأذن فى الحرب وتَمن له قتل البساسيرىّ، فأذِن له من غير أن يعلم عَميدُ العراق، وكان رأْى عميد العراق المطاولةَ رجاءَ أن يُنجدهم طُغْرُلْبَك، فخرج الهَمَذَانىّ بالهاشميّين والخدم والعوامّ إلى الحَلْبة وأبعـدوا، والبساسيرىّ يَستجرّهم. فلمّا أبعدوا حَمل عليهم فآنهزموا، وقتَل جماعة وهلك آخرون فى الزّحْمة بباب الأَزَج[(٢)]. وكان رئيس الرؤساء واقفًا دون الباب

(١) فى الأصـل «جريدة». وعبارة ابن الأثير: «وكان السلطان قد فرق عسكره فى النيروز وبقى جريدة فى ألفى فارس حتى بلغه الخبر فسار إلى الموصل».

(٢) باب الأزج: محلة كبيرة ذات أسواق كثيرة ومحال كبار فى شرق بغداد فيها عدة محال، كل واحدة منها تشبه أن تكون مدينة.

فدخل داره وهرب كلّ مَن فى الحريم ؛ ولطم عميدُ العراق على وجهه كيف آستبدّ رئيس الرؤساء بالأمر ولا معرفة له بالحرب. فآستدعى الخليفة عميدَ العراق وأمره بالقتال على سُور الحريم ، فلم يَرُعهم إلا الزَّعَقات ؛ وقد نُهِب الحريم ودخلوا من باب النُّوبى، فركب الخليفة لابسًا للسَّواد وعلى كتفه البُرْدَة وعلى رأسه اللّواء و بيده السيف وحوله زُمرة من العباسيّين والخدم بالسيوف المسلَّلة، فرأى النَّهبَ إلى باب الفِرْدَوْس من داره ، فرجع إلى ورائه نحو عميد العراق ، فوجده قد آستأمن إلى قُرَيْش، فعاد وصَعِد إلى المنظرة . وصاح رئيس الرؤساء : عَلَمَ الدِّين (يعنى قُرَيْشًا) أميرُ المؤمنين يستدنيك، فدنا منه؛ فقال : قد أنالك الله منزلةً لم ينلها أمثالك، وأمير المؤمنين يَسْتَذِمّ منك على نفسه وأصحابه بذِمام الله وذِمام رسوله وذِمام العربيّة؛ فقال: قد أذمّ الله تعالى له ؛ قال : ولى ولمن معه؟ قال نعم؛وخلع قَلَنْسُوَته وأعطاها الخليفة، وأعطى رئيس الرؤساء بحضرته ذِماما . فنزل إليه الخليفة ورئيس الرؤساء وسارا معه . فأرسل إليه البساسيرىّ يقول : أتخالف ما آستقرّ بيننا ؟ — وكانا قد تحالفا ألّا ينفرد أحدهما عن الآخر بشىء، ويكون العراق بينهما نصفين — فقال قُرَيْش : ما عَدَلتُ عمّا آستقرّ بيننا، عدوّك آبن المسلمة (يعنى رئيس الرؤساء) تأخُذه ، وأنا آخذ الخليفة، فرضى البساسيرىّ بذلك . فبعث رئيس الرؤساء إليه مع منصور بن مَزْيد[1]، فحين رآه البساسيرىّ قال مَرْحبًا بمدمِّر الدولة، ومُهلِك الأمم، ومُخرِّب البلاد، ومُبيد العباد . فقال له : أيّها الأجلّ، العفو عند المقدرة . فقال : قد قدرتَ فما عفوتَ، وأنت تاجر صاحب طَيْلَسَان، ولم تُبْقِ على الحريم والأموال

---

(١) هو بهاء الدولة أبو كامل منصور بن دبيس بن علىّ بن مزيد الأسدى ، وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٤٧٨ هـ . كان فاضلا أديبا شاعرا، وله شعر حسن ذكر بعضه ابن الأثير فى تاريخه فى حوادث سنة ٤٧٩ هـ وهى سنة وفاته على قول ابن الأثير .

والأطفال ، فكيف أعفو عنك وأنا صاحب سـيف وقد أخذتَ أموالى وعاقبتَ أصحابى ودرستَ دورى وسبيتنى وأبعدتنى! . وآجتمع العوام على آبن المسلمة (يعنى رئيس الرؤساء) وسبُّوه ولعنوه وهمّوا به . فأخذه البساسيرىّ بيده وسيّره إلى جانبه خوفًا عليه من العامّة . وحصل فى يد البساسيرىّ جميع من كان يطلبه مثل آبن المردرسىّ[(١)]، وأبى عبد الله الدّامَغانىّ[(٢)] قاضى القضاة ، وهبة الله بن المأمون ، وأبى علىّ بن الشّيرَوانىّ ، وأبى عبدالله بن عبد الملك ، وكان من التجّار الكبار و بينه و بين البساسيرىّ عداوة ، وكان قد سكن فى دار الخلافة خوفًا منه على ماله ونعمته . وظفِر بالسـيدة خاتون بنت الأمير داود زوجة الخليفة ، فأحسن معاملتها ولم يتعرّض لها .

وأمّا قُرَيْش فحصل فى يده الخليفة وعميد العراق وأبو منصور [بن][(٣)] يوسف وولده ؛ فحمل الخليفةَ إلى معسكره راكبًا وعلى كتفه البُرْدَة و بيده سيفٌ مسـلول وعلى رأسه اللّواء . ولحِق الخليفةَ ذَرَبٌ عظيم قام منه فى اليوم مرارا ، وآمتنع من الطّعام والشراب ؛ فسأله قُرَيْش وألحّ عليه حتّى أكل وشرب ، وحمله فى هَوْدَج وسـار به إلى حديثة عانة فنزل بها . وسار حاشية الخليفة على حامية إلى السلطان طُغْرُلْبَك مُستنفرين له . ولمّـا وصل الخليفة إلى الأنبار شكا البَرْدَ ، فبعث يطلب من متولّيها ما يلبَس ، فأرسل إليه جُبّةً ولِحافًا . وركب البساسيرىّ يوم الأضحى وعلى رأسه الألوِيَة المصريّة وعبَر إلى المُصَلّى بالجانب الشرقىّ ، وأحسن إلى الناس ، وأجرى الجرايات على الفقهاء ، ولم يتعصّب لمذهب ، وأفرد لوالدة الخليفة دارا وراتبـا ، وكانت قد قاربت التسعين

---

(١) كذا فى الأصل . وفى هامشه : «ابن المرداسىّ» . وفى مرآة الزمان : «ابن المردوشىّ» .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن عبد الوهاب بن حمويه الدامغانى المتوفى سنة ٤٧٨ هـ . ودامغان : مدينة من بلاد قومس . (٣) التكلة عن تاريخ ابن القلانسى ، وهو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن يوسف .

سنة . ثمّ فى آخر ذى الحجّة أخرج رئيسَ الرؤساء مقيّدًا وعلى رأسه طُرْطُورٌ، وفى رقبته مِخْنَقَة جلود، وهو يقرأ : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ... ﴾ الآية . فبصق أهل الكَرْخ فى وجهه، لأنّه كان متعصّبا لأهل السُّنّة، رحمه الله، ثمّ صُلِب على صورة ما ذكرناه أوّلا .

وأمّا عميد العراق فقتله البساسيرى أيضا ، وكان شجاعا شَهْمًا ، وهو الذى بنى رباط شيخ الشيوخ . ثمّ بعث البساسيرىّ البشائر إلى مصر ، وكان وزير المستنصر هناك[1] أبا الفرج بن أخى أبى القاسم المغربىّ[2] ، وكان أبو الفرج ممّن هرب من البساسيرىّ ، فذمّ للمستنصر فعلَه وخوّفه من سوء عاقبته ؛ فتُرِكت أجوبته مدّة ، ثمّ عادت على البساسيرىّ بغير الذى أمّله ، فسار البساسيرىّ إلى البصرة وواسط وخطَب بهما أيضا للمستنصر . وأمّا طُغْرُلْبَك فإنّه آنتصر فى الآخر على أخيه إبراهيم ينّال وقتله ، وكرّ راجعا إلى العراق، ليس له همٌّ إلّا إعادة الخليفة إلى رتبته .

وفى الجملة أنّ الذى حصل للمستنصر فى هذه الواقعة من الخطبة بآسمه فى العراق وبغداد لم يحصل ذلك لأحد من آبائه وأجداده . ولولا تخوّف المستنصر من البساسيرىّ وتَرْكُ تحريضه على ما هو بصدده وإلا[3] كانت دعوته تمّ بالعراق زمانا طويلا، فإنّه كان أوّلا أمدّ البساسيرىّ بجمل مستكثَرة . فلو دام المستنصر على ذلك لكان البساسيرىّ يفتتح له عدّة بلاد . قال الحسن بن محمد العَلَوىّ[4] : «إنّ الذى وصل إلى البساسيرىّ من المستنصر من المال خمسمائة ألف دينار، ومن الثياب ما قيمته

(١) كذا فى تاريخ ابن الأثير . وفى الأصل : «هذا» وهو تحريف . (٢) هو محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين المغربى . (راجع الاشارة الى من نال الوزارة) . (٣) فى هذه العبارة اضطراب . ولعل الصواب : «... على ما هو بصدده لكانت... الخ» . (٤) كذا فى الأصل . وفى تاريخ الاسلام للذهبى : «وحكى الحسن بن محمد القبلوىّ فى تاريخه أن... الخ» .

مثل ذلك، وخمسمائة فرس، وعشرة آلاف قوس، ومن السيوف ألوف، ومن الرماح والنُّشَّاب[(١)] شيء كثير» . يعني قبل هذه الواقعة؛ ولهذا قلنا : لو دام المستنصر على عطائه للبساسيريّ لكان ٱفتتح له عدّة بلاد . قلت: ولله الحمد على ما فعله المستنصر من التقصير في حقّ البساسيريّ، وإلّا فكانت السُّنّة تذهب بالعراق، وتملِكها الرافضة بأجمعها كما كان وقع بمصر في أيّام دولة الفاطميّين (أعني صاحب الترجمة وآباءه) .

ولمّا خطَب البساسيريّ في بغداد بٱسم المستنصر مَعَدّ هذا غنّته مغنية[(٢)] بقولها :
[الرمل]

يابني العبّاس صُدُّوا[(٣)] * مَلَك الأمرَ مَعَــدُّ
ملكُكُم كان مُعَـاراً[(٤)] * والعـواري تُسْـتَرَدُّ

فطرِب المستنصر لذلك ووَهَبها أرضًا بمصر رِزْقَةً لها جائزةً لإنشادها هـذا الشعر، وتلك الأرض الآن تعرف بأرض الطّبّالة[(٥)] بالقرب من بركة الرِّطْلِيّ لكونها غنّته بهذه الأبيات وهي تُطَبِّل بدُفّ كان في يدها، فعُرِفت بأرض الطّبّالة، وحُكِرت الأرض

(١) في الأصل : « والثياب » . والتصويب عن تاريخ الاسلام للذهبي . (٢) هي نسب طبالة المستنصر، وكانت امرأة مترجلة تقف تحت القصر في المواسم والأعياد وتسير أيام الموكب وحولها طائفتها وهي تضرب بالطبل . (راجع المقريزي ج ٢ ص ١٢٥) . (٣) رواية المقريزي: «ردّوا» . (٤) رواية المقريزي : « ملككم ملك معار» . (٥) أرض الطبالة، قال المقريزي : « هذه الأرض على جانب الخليج الغربي بجوار المقس (والمقصود هنا خط المقس) . قال : وكانت من أحسن متنزهات القاهرة، وهبها الخليفة المستنصر بالله أبو تميم معـد الفاطمي إلى مغنيته المسماة نسب الطبالة فعرفت بها » . وهذه الأرض موقعها اليوم منطقة السكن التي تحد من الشمال والغرب بشارع الظاهر، ومن الجنوب بشارع الفجالة وسكة الفجالة ، ومن الشرق بشارع الخليج المصري . ومنذ ٦٠ سنة كان النصف الغربي من هذه المنطقة وما جاورها من الغرب أرضا زراعية تزرع فيها الخضروات وعلى الأخص صنف الفجل فاشتهرت الأرض باسم غيط الفجالة نسبة للذين يزرعونه، ولما عمرت تلك الجهة بالمساكن سميت الطريق التي كانت تجاور هذا الغيط من الجهة القبلية باسم شارع الفجالة . (راجع أرض الطبالة وبركة الرطل والجسر بأرض الطبالة بالجزء الثاني من الخطط المقريزية ص ١٢٥)

المذكورة وبُنِيت . وكان ما وقع للمستنصر هذا تمامَ سعده . ومن حينئذ أخذ أمره فى إدبار من وقوع الغلاء والوباء بالديار المصرية . وقاسى النّاس شدائد، وآختلّ أمر مصر — على ما سنذكره إن شاء الله تعالى فى وقته من هذه الترجمة — من آستيلاء ناصر الدولة بن حَمْدان على ممالك الديار المصريّة، وزاد آبن حَمْدان فى عطاء الجند حتّى نَفِدت الخزائن، وقلّت الآرتفاعات . وآتّفق آبن حمدان مع الشريف أبى طاهر حَيْدَرة بن الحسن الحُسينىّ، وكان قد نفاه بدْر الجَمَالىّ من دمشق، وكان مُحَبَّباً للناس، وتلقِّبه العامّة بأمير المؤمنين، وكان لمّا نفاه بدرٌ الجمالِى من دِمَشق دخل إلى مصر شاكيًا إلى آبن حمدان من بدر الجمالىّ — فآتّفق آبن حمدان والشريف وحازم[1] وحُمَيد آبنا جرّاح وهما من أمراء عرب الشام، وكان لهما فى حبس المستنصر نيّف وعشرون سنة، فأخرجهما آبن حَمْدان وآتّفقوا على الفتك ببدر الجَمَالىّ، فأعطاهم آبن حمدان أربعين ألف دينار ينفقونها فى هذا الوجه . وتحدّث آبن حمدان بأن يُرتّب الشريف إذا عاد مكان المستنصر فى الخلافة لنسبه الصحيح . وآنقسم عسكر مصر قسمين: قسما مع آبن حمدان، وقسما عليه؛ وزادت مطالبة آبن حمدان بالأموال[2] حتّى آستوعبها وأخرج جميع ما فى القصر من ثياب وأثاث وباعها بالثمن البَخْس . وحالف الأتراك سرًّا على المستنصر . وعلم المستنصر بما فعله مضافا لما سمِع عنه من أمر الشّريف، فقَلِق وأرسل لآبن حَمْدان يقول : بأنّك قدِمتَ علينا زائرا وجئتنا ضيفا، فقابلناك بالإحسان وأكرمناك، فقابلتنا بما لا نستحقّه منك، ونحن عليك صابرون، وعنك مُغْضُون . وقد آنتهت بك الحال إلى مخالفة العسكر علينا والسعى فى إتلافنا، وما ذاك مما يهمّك، ونحبّ أن تنصرف عنّا موفورا فى نفسك ومالك، وإلّا قابلناك على قبيح

(١) حازم وحميد هما حازم بن على بن جراح، وحميد بن محمود بن جراح . (راجع تاريخ ابن القلانسى فى حوادث سنة ٤٥٩ ﻫ) . (٢) فى الأصل : « للأموال » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان .

أفعالك. فأغلظ ٱبن حمدان فى الجواب وٱستهزأ بالرسول. فبعث المستنصر إلى إلدكز[1] الملقّب بأسد الدولة، وكان شيخَ الأتراك والمقدّم عليهم، وكان من المخالفين على ٱبن حمدان، فٱستحضره وٱستحلفه وتوثّق منه ومن جماعة ممّن جرى مَجْرَاه، وجمع الأتراك الذين معه والمغاربة وكُتَامة إلى باب القصر. وعرف ٱبن حمدان بذلك فبرز بخَيْمة إلى بركة الحَبَش[2]، وأخرجُ المستنصر خَيْمته الحمراءَ، وتُسمّى خيمة الدم، فضربها بين القصرين من القاهرة. وٱجتمع الناس على المستنصر، وركب وسار إلى حرب ٱبن حَمْدان. والتَقَوْا بمكان يُعرف بالباب الجديد[3]، فورد أكثرُ من كان مع ٱبن حمدان بالأمان إلى المستنصر. وكان فى جملة مَن ورد الأميرُ أبو علىّ ابن الملك أبى طاهر ٱبن بُوَيْه، ثمّ قُتِل المذكور بعد ذلك بمدّة. ووقع القتال فانكسر ٱبن حَمْدان وهرب

(١) كذا فى الأصل. وفى مرآة الزمان: «بلدكوز».

(٢) بركة الحبش، لما زار أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى مصر فى سنة ٦١٠ هـ رأى بركة الحبش وقال عنها: إنها ليست بركة بالتعريف المقصود وإنما هى علم لأرض زراعية تروى بماء النيل عند فيضانه السنوى فشبهت بالبركة أثناء غمرها بماء النيل. وقال: وهى من أجل متنزهات مصر. وقال المقريزى: وهى من أشهر برك مصر فى ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها فيما بين النيل والجبل. وسميت بركة الحبش نسبة إلى قتادة بن قيس بن حبشى الصدفى ممن شهد فتح مصر، وكانت له حدائق بجوار هذه البركة تعرف بالحبش فنسبت البركة اليها. وهذه البركة موقعها اليوم منطقة الأراضى الزراعية التابعة لزمام قرية دير الطين وجزء عظيم من الأراضى الزراعية التابعة لزمام قرية البساتين. وتحد هذه المنطقة من الغرب بجسر النيل الموصل بين مصر القديمة ودير الطين. ومن الجنوب باقى أراضى ناحية البساتين. ومن الشرق سكن قرية البساتين والجبل الشرقى. ومن الشمال صحراء جبانة مصر وجبل الرصد الذى يعرف اليوم بجبل اصطبل عنتر ثم حدود أراضى ناحية أثر النبى. (راجع بركة الحبش بالجزء الثانى من الخطط المقريزية)

(٣) الباب الجديد قال المقريزى: «هذا الباب كان يعرف بالباب الجديد الحاكى لأنه أنشئ فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى. وقال: ويعرف فى أيامه بباب القوس، وهو واقع بالشارع خارج باب زويلة من القاهرة عند رأس حارة المنتجبية فيما بينها وبين حارة الهلالية. فأما حارة المنتجبية فكانت واقعة على يمين السالك فى الشارع المذكور بعد خروجه من باب زويلة متجها إلى الجنوب، وفى أول هذه الحارة اليوم من بحرى درب الأغوات، وحارة الهلالية كانت واقعة تجاهها على اليسار وفى أولها اليوم من بحرى درب الدالى حسين. وأما الباب الجديد المذكور فكان واقعا فى عرض الطريق التى تسمى اليوم بشارع المغربلين تجاه زاوية الست عائشة اليونسية الواقعة بشارع المغربلين على رأس شارع الداوودية من الجهة القبلية. (راجع حارتى المنصورية والهلالية وذكر ظواهر القاهرة المعزية بالجزء الثانى من الخطط المقريزية).

بنفسه إلى الإسكندريّة ، ونُهِبت دُوره وأمواله ودورُ أصحابه . ومضى آبن حمدان إلى حىّ من العرب وتزوّج منهم وقَوِى بهم ، فصار يَشُنُّ الغاراتِ على أعمال مصر؛ ويبعَث إليه المستنصرُ فى كلّ وقت جيشًا فيهزمه آبن حمدان . ولا زال على ذلك حتّى جمع آبن حمدان جمعًا كبيرا ونزل الصالحيّة(١) ؛ فخرج إليه من كان يَهْوَاه من المشارقة ، وآمتدّت عسكرُه نحو عشرة فراسخ وحاصر مصر؛ فضعُف المستنصر عن مقاومته وآنحصر بالقاهرة . وطال الحِصار وغلَت الأسعار حتّى بلغت الرّاوية الماء ثلاثة عشر قيراطًا ، وكلّ ثلاثة عشر رطلا من الخبز دينارًا ، وعُدِمت الأقوات ، فضجّ العوامّ ؛ فخاف المستنصر أن يُسلِّموه إليه ، فراسله وصالحه . وآقترح عليه آبن حمدان إبعاد الدِّكز(٢) ومن يُعاديه من المشارقة ، وأن ينفرد آبن حمدان بالبلاد وتدبير الأمور والعساكر ، فرضى المستنصر بذلك كلّه ، ورُفع الحِصار عن مصر ، وعادت الأمور إلى ما كانت عليه . فهرب غالبُ مَن كان مع المستنصر إلى الشام ، ووفدوا على صاحبها بَدْر الجَمَالىّ . وكان بدر الجمالىّ يكره آبن حمدان والشريفَ المذكور . ثمّ ظَفِر الجمالىّ بالشريف المذكور وقتله خَنْقًا . على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى . وصار المستنصر فى قصره كالمحجور عليه ولا حكم له .

هذا والغلاء بمصر يتزايد ، حتّى إنّه جلا من مصر خَلْق كثير لِمَا حصل بها من الغلاء الزائد عن الحدّ ، والجوع الذى لم يُعهَد مثله فى الدنيا ، فإنّه مات أكثر أهل مصر ، وأكل بعضُهم بعضًا . وظهروا على بعض الطبّاخين أنّه ذبح عدّةً من الصِّبيان والنساء وأكل لحومهم وباعها بعد أن طبخها . وأُكلت الدوابّ بأسرها ، فلم يبق

(١) يريد المؤلف مكان الصالحية : وهى اليوم إحدى قرى مركز فاقوس بمديرية الشرقية ، اختطها الملك الصالح نجم الدين أيوب فى أول الرمل بين مصر والشام فى سنة ٦٤٤ هـ . (راجع الصالحية فى ذكر « بلدة » الواردة بالجزء الأول من الخطط المقريزية وجدول أسماء البلاد المصرية) .

لصاحب مصر — أعنى المستنصر — سوى ثلاثة أفراس بعد أن كانت عشرة آلاف ما بين فرس وجمل ودابّة. وبيع الكلب بخمسة دنانير، والسِّنَّوْر بثلاثة دنانير. ونزل الوزير أبو المكارم[(١)] وزير المستنصر على باب القصر عن بغلته وليس معه إلّا غلام واحد، فجاء ثلاثة وأخذوا البغلة منه، ولم يقدر الغلام على منعهم لضعفه من الجوع فذبحوها وأكلوها، فأُخذوا وصُلِبوا، فأصبح الناس فلم يَرَوْا إلّا عظامهم، أكل الناس فى تلك الليلة لحومهم. ودخل رجل الحمّام فقال له الحمّامىّ: من تريد أن يخدُمك سعد الدولة أو عزّ الدولة أو فخر الدولة؟ فقال له الرجل: أتهزأ بى! فقال: لا والله، أُنظر إليهم، فنظر فإذا أعيان الدّولة ورؤساؤها صاروا يخدمون الناس فى الحمّام لكونهم باعوا جميع موجودهم فى الغلاء واحتاجوا إلى الخدمة.

وأعظم من هذا أنّ المستنصر الخليفة صاحب الترجمة باع جميعَ موجوده وجميعَ ما كان فى قصره حتّى أخرج ثيابًا كانت فى القصر من زمن الطائع الخليفة العباسىّ، لمّا نَهَب بهاءُ الدولة دار الخليفة فى إحدى وثمانين وثلثمائة، وأشياء أُخر أُخِذت فى نَوْبة البَسَاسيرىّ، وكانت هذه الثياب التى لخلفاء بنى العباس عند خلفاء مصر يحتفظون بها لبُغْضهم لبنى العبّاس، فكانت هذه الثياب عندهم بمصر بسبب المعيرة لبنى العبّاس. فلمّا ضاق الأمر على المستنصر أخرجها وباعها بأبخس[(٢)] ثمن لشدّة الحاجة. وأخرج المستنصر أيضا طَسْتًا وإبريقا بلّورًا يسَع الإبريق رطلين ماء، والطَّسْت أربعةَ أرطال، وأظنّه بالبغدادىّ، فبيعا بآثنى عشر درهما فُلوسًا، ثمّ باع المستنصرُ من هذا البلور ثمانين ألف قطعة. وأمّا ما باع من الجواهر واليواقيت والخُسْرَوَانِىّ[(٣)] فشىءٌ لا يُحْصَى. وأُحصى من الثياب التى أُبيعت فى هذا الغلاء من

(١) هو أبو المكارم المشرف بن أسعد وزير الوزراء، كما فى الاشارة الى من نال الوزارة ص ٥١
(٢) فى الأصل: «بأحسن»، وهو تحريف. وفى تاريخ ابن إياس (ج١ ص ٦١): «بأرخص».
(٣) خسروانى: منسوب الى خسروشاه من الأكاسرة: حرير رقيق.

قصر الخليفة ثمانون ألفَ ثوب، وعشرون ألفَ دِرْع، وعشرون ألفَ سيفٍ مُحَلًّى؛ وباع المستنصر حتّى ثيابَ جواريه وتُخوتَ المُهُود، وكان الجند يأخذون ذلك بأقلّ ثمن. وباع رجل دارًا بالقاهرة كان آشتراها قبل ذلك بتسعمائة(١) دينار بعشرين رطلَ دقيق. وبيعت البَيْضة بدينار، والإردبُّ القمح بمائة دينار فى الأوّل، ثمّ عُدِم وجود القمح أصلًا. وكان السُّودان يقفون فى الأزقّة يخطَفُون النساء بالكلاليب ويُشرِّحون لحومهنّ ويأكلونها، وآجتازت آمرأة بزُقاق(٢) القناديل بمصر وكانت سمينةً، فعلّقها السُّودان بالكلاليب وقطعوا من عَجُزها قطعةً، وقعدوا يأكلونها وغَفَلوا عنها، فخرجت من الدار وآستغاثت، فجاء الوالى وكَبَس الدار فأخرج منها ألوفًا من القَتْلَى، وقتَل السُّودان. وآحتاج المستنصر فى هذا الغلاء حتّى إنّه أرسل فأخذ قناديلَ الفِضّة والستورَ من مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام. وخرجت آمرأة من القاهرة فى هذا الغلاء ومعها مُدُّ جَوْهر، فقالت: مَن يأخذ هذا ويُعطِينى عوضَه دقيقًا أو قمحًا؟ فلم يلتفت إليها أحد؛ فألقتْه فى الطريق وقالت: هذا ما ينفعنى وقت حاجتى فلا حاجة لى به بعد اليوم؛ فلم يلتفت إليه أحد وهو مُبَدَّد فى الطريق! فهذا أعجب من الأوّل.

وقيل: إنّ سبب ما حصل لمصر من الخَلَل فى أوّل الأمر(٣) الفتنة التى كانت بمصر فى أيّام المستنصر هذا بين(٤) الأتراك والعَبِيد، وهو أنّ المستنصر كان من عادته

(١) فى مرآة الزمان: « سبعمائة ». (٢) زقاق القناديل: كان من الدروب الشهيرة التى سكنها الأعيان وكبار القوم بمدينة الفسطاط فى زمن عمارتها، وقد زال بزوال مدينة الفسطاط القديمة. ومكانه اليوم أرض فضاء مجاورة من الشرق لجامع عمرو بن العاص بمصر القديمة. (راجع ص ١٣ من الجزء الرابع من كتاب الانتصار لابن دقماق). (٣) فى الأصل: « فى أوّل الأمر أنه الفتنة الخ ». (٤) فى الأصل: «من». وما أثبتناه عن مرآة الزمان.

فى كلّ سـنة أن يركب على النُّجُب مع النساء والحشم إلى جُبّ عُمَيْرة[1]، وهو موضع نُزْهـة، فيخرُج إليه بهيئـة أنّه خارج إلى الحجّ على سبيل الهُزْء والمجَانة، ومعـه الخمر فى الرَّوَايَا عِوَضًا عن المـاء ويسقيه الناس، كما يُفعل بالمـاء فى طريق مكّة . فلمّـا كان فى جُمَادى الآخرة خرج على عادته المذكورة، فآتّفق أنّ بعض الأتراك جرّد سيفًا فى سَكْرَته على بعض عَبِيد الشِّراء، فآجتمع عليه طائفة من العَبِيـد فقتلوه، فآجتمع الأتراك بالمستنصر هذا وقالوا له : إن كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة ، وإن كان عن غير رضـاك فلا نرضَى بذلك، فأنكر المستنصر ذلك ؛ فآجتمع جماعة من الأتراك وقتلوا جماعة من العَبيد بعـد أن حصل بينهم و بين العبيـد قتال شديد على كُوم شَريك[2] وآنهزم العبيد من الأتراك . وكانت أمّ المستنصر تُعين العبيدَ بالأموال والسّلاح، فظَفِر بعضَ الأيام أحدُ الأتراك بذلك، فجمع طائفةَ الأتراك ودخلوا على المستنصر وقاموا عليـه وأغلظوا له فى القـول، فحلف لهم أنّه لم يكن عنـده خبر . وصار السيف قائمًا بينهم . ثمّ دخل المستنصر على والدته وأنكر عليها. ودامت الفتنة بين الأتراك والعَبيد إلى أن سَعَى وزير الجماعة أبو الفرج بن المغربىّ ـــ وأبو الفرج هذا هو أوّل من وَلِى كتابة الإنشاء بمصر ـــ ولا زال الوزير أبو الفرج هذا يسعَى بينهم

---

(١) جب عميرة : محله اليـوم القرية التى تعرف باسم البركة من قرى مركز شـبين القناطر بمديرية القليوبية وفى الشمال الشرقى من القاهرة شرقى محطة المرج و بالقرب منها . عرفت قديما باسم بركة الحجاج أو بركة الجب نسبة الى عميرة بن تميم بن جزء التجيبى صاحب الجب المعروف باسمه فى الموضع الذى يبرز اليه الحجاج عند خروجهم من مصر الى مكة . (راجع بركة الحجاج بالجزء الثانى من الخطط المقريزية (ص ١٦٣) وجدول أسماء البلاد المصرية) . (٢) كوم شريك : هو اليوم أحد قرى مركز كوم حمادة بمديرية البحيرة ، عرف هذا الكوم بشريك بن سمى بن عبد يغوث بن جزء المرادى من الصحابة رضى الله عنهم . وكان على مقدّمة جيش عمرو بن العاص عند فتح الإسكندرية . (راجع كوم شريك فى ذكر رمل الغرابى بالجزء الأوّل من الخطط المقريزية (ص ١٨٣) وجدول أسماء البلاد المصرية) .

حتى اصطلحوا صلحًا يسيرًا، فاجتمع العبيد وخرجوا إلى شَبْرى دمنهور(١). فكانت هذه الواقعة أوّل الاختلاف بديار مصر؛ فإنّه قُتل(٢) من الأتراك والعَبيد خلائق كثيرة، وفَسَدت الأمور فطَمِع كلّ أحد. وكان سبب كثرة السودان ميلَ أمّ المستنصر إليهم؛ فإنّها كانت جاريةً سوداء لأبي سعد التُّسْتَرِيّ(٣) اليهوديّ. فلمّا ولى المستنصر الخلافة ومات الوزير صَفِيّ(٤) الدين الجَرْجَرائيّ في سنة ستّ وثلاثين(٥) حكمت والدة المستنصر على الدولة، واستوزرت سيّدها أبا سعد المذكور، ووزر لابنها المستنصر الفلاحيّ، فلم يمش له مع أبي سعد حال؛ فاستمال الأتراك وزاد في واجباتهم حتّى قتلوا أبا سعد المذكور؛ فغضبت لذلك أمّ المستنصر وقتلت أبا منصور(٦) الفلاحيّ، وشَرَعت في شراء العَبيد السُّود، وجعلتهم طائفةً واستكثرت منهم. فلمّا وقع بينهم وبين الأتراك قامت في نصرهم.

وقال الشيخ شمس الدين بن قزأوغلي في المرآة: «وكلّ هذه الأشياء كان ابن حَمْدان سبَبها، ووافق ذلك انقطاعَ النيل؛ وضاقت يد أبي هاشم محمد أمير مكّة

(١) شبرى دمنهور: هي القرى التي تعرف اليوم باسم شبرى الخيمة إحدى قرى ضواحي مصر بمديرية القليوبية، وهي واقعة على فم الترعة الاسماعيلية في الشمال الغربي للقاهرة على النيل، وكانت تسمى قديما شبرى دمنهور حيث يجاورها من الشمال قرية دمنهور شبرى التي تنسب اليها. وهذه اليوم أيضا من ضواحي القاهرة. وشبرى الخيمة المذكورة تعرف عند سكان القاهرة باسم شبرى البلد تمييزا لها من قسم شبرى أحد أقسام مدينة القاهرة. (راجع الخريطة العمومية وجدول أسماء البلاد المصرية). (٢) في الأصل: «بين الأتراك». (٣) كذا في الاشارة الى من نال الوزارة وأخبار مصر لابن ميسر. وهو أبو سعد إبراهيم ابن سهل التستري. وفي الأصل: «أبو سعيد». (٤) الذي في الاشارة الى من نال الوزارة. «صفي أمير المؤمنين أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي». (٥) كذا في الإشارة الى من نال الوزارة في أكثر من موضع وابن خلكان في ترجمة الظاهر. وفي الأصل: «في سنة ست وثمانين» وهو تحريف. (٦) هو أبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحي كما في الاشارة الى من نال الوزارة وأخبار مصر لابن ميسر. وفي الأصل: «أبا نصر...» وهو تحريف.

بانقطاع ما كان يأتيه من مصر ، فأخذ قناديلَ الكعبة وستورَها وصفائح البـاب والميزاب، وصادر أهلَ مكّة فهربوا . وكذا فعـل أمير المدينة مهنا، وقطعا الخطبة للستنصر ، وخطبا لبنى العبّاس الخليفـة القائم بأمر الله، و بعثا إلى السـلطان ألْب أرسـلان السّلْجُوقىّ حاكم بغـداد بذلك ، وأنهما أذّنا بمكّة والمدينـة الأذان المعتاد ، وتركا الأذان بـ « حىّ على خير العمل » ؛ فأرسل ألْب أرْسلان إلى صاحب مكّة أبى هاشم المذكور بثلاثين ألف دينـار، و إلى صاحب المدينة بعشرين ألف دينار . و بلغ الخبرُ بذلك المستنصرَ، فلم يلتفت إليه لشغله بنفسـه ورعيّته من عِظَم الغلاء . وقد كاد الخراب أن يستولى على سائر الإقليم . ودخل آبن الفضل على القائم بأمر الله العبّاسىّ ببغداد، وأنشده فى معنى الغلاء الذى شمل مصر قصيدة، منها :

[الطويل]

وقـد علِم المصرىُّ أنّ جنـــوده * سِنُو يوسف منها وطاعون عَمْوَاس
أحاطت(١) به حتى آستراب بنفســه * وأوجس منها خِيفـةً أىّ إيجاس

قلت : وهذا شأن أرباب المناصب، إذا عُزِل أحدهم بآخر أراد هلاكه ولو هلك العالَم معه . وهذا البلاء من تلك الأيّام إلى يومنا هذا .

ثمّ فى سنة ستّ وستين سار بدر الجمالىّ أمير الجيوش من عَكّا إلى مصر، ومعه عبد الله بن المستنصر بآسـتدعاء المستنصر بعـد قتل آبن حمـدان بمدّة . وآسم آبن حمـدان الحسن بن الحسـين بن حمدان أبو محمـد التغلبىّ الأمـير ناصر الدولة ذو المجدين .

---

(١) كذا فى عقد الجمان . وفى الأصل : «أقامت به... » .

ذكر سبب قتل آبن حمدان المذكور

وسببه أنّه كان آبن حمدان آتفق مع إلدكز التركىّ ، وكان إلدكز تزوج بآبنته ؛ فآتفقا آتفاقا كليّا وتحالفا وأمن أحدهما للآخر. ووصل ناصر الدولة إلى مصر — أعنى بعد توجهه إلى الإسكندرية حسب ما ذكرناه — على طُمَأْنينة مرتِّبًا للواكب والعساكر، فركب إلدكز يوم الجمعة مستهلّ شهر رمضان فى خمسين فارسا ، وكانَ له غلام يقال له : أبو منصور كشتكين ويلقب حُسام الدولة[1] ؛ وكان يثق به . فقال له إلدكز : أريد أن أُطلعك على أمر لم أر له أهلا غيرك ؛ قال : وما هو؟ قال: قد علمتَ ما فعل آبن حمدان بالمسلمين من سفك الدماء والغلاء والجلاء، وقد عزمتُ على قتله ، فهل فيك موافقة ومشاركة وأُريح الإسلام منه؟ فقال نعم، ولكن أخاف أن يُفْلِت فتبرّأ منّى؛ قال لا ، وقصدوا آبن حمدان قبل أن يلْحقه أصحابه وآستأذنوا عليه، فأذِن لهم فدخلوا والفرّاشون يُنَفِّضون البُسُط ليقعد عليها آبن حمدان ، وهو يتمشّى فى صحن الدار، ومشى إلدكز معه ، ثم تأخر عنه وضربه بـ « سيافوروت » كان معه ، وهو سكّين مغربىّ فى خاصرته ، وضربه كشتكين فقطع رجليه ، فصاح: فعلتموها ! حزّوا رأسه . وكان محمود بن ذبيان أمير بنى سِنْبِس[2] فى خزانة الشّراب ، فدخلوا عليه وقتلوه . ثم خرجوا إلى دار كان فيها فخر العرب آبن حمدان وقد شَرب دواءً وعنده الأمير شاور فقتلوهما . وخرجوا إلى خيمة الأمير تاج المعالى بن حمدان أخى ناصر الدولة، وكان على عزم المسير إلى الصعيد، فهرب إلى خراب مقابل خيمته، فكَمَن فيه فرآه بعض العَبيد فأعطاه مِعْضَدَة[3] فيها مائة دينار ، وقال له : آكتُم علىّ؛

(١) فى أخبار مصر لابن ميسر : « يلقب بسعد الملك » . (٢) سنبس : بطن من طيّ .

(٣) المعْضدة : كيس تجعل فيه الدراهم .

فأخذها العبد وجاء إلى إلدكز ونمّ عليه ، فدخل وقتله . وآنهزم آبن أخى آبن المدبر[1] فى زىّ المكدّين[2] فأُخذ، وكان قد تزوج بإحدى بنات نزار بن المستنصر الخليفة، فقُطِع ذَكَرُه وجُعل فى فمه ثم قُتل . وقطّع آبن حمدان قطعا ، وأنفذ كلّ قطعة إلى بلد . وجاءوا إلى القصر إلى الخليفة المستنصر هذا ومعهم الرءوس ، وأرسلوا إلى الخليفة وقالوا : قد قتلنا عدوّك وعدوّنا ، مَن أخرب البلاد وقتل العباد ، ونريد من المستنصر الأموال . فقال المستنصر : أمّا المال فما ترك آبن حمدان عندى مالا . وأمّا آبن حمدان فما كان عدوّى ، وإنّما كانت الشِّحْنة[3] بينك وبينه يا إلدكز ، فهلكت الدنيا بينكما ، وإنّى ما آخترت ما فعلتَ من قتله ولا رضيتُه ، وستعلم غِبّ الغَدْر ، ونقض العهد . ووقع بينهما كلام كثير . وآل الأمر إلى بيع المستنصر قِطَع مَرْجان وعُروضا وحَمل إلى إلدكز ورُفْقته مالا من أثمان ذلك وغيره . ثم علِم المستنصرُ أنّ أمره يئول مع إلدكز إلى شرّ حال ؛ فلذلك أرسل أحضر بدرًا الجمالىّ المقدّم ذكره . ولما حضر بدرُ الجمالىّ إلى مصر وجد إلدكز تغلّب عليها . ووصل إلى دمياط وبها آبن المدّبر، وكان قد هرب منه ، فقتله وصلبه ، وعاد[4] إلى مصر ، وآتفق مع بدر الجمالىّ وتحالفا وتعاهدا . فلم يكن إلّا مدّة يسيرة وقبَض بدر الجمالىّ على إلدكز وأهانه وعذّبه وطالبه بالمال ؛ فلم يُظهر سوى آثنى عشرَ ألفَ دينار ، وكان له من الأموال والجواهر شىء كثير إلّا أنه لم يُقِرّ به ، فقتله بدرُ الجمالىّ ، وقيل : هرب إلى الشام . وأخذ بدر الجمالىّ فى إصلاح امور الديار المصريّة : انتزع الشرقية من أيدى عرب لواتة[5] ، وقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر أمراءهم ، وأخذ منهم أموالا جمّة . وعمّر

(١) فى الإشارة الى من نال الوزارة وأخبار مصر لابن ميسر : «عبد الله بن يحيى بن المدبر» .

(٢) من كدّى الرجل : سأل . (٣) الشحنة (بالكسر) : العداوة . (٤) كذا عبارة الأصل . وعبارة مرآة الزمان : «ودخل مصر بعد أن آتفق مع إلدكز وتحالفا ...الخ» (٥) لواتة : قبيلة من البربر .

الريف فرخُصت الأسعار ورجعتْ إلى عادتها القديمة . ثمّ أخذ الإسكندرية وسلّمها إلى القاضى آبن المحيرق . وأصلح أموالَ الصعيد وآستدعى أكابرهم إليه ، لجاءه منهم الكثير . وصَلح الحال لهلاك الأضداد، ورُفِعت الفتن ، وآنفرد أمير الجيوش بدر الجمالىّ بالأمر إلى أن مات فى خلافة المستنصر. وتولّى بعده آبنه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالىّ المذكور . و يأتى ذكر ذلك وغيره ممـا ذكرنا من الغلاء والفناء والحروب فى الحوادث المتعلّقة بالمستنصر من سنين خلافته على سبيل الآختصار، كما هو عادة هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

ودام المستنصر فى الخلافة وهو كالمحجور عليه مع بدر الجَمالىّ، ثم من بعده مع ولده الأفضل شاهنشاه إلى أن تُوفّى بالقاهرة فى يوم عيد الفطر ، وهو يوم الخميس سنة سبع وثمانين وأربعمائة . وبايع الناس آبنَه أحمد من بعده، ولُقِّب بالمستعلى بالله . وقام الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى بتدبير ملكه . وقد تقدّم مدّة إقامة المستنصر فى الخلافة، وكم عاش من السنين فى أوّل ترجمته فيطلب هناك .

وممّا رثِى به المستنصر قول حظّى الدولة أبى المناقب عبد الباقى بن علىّ التنوخىّ الشاعر :

[الطويل]

وليس رَدَى المستنصر اليوم كالرّدى * ولا أمرُه أمرٌ يقاسُ به أمرُ
لقد هاب مَلْكُ الموت إتيانَه ضُحًى * ففاجاه ليـلًا ولم يطلعُ الفجرُ
فأجرى عليه حين مات دموعنا * سماء فقال الناس لا بل هو القطر
وقد بكت الخنساء صخرًا وإنّه * ليبكيه من فرط المصاب به الصخرُ
وقلّدَها المستعلىَ الظُّهرَ حَسْبَ ما * عليه قديمـا نصّ والدُه الطُّهرُ

السنة الأولى من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سـنة ثمان وعشرين وأربعمائة .

فيهـا فى المحرّم خلع الخليفة القائم بأمر الله على الأفضـل أبى تمام محمد بن محمد ابن علىّ الزينبىّ الحنفىّ العلوىّ وفوّض إليـه نقابة الهاشميّين والصـلاة ، وأمره بآستخلاف أبى منصور محمد على ذلك؛ وأحضر الخليفة القضاة والأعيان وقال لهم: قد عوّلنا على محمد بن محمـد بن علىّ الزينبىّ فى نقابة أهله من العباسيّين رعايةً لحقوق سالفة. فقبّل أبو تمّام الأرض؛ وخلع عليه السَّواد والطيلسان، ولُقِّب عميد الرؤساء.

وفيها لم يحجّ أحد من العراق . وحجّ الناس من مصر وغيرها .

وفيها تُوفّى أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حَمْدان الإمام العلّامة أبو الحسين الحنفىّ الفقيه البَغْدادى المشهور بالقُدُورِىّ . قال أبو بكر الخطيب[1] : لم يحدّث إلّا شيئا يسـيرا، كتبتُ عنه، وكان صَدُوقا، انتهت إليه بالعراق رياسة أصحاب أبى حنيفة، وعظُم [عندهم][2] قدره وآرتفع جاهُه، وكان حسنَ العبارة فى النظر، جرىء اللسان مُديماً للتلاوة. قلت: والفضل ماشَهِدت به الأعداء، ولولا أنّ شأن هذا الرجل كان قد تجاوز الحدّ فى العـلم والزّهد ماسَلِم من لسان الخطيب ، بل مدحه مع عِظَم تعصُّبه على السادة الحنفية وغيرهم ؛ فإنّ عادته ثَلْمُ أعراض العلماء والزّهّاد بالأقوال الواهية، والروايات المنقطعة، حتّى أشحن تاريخه من هذه القبائح. وصاحب الترجمة هو مصنّف « مختصر القُدُورىّ » فى فقه الحنفية ، و « شرح مختصر الكَرْخىّ »

(١) راجع ترجمته فى وفيات سنة ثلاث وستين وأربعمائة من هذا المجلد . (٢) زيادة عن تاريخ بغداد وعقد الجمان وتاج التراجم .

في عدّة مجلّدات ، وأملى « التجريد في الخلافيّات » أملاه في سنة خمس وأربعمائة ، وأبان فيه عن حفظه لما عند الدارَقُطْنِيّ من أحاديث الأحكام وعِلَلِها ، وصنّف كتاب «التقريب الأوّل» في الفقه في خلاف أبي حنيفة وأصحابه في مجلد ، و«التقريب الثاني» في عدّة مجلّدات . وكانت وفاته في منتصف[1] رجب من السنة . ومولده سنة اثنتين وستين وثلثمائة . وقد روينا جزأه المشهور عن الشيخ رضوان بن محمد العُقْبيّ[2] عن أبي الطاهر بن الكُوَيك[3] عن محمد بن البَلَوِيّ[4] انا[5] عبدالله بن عبد الواحد بن علّاق انا فاطمة بنت سعد الخير الأنصارية انا أبو بكر بن أبي طاهر انا العلّامة أبو الحسين القُدُورِيّ رحمه الله تعالى .

وفيها تُوفّى الحسين بن عبد الله بن الحسن بن عليّ بن سينا الرئيس أبو عليّ صاحب الفلسفة والتصانيف الكثيرة . كان إمام عصره في الحكمة وعلوم الأوائل ، بل كان إماماً في سائر العلوم . وتصانيفه كثيرة في فنون العلوم ، حتّى قيل عنه : إنّه ليس في الإسلام مَنْ هو في رتبته . قال أبو عبد الله الذهبيّ : كان ٱبن سينا آيةً في الذكاء ، وهو رأس الفلاسفة الإسلاميّين الذين مَشَوْا خلفَ العقول ، وخالفوا الرسول — قلت : لم يكن ٱبن سينا بهذه المثابة بل كان حنفيّ المذهب ، تفقّه على

(١) في تاريخ بغداد وعقد الجمان : « الخامس من رجب » . (٢) نسبة الى منية عقبة بالجيزة ، ولد بها سنة تسع وستين وسبعمائة ، وتوفى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ، وهو أحد شيوخ العلامة السخاوى المؤرخ صاحب كتاب الضوء اللامع وقد ترجم فيه ترجمة واسعة كما وضحناه في مقدمة هذا الكتاب .
(٣) الكويك (كزبير كما ضبطه شارح القاموس) هو أبو الطاهر محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن أحمد ابن محمود المعروف بابن الكويك الربعى ، كان من مشايخ الحافظ ابن حجر . ولد في ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وتوفى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة (راجع شذرات الذهب والمنهل الصافى والضوء اللامع) . (٤) هو محمد بن محمد بن محمد بن ميمون البلوى المتوفى سنة ٧٨٧ هـ (راجع شذرات الذهب) .
(٥) جرت العادة بالاقتصار على الرمز في لفظى حدّثنا وأخبرنا ، واستمر الاصطلاح عليه من قديم ، فيكتبون من حدّثنا لفظ «ثنا» بالثاء والنون والألف وربما حذفوا الثاء ، ومن أخبرنا لفظ «انا» .

الإمام أبى بكر بن أبى عبد الله الزاهد الحنفى — وتاب فى مرض موته ، وتصدّق بما كان معه ، وأعتق مماليكه ، وردّ المظالم على مَن عرفه ، وجعل يَختِم فى كلّ ثلاثة أيّام ختمة إلى أن تُوفّى يوم الجمعة فى شهر رمضان . قلت : ومَن يمشى خلف العقول ، ويخالف الرسول لايُقلّد الأحكام الشرعية ، ولا يتقرب بتلاوة القرآن العظيم .

وفيها تُوفّى محمد بن أحمد بن أبى موسى أبو علىّ الهاشمىّ البغدادىّ شيخ الحنابلة وعالمهم ، وصاحب التصانيف الكثيرة . مات فى شهر ربيع الآخر .

وفيها تُوفّى مِهْيَار بن مَرْزويه الدَّيْلَمىّ أبو الحسن(١) الكاتب الشاعر المشهور ، كان مجوسيّا فأسلم على يد الشريف الرضىّ ، وهو أستاذه فى الأدب والنّظم والتشيّع . اشتغل حتّى مَهَر فى الأدب والكتابة والتشيّع حتّى صار من كبار الشعراء الروافض(٢) . قال أبو القاسم بن بَرْهان(٣) النحوىّ : كان مجوسيًّا فأسلم فى سنة أربع وتسعين وثلثمائة ، فقلت له : ياأبا الحسن ، آنتقلتَ [بإسلامك](٤) من زاوية إلى زاوية فى جهنّم ؛ قال : وكيف؟ قلت : لأنّك كنتَ مجوسيًّا ثمّ صرتَ تتعرّض لأصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، والمجوسىّ والرافضىّ فى النار . انتهى . قلت : وأمّا شعر مِهْيَار ففى غاية الجَوْدة . فمن ذلك قوله :

[البسيط]

أستنجدُ الصبرَ فيكم وهو مغلوبُ * وأسأل النوم عنكم وهو مسلوبُ

وأبتغى عندكم قلبًا سمحت به * وكيف يُرْجَع شىء وهو موهوبُ

---

(١) كذا فى الأصل والمنتظم . وفى وفيات الأعيان : « أبو الحسين » . (٢) فى الأصل « من كبار الشعراء الرفض » (٣) هو عبد الواحد بن على بن عمر بن إسحاق بن ابراهيم بن برهان صاحب العربية واللغة والتواريخ وأيام العرب (راجع بغية الوعاة للسيوطى) . (٤) التكلة عن المنتظم .

وله فى إنجاز وعد : [الطويل]

أظلَّت(١) علينا منك يومًا غمامةٌ * أضاء لها برق وأبطا رَشاشُها
فلا غَيمها يُجلى فييأسَ طامعٌ * ولا غَيْثها يأتى فيروى عِطاشُها

وفيها توفّى الحسن بن عبد الله بن حَمْدان ناصر الدولة أبو المُطاع التَّغْلبىّ ويعرف بذى القَرْنين ووجيه الدولة . ولِىَ إمْرة دِمَشق للحاكم بأمر الله ثم عُزل عنها بلؤلؤ ، ثم أُعيد إليها سنة خمس عشرة وأربعمائة من قِبَل الظاهر بن الحاكم ؛ ومات بها وقيل بمصر . وكان شاعرا أديبًا شجاعا فصيحا . ومن شعره : [الرمل]

مُوعِدى بالبَيْن ظَنًّا(٢) * أننى بالبين أشقى
ماأَرَى بين مماتى * وفِراق لكَ فَرْقًا
لاتُهَدِّدنى ببَيْن * لستُ منه أتوقّى
إنما يشقَى ببَيْنٍ * منكَ مَنْ بعدكَ يبقَى

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وثمانى عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا وتسع أصابع .

*

السنة الثانية من ولاية المستنصر مَعَدّ على مصر وهى سنة تسع وعشرين وأربعمائة .

فيها تُوفّى عبدالرحمن بن عبدالله بن علىّ أبو علىّ العدل ، ويُعرف بآبن أبى العجائز ، ولد سنة أربعين وثلثمائة بدمشق وبها مات فى المحرّم ؛ وكان ثقةً سمع الحديث ورواه ،

(١) لم نجد هذين البيتين فى ديوان مهيار المطبوع فى دار الكتب المصرية ولا فى الكتب التى تحت أيدنا مما ذكرت ترجمته . (٢) رواية الأصل : * موعدى بالبين ظلى * وما أثبتناه عن مرآة الزمان .

روى عنه غير واحد؛ قال : وحدّثنا محمد بن سليمان الرَّبَعِي عن محمد بن تمّام الحَرّانى[(١)]. عن محمد بن قُدامة قال : أتينا سفيان بن عُيَيْنَة نحِجْنِبُنا[(٢)] ، فجاء خادم لهارون الرشيد يقال له حسين فى طلبه فأخرجه، فقمنا إليه فقلنا : أمّا أهل الدنيا فيصلُون إليك، وأمّا نحن فلا نصِل ! فنظر إلينا وقال : لاأفلح صاحبُ عِيال؛ ثم أنشد :

[البسيط]

اِعْمَلْ بعلمى ولا تنظُرْ إلى عملى * ينفَعْك علمى ولايضرُرْك تقصيرى

ثم قال : بم تُشبِّهون قوله عليه [الصلاة و][(٣)] السلام إخبارا عن ربّه تعالى : "ما أشغَلَ عبدى ذكرى عن مسألتى إلّا أعطيتُه أفضلَ ماأُعطى السائلين"؟ فقلنا : قل يرحمك الله؛ فقال قول القائل : [الكامل]

وفتًى[(٤)] خلا من ماله * ومن المروءة غيرُ خال

أعطـاك قبل سـؤاله * وكفاك مكروهَ السؤال

وفيها تُوفّى أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله العَلَوِى الطَّلَمَنْكِى[(٥)] الحافظ، كان إمامًا حافظا محدّثا . مات فى ذى الحجة وله تسعون سنة .

وفيها تُوفّى الحسن بن علىّ بن الصَّقْر[(٦)] الإمام الكاتب المقرئ صاحب زيد بن أبى بلال الكوفى، كان فاضلا قرأ القراءات بالروايات و برّع فى فنون .

---

(١) فى مرآة الزمان : «البهرانى» . (٢) فى الأصل : « لحجبنا » والتصويب عن مرآة الزمان . (٣) الزيادة عن مرآة الزمان . (٤) كذا فى مرآة الزمان . وفى الأصل : «وفى حلا» بالحاء المهملة، وهو تحريف . (٥) الطلمنكى (بفتح الطاء واللام والميم وسكون النون) : نسبة الى طلمنكة : مدينة بالأندلس . (٦) فى الأصل : «على ابن الصفر» بالفاء . والتصويب عن تاريخ الاسلام للذهبى وغاية النهاية فى أسماء رجال القراءات وتاريخ بغداد .

وفيها تُوفّى أبو الوليد يُونُس بن عبدالله بن محمد بن مُغيث المقرئ القُرْطُبي[1] الفقيه المعروف بآبن الصفّار قاضي الجماعة ، كان من أوعية العلم ، كان فقيهاً محدّثا عالما زاهدا . مات في شهر رجب .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وخمس أصابع . مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا وعشرون إصبعا .

⁂

السنة الثالثة من ولاية المستنصر مَعَدّ على مصر وهي سنة ثلاثين وأربعمائة .

فيها سأل جلال الدولة الخليفة القائم بأمر الله أن يلقّب آبنه لقبا، فلقّبه «الملك العزيز» وكان مقيما بواسط . قلت : وهذا أوّل لقب سمعناه من ألقاب ملوك الأتراك وغيرهم من ملوك زماننا .

وفيها آستولى بنو سَلْجُوق[2] على خُراسان والجبال، وهرب منهم السلطان مسعود ابن محمود بن سُبُكْتِكِين إلى غَزْنة، وآقتسموا البلاد . وهذا أوّل ظهور بني سَلْجُوق الآتي ذكرهم في عدّة أماكن . وأصلهم أتراك من [ما] وراء النهر، فزوّج سلجوق آبنته من رجل يُعرف بعليّ تِكين ، فأفسدوا على محمود بن سُبُكْتِكِين البلاد بالنهب والغارات ، فقصدهم محمود بن سُبُكْتِكِين فقبض على سلجوق المذكور وهرب عليّ تكين وطُغْرُلْبَك، وآسمه محمد بن ميكائيل بن سلجوق، وبقي طُغْرُلْبَك في أربعة آلاف خركاه، إلى أن تُوفّى محمود بن سبكتكين، وآشتغل آبنه مسعود بن محمود

(١) كذا في الأصل وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعيون التواريخ لابن شاكر (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب تحت رقم ١٤٩٧ تاريخ) . وفي بغية الوعاة للسيوطي : «يونس بن محمد بن مغيث بن محمد» .

(٢) كذا ضبط بالعبارة في وفيات الأعيان في ترجمة محمد بن ميكائيل .

ابن سبكتكين باللهو . فصار أمر طُغْرُلْبَك ينمو إلى أن واقع مسعودا وهزمه وآستولى على خُراسان، وولّى أخاه داود مَرْو وسَرْخَس وبَلْخ، وولّى آبن عمّه الحسن بن موسى هَرَاة وبُوشَنْج وسِجِسْتان، وولّى أخاه لأمّه إبراهيم ينّال دِهِستان (١) . وعظُم أمر طُغْرُلْبَك إلى أن كان من أمره ماسنذكره فى عدّة أماكن إن شاء الله تعالى .

وفيها تُوفّى أحمد بن عبـد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مِهْران الحافظ أبونُعَيْم الأصبهانىّ الصوفىّ والأحول سبط الزاهد محمد بن يوسف البنّاء، كان أحد الأعلام، جمع بين علوّ الرواية وكثرة الدّراية، ورُحِل إليه من الأقطار، وألحق الصغار بالكبار، ووُلِد سـنة ستّ وثلاثين وثلثمائة بأصبهان . وآستجاز له أبوه طائفة من شيوخ العصر حتّى تفرّد فى آخر عمره فى الدنيا عنهم .

وفيها تُوفّى عبد الملك بن محمد بن عبد الله الشيخ أبو القاسم البغدادىّ الواعظ . كان مُسنِد العراق فى زمانه ، سمع الحديث وروى الكثير . قال أبو بكر الخطيب : كتبنا عنه وكان ثقة ثَبْتًا صالحا، وُلِد فى شوّال سنة تسع وثلاثين وثلثمائة .

وفيها تُوفّى موسى بن عيسى بن أبى حاجّ الفاسىّ المقرئ الإمام أبو عمران، الفاسىّ الدار الغَفَجُومىّ (٢) النسب — وغَفَجُوم : قبيلة من زَنَاتَة — البربرىّ، الفقيه المالكىّ نزيل القَيْرَوان (٣) وإليـه آنتهت رياسة العلم بها . تفقّه على أبى الحسن القابسىّ وهو أجلّ أصحابه، ودخل الأندلس فتفقّه على أبى محمد الأَصِيلِىّ (٤)، وسمـع وحدّث وحجّ غير مرّة، وكان من كِبار العلماء .

(١) دهستان : بلد مشهور فى طرف مازندران قرب خوارزم وجرجان . (عن معجم ياقوت) .
(٢) كذا فى الأصل والديباج المذهب ونفح الطيب وشذرات الذهب . وفى معجم البلدان : «الغفجومى نسبة الى غفجوم» .
(٣) هو أبو الحسن على بن محمد المعافرى القابسى كما تقدم فى ص ٢٣٣ من الجزء الرابع من هذه الطبعة والمشتبه فى أسماء الرجال للذهبى .
(٤) هو عبد الله بن ابراهيم بن محمد الأندلسى . (راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٣٤ من الجزء الرابع من هذه الطبعة) .

وفيها تُوفّى الفضل بن منصور أبو الرّضا البغدادىّ المعروف بآبن الظّريف، كان شاعرا أديبا .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وست أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشرون إصبعا .

***

السنة الرابعة من ولاية المستنصر مَعَدّ على مصر وهى سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة .

فيها تُوفّى محمد بن علىّ بن أحمد بن يعقوب بن مَرْوان القاضى أبو العلاء الواسطىّ، أصله من فم الصِّلْح، ونشأ بمدينة واسط . وكان فقيها فاضلا محدّثا، سمع الحديث، وولِى القضاء . ومات ببغداد فى جُمَادى الآخرة من السنة .

وفيها تُوفّى محمد بن الفضل بن نَظِيف أبو عبد الله المصرىّ الفرّاء مُسنِد الديار المصريّة فى زمانه، سمع الكثير وتفرّد بأشياء، وروَى عنه خلائقُ كثيرة . ومات فى شهر ربيع الآخر، وله تسعون سنة .

وفيها شَغَب الأتراك وخرجوا بالخِيَم [إلى شاطئ دِجْلة][1] وشكَوْا من تأخر النفقة ووقوع الآستيلاء على إقطاعاتهم، [فعَرَف السلطان هذا][2]، فكاتب دُبَيْس [بن علىّ][2] ابن مَزْيد [و][2] أبا الفتح [بن ورّام][2] وأبا الفوارس بن سعد[3]، ثم كتب إلى الأتراك يلومهم . وحاصل الأمر أنّ الناس ماجوا وآنزعجوا، ووقع النهب وغلت الأسعار وزاد الخوف، حتّى إنّ الخطيب صلّى صلاة الجمعة بجامع بَرَاثَا[4] وليس وراءه إلا ثلاثة

(١) زيادة عن المنتظم . (٢) التكملة عن المنتظم وتاريخ الاسلام للذهبى . (٣) فى الأصل: «ابن سفرى» . والتصويب عن المنتظم وتاريخ الاسلام للذهبى . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨١ من الجزء الثالث من هذه الطبعة .

أنفس، ونُودى فى الجمعة المُقْبلة مَن أراد الصلاة بجامع بَرَاثا فكلّ ثلاثة أنفس بدرهم خفارة .

وفيها تُوفّى القاضى أبو العلاء صاعد بن محمد بن أحمد الفقيه الأستوائىّ(١) الحنفىّ قاضى نيسابور وفقيهها وعالمها، كان إماما فقيها عالما عفيفا ورِعا كثير العلم، كان المعوّل على فتواه بنيسابور فى زمانه . ومات فى هذه السنة . قاله الذهبىّ رحمه الله .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوفّى القاضى أبو العلاء صاعد بن محمد بن أحمد الفقيه الأستوائىّ الحنفىّ قاضى نيسابور وفقيهها . والقاضى أبو العلاء محمد بن على الواسطى المقرئ . وأبو الحسن محمد بن عَوْف المُزَنى فى [شهر] ربيع الآخر. وأبو عبد الله محمد بن الفضل بن نَظِيف المصرىّ الفرّاء فى [شهر] ربيع الآخر، وله تسعون سنة . وأبو المعمَّر مُسَدَّد بن علىّ الأُمْلُوكىّ(٢) خطيب حِمْص .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع .

* * *

السنة الخامســـة من ولاية المستنصر مَعَدّ على مصر وهى سنة ٱثنتين وثلاثين وثلثمائة .

فيها ٱتّفق جلال الدولة مع قِرْوَاش وتحالفا وسكنت الفتنة بينهما .

---

(١) فى صلب المشتبه فى أسماء الرجال للذهبي : (بفتح الهمزة والتاء) . وفى هامشه : (بضم الهمزة وفتح التاء وضمها) نقلا عن ابن خلكان . وضبطه ياقوت : (بضم الهمزة والتاء) . وفى اللباب : (أنه بضم الهمزة وفتح التاء) . وأستواء : كورة من نواحى نيسابور تشتمل على ثلاث وتسعين قرية .

(٢) الأملوكى (بضم أوّله واللام) : نسبة إلى أملوك بطن من ردمان، كما فى شذرات الذهب . وردمان : موضع باليمن، كما فى شرح القاموس ومعجم ياقوت .

وفيها تُوفّى القاضى أبو العلاء صاعد المقدّم ذكره فى السنة الماضية، فى قول صاحب مرآة الزمان .

وفيها تُوفّى أبو بكر محمد بن عمر بن بُكَير[1] بن النّجار، كان إماما عالما محدّثا . مات فى هذه السنة .

وفيها تُوفّى عبد الباقى بن محمد الحافظ أبو القاسم الطحّان ، كان إماما فاضلا فقيها محدّثا . مات ببغداد فى جُمادى الأولى من هذه السنة .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى الحافظ أبو العبّاس جعفر بن محمد بن المعتزّ المستغفرىّ . وأبو القاسم عبد الباقى بن محمد الطحّان ببغداد فى جُمادى الأولى . وأبو بكر محمد بن عمر بن بُكَيْر النجّار .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وعشر أصابع مثل الخالية . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشرون إصبعا .

* * *

السنة السادسة من ولاية المستنصر مَعَدّ على مصر وهى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة .

فيها تُوفّى محمد بن جعفر أبو الحسين البغدادىّ المقرئ ، كان فاضلا قارئا أديبا شاعرا محدّثا . ومن شعره : [الكامل]

ياويحَ قلبي من تقلُّبِه * أبدًا يحِنُّ إلى مُعَذِّبه
قالوا كتمتَ هواه عن جَلَدٍ * لوكان لى جلدٌ لبُحْتُ به

(١) كذا فى الأصل وشرح قصيدة لامية فى التاريخ وتاريخ الاسلام للذهبى وعيون التواريخ . وفى تاريخ بغداد : « عمر بن بكر » .

وفيهـا تُوفّى السلطان مسعود ٱبن السـلطان محمود بن سُبُكْتِكين أبو سـعيد صاحب خُراسان وغَزْنة وغيرهما . كان مَلِكا عادلا حسن السِّيرة فى الرعيّة، سلك طريق أبيه فى الغزو وفتح البلاد، إلّا أنّه كان عنده محبّة فى اللهو والطّرب . وكان وَلِى المُلك بعـد موت أبيه السلطان محمود فى ذى الحجّة سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، فكانت مدّة حكمه(١) على بلاد الهند وغيرها ٱثنتى عشرة سنة إلّا أشهرا .

وفيها تُوفّى الأمير أنُوشْتِكين الدِّزْبِرِىّ(٢) قَسِيم الدولة نائب الشام للمستنصر صاحب الترجمة ، كان خَصِيصًا عند المستنصر ينـدُبه إلى المهمّات ، وكان شجاعا مِقْـداما عظيمَ الهيبة حسنَ السياسة ؛ طرد العرب من الشام وأباد المفسدين ، ومهّد أمور الشام حتى أمِنت السُّبل فى أيّامه . وقد قدّمنا من ذكره نبـذة فى ترجمة المستنصر فى هذا المحلّ . ولـمّا مات وِلى دمشق بعده الأمير ناصر الدولة الحسن بن الحسين ابن عبد الله بن حَمْدان .

وفيهـا تُوفّى الأمير أبو جعفر علاء الدولة بن كَاكَوَيْه(٣) صاحب أصبهان . ولِىَ بعده منصور(٤) ، وأقام الدعوة والسِّكّة للملك أبى كَالِيجَار فى جميع بلاد أبيه .

وفيهـا تُوفّى سـعيد بن العبّاس الحافظ أبو عثمان القرشىّ الهَرَوِىّ ، كان إماما فاضلا محدّثا فقيها . مات فى المحرّم من هذه السنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وعشرون إصـبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا .

(١) فى الأصل : «مدة تحكمه» . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٥٢ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٣) كذا ضبط فى ابن الأثير، وهو علاء الدولة أبو جعفر بن دشمنزيار المعروف بابن كاكويه . وإنما قيل له «كاكويه» لأنه ابن خال مجد الدولة بن بويه، والخال بلغتهم : كاكويه» . وفى الأصل : «كالويه» وهو تحريف . (٤) كذا فى الأصـل . وعبارة ابن الأثير : «وقام بأصبهان ابنه ظهير الدين أبو منصور فرامرز مقامه وهو أكبر أولاده» .

***

السنة السابعة من ولاية المستنصر مَعَدّ على مصر وهى سنة أربع وثلاثين وأربعمائة .

فيها ورد الخبر من تِبريز(١) أنّ زلزلة عظيمة وقعت بها هدمت قلعتها وسورها وكثيرا من دُورها ومساكنها، ونجا أميرها بنفسه . وأُحصى مَن مات تحت الهدم فكانوا خمسين ألفا، ولَبِس الناس بها السّواد وجلسوا على المُسُوح لِعظَم هذه المصيبة . ثمّ زلزلت تَدْمُر(٢) أيضا و بَعْلَبَكّ، فمات تحت الهدم معظم أهل تَدْمُر .

وفيها تُوفّى حمزة بن الحسن بن العبّاس الشريف العَلَوىّ أبو يَعْلَى فخر الدولة . ولِىَ قضاء دمشق عن الظاهر العُبَيْدىّ، وهو الذى أَجرى الفَوّارة بجَيْرُون(٣)، و بنى قيساريّة الأشراف(٤) وتُعرف بالفخريّة . قال الشريف أبو الغنائم عبد الله بن الحسن: أنشدنى لقُسّ بن ساعدة فى النجوم :

[الكامل]

عِلمُ النجوم على العقول وبالُ * وطِلابُ شىء لا يُنال ضلالُ
ماذا طِلابك علمَ شىء أُغلقت * من دونه الأبواب والأقفال
إنهم فما أحد بغامض فِطْنَة * يَدْرِى متى الأرزاقُ والآجال
إلّا الذى من فوق سبع عرشُهُ * فلوجهه الإكرام والإفضال

(١) تبريز : أشهر مدن أذربيجان ، وهى مدينة عامرة حسناء ذات أسوار محكمة . (راجع معجم ياقوت) . (٢) تدمر : مدينة قديمة مشهورة فى برية الشام ، بينها وبين حلب خمسة أيام (عن معجم ياقوت) . (٣) جيرون ، قال ياقوت : « إن بابا من أبواب الجامع بدمشق ، وهو بابه الشرقى ، يقال له باب جيرون ، فيه فوارة يتزل عليها بدرج كثيرة فى حوض من رخام ، وقبة خشب يعلوها ماء نحو الرمح» . (راجع ياقوت ج ٢ ص ١٧٦) . (٤) فى الأصل : «قيسارية بالأسواق» . والتصويب عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

وفيهـا تُوفّى عُبَيْد الله[1] بن هشام بن عبد الله بن سِوّار أبو الحسين من أهل دَارَيّا بدمشق، كان إماما فاضلا متدينّا .

وفيها تُوفّى عبد[2] بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غُفَيْر[3] أبو ذَرّ الأنصارىّ الهَرَوىّ المـالكىّ الحافظ، كان يُعرف فى بلده بٱبن السمّاك ، سمِـع الحديث ورَحل [إلى] البلاد، وكان إماما عالما فاضلا سخيّا صوفيّا . قال القاضى عِيَاض: ولأبى ذرّ كتاب كبير مُخَرّج[4] على الصحيحين [و] «كتاب السنة والصفات» . رحمه الله تعالى .

§أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وسبع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وست عشرة إصبعا .

⁂

السنة الثامنة من ولاية المستنصر مَعَـدّ على مصر وهى ســنة خمس وثلاثين وأربعمائة .

فيها لم يحجّ أحد من العراق . وحجّ الناس من مصر وغيرها .

وفيها تُوفّى الحسين بن عثمان بن أحمد بن سهل بن أحمد بن عبد العزيز أبى دُلَف أبو ســعد العِجْلىّ ، كان إماما محدّثا، سافر إلى خُراسان ثمّ عاد إلى بغــداد وحدّث بها، ثم ٱنتقل إلى مكّة فتوفّى بها فى شوّال .

---

(١) فى الأصل : «عبد الله بن هشام» . وما أثبتناه عن المشتبه فى أسماء الرجال للذهبى وتاريخ الاسلام .
(٢) كذا فى المشتبه وتاريخ الاسـلام وطبقات الحفاظ وشـذرات الذهب وعيون التواريخ . وفى الأصل : «عبد الله بن أحمد» . (٣) كذا فى المشتبه وشذرات الذهب وتاريخ الاسلام وهامش طبقات الحفاظ . وفى الأصل وصلب الطبقات : «ابن عفير» بالعين المهملة . (٤) كذا فى طبقات الحفاظ وتاريخ الاسلام . وفى الأصل : «تخرج فيه على الصحيحين» .

وفيها تُوفّى عُبَيد الله بن أحمد بن عثمان بن الفرج بن الأزهر أبو القاسم الصَّيْرِفيّ[1] المحدّث، كان صالحا ثقةً مكثرا في الحديث .

وفيها تُوفّى السلطان أبو طاهر جلال الدولة بن بهاء الدولة فيروز بن عَضُد الدولة بُوَيْه بن ركن الدولة الحسن بن بويه . وُلد سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة . وكان ملكا محبّبا للرعيّة حسن السيرة، وكان يُحِبّ الصالحين . ولقِى في سلطنته من الأتراك شدائد . ومات ليلة الجمعة خامس شعبان ، وغسّله أبو القاسم بن شاهين الواعظ وأبو محمد عبد القادر بن السمّاك ، ودُفن بداره في دار المملكة في بيت كان دُفن فيه عَضُد الدولة وبهاء الدولة قبل نقلهما إلى الكوفة ، ثم نُقِل بعد سنة إلى مقابر قريش . وكان عمره لمّا مات إحدى وخمسين سنة وشهرا، ومدّة ولايته على بغداد ستّ عشرة سنة وأحد عشر شهرا . ولمّا مات كان آبنه الملقّب بالملك العزيز بواسط، فكتب إليه الخليفة القائم بأمر الله يُعزِّيه فيه . قلت : وجلال الدولة هذا أحسن بنى بويه حالا إن لم يكن رافضيّا على قاعدتهم النَّجِسة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وآثنتان وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وستّ أصابع .

*
* *

السنة التاسعة من ولاية المستنصر مَعَدّ على مصر وهى سنة ست وثلاثين وأربعمائة .

فيها دخل أبو كاليجار بغداد ولم يخرج الخليفة القائم بأمر الله إلى لقائه ، فنزل في دار المملكة وأخرج منها عيال جلال الدولة ، وضَرَب الدّبادب على بابه

(١) كذا في المنتظم وشذرات الذهب وابن الأثير وعقد الجمان وتاريخ الاسلام . وفي الأصل : (السيرافي) بالسين وهو تحريف .

فى أوقات الصلوات الخمس، فرُوسل بالاقتصار على ثلاثة أوقات، كما كانت العادة، فلم يَلْتفِت إلى رسول الخليفة، وآستمرت الدبادب فى خمسة أوقات .

وفيهـا تُوفّى الحسين بن علىّ بن محمد بن جعفر أبو عبد الله الصَّيْمَرِىّ(١) العلّامة. وُلِد سنة إحدى وخمسين وثلثمائة ، وكان أحد الفقهاء الحنفيّة الأعلام، كان جيّـد النظر حسن العبارة وافر العقل صـدوقا ثِقةً، انتهت إليه رياسـة الحنفية ببغداد، وولِى القضاء بالمدائن وغيرها، وكان فى ولايته نزِها عفيفا ديّنـا ورِعا . مات ليـلة الأحد حادى عشرين شوّال ودفِن فى داره بدرب الزرّادين(٢) .

وفيهـا تُوفّى عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن أبو محمد الأصبهانىّ ويُعرف بابن اللبّان ، كان صائمـا قائمـا صدوقا ثقة أحدَ أوعية العلم، وله التصانيف الحِسان .

وفيهـا تُوفّى علىّ بن الحسن بن ابراهيم أبو الحسن الصوفىّ الوكيل، كان ديّنـا خيّرا، سكن مصر، وبها كانت وفاته فى شعبان .

وفيهـا تُوفّى محمد بن أحمد بن بُكَيْر أبو بكر التَّنُوخىّ الخيّاط الدمشقى ، كان يؤمّ بمسجد أبى صالح خارج الباب الشرقىّ بدمشق، وكان صالحا ثقةً .

وفيها تُوفّى محمـد بن علىّ بن الطيّب أبو الحسين البصرىّ المتكلم، سكن بغداد ودرّس بها على مذهب المعتزلة، وله تصانيف كثيرة(٣): منها «المعتمد فى أصول الفقه»(٤) لم يُصنَّف فى فنه مثله .

---

(١) الصيمرى ، كذا ضبط بالعبارة فى شذرات الذهب : نسبة الى صيمر : نهر من أنهار البصرة عليه عدّة قرى . (٢) كذا فى المنتظم ومرآة الزمان وتاريخ بغداد . وفى الأصل : «الرزازين» .

(٣) فى شذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبى : «وله التصانيف الكلامية» .

(٤) فى الأصل : « فى أصول الدين » . والتصويب عن تاريخ الإسلام وكشف الظنون .

وفيها تُوفّى مُحسّن بن محمد بن العبّاس الشريف الحسينيّ ، كان نقيب الطالبيّن بدمشق ، وولِيَ القضاء بها بعد أخيه لأنه فخر الدولة(١) نيابة عن أبى [محمد القاسم بن](٢) النُّعمان قاضى قضاة خليفة مصر . ومات بدمشق فى المحرّم .

وفيها تُوفّى علىّ بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علىّ زين العابدين بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، الشريف أبو طالب العلوىّ الموسوىّ المعروف بالشريف المرتضى نقيب الطالبيّين ببغداد ، وهو أخو الشريف الرضى . قال الحافظ أبو عبد الله الذهبىّ : وكلّ منهما رافضىّ ، وكان المرتضى أيضا رأسا فى الاعتزال كثير الاطلاع والجدل . ثمّ ذكر كلاما عن ابن حزم فى هذا المعنى ، أنزّه الشريف عن ذكره(٣) مراعاة لسلفه الطاهر لا لاعتقاده القبيح فى الصحابة . وكان الشريف المرتضى عالما فاضلا أديبا شاعرا . ومن شعره من جملة قصيدة قوله : [الخفيف]

وٱلتقينا(٤) كما ٱشتهينا ولا عيـ * ـب سوى أنّ ذاك فى الأحلام
وإذا كانت الملاقاة ليلًا * فالليالى خير من الأيام

وكانت وفاة الشريف فى يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الأوّل.

وفيها تُوفّى محمد بن عبدالله بن أحمد أبو الوليد المُرْسِىّ يعرف بٱبن مُنقذ(٥) ، حدّث عن سهل بن إبراهيم وغيره ، وكان عالما فاضلا ورعا محدّثا صدوقا ثقة .

---

(١) هو فخر الدولة أبو يعلى حمزة بن الحسن ، الذى تقدّمت وفاته سنة ٤٢٤ هـ . (٢) التكملة عن تاريخ الإسلام للذهبى . (٣) فى الأصل : « عن ذكرها » . (٤) فى شذرات الذهب وعيون التواريخ قبل هذين البيتين :

ضنّ عنى بالـزور إذ أنا يقظا * ن وأعطى كثيره فى المنام

(٥) كذا فى الأصل . وفى كتاب تاريخ علماء الأندلس (ج ٨ ص ١٠٦) : « و يعرف بابن ميغل » بالغين المعجمة واللام . وفى تاريخ الاسلام للذهبى : « و يعرف بابن ميقل » بالقاف واللام .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ثمـانى أذرع وسبع عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشرون إصبعا .

*
* *

السنة العـاشرة من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة .

فيها مات بواسط نصرانىّ يقال له آبن سهل، وأُخرجت جنازته نهارا ، فثارت العامّة بالنّصارى وجزدوا الميّت وأحرقوه، ومَضَـوْا إلى الدَّيْر فنهبوه . وكان الملك العزيز بن جلال الدولة بن بويه بواسطَ ، وعمّه الملك أبو كاليجار ببغداد ، ولم يكن له تلك الهيبة، وكانوا قد أحسّوا بآنقراض دولة بنى بُوَيْه بظهور طُغْرُلْبَك السَّلْجُوقىّ صاحب خُراسان، فلم ينتطح فى ذلك شاتان .

وفيهـا جهّز المستنصر صـاحب الترجمة جيشا من مصر إلى حلب ، فحصروا آبن مِرْداس فيها وآستظهروا عليــه، فآستنجد بالرّوم فلم يُنْجدوه . وقد تقـدّم ذكر هذه الواقعة فى ترجمة المستنصر .

وفيها لم يحج أحد من العراق . وحجّ الناس من مصر وغيرها .

وفيها تُوفى الحسن بن محمد بن أحمـد أبو محمد الدمشقىّ المعروف بآبن السّكن[1]؛ كان عابدا زاهدا صام الدهر وله آثنتا[2] عشرة سنة من العمر ، وعاش سبعا وثمانين سـنة . وكان لا يشرب المـاء فى الصيف، وأقام سنة وخمســة أشهر لا يشربه . فقال له طبيب[3] : معدتك تشبه الآبار، فى الصيف باردة وفى الشتاء حارّة .

(١) كذا فى الأصل ومرآة الزمان وعقد الجمان . وفى تاريخ الاسلام وتهذيب تاريخ دمشق : «المعروف بالسكن» . (٢) كذا فى الأصل ومرآة الزمان وعقد الجمان . وفى تاريخ الاسلام : «سردت الصوم ولى ثمان وعشرون سنة، وسرد أبى الصوم وله ثمانيــة عشر عاما إلى أن مات ، وصام جدى وله اثنتا عشرة سنة» . (٣) هو أبو السرى جورجس النصرانى المتطبب، كما فى تهذيب تاريخ دمشق .

وفيها توفّى محمد بن محمد بن علىّ [بن الحسن بن علىّ بن إبراهيم بن علىّ][(1)] بن عبد الله ابن الحسين [الأصغر][(1)] أبو الحسن العلوىّ الحسينىّ البغدادىّ النسّابة شيخ الأشراف، كان فريدًا فى علم الأنساب، وله تصانيف كثيرة، وله شعر .

وفيها توفّى مكّىّ بن أبى طالب حَمّوش[(2)] بن محمد بن مختار الإمام أبو محمد القَيْسىّ القَيْروانىّ ثم القرطبىّ المقرئ شيخ الأندلس فى زمانه، حجّ وسمع بمكّة وغيرها. وكان إماما عالمـا محدّثا ورعا، صنّف الكثير فى علوم القرآن . ومولده بالقَيْروان سنة خمس وخمسين وثلثمائة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم سبع أذرع وسبع أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشرون إصبعا .

*

السنة الحادية عشرة من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة .

فيها أغارت الترك على ماوراء النهر وآستولوا على بُخَارَى وسَمَرْقَنْد وخُوَارَزْم، فقطع طغرلبك جَيْحون . وبعث أخاه إبراهيم إلى العراق فآستولى على حُلْوان ثم عاد إلى الرىّ . وآلتقى طغرلبك مع الترك فهزمهم وعاد إلى خُراسان .

وفيها زُلزلت أخلاط وديار بكر زلازلَ هدمت القلاع والحصون وقتلت خلقًا كثيرا .

---

(1) التكلة عن مرآة الزمان .	(2) كذا فى الأصل وكتاب الصلة لابن بشكوال (ج ٢ ص ٥٧٢) . وفى نسخة يشير إليها هامش الأصل : « حيوس » . وفى غاية النهاية فى أسماء رجال القراءات : « حيوش » .

وفيها لم يحجّ أحد من العراق . وحجّ الناس من مصر والشام .

وفيهـا توفّى عبد الله بن يوسـف بن عبد الله بن يوسف بن حَيُّـويَه[(١)] الجُوَيْنى الشافعى والد أبى المعالى الجُوَينى[(٢)] . وجُوَيْن (بضم الجيم): بلدة من أعمال نَيْسابور . وأصلهم من العرب من بنى سِنْبِس[(٣)] . سمع الحديث، وتفقّه بمَرْو على القَفّال[(٤)]، وصنّف التصانيف الكثيرة . ومات بنيسابور .

وفيها توفّى محمد بن يحيى بن محمد أبو بكر . كان أصله من قرية بالعراق يقال لها الزيديّة . كان عالمـا بالقرآن والفرائض وسمع الحديث . ومات فى شهر رمضـان . قال أبو بكر الخطيب : « كتبت عنه، وكان ثقة » .

وفيها توفّى الحسن بن محمد بن إبراهيم أبو علىّ البغدادىّ المالكىّ المقرئ العـالم المشهور ، مصنّف « الروضـة[(٥)] » . كان عالما بالقراءات وغيرها ، مفتنًّا . مات فى هذه السنة .

§ أمر النيل فى هـذه السنة ـــ المـاء القديم ست أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وتسع عشرة إصبعا .

*
* *

السـنة الثانية عشرة من ولاية المستنصر معـدّ على مصر وهى سـنة تسع وثلاثين وأربعمائة .

---

(١) كذا فى المنتظم وطبقات الشافعية وشذرات الذهب وعقد الجمان وقد ضبطه بالعبارة : بفتح الحاء المهملة وتشديد الياء آخر الحروف المضمومة وسكون الواو وفتح الياء الثانية . وفى الأصل : « حويه » وهو تحريف . (٢) أبو المعالى هو إمام الحرمين عبد الملك بن أبى محمد الجوينى . (٣) سنبس : بطن من طيئ . (راجع المشتبه فى أسماء الرجال) . (٤) راجع ترجمته فى حوادث سنة ٤١٧ هـ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٥) فى شذرات الذهب وتاريخ الاسلام للذهبى : « ... الروضة فى القراءات »

فيها وقع الغلاء والوباء بالموصل والجزيرة وبغداد ، ووصل كتاب من الموصل أنهم أكلوا الميتة، وصلّى الجمعة أربعمائة نفس ، ومات الباقون وكانوا زيادة على ثلثمائة إنسان[1]، وبيعت الرّمّانة بقيراطين، واللّينوفرة[2] بقيراطين أيضا، والخيارة بقيراط. قاله صاحب مرآة الزمان .

وفيها توفّى أحمد [بن أحمد][3] بن محمد أبو عبد الله القَصْرِىّ (من قصر ابن هُبَيْرة[4]). ولد سنة ست وأربعين وثلثمائة . وسمع الحديث، وكان من أهل العلم والقرآن، يختم القرآن فى كلّ يوم مرّة، وكان معروفا بالسنّة . ومات فى شهر رجب، ودُفن بباب حرب . وكان صدوقا صالحا ثقة .

وفيها توفّى أحمد بن عبد العزيز بن الحسن أبو يَعْلَى الطاهرىّ (من ولد طاهر ابن الحسين الأمير) . ولد سنة إحدى وثمانين وثلثمائة، وقرأ الأدب وسمع الحديث. ومات فى شوّال . وكان فصيحا صدوقا .

وفيها توفّى أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد أبو الفضل الهاشمىّ العباسىّ ، من ولد هارون الرشيد . ولى النضاء بسِجِسْتان، وسمع الحديث، وكان له شعر وفضل .

---

(١) فى مرآة الزمان : « أنف إنسان » . (٢) اللينوفرة (و يقال فيها النيلوفرة) : ضرب من الرياحين، ينبت فى المياه الراكدة ، له أصل كالجزر وساق أملس يطول بحسب عمق الماء فاذا ساوى سطحه أورق وأزهر ، و إذا بلغ يسقط من رأسه ثمر داخله بذر أسود . وهى كلمة أعجمية، قيل مركبة من « نيل» وهو الذى يصبغ به ، و « فر » وهو اسم الجناح فكأنه قيل مجنح بنيل لأن الورقة كأنها مصبوغة الجناحين . (٣) التكلة عن تاريخ بغداد وتاريخ الاسلام للذهبى ومعجم ياقوت . (٤) قصر ابن هبيرة : ينسب الى يزيد بن عمر بن هبيرة . وهذا القصر بناه بالقرب من جسر سورا ، موضع بالعراق من أرض بابل . (عن معجم البلدان لياقوت) .

وفيهـا كان الطاعون العظيم بالموصـل والجزيرة وبغداد ، وصُلّى بالموصل على أربعمائة نفس دفعةً واحدة، وبلغت الموتى ثلثمائة ألف إنسان .

وفيها توفّى عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيّوب أبو القاسم البغدادىّ الشاعر المشهور، كان يعرف بالمطرِّز[1] . مات ببغداد فى جمادى الآخرة .

وفيها توفّى محمد بن الحسين بن علىّ بن عبد الرحيم الوزير أبو سـعد[2] وزير جلال الدولة بن بويه . لقى شدائد من المصادرات من الأتراك، حتى آل أمره أنّه خرج من بغداد مستترا وأقام بجزيرة ابن عمر[3] حتّى مات فى ذى القعدة .

وفيها توفّى محمد بن علىّ بن محمد بن إبراهيم أبو الخطّاب الشاعر الجَبُلىّ، أصله من قرية جَبُل عنـد النُّعمانيّة ببغداد . كان فصيحا شاعرا . رحل إلى البلاد ثم عاد إلى بغداد، وقد كُفّ بصره فمات بها . وكان رافضياً خبيثا . ومن شعره :

[المنســرح]

ما حَكَم الحبُّ فهو ممتثَلُ * وما جناه الحبيبُ محتَـمَلُ
تهوَى وتشكو الضَّنَى وكلُّ هوًى * لا يُنْحِل الجســمَ فهو مُنتحَلُ

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القـديم سبع أذرع وثلاث وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وسبع أصابع .

*
* *

السنة الثالثة عشرة من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سـنة أربعين وأربعمائة .

---

(١) فى الأصل « بابن المطرز » . والتصويب عن المنتظم وتاريخ الاسـلام ومرآة الزمان .
(٢) كذا فى المنتظم وتاريخ الاسـلام ومرآة الزمان وابن الأثير . وفى الأصل : « أبو سـعيد » .
(٣) جزيرة ابن عمر : بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام، ولها رستاق خصيب واسع الخيرات .

فيها تمت عمارة سور شيراز، ودوره آثنا عشر ألف ذراع، وآرتفاع حائطه عشرون ذراعا[١]، وله عشرة أبواب .

وفيها ولّى المستنصر صاحب الترجمة خليفةُ مصر القائدَ طارقًا الصَّقلبيّ على دمشق، وعزَل عنها ناصرَ الدولة الحسنَ بن الحسين بن عبد الله بن حمدان، وقبَض عليه وآستقدمه إلى مصر؛ ثم صرَف المستنصرُ طارقًا عن إمْرة دمشق فى سنة إحدى وأربعين، وولّى مكانه عُدة الدولة المستنصرىّ ؛ ثم صرفه أيضا عنها وبعث به إلى حلب، وولّى دمشق حيدرةَ بن الحسين بن مُفْلح[٢]، ويعرف بأبى الكرم المؤيّد؛ فأقام عليها حيدرة تسع سنين .

وفيها فى شعبان خَتَن الخليفة القائم بأمر الله العباسىّ آبنَه أبا العبّاس محمدا، ولقبه بذخيرة الدين[٣] وذكر آسمه على المنابر .

وفيها لم يحجّ أحد من العراق . وحجّ الناس من مصر وغيرها .

وفيها توفّى محمد بن جعفر [بن][٤] أبى الفرج الوزير أبو الفرج ويلقّب ذا السعادات[٥]. وزر لأبى كاليجار بفارس وبغداد . وكان وزيرًا فاضلا عادلا شاعرا . ومات فى شهر ربيع الآخر، وقيل : فى جمادى الأولى . ومن شعره : [الوافر]

أُودّعكم وإنى ذو آكتئابٍ * وأرحَل عنكمُ والقلبُ آبى
وإنّ فراقكم فى كل حال * لأوجَعُ من مفارقة الشباب

---

(١) كذا فى الأصل ومرآة الزمان . وفى تاريخ الاسلام للذهبى والمنتظم وعقد الجمان : «ودوره اثنا عشر ألف ذراع، وطول حائطه ثمانى أذرع، وعرضه ست أذرع، وله أحد عشر بابا» .

(٢) فى تهذيب تاريخ دمشق : «أبو المكرم» . (٣) كذا فى ابن الأثير والمنتظم . وفى الأصل : «ولقبه بالذخيرة» . (٤) التكملة عن المنتظم وعقد الجمان ومرآة الزمان .

(٥) كذا فى المنتظم وتاريخ الاسلام للذهبى وعقد الجمان . وفى الأصل : «بأبى السعادات» .

وفيها توفّى السلطان أبو كاليجار، وآسمه المَرْزُبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة فيروز بن عَضُد الدولة بو يه بن ركن الدولة الحسن بن بو يه بن فَنّاخُسْرو الدَّيْلَمِىّ . وُلد بالبَصْرة سنة تسع وتسعين وثلثمائة فى شوّال، ومات ليلة الخميس منتصف جُمادى الأولى . وكانت ولايته على العراق أربع سنين وشهرين وأياما ، ومدّة ولايته على فارس والأهواز خمسا وعشرين سنة . وكان شجاعًا فاتكا مشغولا بالشرب واللّهو . ولـمّا مات كان ولده أبو نصر ببغداد فى دار الملك نيابةً عن أبيه، فلقّبه الخليفة القائم بأمر الله «الملك الرحيم» وخلع عليه خِلْعةَ السلطنة. وكانت الخلع سبعَ جِبَاب كاملةَ والتاج والطَّوْق والسوارين واللواءَيْن كما كان فعل بعضد الدولة .

وفيها توفّى الفضل – وقيل : فضل الله – بن أبى الخير[1] محمد بن أحمد أبو سعيد المَيْهَنِىّ العارف بالله صاحب الأحوال والكرامات . مات بقرية مَيْهَنَة من خُرَاسان فى شهر رمضان وله تسع وسبعون سـنة بعد أن سمع الحديث ، وروى عنه جماعة، وتكلّم فى آعتقاده آبن حزم . والله أعلم بحاله .

وفيها توفّى محمـد بن عبد الله بن أحمـد بن إبراهيم بن إسحـاق بن زياد أبو بكر الأصبهانىّ التاجر المعروف بآبن رِيذة[2] . روى عن الطَّبَرانىّ مُعْجَميه الكبير والصغير. وطال عمره، وسار ذكره، وتفرّد بأشياء . ذكره أبو زكريّا بن مَنْدة وقال : «الفقيه[3] الأمين». كان أحد وجوه النّاس، وافر العقل، كامل الفضل .

---

(١) فى الأصل : «ابن سعيد» . والتصويب عن تاريخ الاسلام للذهبى ومعجم البلدان لياقوت .

(٢) فى الأصل : «ابن زيدة» . والتصويب عن المشتبه وشرح القاموس وتاريخ الاسـلام وشرح قصيدة لامية فى التاريخ .

(٣) فى شذرات الذهب : «وقال : ثقة أمين» .

وفيها توفّى محمد بن محمد بن إبراهيم بن غَيْلان بن عبد الله بن غيلان بن حكيم أبو طالب الهَمَذانىّ البغدادىّ البزّاز أخو غيلان المقدّم[1] ذكره . سمع من أبى بكر الشافعىّ أحد عشر جزءا معروفة بالغَيْلانيّات ، وتفرّد فى الدنيا عنه . قال أبو بكر الخطيب : « كتبنا عنه ، وكان صدوقا ديّنا صالحا » .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وثلاث وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا .



السنة الرابعة عشرة من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة إحدى وأربعين وأربعمائة .

فيها كانت فتنة بين أهل السنّة والرافضة . قال القاضى أبو القاسم علىّ بن المُحَسِّن التنوخىّ : « أهل الكرخ طائفة نشأت على سبّ الصحابة ، وليس للخلافة عليها أمر » . قلت : وعدم أمر الخليفة عليهم لميل بنى بويه إليهم فى الباطن ، فإنهم أيضا من كبار الشيعة ، وهم يوم ذلك سلاطين بغداد ، غير أنهم كانوا لا يُظهرون ذلك خوفا على الملك .

وفيها هبّت ريح سوداء ببغداد أظلمت الدنيا وقلعت رَواشن دار الخلافة ودار المملكة ودور الناس ، واقتلعت من الشجر والنخل شيئا كثيرا .

وفيها نزل طغرلبك السّلجوقىّ الرّىّ ولم يتحقّق موتَ أبى كاليجار بن بويه ، ثم فحص عن ذلك حتّى تحقّق وفاته .

(١) يلاحظ أنه لم يسبق ذكر هذا الاسم . ويظهر أن المؤلف نقل عبارة الذهبى سهوا . وفى الذهبى : «أخو غيلان الذى تقدّم» .

وفيها دخل السلطان مودود بن مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكِين بلاد الهنـد ، ووصل إلى الأماكن التى كان وصل إليها جدّه محمود .

وفيها توفّى أحمد بن حمزة بن محمد بن حمزة بن خُزَيمة أبو إسماعيل الهَرَوىّ الصوفىّ. كان يعرف بعَمّويه وكان شيخ الصوفية بهَراة. سمع الكثير بالعراق والشام. ومات بهراة فى شهر رجب .

وفيها توفّى محمد بن علىّ بن عبد الله أبو عبد الله الصُّورِىّ الحافظ . وُلِد بصُور[1] سنة ست وسبعين وثلثمائة وقدِم بغداد ، وسمع الحديث على كبر السنّ وعُنِى به . وكان إمامًا صحيح النقل دقيق الخطّ صائمًا قائمًا لا يُفطر إلّا فى العيدين وأيام التشريق. وكان حسن المحاضرة. وله شعر على طريق القوم؛ فمن ذلك من قصيدة :

[المجتث]

نعم الأنيسُ كتابٌ * إن خانك الأصحابُ

تنـال منـــه فنونًا * تحظَى بهـا وتُثـاب

§ أمر النيل فى هذه السنة ـــ المـاء القديم خمس أذرع سواء . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وتسع أصابع .

***

السنة الخامسة عشرة من ولاية المستنصر مَعَدّ على مصر وهى سنة آثنتين وأربعين وأربعمائة .

---

(١) صور : مدينة مشهورة من ثغور المسلمين وهى مشرفة على بحر الشام داخلة فى البحر مثل الكف على الساعد؛ يحيط بها البحر من جميع جوانبها إلا الرابع الذى منه شروع بابها ، فتحها المسلمون فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

فيها كان من العجائب أنّه وقع الصلح بين أهل السُّنّة والرافضة وصارت كلمتهم واحدة. وسبب ذلك أنّ أبا محمد النَّسَوِيّ وُلّى شرطة بغداد وكان فاتكًا، فاتّفقوا على أنّه متى رحل إليهم قتلوه، واجتمعوا وتحالفوا، وأُذّن بباب البصرة بـ«حىّ على خير العمل» وقُرِئ في الكَرْخ فضائلُ الصحابة، ومضى أهل السّنة والشّيعة إلى مقابر قريش، فعُدّ ذلك من العجائب؛ فإنّ الفتنة كانت قائمة والدماء تُسْكَب، والملوك والخلفاء يعجزون عن ردّهم، حتّى وُلّى هذا الشرطة، فتصالحوا على هذا الأمر اليسير. فلله الأمر من قبلُ ومن بعدُ.

وفيها تُوفّى علىّ بن عمر بن الحسن بن محمد بن الحسن أبو الحسن الزاهد المعروف بابن القَزْوِينىّ[1]. وُلد بالحربيّة[2] ببغداد في المحرّم سنة ستّين وثلثمائة؛ وكان إماما فاضلا زاهدا، قرأ النّحو وسمع الحديث الكثير؛ وكان صاحبَ كرامات وصلاح، يُقصد للزيارة. ومات في شعبان.

وفيها تُوفّى الأمير قِرواش بن المقلَّد أبو المَنِيع صاحب المَوْصِل والكوفة والأنبار. وقرواش بفتح[3] القاف والراء المهملة والواو وبعد الألف شين معجمة ساكنة. ومعناه باللغة التركية عبد أسود. وكان قرواش هذا قد خَلَع عليه الخليفة القادر بالله ولقّبه مُعتَمَد الدولة. وكان قد جمع بين أُختين، فلامه النّاس على ذلك؛ فقال لهم: خبّرونى، ما الذى نستعمله مما تُبيحه الشريعة! فهذا من ذاك. وكان الحاكم بأمر الله استماله فخَطَب له ببلاده ثمّ رجع عن ذلك. ولمّا مات قرواش ولى مكانه

(١) كذا في الأصل ومرآة الزمان. وفي المنتظم وعقد الجمان: «المعروف بالقزوينى».

(٢) الحربية: محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب، عند مقبرة بشر الحافى وأحمد بن حنبل، تنسب الى حرب بن عبد الله البلخىّ. (راجع معجم ياقوت).

(٣) سبق أن نقلنا ضبطه بالعبارة عن وفيات الأعيان واعتمدناه فيما سبق وأجمعت عليه عدّة كتب بين أيدينا ضبطته بالقلم: بكسر القاف وسكون الراء وفتح الواو. (راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٠٣ من الجزء الرابع من هذه الطبعة).

آبن أخيه قُرَيْش بن بَدْرَان بن المقلّد المقـدّم ذكره فى ترجمـة المستنصر أنّه كان مع البَسَاسيرىّ . ويأتى ذلك أيضا فى محلّه مختصراً .

وفيها تُوفّى السلطان مودود بن مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكين صاحب غَزْنة، وغيرها من بلاد الهند وغيره . ومات بغزنة، وقام مقامه عمّه عبد الرشيد بن محمود بن سُبُكْتِكين؛ اختاره أهل المملكة فأقاموه .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع سواء . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وستّ عشرة إصبعا .

⁂

السنة السادسة عشرة من ولاية المستنصر مَعَـدّ على مصر وهى سـنة ثلاث وأربعين وأربعمائة .

فيها فى صفر عادت الفتنة بين أهل السُّنّة والرافضة ببغداد، وكتب أهل الكَرْخ على برج الباب : «محمد وعلىّ خير البشر، فمن رضى فقد شكر، ومن أبى فقد كفر» . وثارت الفتنة بينهم ، ولم يقدر على منعهم الخليفة ولا السلطان . وآستنجد الخليفة بعَيّار من أهل درب ريحان، فأُحضر إلى الديوان وآسْتُتِيب عن الحرام، وسُلِّط على أهل الكَرْخ فقتَل منهم جماعة كثيرة .

وفيهـا أقام آبن المُعِزّ[1] بن باديس الصنهاجىّ ملك الغرب الدعوة بالمغرب للقائم بأمر الله العباسىّ، وأبطل دعوة بنى عُبَيْد خلفاء مصر من الغرب . وكان المعزّ لدين

(١) الذى أجمعت عليه المصادر هنا ، ومنها مرآة الزمان ووفيات الأعيان وعقد الجمان وابن الأثير، أن الذى أقام الدعوة بالمغرب للقائم العباسى هو المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين ؛ وأن الذى سلم اليه المعز لدين الله معدّ المغرب حين خرج الى الديار المصرية هو بلكين بن زيرى جدّ المعز بن باديس هذا ، وقد ذكر المؤلف ذلك أيضا فى حوادث سنة ٣٦٢ (ج ٤ ص ٧٢ من هذه الطبعة) .

الله مَعَدّ لمّا خرج من المغرب وقصد الديار المصريّة سلّمها إلى المُعِزّ بن باديس . فأقام بها سنين إلى أن تُوفّى، وملكها ٱبنه من بعده؛ فأقام مدّة سنين يَخطُب لبنى عُبَيْد إلى هذه السنة؛ فأبطل الدعوة لهم وخَطَب لبنى العبّاس، ودعا للقائم بأمر الله وهو ببغداد . فلم تزل دعوة انعباسية بعد ذلك بالمغرب حتى ظهر محمد بن تُومَرْت[1] بالمغرب وتلقّب بالمهدىّ، وقام بعده عبد المؤمن بن علىّ فقطع الدعوة لبنى العبّاس فى أيام المقتفى العبّاسىّ، على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

وفيها لم يحجّ أحد من العراق . وحجّ الناس من مصر وغيرها .

وفيها تُوفّى أحمد بن عثمان بن عيسى أبو نصر الجَلّاب[2]، كان محدّثا ثقةً؛ وأخرج له أبو بكر الخطيب حديثا عن ٱبن عمر : أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قُرِئت عنده سورة الرحمٰن فقال : "مالى أرى الجنّ[3] أحسن جوابًا لربّها منكم". قالوا : وما ذاك يارسول الله؟ قال : "ما أتيت على قول الله تعالى : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلّا قالت الجنّ ولا بشىء من نعمك يا ربّنا نكذّب" .

وفيها تُوفّى إسماعيل بن علىّ بن الحسين زَنْجويه أبو سعد[4] الحافظ الرازىّ الحنفىّ؛ كان إماما فاضلا طاف الدنيا ولقِىَ الشيوخ وأثنى عليه العلماء؛ وكان ورِعا زاهدا فاضلا، إمام أهل زمانه [بغير مدافعة][5]، [و] مارأى مثل نفسه [فى كلّ فنّ][5]،

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودى البربرى الهرغى المدّعى أنه علوى حسنى وأنه المهدى . (راجع ترجمته بتفصيل واف فى ابن خلكان ج ٢ ص ٥٣ وشذرات الذهب وتاريخ الاسلام للذهبى فى وفيات سنة ٥٢٤ هـ) .

(٢) كذا فى تاريخ بغداد وتاريخ الاسلام ومرآة الزمان . وفى الأصل . «الحلاف» بالحاء والفاء وهو تحريف .

(٣) كذا فى الأصل ومرآة الزمان . وفى تاريخ بغداد «ما لى أسمع الجن» .

(٤) كذا فى مرآة الزمان وتاريخ الاسلام وشذرات الذهب وتاريخ دمشق . وفى الأصل : «أبو سعد الدارى» . وفى تاريخ بغداد : «الاسترابادى» .

(٥) زيادة عن مرآة الزمان .

وكان يقال له : شيخ العدلية[1] ومات بالرى ، ودفن بجنب الإمام محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة . وكان قرأ على ألف وثلثمائة شيخ ، وقرأ عليه ثلاثة آلاف . قال ابن عساكر: سمع نحوا من أربعة آلاف[2] شيخ ، ومات وله أربع وتسعون سنة .

وفيها تُوفّى محمد بن محمد بن أحمد أبو الحسن البُصْرَوِىّ[3] ، كان شاعرا فصيحا فاضلا ظريفا صاحب نوادر . ومن شعره : [الوافر]

ترى الدنيا وزَهْرَتَها فتَصْبُو * وما يخلو من الشَّبهات قلبُ
فضول العيش أكثرُها هموم * وأكثرُ ما يضرُّك ما تُحبّ

وفيها تُوفّى المفضّل بن محمد بن مسعود[4] أبو المحاسن التَّنوخىّ المَعَرّى الفقيه الحنفى . تفقّه على القُدُورىّ ، وأخذ الأدب عن أبى عيسى الرَّبَعىّ وبرَع فى فنون ، وناب فى القضاء بدمشق ، ووَلِى قضاء بعلبكّ ، وصنّف تاريخ النحاة وأهل اللغة . ومات بدمشق ، ولم يخلف بعده مثلُه .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع سواء . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا واثنتا عشرة إصبعا .

*
* *

السنة السابعة عشرة من ولاية المستنصر مَعَدّ على مصر وهى سنة أربع وأربعين وأربعمائة .

---

(١) العدلية : المعتزلة ، يسمون أنفسهم أهل العدل . (٢) فى تهذيب تاريخ ابن عساكر : «سمع الحديث من نحو أربعمائة شيخ» . (٣) البصروى : نسبة الى بصرى (بضم الباء) قرب عكبرا (عن معجم البلدان) . (٤) كذا فى الأصل . وفى مرآة الزمان وطبقات الحنفية : «ابن مسعر» . وفى بغية الوعاة للسيوطى : «ابن مشعر» بالشين المعجمة .

فيها بَرَز مَحْضَرٌ من ديوان الخليفة القائم بأمر الله العبّاسىّ بالقَدْح فى أنساب خلفاء مصر وأنّهم ديصانيّة(١) خارجون عن الإسلام ، من جنس المحضر الذى برز فى أيام القادر بالله، وقد ذكرناه فى وقته، وأخذ فيه خطوط القضاة والشهود والأشراف وغيرهم .

وفيها كانت فى مدينة أرّجان والأهواز زلازل عظيمة آرتجّت منها الأرض ، وقلعت الجبال وخرّبت القِلاع، وآمتدّت هذه الزلازل إلى بلاد كثيرة .

وفيها آستولى طُغْرُلْبَك محمد بن ميكائيل السَّلْجُوقىّ على هَمَذان ونواحيها، وطمع فى قصد العراق .

وفيها تُوُفّى الحسن بن علىّ بن محمد بن علىّ أبو علىّ التميمىّ الواعظ ، سمع الحديث الكثير ورُوى عنه مسند الإمام أحمد عن القَطِيعىّ(٢) .

وفيها تُوفّى سهل بن محمد بن الحسن أبو الحسن الفاسىّ(٣) الصوفىّ ، سمع الكثير وحدّث بالعراق ودمشق وصُور، وتوجه إلى مصر فمات بها . وكان أديبا شاعرا على طريق القوم . فمن ذلك قوله : [الطويل]

إذا كنتَ فى دارٍ يُهينك أهلُها * ولم تك محبوبا بها فتحوّلِ
وأيقنْ بأن الرّزق يأتيك أينما * تكون ولو فى قَعْر بيت مُقفَّلِ

---

(١) الديصانية : أصحاب ديصان، وهم طائفة من المجوس أثبتوا أصلين نورا وظلاما . فالنور يفعل الخير قصدا واختيارا ، والظلام يفعل الشر طبعا واضطرارا ... الخ (راجع الملل والنحل للشهرستانى وما كتبه المؤلف عن الديصانية أيضا فى الجزء الرابع ص ٢٢٩ من هذه الطبعة) . (٢) هو أحمد ابن جعفر بن حمدان بن مالك الحافظ أبو بكر . تقدّمت وفاته سنة ثمان وستين وثلثمائة .

(٣) كذا فى الأصل . وفى مرآة الزمان : « أبو الحسن القاينى » وقد بحثنا عنه فى الكتب التى بين أيدينا فلم نوفق الى وجه الصواب فيه .

وفيها تُوفّى عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الإمام أبو عمرو الأموى مولاهم القرطبىّ المقرئ الحافظ المعروف بآبن الصيرفىّ[1] أوّلا، ثم بأبى عمرو الدّانى[2]، صاحب التصانيف. كان أحدَ الأئمة فى علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه، وجمع فى ذلك كلّه تواليف حِسانا مفيدة يطول تَعدادُها . قال الحافظ أبو عبد الله الذهبىّ : وبلغنى أن مصنَّفاته مائة وعشرون مصنفا .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وخمس أصابع .

⁂

السنة الثامنة عشرة من ولاية المستنصر مَعَدّ على مصر وهى سـنة خمس وأربعين وأربعمائة .

فيها وقف طُغْرُلْبَك السّلْجُوقىّ على مقالات الأشعرىّ، وكان طغرلبك حنفيّا، فأمر بلعن الأشعرىّ على المنابر، وقال : هذا يُشعِر بأن ليس لله فى الأرض كلام . فعزّ ذلك على أبى القاسم القُشَيْرىّ[3]، وعَمِـل رسالة سمّاها « شِكاية أهل السُّـنّة ما نالهم من المِحْنة» . ووقع بعد ذلك أمور، حتّى دخل القُشَيْرىّ وجماعة من الأشعريّة إلى السلطان طغرلبك المذكور وسألوه رفع اللّعنة[4] عن الأشعرىّ . فقال طغرلبك : الأشعرىّ عندى مبتدع يزيد على المعتزلة، لأنّ المعتزلة أثبتوا أنّ القرآن فى المصحف وهذا نفاه . قال الحافظ أبو الفرج بن الجَوْزىّ رحمه الله : لو أنّ القُشَيْرىّ لم يعمل

(١) فى الأصل : « الصدفى » . والتصويب عن تاريخ الاسـلام للذهبى وشذرات الذهب وكتاب الصلة المجلد الأوّل (ص ٣٩٨) . (٢) الدانى : نسبة الى دانية، مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقا . (٣) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم القشيرى وستأتى وفاته سنة خمس وستين وأربعمائة . (٤) فى الأصل : « برفع اللعنة » .

فى هذه رسالة كان أستر للحال، لأنه إنما ذكر فيها أنه وقع اللعن على الأشعرى، وأن السلطان سئل أن يرفع ذلك فلم يجب؛ ثم لم يذكر له حجة، ولا دفع للخصم شبهة. وذكر ابن الجوزى من هذا النوع أشياء كثيرة، حتى قال: وذكر مثل هذا نوع تغفل. انتهى.

وفيها توفى إبراهيم بن عمر بن أحمد أبو إسحاق الفقيه الحنبلى ويعرف بالبرمكى، لأن أهله كانوا يسكنون بالبرمكية[1]؛ كان إماما عارفا بمذهبه، وله حلقة للفتوى بجامع المنصور، وسمع خلقا كثيرا، وروى عنه الخطيب وغيره؛ وكان صالحا زاهدا ورعا دينا صدوقا ثقة.

وفيها توفى أحمد بن عمر بن روح أبو الحسين[2] النهروانى؛ كان فاضلا شاعرا قال: كنت على شاطئ[3] دجلة، فمر بى إنسان فى سفينة وهو يقول:

[الوافر]

وما طلبوا سوى قتلى * فهان على ما طلبوا

فقلت له: قف، ثم قلت بديها: أضف إليه:

على قلبى الأحبة بالتـ * ـمادى فى الجفا غلبوا
وبالهجران طيب النو * م من عينى قد سلبوا
وما طلبوا سوى قتلى * فهان على ما طلبوا

---

(١) البرمكية: محلة ببغداد تعرف بالبرامكة، وقيل: بل كانوا يسكنون قرية تسمى البرمكية، وهى قرية بقرب باب البصرة فنسبوا اليها. (راجع المنتظم فى حوادث السنة).

(٢) كذا فى هامش الأصل ومرآة الزمان وتاريخ بغداد وتاريخ الاسلام للذهبى. وفى الأصل: «أبو الحسن» وهو تحريف.

(٣) كذا فى الأصل ومرآة الزمان. وفى المنتظم: «على شط النهروان».

وفيها تُوفِّى مُطَهَّر بن محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الصوفىّ الشِّيرازىّ[1] أحد أعيان مشايخ الصوفيّــة، جاور بمدينة النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أربعين سنة، ورَحَل إلى بغداد، ثمّ عاد إلى دمشق فمات بها فى شهر رجب .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المــاء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا سواء .

* * *

السنة التاسعة عشرة من ولاية المستنصر مَعَدّ على مصر وهى سـنة ستّ وأربعين وأربعمائة .

فيهــا آستوحش الخليفــة القائم بأمر الله من الأمير أبى الحارث أرْسـلان البَسَاسيرىّ وآستوحش البساسيرىّ منه . وهذا أوّل الفتنة التى ذكرناها فى ترجمة المستنصر هــذا من أنه خُطِب له على منابر بغداد . وكتب الخليفة القائم بأمر الله إلى طُغْرُلبَــك السَّلْجُوقىّ فى الباطن يستنهضه إلى المسير إلى العراق ، وكان بنواحى خُراسان .

وفيهــا تُوفِّى الحسن بن علىّ بن إبراهيم أبو علىّ الأهوازىّ المقرئ ، كان إمامًا فى القراءات، وصنّف فى علوم القرآن كتبًا كثيرة ، وانتهت إليــه الرياسة بالشام فى القراءة، وسمِــع الحديث الكثير، وكان يكره مذهب الأشعرىّ ويُضعفه، ومن أجله صنّف آبن عساكر كتابه المسمّى « تبيين [كَذِب] المفترى، [فيما نسب] إلى أبى الحسن الأشعرىّ »[2] .

---

(١) فى الأصـل : «مظفر» . والتصويب عن الأنساب للسمعانى فى نسبة « الخافى » ، وتاريخ دمشق، وتاريخ بغداد . (٢) فى الأصل : « تكذيب المفترى على أبى الحسن الأشعرى » . والزيادة والتصحيح عن كشف الظنون وتاريخ الاسلام للذهبى .

وفيها تُوفّى الحسين بن جعفر بن محمد[1] بن جعفر بن داود أبو عبد الله السَّلَمَاسِيّ[2] الفقيه الصالح، كان مشهورا بأفعال البرّ والصدقات، يُنْفِق ماله على الفقراء والصالحين ، وأخذ منه السلطان عشرة آلاف دينار قَرْضًا ، ثمّ أراد ردّها فلم يَقبلها ، وقال : إنى رجل يأكل من مالى قومٌ لو عِلموا أنّى أخذتُ من مال السلطان لٱمتنعوا .

وفيها تُوفى عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن الأصبهانيّ الفقيه المحدّث، كان زاهدا عالما ورعًا، وكنيته أبو محمد[3]، ويُعرف بٱبن اللبّان . أثنى على علمه وفضله جماعة من العلماء . وكانت وفاته فى جُمادَى الآخرة .

§أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع سواء . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأربع أصابع .

⁂

السنة العشرون من ولاية المستنصر معّدّ على مصر وهى سنة سبع وأربعين وأربعمائة .

فيها دخل طُغْرُلْبَك السَّلجوقىّ بغداد ، وهرب منها أبو الحارث أرسلان البَساسيرىّ إلى الرَّحْبة[4] ، وكاتب البساسيرىُّ المستنصر صاحبَ مصر ، ومشت الرُّسُل بينهما .

---

(١) كذا فى المنتظم وعقد الجمان وتاريخ بغداد . وفى الأصل : «الحسين بن جعفر بن محمود» وهو خطأ .
(٢) السلماسى : نسبة الى سلماس (بفتح السين واللام) وهى بلدة من بلاد أذربيجان . وفى الأصل : «السلمانى» وهو تحريف . (٣) كذا فى الأصل والذهبى وتاريخ بغداد . وفى المنتظم وابن كثير : «أبو عبدالله» . (٤) الرحبة : مدينة بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات .

وفيها آستولى أبو كامل علىّ بن محمد الصُّلَيْحِىّ(١) على اليمن، وانتمى إلى المستنصر صاحب مصر، وخَطَب له باليمن، وأزال دعوة بنى العبّاس منها، وكان يُدْعَى بها للقائم بأمر الله، فصار يدعو للمستنصر هذا صاحب الترجمة .

وفيها تُوفّى الحسين [بن علىّ](٢) بن جعفر بن علكان بن محمد بن دُلَف أبو عبدالله العِجْلىّ القاضى، وكان يُعرف بآبن ماكُولا، ولِى قضاء البصرة و بغداد، وكان قاضيا نَزِهًا عفيفا ديّنا أديبا شاعرا .

وفيها تُوفّى على بن المُحَسِّن بن علىّ بن محمد بن أبى الفهم أبو القاسم التَّنُوخىّ القاضى، تقلّد القضاء فى عدّة بلاد، وسمِع الحديث الكثير، وصنّف الكتب المفيدة، ومات فى بغداد فى المحرّم . وكان صَدوقا محتاطا فى الحديث . وقيل : إنّه كان معتزليّا يميل إلى الرَّفْض .

وفيها تُوفّى محمد ابن الخليفة القائم بأمر الله العباسىّ فى حياة والده، كان قد نشأ نشوءًا حسنا، ورشّحه أبوه القائم بأمر الله للخلافة، ولقّبه «ذخيرة الدين» . وكانت وفاته فى ذى القعدة، وحزِن عليه أبوه القائم حزنًا شديدا، وخرج حتّى صَلّى عليه بنفسه، فصَلّى عليه و بينه و بين الناس سُرَادِق وهم يُصلّون خلفَه بصلاته؛ وجلس الوزير رئيس الرؤساء للعزاء ثلاثة أيّام، ومَنع من ضرب الطُّبول ثلاثة أيّام، فلمّا كان اليوم الرابع حضر عَميدُ المُلْك وزير السلطان بين يدى القائم بأمر الله، وأدّى عن السلطان رسالةً تتضمّن التعزية والسؤال بقيام الوزير والجماعة من مجلس التّعزية فقاموا، ثم حُمِل تابوتُه بعد ذلك إلى الرّصافة فدفن هناك .

---

(١) كذا فى ابن الأثير والمنتظم ومرآة الزمان وعقد الجمان . وفى الأصل وابن خلكان : «أبو الحسن» . (٢) التكملة عن المنتظم وتاريخ بغداد وتاريخ الاسلام للذهبى وعقد الجمان ومرآة الزمان وابن كثير .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وستّ عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وأربع أصابع .

⁂

السنة الحادية والعشرون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة .

فيها عمّ الوباء والقحط بغداد والشام ومصر والدنيا ، وكان الناس يأكلون الميتة . وبلغت الرّمانة والسفرجلة دينارا ، وكذا الخيارة والّلينُوفرة ؛ وانقطع ماء النيل بمصر ، وكان يموت بها فى كلّ يوم عشرة آلاف إنسان . وباع عطّار واحد فى يوم واحد ألف قارورة شراب . ووقع بمصر أنّ ثلاثة لصوص نَقَبُوا نَقْبًا فوُجِدُوا عند الصّباح مَوْتَى : أحدهم على باب النقب ، والثانى على رأس الدرجة ، والثالث على الكارة التى سرقها . وهذا الوباء والغلاء خلاف الغلاء الذى ذكرناه فى ترجمة المستنصر ، ويأتى ذكر ذلك أيضا فى محلّه . غير أنّه كان يُنْذِر عن ذاك بأمور آسترسلت إلى أن عَظُم الأمر .

وفيها أُقيم الأذان فى مَشْهَد موسى بن جعفر ومساجد الكَرْخ بـ « الصلاة خير من النوم » على رغم أنف الشّيعة ، وأزيل ما كانوا يقولونه فى الأذان من « حىّ على خير العمل » .

وفيها تُوفّى جعفر بن محمد بن عبد الواحد أبو طالب الجَعْفَرىّ الشريف الطُّوسىّ شيخ الصوفية ، كان محدّثا فاضلا ، سافر [إلى] البلاد فى طلب الحديث ، وسمع بالعراقين والشام وخُراسان وغيرها .

وفيهـا تُوفّى علىّ بن أحمد بن علىّ أبو الحسن المؤدّب . أصـله من قرية ببلاد خُوزِسْتان يقال لها « فالة » (بفاء) ثم قدِم البصرة وسمع الحديث ، ثم قدم بغداد ومات بها ، وكان محدّثا شاعرا أديبا فصيحا ثقةً .

وفيها تُوفّى هلال بن المُحَسِّن بن إبراهيم بن هلال أبو الحســين الكاتب الصابئ صاحب التاريخ — قلت : نقلنا عنه كثيرا فى هذا التاريخ — وكان مولده فى سنة تسع وخمسين وثلثمائة ، وجدّه إبراهيم هو صاحب الرسائل المقدّم ذكر وفاته ، وأن الشريف الرضى رثاه ، وعِيب عليـه من كونه من الأشراف ورَثَى صابئـا . وكان أبو هلالٍ هـذا المُحَسِّنُ صابئا ، وأسلم هو متأخرا ؛ وكان قبـل أن يُسلِم سمع جماعة من النحاة ، منهم أبو علىّ الفارسىّ وعلىّ بن عيسى الرُّمّانىّ وغيرهما .

§ أمر النيل فى هذه السـنة — المـاء القديم أربع أذرع وخمس عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا .

⁂

السنة الثانية والعشرون من ولاية المستنصر مَعَدّ على مصر وهى ســـنة تسع وأربعين وأربعمائة .

فيها استعفى ابن النَّسوىّ من ولاية الشُّرْطة ببغداد لأستيلاء الحَرّاميّة واللصوص عليها بحيث إنه أقيم جمـاعةٌ لحفظ قصر الخليفة والطيّار الذى للخليفة من الحريق ، لأنّ[1] اللصوص كانوا إذا امتنع عليهم موضع حرّقوه .

وفيها كان الطاعون العظيم ببخارى ، حتّى إنه خرج منها فى يوم واحد ثمانية عشر ألفَ إنسان . وحُصِر من مات فيه فكان ألف ألف وستمائة ألف وخمسين ألف

(١) فى الأصل : « بأن » .

شخص . ثمّ وقع فى أَذْرَبِيجان والأهواز وواسط والبصرة، حتّى كانوا يَحْفِرُون التُّربة الواحدة ويُلْقُون فيها العشرين والثلاثين . ثمّ وقع بسَمَرْقَنْد وبَلْخ، فكان يموت فى كلّ يوم ستة آلاف وأكثر . وذكر صاحب المرآة فى هذا الطاعون أشياء مَهُولة يطول الشرح فى ذكرها، منها أن مؤدِّب أطفال[1] كان عنده تسعمائة صغير فلم يبقَ منهم واحد . ومات من عاشر شوّال إلى سَلْخ ذى القعدة بسَمَرْقَنْد خاصّةً مائتا ألف وستة وثلاثون ألفا . وكان آبتداء هذا الطاعون من تُرْكُسْتان إلى كَاشْغَر وفَرْغانة انتهى .

وفيها تُوفّى أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان ابن داود بن المطهّر بن زياد بن ربيعة [بن الحارث][2] بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النُّعمان بن عَدىّ بن غَطَفان بن عمرو بن بَرِيح بن جُذَيمة[3] بن تَيْم الله بن أَسَد بن وَبْرة ابن تَغْلِب بن حُلْوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضَاعة أبو العَلَاء المَعَرّىّ التَّنُوخىّ اللغوىّ الأعمى الشاعر المشهور صاحب التصانيف المشهورة . قال الذهبىّ : وصاحب الزندقة المأثورة . وقال أبو المظفّر فى مرآة الزمان : وتَنوخُ قبيلة من اليمن . وتُوفّى أبو العَلَاء بمَعَرّة النُّعمان فى يوم الجمعة ثالث عشر [شهر] ربيع الأوّل . ومولده يوم الجمعة لثلاث بقين من [شهر] ربيع الأوّل سنة ثلاث وستين وثلثمائة . وأصابه جُدَرِىّ بعد ثلاث سنين من عمره فعَمِىَ منه . وقال الشعر وهو آبن إحدى عشرة سنة . قلت : وقد آختلف الناس فى أبى العَلَاء المذكور، فمن الناس

---

(١) عبارة مرآة الزمان : «وكان عند الفقيه عبد الجبار بن أحمد سبعمائة فقيه فمات عبد الجبار والفقهاء بأسرهم» . (٢) التكملة عن وفيات الأعيان . (٣) فى الأصل : «بريح بن جذيمة» بالجيم والذال المعجمة . والتصويب عن القاموس وشرحه .

مَن جعله زِنديقا وهم الأكثر ، ومن النـاس مَن أوّل كلامه وَدَفع عنه . ومِمّـا يُسْتَشْهَد عليه من المقالة الأولى قوله : [الوافـــر]

عقولٌ(١) تَسْتَخِفُّ بها سطورٌ * ولا يَدْرِى الفتى لمن الثُّبُورُ
كتابُ محمد وكتابُ موسى * وإنجيلُ ٱبن مريم والزَّبُورُ

وله فى غير هذا المعنى أشياء كثيرة، وتصانيف مشهورة، منها « سَقْط الزَّنْد » وشَرحه بنفسه وسَمّاه «ضَوْء السقْط» . وله غير ذلك .

وفيها تُوفّى إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عابد بن عامر أبو عثمان الواعظ المفسر الصّابونىّ النيسابورىّ شيخ الإسلام. قال أبو عبد الله المـالكىّ : أبو عثمان ممن شهد له أعيان الرجال بالكمال فى الحفظ والتفسير وغيرهما . وقال البَيْهَقِىّ : أنبأنا إمام المسلمين حقًّا، وشيخ الإسلام صِدْقًا أبو عثمان الصابونىّ.

وفيها تُوفّى علىّ بن هِنْدِىّ القاضى أبو الحسن قاضى حِمْص . ولد سنة أربعمائة . كان عالمـا فاضلا نَزِها عفيفا فصيحا، مات بدمشق .

§ أمر النيل فى هذه السنة ـــ المـاء القديم خمس أذرع سواء . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث أصابع .

* * *

السنة الثالثة والعشرون من ولاية المستنصر مَعَـدّ على مصر وهى ســـنة خمسين وأربعمائة .

فيها أقام أبو الحارث أَرْسلان البَسَاسيرىّ الدعوة للستنصر ببغداد وخَطَب له على منابرها . وقد ٱستوعبنا واقعته مع الخليفة القائم بأمر الله العباسىّ فى أوّل ترجمة المستنصر هذا، فيُطلب هناك .

(١) فى الزوميات والمنتظم وعقد الجمان وابن كثير : * أمور تستخف بها حلوم *

وفيها ولّى المستنصر الأميرَ ناصرَ الدولة أبا محمد الحسنَ بن الحسين بن حمْدان على دِمَشق، فدام بها إلى أن أمره المستنصر أن يتوجّه إلى حلب في سنة آثنتين وخمسين لقتال العرب الذين آستولوا عليها؛ فتوجّه إليها ودافع العربَ بظاهرها فكانت بينهم وقعة هائلة آنكسر فيها ناصر الدولة المذكور وعاد جريحا، وآستولت العرب على أثقاله وما كان معه.

وفيها تُوفّى داود جُغْرِى بك أخو السلطان طُغْرُلْبَك السّلْجُوقى، وداود كان الأكبر. ولم يقدم بغداد، وكان مقيماً بخُراسان بإزاء أولاد محمود بن سُبُكْتِكين. وهو حمو الخليفة القائم بأمر الله. وكان مِلِكا شجاعا عاقلا جَوّادا مدبِّرا حكيما. مات ببلخ. وتوجّه ولداه ياقوتى(١) بك وقاورد(٢) بك إلى عند أخيهما متملّك الأمر بعد أبيهما، وآسمه ألْب أرْسلان، وقرّر عمّهما السلطان طُغْرُلْبَك أمورهما، وكان بأصبهان وقد عَزَم على قصد العراق.

وفيها تُوفّى طاهر بن عبد الله بن طاهر أبو الطيّب الطَّبَرِى القاضى الشافعى. تفقّه بخُراسان وبالعراق، وولى القضاء برُبْع الكَرْخ. ومولده سنة ثمان وأربعين وثلثمائة، ومات يوم السبت عشرين [شهر] ربيع الأوّل، وقد بلغ مائة سنة وسنتين وهو صحيح العقل ثابت الفهم سليم الأعضاء والحواسّ.

وفيها تُوفّى عبدالله بن على بن عِياض أبو محمد الصُّورى، كان يُلَقّب بعين الدولة، كان جليلا نبيلا، ولى القضاء بصُور، وسمِع الكثير، وخرّج له أبو بكر الخطيب فوائد فى أربعة أجزاء وقرأها عليه بصور. وهو الذى أخذ الخطيب مصنّفاته وآدّعاها لنفسه. ومات فجأةً فى الزِّيب (قرية بين عكّا وصور) فى شوّال. وكان صَدُوقا ثقةً.

(١) فى الأصل: «ياقوت». وما أثبتناه عن ابن الأثير ومرآة الزمان وتاريخ آل سلجوق.
(٢) كذا فى تاريخ آل سلجوق وقاموس الأعلام التركى لسامى بك. وفى الأصل: «قاورت» بالتاء المثناة.

وفيهـا قُتِل الوزير رئيسُ الرؤسـاء علىّ بن الحســين بن أحمد بن محمد الوزير ابو القاسم، كان من بيت رياسة ومكانة، إستكتبه القائم بأمر الله العبّـاسىّ، ثم استوزره ولقّبه «رئيس الرؤساء شرف الوزراء». ومولده فى شعبان سنة تسع وتسعين وثلثمائة. وكان عالمـا بفنون كثيرة مع سَـداد رأى ووفور عقل. قتله أبو الحارث أرْسلان البَسَاسيرىّ. حسب ماذكرناه فى أوّل ترجمة المستنصر صاحب الترجمة.

وفيها تُوفّى علىّ بن محمدبن حبيب أبو الحسن المَـاوَرْدِىّ البصرىّ (١) الإمام الفاضل الفقيه الشافعىّ صاحب التصانيف الحِسان، منها «التفسير» و«كتاب الحاوى» و«الأحكام السلطانية» و«قوانين الوزارة» و«الأمثال». وولى القضاء ببُلْدان كثيرة. وكان محترَمًا عند الخلفاء والملوك.

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وسبع أصابع. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وآثنتا عشرة إصبعا.

*

السنة الرابعة والعشرون من ولاية المستنصر مَعَـدّ على مصر وهى ســـنة إحدى وخمسين وأربعمائة.

فيها آنصرف أبو الأغَرّ دُبَيْس بن مَزْيَد عن بغداد على غضب من البَسَاسيرىّ.

وفيها كان بمكة رُخْص لم يُعْهَد مثله (٢)، حتّى بلغ البُرّ والتمرُ مائتى رطل بدينار.

وفيهـا قُتِل أبو الحارث أرْسلان التركىّ المعروف بالبَسَاسيرىّ صاحب الدعوة للمستنصر ببغـداد، كان يلقّب بالمظفّر. وكان فى مبـدأ أمره مُقدّما على الأتراك

(١) كذا فى الأصل وتاريخ بغـداد ووفيات الأعيان وشذرات الذهب والبداية والنهاية لابن كثير وتاريخ الاسلام للذهبى وعقد الجمان ومرآة الزمان. وفى ابن الأثير والمنتظم: «أبو الحسين».

(٢) فى الأصل: «لم يعهد بمثله». وما أثبتناه عن مرآة الزمان.

خصيصا عند القائم بأمر الله العباسى، لايقطع القائم أمرا دونه. فتجبّر وطغى، فجفاه القائم واستنصر عليه بالسلطان طُغْرُلْبَك السَّلْجُوقى حتّى خرج من بغداد على غضب. وصار يسعى فى زوال الخلافة عن القائم، ولا زال يُدَبِّر عليه حتى فعل تلك الأمور، ودخل بغداد وقاتل الخليفة القائم وقطع خطبته وخطب للمستنصر صاحب الترجمة، وقَتَل الوزير رئيسَ الرؤساء المقدّم ذكره — وقد ذكرنا ذلك كلّه فى أول ترجمة المستنصر هذا — وملك بغداد ودام بها حتّى ظَفِره(١) السلطان طُغْرُلْبَك السَّلْجُوقى وقتله شرّ قِتْلَة. وأعاد الخليفةَ القائم بأمر الله من حديثة(٢) عانة إلى بغداد، وأُعيدت الخطبةُ باسمه، وأبطل طُغْرُلْبَك اسم المستنصر هذا من بغداد والعراق، ومهّد أمورها (أعنى العراق) حتّى عادت كما كانت عليه، وكان قتله فى آخر السنة.

وفيها تُوفّى الحسن بن أبى الفضل(٣) الإمام أبو على الشَّرْمَقانى(٤) — والشَّرْمَقان: قرية من قرى نَيْسابور — كان إماما فاضلا حافظا للقرآن ووجوه القراءات، زاهدا عابدا ورعا سليم الصدر. وكان لا يقبل من أحد، ويقنع بورق الخَسّ. فاتّفق أن ابن العَلّاف خرج يوما متوجّها على دِجْلة(٥) فرأى الشَّرْمَقانى هذا يأخذ ما يُرْمى به أصحاب الخَسّ فيأكله، فشقّ عليه ذلك، فحكى أمره للوزير رئيس الرؤساء، فقال: نَبْعَث له شيئا، فقال: لا يقبل. فقال الوزير: تحيّل فيه. فقال لغلام له: اذهب إلى مسجد الشَّرْمَقانى واعمل لغَلَقه(٦) مِفتاحا من حيث لا يشعر ففعل. فقال:

(١) ظفر: يتعدّى بنفسه وبالحرف، يقال: ظفر بعدوّه وظفره. (٢) راجع الحاشية رقم ٤ من ص ٧ من هذا الجزء. (٣) كذا فى الأصل والمنتظم وعقد الجمان ومرآة الزمان. وفى تاريخ بغداد: «الحسن بن الفضل». (٤) فى الأصل: «الشرمغانى» بالغين المعجمة وهو تحريف. (٥) فى مرآة الزمان: خرج يتوضأ على دجلة». (٦) الغلق (بالتحريك): ما يغلق به الباب ويفتح بالمفتاح.

اِحْمِل له فى كلّ يوم ثلاثة أرطال خبز، ودجاجة مشوية، وقطعـة حَلْوى سـكّر . فكان الغلام يَرْصُده، فإذا خرج من المسجد فتح الباب وترك ذلك فى خلوته وخرج، فيقول الشَّرْمَقانِىّ : المِفتاح معى ، من أين ذلك ! وما هو إلّا من الجنّة ! وسكت ولم يُخبِر أحدا خوفًا من أن ينقطع، فأخصب جسْمه وسَمِن، فقال له آبن العلّاف : قد سَمِنت، فإيش تأكل ؟ فأنشد الشَّرْمَقانِىّ يقول : [البسـيط]

مَن أطلعوه على سِرٍّ فبـاح به * لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

وأخذ يُورِّى ولم يُصَرِّح بمـا يقع له، فقال : هذا كرامة . فقال له بعضهم : ينبغى أن تدعوَ للوزير، ففهِم وآنكسر قلبه وآمتنع من أكل ذلك . وتُوفّى بعد ذلك بمدّة يسيرة.

وفيها تُوفّى سعيد بن محمد بن أحمد الشيخ أبو عثمان النَّجِيرَمِىّ[1] النيسابورىّ العدل.

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ثلاث أذرع وآثنتا عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .

⁂

السنة الخامسة والعشرون من ولاية المستنصر مَعَدّ على مصر وهى سـنة آثنتين وخمسين وأربعمائة .

فيها فى صـفر دخل عَطِيّةُ[2] صاحبُ بالِس[3] إلى الرَّحْبَة وحصرها وآفتتحها . فلمّا دخلها أحسن معاملة أهلها، وخَطَب بها للمستنصر هذا صاحب الترجمة، بعـد أن كانوا خطبوا فيها بأمر السلطان طُغْرُلْبَك السَّلْجُوقىّ للقائم بأمر الله العبّاسىّ .

(١) كذا فى شذرات الذهب مضبوطا (بفتح النون والراء وكسر الجيم)، نسبة الى نجيرم محلة بالبصرة . وفى الأصل : « البحيرى » وهو تصحيف . (٢) هو عطية بن صالح بن مرداس، كما فى ابن الأثير وتاريخ الاسلام للذهبى . (٣) راجع الكلام عليها فى الجزء الثانى فى الحاشية رقم ٥ ص ٣١٩ من هذه الطبعة .

وفيها دخل السلطان طُغْرُلْبَك بغداد وفى خدمته أبو كاليجار من ملوك بنى بُوَيْه، وآسمه هزارسب ، والأمير أبو الأغرّ بن مَزْيَد، والأمير أبو الفتح بن وَرّام، وصَدَقَةُ ابن منصور بن الحسين؛ونزل بدار المُلْك ببغداد. وآنقرضت دولة بنى بُوَيْه من بغداد بسلطنة طُغْرُلْبَك السلجوقىّ هذا .

وفيها تُوفّى أحمد بن عبد الله بن فَضالة[1] أبو الفتح المَوَازِينىّ[2] الحلبىّ الشاعر . كان يُعرف بالماهر . سكن دِمَشْق و بها تُوفّى . ومن شعره : [الكامل]

يامن تَوَقَّدُ فى الحشا بصدوده * نارٌ بغير وِصاله لا تنطفى
وظننتُ جسمى أنْ سيَخْفَى بالضّنا * عن عاذِلىّ فقد ضَنِيتُ وما خَفِى

وفيها تُوفّيت الترنجان[3] زوجة السلطان طُغْرُلْبَك السَّلْجُوقىّ وأُمّ أنو شروان التى تزوّجها خُوَارَزْم شاه؛ كانت أُمّ ولد، وفيها دِينٌ وافر، ومعروف ظاهر، وصدقات كثيرة، وكانت صاحبةَ رأى وتدبير وحزم وعزم؛ وكان زوجها السلطان طُغْرُلْبَك سامعا لها ومطيعا، والأمور مردودة إلى عقلها، وكانت تَسِير بالعساكر وتُنْجِده وتقاتل أعداءه .

وفيها تُوفّيت أمّ الخليفة القائم بأمر الله العباسىّ، وهى أرمِنِيَة أمّ ولد . تُسمّى قطر الندى — وقيل بدر الدجى، وقيل علم — وهى التى حبسها البَسَاسيرىّ لمّا ملك بغداد. وكانت وفاتها فى شهر رجب ببغداد، وصلّى عليها آبنها الخليفة القائم بأمر الله. وقد جاوزت التسعين سنة من العمر .

---

(١) كذا فى الأصل وعقد الجمان ومرآة الزمان . وفى شذرات الذهب : « أحمد بن عبيد الله ابن فضال » . (٢) كذا فى مرآة الزمان وعقد الجمان وشذرات الذهب . وفى الأصل : « الحلى » وهو تحريف . (٣) كذا فى الأصل ومرآة الزمان . وفى ابن الأثير : « البزنجان » .

وفيها تُوفّى الحسن بن أبى الفضل الأمير أبو محمد النَّسَوِى صاحب شرطة بغداد الذى آصطلح أهلُ السّنة والرافضة خوفًا منــه فيما تقدّم ذكره . وكان صارما فاتكا ظالمــا ، يقتُل النــاس و يأخذ أموالهم . وشَهِد عليه الشهود عند القاضى أبى الطيب[1] فحَكَم بقتله ، فصالح بمال فسلِم ، وعُزِل من الشّرطة ثم أُعيد ؛ فآتّفقت أهل السّنة والرافضة عليه فقتلوه .

وفيهــا وقع الطاعون بالحجاز واليمن ، وخَرِبت قُرًى كثيرة ، وصار من يدخلها هلَك من ساعته .

وفيها تُوفّى محمد بن عبيد الله بن أحمد أبو الفضل المالكىّ المعروف بآبن عُمْرُوس ، انتهت إليــه رياسة المــالكية ببغداد فى زمانه ، وكان من القرّاء المجوّدين ثقةً دينًا ؛ أخرج له الخطيب حديثًا عن مُعاذ بن جَبَل رضى الله عنــه قال قال رســول الله صلّى الله عليه وسلّم : " مَنْ عيّر أخاه بذنب لم يَمُت حتّى يعْمَلَه[2] " .

§ أمر النيــل فى هذه الســنة ــ المــاء القديم خمس أذرع وآثنتان وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وتسع أصابع .

*
* *

السنة السادسة والعشرون من ولاية المستنصر مَعَدّ على مصر وهى ســنة ثلاث وخمسين وأربعمائة .

---

(١) هو طاهر بن عبد الله بن طاهر أبو الطيب الطبرى القاضى الشافعى .

(٢) كذا فى الجامع الصغير للسيوطى، وتاريخ بغداد ومرآة الزمان . وفى الأصل : «حتى يفعله» .

فيهـا تُوفِّى الأمير أحمـد بن مَرْوان[1] بن دُوسْتك نصر الدولة الكُرْدىّ صاحب مَيَّافارِقين وديار بكر، ملَك البلاد بعـد أن قتِل أخوه أبو سـعيد منصور . وكان نصر الدولة هذا عالىَ الهِمّة، قوىّ الحُرمة، مقبلًا على اللّذات، عادلا فى الرعيّة . قيل: لم تفُتْه صلاة الصبح مع الجماعة مع انهماكه فى اللهو . وكان له ثلثمائة وستّون جارية، يخلو كلَّ ليلة بواحدة على عدد أيّام السنة . وخلّف عدّة أولاد . وقد وَزَر له أبو القاسم الحسين بن على المغربىّ صاحب الرسائل . وكان أوّلا وزير صاحب مصر، فقـدِم عليه فوَزَر له مرّتين . ومات نصر الدولة فى شوّال بظاهر ميّافارقين وله سبع وسبعون سنة . وكانت سلطنته إحدى وخمسين سنة . وملَك بعده ولده نظام الدين أبو القاسم نصر بن أحمد .

وفيهـا تُوفِّى علىّ بن رِضـوان بن علىّ بن جعفر أبو الحسن المصرىّ صاحب المصنَّفات . كان من كِبار الفلاسفة فى الإسلام، وكان له دار بمدينة مصر على قصر الشّمعة[2] تُعرف بدار ابن رِضوان . وقد تهدّمت الآن . كان إمامًا فى الطِّبّ والحِكمة، كثير الردّ على أرباب فنّه[3] . وكان فيه سعة خُلُق عند بحثه، وله مصنّفات كثيرة .

---

(١) تقدّم أن ذكر المؤلف وفاته فى سنة ٤٠٢ هـ متفقا فى ذلك مع مؤلف مرآة الزمان . والصحيح أن وفاته فى السنة التى ذكرها المؤلف هنا كما فى وفيات الأعيان لابن خلكان وابن الأثير وشذرات الذهب والمنتظم ومرآة الزمان ، وأن الذى توفى فى سنة ٤٠١ هـ، كما فى وفيات الأعيان — أو سنة ٤٠٢ كما ذكر المؤلف ومرآة الزمان — هو أخوه أبو سعيد منصور بن مروان ممهد الدولة ، قتله صفيه وخليله شروة بتحريض أحد الغلمان له .

(٢) الذى تقدّم «قصر الشمع» وقد تقدّم الكلام عليه فى هامش صفحة ٤ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة .

(٣) ذكر القفطى فى أخبار الحكماء أن ابن رضوان هـذا كانت له مع ابن بطلان (بضم الباء) الطبيب مجالس ومحاورات ومناظرات وقد خرج ابن بطلان من مصر غاضبا عليه . وألف فيه رسالة اقتطف منها القفطى بعض فصولها .

وفيها تُوفّى علىّ بن محمد بن يحيى بن محمد أبو محمد وأبو القاسم السلمىّ الدّمشقىّ المعروف بالسُّمَيْساطِىّ[1] واقف خانقاه[2] دمشق وغيرها . سمِـع الحديث، وكان مقدّما فى علم الهندسة والهيئة، وروى عنه أبو بكر الخطيب وغيره .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ثلاث أذرع وأربع عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وثمانى عشرة إصبعا .

* * *

السنة السابعة والعشرون من ولاية المستنصر معـدّ على مصر وهى سـنة أربع وخمسين وأربعمائة .

فيها قبَض المستنصر على وزيره أبى الفرج ابن المغربىّ، وآستوزر أبا الفرج البَابِلِىّ[3]، ثمّ ردّ آبنَ المغربىّ إلى كتابة الجيش، وهى كانت رتبته قبل الوزارة ؛ ولم يكن قبله وزير يُعزل فيعود إلى قديم تصرفه .

وفيها كانت وقعـة بين أبى المكارم مسلم بن قُرَيْش بن بَدْران و بين عمّه مُقبِل ابن بَدْران . وكان مُقبِل قـد طَلَب الأمر لنفسه وآجتمع إليـه خَلْق من الأكراد وغيرهم، وآلتقيَا على الخابور[4] فآنهزم مُسلم، وملك مقبِل الجزيرة . فبذل مُسلم المـال وجمع وعاد إلى عمّه مقبِل فهزمه . ثمّ آتّفقا وآجتمعا وآصطلحا على أمر مَشَى بينهما .

وفيها تُوفّى الحسن بن علىّ بن محمد بن الحسن أبو محمد الجَوهرىّ ثم الشّيرازىّ ثمّ البغدادىّ، مُسنِد العراق فى عصره . وُلِد فى شعبان سـنة ثلاث وستّين وثلثمائة ،

(١) السميساطى : نسـبة إلى سميساط ، وهى بلدة بشاطئ الفرات فى طرف بلاد الروم .

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٥٠ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٣) هو أبو الفرج عبد الله ابن محمد البابلى ، كما فى الإشارة إلى من نال الوزارة وابن ميسر . (٤) الخابور هو خابور الحسينية من أعمال الموصل فى شرق دجلة ، بينه و بين الرقة قرى كثيرة و بليدات .

وسمع الكثير وتفرّد بأشياء عوالٍ. وكان يُعرف بالمُقَنَّعِي[1] لأنّه كان يَتَطَيْلَس و يلتفّ بها تحت حَنَكه . ومات فى ذى القعدة، وكان له شعر . فمن ذلك قوله :

[السريع]

ياموتُ[2] ما أجفاك من زائرٍ * تَنْزِل بالمرء على رغمه

وتأخذ العَذْراء من خِدْرها * وتَسْلُب الواحد من أمّه

وفيها تُوفّى عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بُنْدَار أبو الفضل العِجْلىّ الرازىّ المقرئ الإمام الزاهد . أصله من الرّىّ، ووُلِد بمكّة، وكان يتنقّل من بلد إلى بلد . وكان مقرئا، جليلَ القدر، كثير التصانيف، حسن السِّيرة، زاهدا متعبّدا .

وفيها تُوفّى المُعِزّ بن باديس بن منصور بن بُلُكِّين الحِمْيَرىّ الصِّنْهاجىّ سلطان إفريقيّة وما والاها من الغرب . كان الحاكم صاحب مصر قد لقّبه شرف الدولة، وأرسل إليه خِلْعة فى سنة سبع وأربعمائة، وعاش المُعِزّ إلى هذا الوقت . وكان ملكا رئيسا جليلا عالىَ الهمّة، وهو الذى حَسَم مادّة الخلاف ببلاد الغرب . وكان مذهب أبى حنيفة ظاهرا بإفريقيّة، فحَمَل أهلَ مملكته بالاشتغال بمذهب مالك وترك ما دونه من المذاهب . وكان المعزّ شيخا جَوَادًا ممدّحا . وهو الذى خلع طاعة خلفاء مصر من بنى عُبَيْد، وأبطل دعوتهم من الغرب، وخطب للقائم بأمر الله العبّاسىّ، فكتب إليه المستنصر هذا يتهدّده، فما التفت إلى ذلك . ثمّ وقع بين عساكره وعساكر المستنصر حروب بسبب ذلك .

(١) فى الأصل : « المقتنى » . والتصويب عن المشتبه فى أسماء الرجال للذهبى والمنتظم وشذرات الذهب. (٢) فى مرآة الزمان وعقد الجمان أن هذين البيتين لأبى الفضل العجلى عبدالرحمن ابن أحمد الذى ذكره المؤلف عقب هذا الشعر .

وفيهـا تُوفّى سُبُكْتِكين [بن عبد الله](١) التُّركىّ أبو منصـــور تمـام الدولة(٢) . تولى إمارة دمشق من قِبَل المستنصر صاحب الترجمة ، ومات بها فى شهر ربيع الأول . وكان صالحا عفيفا ، سمع الحديث ورواه .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وستّ أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا سواء .

***

السنة الثـامنة والعشرون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سـنة خمس وخمسين وأربعمائة .

فيهـا دخل الصُّلَيْحىّ(٣) إلى مكّة ، واستعمل الجميلَ مع أهلها ، وأظهر العـدل والإحسان ، وطابت قلوبُ الناس له ورُخصت الأسـعار ؛ وكان شابّا أشقر اللحية أزرق العينين ، وليس كان باليمن أشـقر أزرق غيره . وكان متواضعًا ، إذا اجتـاز بقوم سلّم عليهم بيـده ؛ وكسا البيت الحرام بثياب بيض ، وردّ بنى شَيْبة عن قبيح أفعالهـــم .

وفيها كانت واقعة بين قاورد بك بن داود و بين فضلويه الشونكارىّ على فرسخين من شِيراز ، فانهزم فضلويه وغنِم قاورد بك أمواله . وكان فضلويه فى عشرين ألفا من الدّيْلم وغيرهم ؛ وكان قاورد بك فى أربعة آلاف من الترك لا غير .

(١) التكلمة عن تهذيب تاريخ دمشق ورسالة الصفدى . (٢) كذا فى رسالة الصفدى . وفى تهذيب تاريخ دمشـق : « ولقب بتام الدولة » . وفى الأصـل : « ... أبو منصـور بن همام الدولة » . (٣) هو على بن محمد بن على أبو كامل الصليحى . (راجع ما كتبه المؤلف عنه فى حوادث سنة ٤٤٧) .

وفيها ثار أهل هَمَذَان على العميد فقتلوه مع سبعمائة رجل من أصحاب السلطان، وقتلوا أيضا شِحْنة البلد[1].

وفيها قصد قُتُلْمِش الرَّىّ ومعه خمسون ألفا من التركمان، فدفعه عميد المُلْك عنها.

وفيها توفّى السّلطان طُغْرُلْبَك. وآسمه محمد بن ميكائيل بن سَلْجوق أبو طالب السَّلْجوقىّ. قدم بغداد سنة سبع وأربعين وأربعمائة، وخلع عليه الخليفة القائم بأمر الله العباسىّ، وخاطبه بملك المشرق والمغرب. قلت: وهذا أوّل ملوك السلجوقيّة، وهو الذى مهّد لهم الدولة، وردّ مُلْك بنى العباس بعد أن كان آضمحلّ وزالت دعوتهم من العراق، وخُطِب لبنى عُبَيْد خلفاء مصر لمّا آستولى أبو الحارث أرسلان البَسَاسِيرىّ على بغداد. وقد تقدّم ذكر ذلك. فما زال طغرلبك هذا حتّى ردّ الخليفة القائم بأمر الله من الحديثة إلى بغداد، وأعاد الخطبة بآسمه، وقَتَل البَسَاسِيرىّ. وكان شجاعا مِقْداما حليما، عَصَى عليه جماعة فظَفِر بهم وعفا عنهم. وهو الذى أزال ملك بنى بُوَيْه من العراق وغيره. وكانت وفاته بالرَّىّ فى يوم الجمعة ثامن شهر رمضان من هذه السنة. وكانت مدّة ملكه خمسا وعشرين سنة؛ وقيل ثلاثون سنة. ومات وعمره سبعون سنة — وقيل جاوز الثمانين — والأول أشهر. وطُغْرُلْبَك (بضم الطاء المهملة وكسر[2] الراء المهملة وسكون اللام وفتح الباء ثانية الحروف وسكون الكاف).

وفيها تُوفّى مسلم بن إبراهيم أبو الفضل السلمىّ البَزّاز، ويُعرف بابن الشُّوَيْطر، كان أديبا فاضلا. ومن شعره: [البسيط]

ما فى زمانك مَنْ تَرجو مودّتَه * ولا صديقٌ إذا خان الزمانُ وفا
فعِشْ فريدًا ولا تَرْكَنْ إلى أحدٍ * فقد نصحتُك فيما قلتُه وكفَى

(١) شحنة البلد: من كان فيه الكفاية لضبطها من جهة السلطان.
(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥ من هذا الجزء.

وفيها تُوفّى منصور بن إسماعيل بن أبى قُرّةَ القـاضى أبو المظفّر الفقيه الهَرَوِىّ الحنفىّ قاضى هَرَاة وخطيبُها ومسـنِدُها ، سمِـع الكثير وحدّث . وهو أحد أعيان فقهاء الحنفيّـة فى زمانه . كان إماما حافظا مفتيًا . مات فى ذى القعدة عن قُرَيْب تسعين سنة .

وفيها كان الطـاعون العظيم بمصر وقُراها فمـات بمصر فى عشرة أشهر كلّ يوم ألفُ إنسان .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم سبع أذرع وخمس عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وآثنتا عشرة إصبعا .

*
* *

السنة التاسعة والعشرون من ولاية المستنصر معـدّ على مصر وهى سـنة ستّ وخمسين وأربعمائة .

فيها وقعت فتنة عظيمة بين عَبِيد مصر والتّرك ؛ ووصل ناصر الدولة بن حمدان إلى الإسكندرية ، وآلتقى مع العَبِيد بموضـع يعُرف بالكَرْم ؛ فقُتِل من العَبِيد ألف رجل ، وهرب من بَقِى . ثم تردّدت الرسل فى إصلاح ذات البَيْن فتمّ . وقد تقدّم شىء من ذلك فى ترجمة المستنصر هذا .

وفيها جرت مراسلة بين قاورد بك ابن [أخى][1] طُغْرُلْبَك السَّلْجوقىّ و بين أخيه ألْب أرْسلان ، وسببه أن ألب أرسلان لمّـا ملك الرىّ وآستولى على الأموال . كان قاورد بك على أصبهان فرجع إلى كَرْمان وخطب لألْب أَرْسلان المذكور ولنفسه من بعده ؛ فلم يحصل له إنصاف من ألْب أرْسلان ؛ فوقع بسبب ذلك ماوقع .

---

(١) التكملة عن تاريخ آل سلجوق ومرآة الزمان .

وفيها تُوفّى الحسن بن عبد الله بن أحمد أبو الفتح الحَلَبى الشاعر المعروف بآبن أبى حُصينة . كان فاضلا شجاعا فصيحا، يُخاطَب بالأمير .

وفيها تُوفّى عبد الواحد بن علىّ بن بَرْهان[1] أبو القاسم النحوىّ . كان إماما فاضلا نحويّا وفيه شراسة خُلُق ؛ ولم يلبَس سراويل قطّ ولا غطّى رأسه أبدا . ومات ببغداد فى جُمادى الأولى .

وفيها تُوفّى علىّ بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خَلَف ابن مَعْدان بن سُفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبى سفيان بن حرب بن أميّة الأموى الفارسىّ الأصل، ثمّ الأندلسىّ القُرطبىّ أبو محمد المعروف بآبن حزم المحدّث صاحب التصانيف المشهورة . كان ظاهرىّ المذهب . وقد تكلّم فيه كلّ أحد ما خلا أهلَ الحديث، فإنّهم أثبتوا[2] على حفظه . كان إماما عارفا بفنون الحديث، إلا أنّه كان صاحب لسان خبيث ، ويَقع فى حقّ العلماء الأعلام حتّى صار مثلا، فيقال : « نعوذ بالله من سيف الحجّاج ولسان آبن حزم » . وكان له شعر جيّد . فمن ذلك قوله : [الوافر]

لئن أصبحتُ مرتحِلًا بجسمى * فقلبى عندكم أبدًا مقيمُ
ولكن للعِيان لطيفُ معنًى * له سأل المعاينةَ الكَليم

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وآثنتا عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وثلاث أصابع .

---

(١) كذا فى شرح القاموس وبغية الوعاة والمنتظم ورسالة للصفدى ومرآة الزمان . وفى الأصل : «مهران» . وهو تحريف . (٢) كذا فى الأصل . ولعله « ثبتوا » .

*
* *

السنة الثلاثون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة سبع وخمسين وأربعمائة .

فيها توفّى محمد بن منصور أبو نصر عَميد الملك الكُنْدُرِىّ(١) وزير السلطان طُغْرُلْبَك السَّلْجُوقى . كان فاضلا مدبِّرًا حازما عاقلا . وكان طغرلبك فى مبدأ أمره قد بعثه ليخطُب له آمرأة فتزوّجها هو، فخصاه طغرلبك ثم أقرّه على خدمته، فآستولى عليه إلى أن مات . ووَزَر بعد موت طغرلبك لآبنه ألْب أرْسلان وهو الذى قتله . وولى الوزارة بعده نظام المُلْك الذى نشر مذهب الإمام الشافعى بالعجم . وكان عَميد الملك المذكور فاضلا أديبا شاعرا . ومن شعره لمّا تحقّق قتلَه، وأجاد إلى الغاية :

[البسيط]

إن كان بالناس ضِيقٌ عن مزاحمتى * فالموت قد وسّع الدنيا على الناس

قضيتُ والشامت المغرور يتْبَعُنى * إنّ المنية كأسٌ كلُّنا حاسى

وفيها توفّى عبيد الله(٢) بن عمر القاضى أبو زيد الدَّبُوسِىّ(٣) الحنفىّ شيخ الحنفية بما وراء النهر(٤) . كان إماما عالما فقيها نحويًّا بارعا فى فنون عفيفا مشكور السيرة،

(١) كذا فى الأصل وتاريخ ابن خلكان وشذرات الذهب وتاريخ آل سلجوق ومرآة الزمان . وفى المنتظم وابن الأثير وعقد الجمان والبداية والنهاية لابن كثير : «منصور بن محمد أبو منصور» .

(٢) كذا فى الأصل وكشف الظنون ومعجم ياقوت ؛ وفى شرح القاموس وأنساب السمعانى واللباب : «عبد الله» . واختلفوا فى وفاته ، فقيل : إنها فى سنة ٤٠٣ هـ كما فى ياقوت ، وقيل : فى سنة ٤٣٠ هـ كما فى اللباب وأنساب السمعانى وعقد الجمان ، وقيل : فى سنة ٤٣٢ هـ ، كما فى كشف الظنون .

(٣) الدبوسىّ : نسبة الى دبوسية (بتشديد الياء وتخفيفها) بلدة من أعمال الصغد مما وراء النهر .

(٤) ماوراء النهر : هى البلاد الواقعة شرق نهر جيحون . و يقال لها بلاد الهياطلة . فلما افتتح المسلمون تلك البلاد سموها ما وراء النهر . وفى الجانب الغربى من النهر خراسان وولاية خوارزم .

انتهت إليه رياسة مذهب أبى حنيفة فى زمانه بما وراء النهر، ومات والمعوّل على فتواه بها .

وفيها تُوفّى عبد الملك[1] بن محمد بن عبد الله بن بِشْران أبو القاسم الواعظ الفقيه المحدّث فى شهر ربيع الآخر . وكان له لسان حُلْو فى الوعظ مع دِين وزُهْد وعفّة .

وفيها تُوفّى[2] موسى بن عيسى بن أبى حاجّ أبو عِمْران الفقيه المالكىّ القَابِسِىّ، شيخ المالكيّة فى زمانه . كان فقيها نحويًّا إماما فاضلا بارعا فى فنون من العلوم .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وأربع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وعشر أصابع .

***

السنة الحادية والثلاثون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة .

فيها شَرَع أهل الكَرْخ فى عمل مأتم الحسين فى يوم عاشوراء، فثار عليهم أهل السنّة . فقال القائم بأمر الله : هذا شىء قد كان فلا تعاودوه، ونهى عنه . فٱنكفّت الرافضة بغيظهم إلى لعنة الله .

وفيها تُوفّى أحمد بن الحسين بن علىّ بن عبدالله الحافظ أبو بكر البَيْهَقىّ، مولده سنة أربع وثمانين . كان أوحد زمانه فى الحديث والفقه، وله تصانيف كثيرة، جمع نصوص الإمام الشافعىّ — رضى الله عنه — فى عشرة مجلّدات . ومات بنيسابور فى جُمادى

(١) تقدّمت وفاته فى سنة ٤٣٠ ﻫ فى الأصل وتاريخ بغداد والمنتظم وشذرات الذهب وعقد الجمان .

(٢) تقدّمت وفاته فى الأصل وشذرات الذهب سنة ٤٣٠ ﻫ .

الاخرة، ونُقل تابوته إلى بيهق[١] . وقد روّينا سننه الكبرى عن الشيخ أبى النعيم رضْوان العُقْبِيّ[٢] ثنا التقىّ بن حاتم انا علىّ[٣] بن عمر الأُرْمَوِىّ[٤] انا ابن البخارىّ[٥] انا منصور بن عبد المنعم الفَرَاوِىّ انا محمد بن إسماعيل الفارسىّ[٦] انا أبو بكر البيهقىّ .

وفيها تُوفّى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفَرّاء أبو يَعْلَى القاضى الحنبلىّ . ولد سنة ثمانين وثلثمائة فى المحرّم، وسمِـع الكثير وتفقّه على جماعة من العلماء، وانتهت إليه رياسة الحنابلة فى زمانه، ومات يوم الاثنين العشرين من شهر رمضان، وكانت جنازته مشهورة مشى فيها الأعيان مثـل القاضى الدَّامَغَانِىّ الحنفىّ ونقيب الهاشميّين أبى الفوارس طَرّاد وغيرهما .

وفيها تُوفّى محمد[٧] بن الفضل بن نظيف أبو عبد الله المصرىّ الفرّاء فى شهر ربيع الآخر وله تسعون سنة، وكان إماما عالمـا زاهدا ورِعا .

وفيها تُوفّى المُسَـدَّد[٨] بن علىّ أبو المُعَمَّر الأُمْلُوكىّ الإمام المحدّث البارع خطيب حِمْص . كان إماما فقيها فصيحا، سمِـع الحديث ورواه .

(١) بيهق (بالفتح . أصلها بالفارسية «بيه» ومعناه بالفارسية الأجود) : ناحية كبيرة وكورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة من نواحى نيسابور، تشتمل على ثلثمائة وإحدى وعشرين قرية بين نيسابور وقومس وجوين . (راجع معجم ياقوت) . (٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٢٥ من هـذا الجزء . (٣) الأرموى : نسبه الى أرمية (بتخفيف الياء) ، مدينة عظيمة قديمة بأذربيجان . (٤) هو علىّ بن أحمد بن إسماعيل بن منصور أبو الحسن بن البخارى . (٥) هو منصور بن عبد المنعم بن أبى البركات عبدالله ابن فقيه الحرم محمد بن الفضل الفراوى أبو الفتح وأبو القاسم . ولد سنة ٥٢٢ وسمع من جدّه وجدّ أبيه وعبد الجبار الحوارى ومحمـد بن إسماعيل الفارسىّ . وتوفى ثامن شعبان سنة ٦٠٨ (راجع شـذرات الذهب) . (٦) هو أبو المعالى محمد بن إسماعيل الفارسىّ ثم النيسابورى راوى السنن الكبرى عن البيهقى . توفى فى جمادى الآخرة سنة ٥٣٩ هـ وله إحدى وتسعون سنة . (راجع شذرات الذهب) . (٧) تقدّمت وفاته فى الأصل وتاريخ الاسلام للذهبى وشذرات الذهب سنة ٤٣١ هـ . (٨) تقـدّمت وفاته فى الأصل وتاريخ الاسـلام للذهبى وشذرات الذهب ومعجم البلدان ليـاقوت سنة ٤٣١ هـ .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وأربع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا .

*
* *

السنة الثانية والثلاثون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة تسع وخمسين وأربعمائة .

فيها بعث المستنصر صاحب الترجمة إلى محمود بن الزوقلية المتغلّب على حلب يُطالبه بحمل المال وغزْو الروم، وصرف آبن خاقان[1] ومَن معه من الغُزّ إن كان على طاعته . فأجاب بأنّى آلتزمت على أخذ حلب من عمّى أموالا آقترضتُها وأنا مُطالَب بها، وليس فى يدى ما أقضيها فضلًا عمّا أصرفه لغيره . وأمّا الروم فقد هادنتُهم مدّة وأعطيتهم ولدى رهينةً على مال آقترضتُه منهم ، فلا سبيل إلى محاربتهم . وأمّا آبن خاقان والغُزّ معه فيَدُهم فوق يدى . فلمّا وصل الجواب إلى المستنصر كتب المستنصر أيضا إلى بدر الجَمَالىّ أمير الجيوش المقيم بدمشق : إنّ آبن الزوقلية خَلَع الطاعة ومال إلى جهة العِراقيّة . ثم ندب بدرُ الجمالىّ المذكور عطيةَ وهو بالرَّحْبَة لقتاله ، فدخل القاضى آبن عَمّار المقيم بطرابُلُس بينهم وأصلح الحال .

وفيها كان بمصر الغلاء والقَحْط المتواتر الذى خرج عن الحدّ — وقد تقدّم ذكره — ولا زال فى زيادة فى هذه السنة والتى قبلها إلى أن أخذ أمره فى نقص فى سنة إحدى وستّين وأربعمائة . وأُبيع القمح فى هذه السنة بثمانين دينارا الإردبّ .

وفيها تُوفّى سعيد بن محمد بن الحسن أبو القاسم إمام جامع صُور . كان فاضلا سمِع الحديث ورواه، ومن رواياته عن الحسن البَصرىّ أنه قال : «لا تشتروا مودّة ألف رجل بعداوة رجل واحد» .

---

(٨) فى تاريخ آبن القلانسى : « ابن خان أمير الغز » .

وفيها تُوفّى علىّ بن الخضر أبو الحسن العثمانىّ الدمشقىّ الحاسب . كان له تصانيف فى علم الحساب . ومات بدمَشق فى شوّال .

وفيها كان بالرملة الزَّلزَلَة الهائلة التى أخربتْها حتّى طلع المـاء من رءوس الآبار، وهلَك من أهلها — كما نقل آبن الأثير — خمسة وعشرون ألفا . وقال آبن الصابئْ : حدّثنى علوىّ كان بالحجاز : أنّ الزلزلة كانت عندهم فى الوقت المذكور، وهو يوم الثلاثاء حادى عشر جمادى الأولى، فرمت شُرْفتين من مسجد النبىّ صلى الله عليه وسلم، وآنشقّت الأرض فبان فيهـا كنوز ذهب وفضّـة ، وآنفجرت فيها عين ماء ، وأنها أهلكت أَيْلَةَ ومن فيها ؛ وذكر أشياء كثيرة من هذه المقولة . وأمّا آبن الأثير فإنّه قال : وآنشقّت صخرة بيت المقدس وعادت بإذن الله، وأُبعد البحر عن ساحله مسيرة يوم، فنزل النّاس إلى أرضه يلتقطون السمك فرجع المـاء عليهم فأهلكهم .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم ستّ أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا .

*
* *

السنةُ الثالثةُ والثلاثون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة ستّين وأربعمائة .

فيها وَلّى المستنصر دمشق للأمير بارزطغان قطب الدولة، ووصل معه الشريف أبو طاهر حَيْدرة، ونزل بدار العَقِيقىّ[1]، وآنهزم بدر الجمالىّ أمير الجيوش من دمشق، فنَهَب أهلها خزائنه لأنّه كان مسيئا إليهم؛ ثم ظفِر بدر الجمالى بالشريف حَيْدرة بعد أمور صدرت وسلخه .

---

(١) هو أحمد بن الحسين بن أحمد بن على بن محمد العلوى الدمشقى .

وفيها جاء ناصر الدولة بالأتراك إلى باب المستنصر بالقاهرة — وقيل: بالساحل — وزحف المذكورون إلى باب وزيره ابن كُدينة[1] فطالبوه بالمال؛ فقال: وأىّ مال بقى عندى بعد أخذكم الأموال واقتسامكم الإقطاعات! فقالوا: لابدّ أن تكتب إلى المستنصر. فكتب إليه بما جرى. فكتب المستنصر الجواب على الرّقعة بخطه يقول:

[السريع]

أصبحتُ لا أرجو ولا أتّقى * إلّا إلهى وله الفضلُ

جَدّى نَبِيّ وإمامى أبى * وقولىَ التوحيد والعدل

المال مال الله، والعبد عبد الله، والإعطاء خير من المنع ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

وفيها تُوفّى أحمد بن محمد بن عُقَيل الشَّهْرُزُورِىّ[2] الشاعر الفاضل فى القدس الشريف. وكان إماما فاضلا أديبا شاعرا. ومن شعره: [البسيط]

واحسرتا مات حَظّى من قلوبكمُ * وللحظوظ كما للناس آجالُ

وفيها تُوفّى الحسن بن أبى طاهر بن الحسن أبو على الخُتُّلِىّ[3]. كان يسكن دِمَشق وبها تُوفّى. ومن رواياته عن الحسن عن الحسن عن الحسن عن الحسن عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال: "إنّ أحسن الحسن الخُلُق الحسن" فالحسن الأوّل

(١) فى تاريخ ابن ميسر هو أبو محمد الحسن بن مجلى بن أسد بن أبى كدينة. (٢) الشهرزورى: نسبة الى شهرزور. وقد تقدّم شرحها وضبطها (بفتح فسكون فراء مفتوحة بعدها زاى مضمومة وراء) فى الجزء الثالث من هذه الطبعة فى الحاشية رقم ٤ ص ١٨٣ عن معجم ياقوت. وفى أنساب السمعانى واللباب ولب اللباب وتقويم البلدان لأبى الفدا اسماعيل ضبطت بالعبارة (بضم الراء الأولى). وفى معجم ما استعجم للبكرى ضبطت أيضا بالعبارة (بكسر الراء الأولى). (٣) فى الأصل: «الحنبلى» والتصويب عن شرح القاموس وتهذيب تاريخ دمشق. وراجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٨٣ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة.

آبن حسّان التميمىّ ، والثـانى آبن دينـار ، والثـالث البصرىّ ، والرابـع آبن علىّ ابن أبى طالب ، رضى الله عنهما .

وفيها تُوفّيت خديجة بنت محمد بن علىّ بن عبد الله الواعظة الشّاهجانية . كانت عظيمة مشهورة بالصدق والوَرَع والزهد والدِّين المتين[1] . وُلِدت سـنة ستّ وسبعين وثلثمائة . وكانت تسكن قطيعة الربيـع[2] . وصحِبت آبن سَمْعون[3] الواعظ . ولـمّا ماتت دُفنت إلى جانبه .

وفيها تُوفّى عبد الملك بن محمد بن يوسف أبو منصور البغدادىّ ، كان إماما بارعًا لم يكن فى زمانه من يُخاطَب بالشيخ الأجلّ سواه . وِلد سنة خمس وتسعين وثلثمائة ، وكان أوحدَ زمانه فى فعل المعروف ، والقيام بأمور العلماء ، وقمع أهل البِدَع .

وفيها توفّى أبو جعفر الطُّوسىّ[4] فقيه الإماميّة الرافضة وعالمهـم . وهو صاحب «التفسير الكبير» وهو عشرون مجلدًا ، وله تصانيف أُخَر . مات بمشهد علىّ — رضى الله عنه — وكان مجاورا بضريحه . كان رافضيًا قوىّ التشيّع .

وفيها تُوفّى أحمـد بن محمد بن عيسى بن هلال أبو عمر القرطبىّ المعـروف بآبن القَطّان المـالكىّ المغربىّ شيخ المـالكيّة فى زمانه وعالمهم . مات فى هـذه السّنة وله سبعون سنة .

وفيها تُوفّى أحمد بن الفضل أبو بكر البَاطِرْقانِىّ[5] المقرئ فى صفر وله ثمانٍ وثمانون سنة . كان إماما عالـما بالقراءات رحمه الله .

---

(١) ما ذكره المؤلف هنا عبارة مرآة الزمان . والذى فى المنتظم أنها ولدت سنة أربع وسبعين وثلثمائة وأنها روت عن ابن سمعون .
(٢) راجع الحاشـية رقم ٣ ص ٦٣ من الجزء الرابع من هـذه الطبعة .
(٣) هو محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس أبو الحسن البغدادى المتوفى سنة ٣٨٧ هـ .
(٤) اسمه محمـد بن الحسن ، كما فى عقـد الجمان وابن كثير .
(٥) الباطرقانى (بكسر الطاء المهملة وسكون الراء وبالقاف) : نسـبة الى باطرقان من قرى أصبهان . (راجع شذرات الذهب) .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وثلاث أصابع . مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا وستّ أصابع .



السنة الرابعة والثلاثون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة إحدى وستّين وأربعمائة .

فيها خرج ناصر الدولة بن حمدان من عند الوزير أبى عبد الله [الماسَكِى] (١) وزير المستنصر بمصر، فوثب عليه رجل صَيْرِفِىّ وضربه بسكّين ، فأمسك الصيرفىّ وشُنِق فى الحال، وحُمِل ناصر الدولة بن حَمْدان إلى داره جريحا، فعولج فبرئ بعد مدّة . وقيل : إنّ المستنصر ووالدته كانا دَسّا الصيرفىّ عليه . وفى هذه الأيام اضمحلّ أمر المستنصر بالديار المصريّة لتشاغله باللّهو والشرب والطَّرَب . فلمّا عُوفِى ابن حمدان اتّفق مع مقدّمِى المشارقة ، مثل سِنان الدولة وسلطان الجيوش وغيرِهما ، فركبوا وحصروا القاهرة . فاستنجد المستنصر وأمّه بأهل مصر، وأذكرهم حقوقَه عليهم، ووعَدهم بالإحسان، فقاموا معه ونهبوا دُور أصحاب ابن حمدان وقاتلوهم . فخاف ابن حمدان وأصحابُه ، ودخلوا تحت طاعة المستنصر ، بعد أمور كثيرة صدرت بين الفريقين .

وفيها أُبيع القمح بمصر بمائة دينار الإردبّ ، ثم عُدِم وجوده . وقد ذكرنا ذلك كلّه فى أوّل ترجمة المستنصر مفصّلا .

---

(١) الزيادة عن مرآة الزمان وأخبار مصر لابن ميسر ، والماسكى : نسبة الى ماسك (بفتح السين) جد .

وفيها تُوفّى عبــد الرحيم بن أحمد بن نصر الحافظ أبو زكريّا البُخارىّ التّميمىّ، سمع الحديث وطاف البلاد فى طلب الحديث، وسمع بعدّة أقطار واتّفقوا على صدقه وثقته. وكانت وفاته فى المحرّم بمصر.

وفيهـا تُوفّى محمــد بن مكّى بن عثمان الحافظ أبو الحسين الأزدىّ المصرىّ فى جُمادى الأولى، وكان إماما فاضلا محدّثا، سمع الحديث ورحل البلاد.

وفيها تُوفّى نصر بن عبد العزيز أبو الحسين الشّيرازىّ الفارسىّ المقرئ، كان إماما فى علم القراءات، وله سَماعٌ ورواية.

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ستّ أذرع وأربع وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثمانى عشرة إصبعا.

* * *

السنة الخامسة والثلاثون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة آثنتين وستّين وأربعمائة.

فيها كان معظم الغلاء بالديار المصريّة حتّى خَرِبت وتَخرّب غالبُ أعمالها. وأبطل صاحب مكّة و [صاحب][(1)] المدينة خطبة المستنصر، وخطبا للقائم بأمر الله العبّاسىّ؛ فلم يلتفت المستنصر لذلك لشغله بنفسه ورعيّته من عِظَم الغلاء.

وفيها وقف الوزير نظام الملك الأوقاف على مدرسته النظاميّة ببغداد.

---

(1) زيادة لا بد منها . والذى فى تاريخ الذهبي وابن الأثير: أنه فى هذه السنة ورد رسول صاحب مكّة ابن أبى هاشم ومعه ولده الى السلطان ألب أرسلان يخبره باقامة الخطبة للخليفة القائم بأمر الله وللسلطان بمكّة و إسقاط خطبة العلوى صاحب مصر وترك الأذان بـ «حىّ على خير العمل» . فأعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وخلعا نفيسة وأجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار ، وقال: اذا فعل أمير المدينة مهنا كذلك أعطيناه عشرين ألف دينار وكل سنة خمسة آلاف دينار» .

وفيها تُوفّى الحسن بن علىّ بن محمد أبو الجوائز الواسطىّ الكاتب، وُلِد سنة آثنتين وخمسين وثلثمائة، وسكن بغداد دهرًا طويلا . وكان شاعرا ماهرا . ومن شعره — رحمه الله تعالى — : [الرجز]

واحَرَبا[1] من قولها : * خان عهودى وَلَهَا
وحــقّ من صيّرنى * وقفًا عليها ولها
ما خطرتْ بخاطرى * إلا كستْنى ولها

وفيها توفّى الشريف حَيْدرة بن إبراهيم أبو طاهر بن أبى الجِنّ ، الشريف العَلَوىّ . كان عالما قارئا محدّثا وكان عدوّا لبدر الجَمَالىّ ؛ فلمّا دخل بدر الجمالىّ دِمشق هَرَب منها حَيْدَرة المذكور إلى عَمّان[2] البَلْقاء ؛ فغدَر به بَدْر بن حازم وبعث به إلى بدر الجَمَالىّ بعد أن أعطاه بدر الجمالىّ آثنى عشر ألف دينار وخِلَعًا كثيرة؛ فقتله بدر الجمالىّ أقبح قِتلة ثم سَلَخ جلده . وقيل : سلخه حيًّا . وأظنّ القاضىَ شهاب الدين أحمد قاضى دمشق وكاتب مصر فى زماننا هذا كان من ذرّيّة آبن أبى الجنّ هذا . والله أعلم .

وفيها توفّى محمد بن أحمد بن سهل أبو غالب بن بِشْرَان النحوىّ الواسطىّ الحنفىّ ويُعرف بآبن الخالة . كان إماما عالما فاضلا عارفا بالأدب والنّحو واللّغة والحديث والفقه ، وكان شيخ العراق ورُحْلته . وآبن بِشْرَان جدّه لأمه . ومات بواسط . ومن شعره : [المتقارب]

يقول الحبيب غَداةَ الوَداعِ * كأنْ قد رَحَلْنا فما نصنَعُ
فقلت أُواصل سفحَ[3] الدموع * وأهجُر نومى فما أَهْجَعُ

(١) رواية ابن خلكان : * واحزنى من قولها *

(٢) عمان البلقاء (بفتح العين وتشديد الميم ، وحكى فيه التخفيف) : بلد فى طرف الشام ، وكانت قصبة أرض البلقاء . وهى الآن حاضرة بلاد شرق الأردن .

(٣) فى مرآة الزمان : « ع الدموع » .

وله أيضا : [البسيط]

لمّـا رأيتُ سُـــلُوّى غير مُتَّجِهٍ * وأنّ عزم آصطبارى عاد مفلولا
دخلتُ بالرّغم مِنّى تحت طاعتكم * ليقضى الله أمرا كانــ مفعولا

وفيها تُوفّى هَزارسب بن تَنْكِر[1] بن عِياض أبو كاليجار تاج الملوك الكُرْدِىّ . كان قدِم على السلطان ألب أرســلان السلجوقىّ بأصبهان ثمّ عاد إلى خوزســتان، ونزل بموضع يعرف بخرندة[2] . وكان قد تجبّر وتكبر[3] وتسلط وتفرعن وتزوج بأخت السلطان ألْب أَرْسلان، فلَحِقه مرض الذَّرَب حتى مات منه .

وفيها تُوفّى محمد بن عَتّاب الإمام الفقيه أبو عبدالله القُرْطُبِىّ المـالكِىّ مفتى قُرْطُبَة وعالمها، اِنتهت إليه رياسة مذهبه فى زمانه ببلاد قرطبة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا سواء .

✦ ✦ ✦

السنة السادسة والثلاثون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهــذه سنة ثلاث وستين وأربعمائة .

فيها كانت الواقعة العظيمة بين السلطان ألْب أَرْســلان بن طغرلبك السَّلجُوقِىّ وبين ملك الروم، وآنتصر المسلمون ولله الحمد . ثم سار ألْب أَرْسلان إلى ديار بكر وآفتتح بها عِدّة حُصون، ثم نزل على الفرات؛ ولم يخرج إليه محمود صاحب حلب

(١) فى ابن الأثير وتاريخ آل سلجوق «ابن بنكير» . (٢) كذا فى الأصل . وفى نسخة يشــير اليها هامش الأصــل : «غرندة» . وفى مرآة الزمان : «فرندة» . ولم نعثر على هذا الموضع فى المعـاجم التى تحت أيدينا . (٣) كذا فى مرآة الزمان . وعبارة الأثير : «وكان قد علا أمره وتزوج بأخت السلطان . وفى الاصل : «وقد تجبر وتعزز عن كونه تزوّج بأخت السلطان» .

فغاظه ذلك، فقدم حلب فسار إليها ووصلها، وأخربت عساكره حلب ونهبوها، ووصلت عساكره إلى القريتين(١) من أعمال حمص؛ ثم شفع فيه الخليفة القائم بأمر الله، فقبل ألب أرسلان الشفاعة واصطلحا.

وفيها ملكت الفرنج جزيرة صقلية. وسببه أنه كان بها وال، فبعث إليه المستنصر صاحب مصر يطلب منه المال، وكان عاجزا عما طلب منه، فبعث إلى الفرنج وفتح لهم باب البلد فدخلوا وقتلوا(٢) وملكوا الجزيرة.

وفيها ظهر أتسز بن أوق مقدم الأتراك، وفتح الرملة وبيت المقدس، وضايق دمشق، وأخرب الشام.

وفيها توفى أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدى أبو بكر الخطيب البغدادى. ولد سنة إحدى وتسعين وثلثمائة بدرزيجان (قرية من قرى العراق) ثم انتقل إلى بغداد، ورحل وسمع الحديث، وصنف الكتب الكثيرة. ويروى عن أبى الحسين(٣) ابن الطيورى أنه قال: أكثر كتب الخطيب مستفادة من كتب الصورى(٤) (يعنى أخذها برقتها). منها: «تاريخ بغداد» الذى تكلم فيه فى غالب علماء الإسلام بالألفاظ القبيحة بالروايات الواهية الأسانيد المنقطعة، حتى امتحن فى دنياه بأمور قبيحة — نسأل الله السلامة وحسن العاقبة — ورمى بعظائم. وأمر صاحب دمشق بقتله لولا [أنه] استجار بالشريف ابن أبى الجن(٥) فأجاره. وقصته مع الصبى الذى عشقه

---

(١) القريتان: قرية كبيرة من أعمال حمص فى طريق البرية، بينها وبين سخنة وأرك. (راجع معجم ياقوت). (٢) فى مرآة الزمان: «فدخلوا فقتلوه ...». (٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٥٦ من الجزء الرابع من هذه الطبعة. (٤) هو عبد الله بن على بن عياض أبو محمد الصورى الملقب بعين الدولة. وقد سبقت وفاته سنة ٤٥٠ هـ. (٥) كذا فى مرآة الزمان وهو الموافق لما تقدم. وفى الأصل هنا: «ابن أبى الحسن» وهو تحريف. وابن أبى الجن هو حيدرة ابن إبراهيم أبو طاهر الشريف الذى تقدم قريبا.

مشهورة . ومن أراد شيئا من ذلك فلينظر فى تاريخ الإمام الحافظ الحجة أبى الفرج آبن الجَوْزى المسمّى بـ « المنتظم » ؛ وأيضا ينظر فى تاريخ العلّامة شمس الدين يوسف آبن قِزَأُوغْلى (أعنى مرآة الزمان) وما وقع له من الأمور والمِحَن . وما ربّك بظلّام للعبيـد . أضربت عن ذكر [ذلك] كلّه لكونه متخلّقا بأخلاق الفقهـاء ، وأيضا من حَمَلة الحـديث الشريف . غير أنّى أذكر من شعره ما تغزّل[1] به فى محبوبه المذكور . فمن ذلك قوله من قصيدة أوّلها : [البسـيط]

تَغَيَّب الناس عن عيني سوى قمـرٍ * حسبي من الناس طُرًّا ذلك القمرُ

وكلّه على هذه الكيفيّة .

وفيها تُوفّى أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زَيْدُون أبو الوليد المخزومىّ الأندلُسىّ القُـرْطُبىّ الشاعر المشهور المعروف بآبن زَيْدُون ، حامل لواء الشـعراء فى عصره . كانت وفاته فى شهر رجب بمدينة إشْبِيلِيَة . ومن شعره :

[السـريع]

أيّتها النفس إليـه آذْهَبِى * فما لقلبى عنه من مذهـبِ
مُفَضَّض الثغـر له نقطةٌ * من عَنْبَر فى خدّه المُذْهَبِ
أنسانىَ التَّوْبةَ من حبّـه * طلوعُه شَمْسًا من المَغْرِب

وله القصيدة التى سارت بها الركبان الموسومة بالزيدونية التى أوّلها[2] :

[البسـيط]

بِنْتُم وبِنّا فما آبتلّت جوانحُنا * شوْقًا إليكم ولا جَفّت مآقينا

---

(١) فى الأصـل : « ما تغزله » . (٢) فى ديوانه المخطوط المحفوظ منه نسـخة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٩٦ أدب أن مطلع القصيدة :

أضحى التنائى بديلا عن تدانينا * وناب عن طيب دنيانا تجافينا

وفيها تُوفّى محمد بن علىّ بن محمد بن حُبّاب أبو عبد الله الصُّورىّ الشاعر المشهور. كان فاضلا فصيحا . مات بطرابلس . ومن شعره أوّل قصيدة :

[الكامل]

صَبٌّ جفاه حبيبُه ه خلا له تعذيبُـه

وفيها تُوفّى محمد بن وِشَاح بن عبد الله أبو علىّ . وُلِد سنة تسع وسبعين وثلثمائة. وكان فاضلا كاتبا شاعرا فصيحا مترسّلا . رحمه الله .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث أصابع .

***

السنة السابعة والثلاثون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة أربع وستين وأربعمائة .

فيها بعث الخليفة القائم بأمر الله الشريفَ أبا طالب الحسن بن محمد أخا طرّاد الزَّيْنَبِىّ إلى أبى هاشم محمد أمير مكّة بمال وخِلَع ، وقال له : غيِّر الأذان وأبطل «حىّ على خير العمل» . فناظره أبو هاشم المذكور مناظرةً طويلة ، وقال له : هذا أذان أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب . فقال له أخو الشريف : ما صحّ عنه ، وإنّما عبد الله بن عمر بن الخطّاب رُوِى عنه أنه أذّن به فى بعض أسـفاره، وما أنت وآبنَ عمر ! فأسقطه من الأذان .

وفيها تُوفّى عبد الله بن محمد بن عثمان القاضى أبو طالب أمير الدولة ، الحاكم على طرابلس الشأم والمتولّى عليها . وكان كريما ، كثير الصدقة ، عظيم المراعاة للعلويّين . مات فى نصف شهر رجب .

وفيها تُوفّى عيسون[1] بن علىّ الشيخ أبو بكر الصِّقِلّى الزاهد المشهور . كان كثير العبادة والزُّهد والوَرَع . صنّف كتابا سماه «دليل القاصدين» فى آثنى عشر مجلدا .

وفيها تُوفّى محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصّمد ابن الخليفة المهتدى بالله أبو الحسين[2] الهاشمىّ العبّاسىّ ، خطيب جامع المنصور ببغداد. كان صالحا عالما زاهدا ثقة .

وفيها تُوفّى المعتضِد[3] بالله عَبّاد بن محمد بن إسماعيل بن عَبّاد الملك الجليل صاحب إشْبِيلِيَة من بلاد الغرب ، فى قول الذهبىّ . كان من أجلّ ملوك المغرب وأعظمهم ، وكان مُحِبًّا للعلماء والشعراء ، وعنده فضيلة ومشاركة . وكان آبن زيدون الشاعر — المقدّم ذكره — عنده فى صورة وزير . رحمه الله تعالى .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وعشر أصابع .

* * *

السنة الثامنة والثلاثون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة خمس وستين وأربعمائة .

فيها قُتِل الحسن بن الحسين بن حمدان الأمير أبو محمد ناصر الدولة التّغْلَبىّ ذو المجدين المقدّم ذكره فى أوّل ترجمة المستنصر هذا . وقع له أمور آل أمره بعدها الى أن تزوج ببنت إلدِكز ، وآتّفق معه . وآتفق لهما أمور كثيرة مع المستنصر صاحب

---

(١) فى مرآة الزمان : «غيسون» بالغين المعجمة . (٢) كذا فى الأصل وابن الأثير ومرآة الزمان . وفى المنتظم وعقد الجمان والبداية والنهاية : « أبو الحسن » . (٣) فى تاريخ ابن خلدون (ج ٤ ص ١٥٨) وابن الأثير (ج ٩ ص ٢٠٢ طبع أوروبا) أنه توفى سنة ٤٦١ هـ) .

الترجمة . ولما ٱتّفقا قوِى أمر ناصر الدولة هـذا ودخل إلى مصر وٱستولى عليها، ولَقّب نفسه بسلطان الجيوش، وأمِن إِلْدِكز وناصر الدولة هذا كلّ منهما إلى الآخر. ووَقَع لهما أمور، إلى أن دخل ناصر الدولة مصر ثالث مَرّة، فغدَر إِلْدِكز به وقتله، حسب ما ذكرناه مفصَّلا فى ترجمة المستنصر . ثمّ خرج إِلْدِكز بمن معه إلى محمود بن ذُبيان أمير بنى سِنْبِس فقتلوه ، وكان عنده الأمير شاوَر فقتلوه أيضا. وخرجوا إلى خيمة تاج المعالى بن حمدان أخى ناصر الدولة فقتلوه بعد أن هرب منهم . ثم قُطع ابن حمدان المذكور قِطَعًا وأُنفذ كلّ قطعة إلى بلد . قلت : وهذا ناصر الدولة آخر من بَقِى من أولاد بنى حمدان ملوك حلب وغيرها .

وفيها تُوفّى عبد الكريم بن هَوَازِن بن عبد الملك بن طَلْحة بن محمـد أبو القاسم القُشَيْرِىّ النيسابورىّ . وُلِد سنة ستّ وسبعين وثلثمائة فى شهر ربيع الأوّل، ورُبِّى يتيمًا فقيرًا وٱشتغل بالأدب والعربية . وكان أوّلا من أبناء الدنيا، فجذبه أبو علىّ الدّقاق[1] فصار من الصوفيّة . وتفقّه على بكر[2] بن محمد الطُّوسىّ، وأخذ الكلام عن ٱبن فُورَك[3]، وصنّف « التفسير الكبير » و « الرسالة » . وكان يَعِظ ويتكلّم بكلام الصوفيّة . ومات بنيسابور . ومن شعره : [السـريع]

إنْ نابك الدهرُ بمكروهه * فقُل بتهوين تخاويفِـه
فعن قريب يَنْجلى غَمُّـه * وتنقضى كُلُّ تصاريفه

(١) هو أبو على الحسن بن على النيسابورى المعروف بالدقاق . (راجع ابن خلكان فى ترجمة القشيرى) . (٢) كذا فى الأصل والمنتظم ومرآة الزمان . وفى وفيات الأعيان : « أبو بكر محمد » . (٣) هو أبو بكر محمد بن الحسن ، كما فى مقدمة الرسالة القشيرية وقد تقدمت وفاته سنة ٤٠٦ هـ .

وقـد روينا رسالته عن حافظ العصر قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن على ابن حَجَر انا أبو الحسن[١] بن أبى المجد شِفَاهًا انا أبو محمد القاسم[٢] بن مظفَّر بن عساكر إجازةً إن لم يكن سمـاعا انا محمد بن على بن محمود الصَّقَلانىّ سماعا انا أُمّ المؤيد[٣] زينب بنت عبد الرحمن الشَّـعْرِيّة سماعا انا أبو الفتوح عبد الوهاب بن شاه الكِرْمانىّ انا المؤلِّف رحمه الله .

وفيهـا تُوفّى السلطان أَلْب أَرْسلان عضد الدولة أبو شجاع محمـد الملقّب بالملك العادل ابن جغْرِى بك داود بن ميكائيل بن سَلْجوق السلجوقىّ التركىّ ، ثانى ملوك بنى سَلْجوق ، كان آسمه بالعربىّ محمدا . وبالتركىّ أَلْب أَرْسـلان . وأصـل هؤلاء السَّلْجوقية من الأتراك فيما وراء النهر ، فى موضع بينه وبين بُخارَى مسافة عشرين فرسخا، وكانوا لا يدخلون تحت طاعة سـلطان حتّى صار من أمرهم ما صار . وهو آبن أخى السلطان طغرلبك محمد ، وبعده تولّى السلطنة . وأَلْب أَرْسلان هـذا هو أوّل من أسـلم من إخوته ، وأوّل من لُقِّب بالسلطان من بنى سَلْجوق، وذُكِر على منابر بغـداد . وكانت سلطنته بعد عمّه طغرلبك فى سنة سـبع وخمسين وأربعمائة . ونازعه أخوه قاورد بك فلم يتمّ [له] أمرٌ . وكان مَلِكا مُطاعا شجاعا . مات وهو أجلّ ملوك بنى سَلْجوق وأعدلُهم فى الرعيّة . وهو الذى أنشأ وزيره نِظَامَ الملك . وتولّى السلطنة من بعده ولدُه مَلِكْشاه . ومات أَلْب أَرْسلان وعمرهُ أربعون سـنة قتلا؛ وكان سبب موته أنه سار فى سنة خمس وستّين وأربعمائة فى مائتى ألف فارس إلى نحو

(١) هو أبو الحسن على بن محمـد بن محمد بن أبى المجد بن على الدمشقى المتوفى سـنة ٨٠٠ هـ (عن شذرات الذهب) . (٢) هو بهاء الدين القاسم بن مظفر بن النجم محمود بن تاج الأمناء بن عساكر المتوفى سنة ٧٢٣ هـ (عن شذرات الذهب والدرر الكامنة) . (٣) هى زينب الشعرية الحرة أم المؤيد بنت أبى القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن أحمد بن سهل الجرجانى . ولدت سنة ٥٢٤ هـ . وتوفيت سنة ٦١٥ هـ (عن شذرات الذهب) .

بلاد الروم، ثم عاد إلى ديار بكر، ثم إلى جهة حلب وقصد شمس المُلك تَكِين. فلمّا دخل إليه أتاه أعوانُه بوالى قلعة من قِلاع شمس المُلك، وآسم الوالى يوسف الخُوَارَزْمِى، وقرّبوه إلى سرير السلطان ألْب أرْسلان، فأمر ألب أرْسلان أن يُضْرَب له أربعة أوتاد وتُشدّ أطرافه الأربعة إليها. فقال يوسف المذكور للسلطان: يامخنث، مثلى يُقتل هذه القِتْلة! فغضِب السلطان وأخذ القوس والنُّشّاب وقال: خَلُّوه، فرماه فأخطأه، ولم يكن يُخطئ له سهم قبل ذلك، فأسرع يوسف المذكور وهجَم على السلطان على السرير، فنهض السلطان ونزل فعَثَر وخرّ على وجهه؛ فوصل يوسف إليه وبَرَك عليه وضربه بسكّين فى خاصرته، وقُتِل يوسف فى الحال، وحُمِل السلطان فمات بعد أيام يسيرة — وقيل فى يومه — وكان ذلك فى جُمَادى الآخرة من السنة. وألْب أرْسلان بفتح الهمزة وسكون اللام وبعدها باء موحدة وبقية الآسم معروف.

وفيها تُوفّى قاورد بك بن داود بن ميكائيل السَّلْجوقىّ أخو السلطان ألْب أرْسلان المقدّم ذكره. ولمّا مات أخوه ألْب أرْسلان نازع آبن أخيه مَلِكْشاه وقاتله، فظَفِر به ملكشاه بعد حروب وأسَرَه وأمَرَ بقتله؛ فخَنَقه رجل أرمنىّ بوتَر قَوْس، وتولّى سعد الدولة كوهرائين(١) على قتله، وكان ذلك فى شعبان بهَمَذان. وأَمْرُ قاورد بك المذكور من العجائب؛ فإنّه كان يتمنّى موت ألْب أرْسلان ويتصوّر أنّه يملك الدنيا بعده، فكان هلاكه مقروناً بهلاكه. قلت: وكذلك كان أمر قُتُلْمِش مع أخيه طغرلبك عمّ ألْب أرْسلان وقاورد بك؛ فإنّه كان ينظر فى النجوم ويتحقّق أنه يَملِك بعده، وكان هلاكه أيضا مقروناً بهلاكه.

(١) كذا فى ابن الأثير وتاريخ آل سلجوق. وفى الأصل: «الكوهرانى».

وفيها تُوفّى محمد بن أحمد بن المُسْلِمة الحافظ أبو جعفر . كان إماما حافظا محدّثا عالمـا . مات ببغداد فى جُمادى الأولى من السنة .

وفيها توفّى علىّ بن الحسن[1] بن علىّ بن الفضل الرئيس أبو منصور الكاتب المعروف بصَرَّدُرّ[2] الشاعر المشهور . كان أحد نجباء الشُّعراء فى عصره، جمع بين جَوْدة السَّبْك وحسن المعنى . ومن شعره : [البسـيط]

أُكَلِّف القلبَ أن يَهْوَى وأُلْزِمَه * صَـبْراً وذلك جَمْعٌ بين أضـدادِ
وأكتُم الركب أوطـارى وأسألُه * حاجاتِ نفسى لقد أتعبتُ رُوّادِى

وله أيضا : [الكامل]

لم أَبْكِ أنْ رَحَل الشبابُ وإنّما * أبكى لأن يتقارب الميعـادُ
شـعرُ الفتى أوراقه فإذا ذَوَى * جَفّت عـلى آثاره الأعـوادُ

وله أيضا فى جارية سوداء : [السـريع]

عَلِقْتُها سـوداءَ[3] مصقولةً * سـواد قلبى صـفة فيها
ما ٱنكسف البدر على تِمّه * ونـوره إلا ليَحْكِيهـا
لأجلها الأزمان أوقاتُها * مـؤرّخاتٌ بليـاليهـا[4]

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ثلاث أذرع وسبع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وسبع أصابع .

---

(١) كذا فى الأصـل ومرآة الزمان وشذرات الذهب وابن الأثير وابن خلكان وديوانه المطبوع فى دار الكتب المصرية . وفى المنتظم والبداية والنهاية لابن كثير وعقد الجمان : «على بن الحسين» .
(٢) لقب بصرّ درّ لأن أباه كان يلقب بصرّ بعر لشحه . فلما نبغ ولده المذكور وأجاد فى الشعر، قال له نظام الملك : أنت ابن صرّ درّ لا ابن صرّ بعر . (٣) فى ديوانه : «علقتها حماء» . (٤) رواية الديوان : «من لياليها» .

***

السنة التاسعة والثلاثون من ولاية المستنصر مَعَدّ على مصر وهى سنة ستّ وستّين وأربعمائة .

فيها خرج عساكر غَزْنة وتعرّضوا لبلاد السلطان ملكشاه السَّلْجوقى ؛ فخرج اليهم إلياس بن ألْب أرسلان أخو ملكشاه ، فقاتلهم وآستأمن إليه سبعمائة منهم ، وآنهزم مَن بقِى إلى غَزْنة ، وأوغل خلفهم إلياس . وكان سلطان غزنة يوم ذاك إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكِين . ثم عاد إلياس من الوقعة وقد كَفَى ملكشاه أمرَ الغزنويّة . ولمّا وصل إلياس إلى بَلْخ مات بعدها بثلاثة أيّام، وسُرّ أخوه ملكشاه بموته ، فإنّه كان مُنْحرِفًا على ملكشاه . فقال له وزيره نِظام الملك : لا تظهِر الشماتة وآقعُد فى العَزاء؛ ففعل وأظهر الحزن عليه .

وفيها بَنَى حسّان بن مسمار الكَلْبِىّ قلعة صَرْخَد[1]، وكتب على بابها : أمرَ بعمارة هذا الحصن المبارك الأمير الأجَلُّ مقدَّمُ العرب عِزّ الدّين فخر الدولة عُدّة أمير المؤمنين (يعنى المستنصر صاحب مصر) وذكر عليها آسمه ونسبه .

وفيها قال آبن الصابئ : ورد إلى مكّة إنسان عجمىّ يعرف بسلار من جهة جلال الدولة ملكشاه، ودخل وهو على بغلة بمَرْكَب ذهب ، وعلى رأسه عمامة سوداء ، وبين يديه الطُّبول والبُوقات، ومعه للبيت كسوة ديباج أصفر، وعليها اسم محمود بن سُبُكْتِكِين وهى من آستعماله ؛ وكانت مُودَعةً بنيسابور من عهد محمود ابن سُبُكْتِكِين عند إنسان يُعرف بأبى القاسم الدّهقان ،فأخذها الوزير نظام المُلْك منه وأنفذها مع المذكور .

(١) صرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق ، وهى قلعة حصينة وولاية حسنة (عن معجم البلدان لياقوت) .

وفيها تُوفّى أحمد[(١)] بن محمـد بن عقيل أبو العباس الشَّهرُزُورِى . كان محدّثا وسمع الكثير، وكان فاضـلا فقيها شاعرا . مات ببيت المقدس فى ذى القعدة . ومن شعره من قصيدة طويلة قوله : [البسـيط]

سألتُ طَيْفك عن تلفيق إفْكِهم[(٢)] * فقال معتـذرًا لا كان ما قالوا
سـعى الوُشاة بقطع الوُدّ بينكما * وللوَدّات بين النـاس آجالُ

وفيها تُوفّى عبد الله بن محمد بن سعيد بن سِنان أبو محمد الخَفَاجِىّ[(٣)] الحَلَبِىّ الشاعر المشهور . كان فصيحا فاضلا . أخذ الأدب عن أبى العَلَاء المَعَرّى وغيره، وسمع الحديث وبرَع فيه . ومات بقلعة اعزاز من أعمال حلب . ومن شعره قوله : [الرمـل]

أترَى طيفكمُ لمـا سَـرَى * أخذ النّـومَ وأعطى السَّهَرَا
يا عُيـونًا بالغَضَا[(٤)] راقـدةً * حـرّمَ الله عليكُنّ الكرَى

ومنهـا :

سلْ فُروعَ البان عن قلبى فقد * وهِـمَ البـارقُ فيما ذكـرا
قال فى الرَّبـع وما أحسـبهُ * فارق الأظعان حتّى انفطـرَا[(٥)]

وفيها تُوفّى عبـد العزيز بن أحمد بن محمد بن علىّ بن سليمان أبو محمـد الكَتّانِىّ الصوفىّ الحـافظ الدّمَشْقىّ أحد الرّحّالين فى طلب العلم . كان من المُكثِرين فى الحديث كتابةً وسماعًا مع الصدق والأمانة .

---

(١) يلاحظ أن المؤلف قد ذكر وفاته فيما تقـدّم فى سنة ٤٦٠ ه . وفى تاريخ دمشـق : توفى سنة اثنين وستين وأربعمائة ببيت المقدس وقيل سنة ست وستين» . (٢) فى تهذيب تاريخ دمشق : « تميق إفكهم » . (٣) الخفاجى : نسـبة الى خفاجة ، اسم امرأة ولد لها أولاد وكبروا ، وهم يسكنون بنواحى الكوفة . وينسب اليهم الشاعر المذكور . (٤) رواية ديوانه المطبوع فى بيروت : * يا عيونا بالحمى ... الخ *

(٥) كذا فى ديوانه ومرآة الزمان . وفى الأصل : «حتى انتظرا» .

وفيها تُوفّى محمد بن إبراهيم بن علىّ الحافظ أبو بكر العَطّار الأصبهانىّ . كان عظيم الشأن ببلده، عارفًا بالرجال والمتون، وكان إماما ثقةً .

وفيها تُوفّى محمد بن عُبَيد الله بن أحمد [بن محمد](١) بن أبى الرعد الفقيه الحنفىّ قاضى عُكْبَرَا . كان إماما فقيها صادقا ثقة . مات بعُكبرا يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الآخر .

وفيها تُوفّيت المَاوَرْدِيّة البصرية . كانت زاهدة عابدة صالحة، تجتمع إليها النساء فتعظهنّ وتؤدّبهنّ، قاربت الثمانين سنة، أقامت منها خمسين سنة لا تفطر النهار ولاتنام الليل، ولا تأكل خُبزًا ولا رطبا ولا تمرا، وإنّما يُطحَن لها البَاقِلَاءُ فتتقوت به . وماتت بالبصرة فلم يبق بالبلد إلّا من شَهِد جنازتها .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعا . ولمّا كان ليلة النَّوْرُوز نقص أصابع ، ثم زاد حتى أوفى . ونُودِى عليه فى سابع عشرين توت : إصبع من سبع عشرة ذراعا . وآنتهت زيادته فى هذه السنة إلى ستّ عشرة ذراعا وثلاث أصابع (أعنى أنه زاد بعد الوفاء إصبعين لاغير) .

***

السنةَ الأربعون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة سبع وستين وأربعمائة .

فيها أُعيدت الخطبة بمكّة للستنصر صاحب الترجمة .

وفيها تُوفّى الخليفة أمير المؤمنين القائم بأمر الله عبد الله ابن الخليفة القادر بالله أحمد ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة جعفر المقتدر ابن الخليفة المعتضد بالله أحمد

(١) الزيادة عن المنتظم .

ابن الأمير طلحة الموفّق ابن الخليفة المتـوكّل على الله جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد بالله هارون ابن الخليفة المهدى بالله محمد ابن الخليفة أبى جعفر المنصور عبدالله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس، أميرُ المؤمنين أبو جعفر الهاشمىّ العباسىّ البغدادىّ. وأمّه أمّ ولد روميّة تسمّى قَطْر النَّدَى. ماتت فى خلافته، حسب ماذكرناه فى هـذا الكتاب فى محلّه . ومَوْلِدُه فى سـنة إحدى وتسـعين وثلثمائة . وبُويع بالخلافة بعد موت أبيه وعمره إحدى وثلاثون سنة فى ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة. وكان جميلًا مليحَ الوجه أبيض اللّون مُشْرَباً بحُمْرة أبيض الرأس واللّحية، متديّنًا ورِعا زاهدا عالمـا، فى وجهه أثر صُفَار من قيام اللّيل، وكان يَسْرُدُ الصوم، وكان قليل الجماع، ولهذا قلّ نَسْلُهُ . وكان سبب تركه الجمـاع أنّه جامع ليـلةً وبين يديه شمعة فصار صورتُه على الحـائط صورةً شنيعة، فقام عنها وقال : لاعُدت إلى مثلها . وكانت وفاته فى يوم الخميس ثالث عشر شعبان من هذه السنة، وله خمس وسبعون سـنة وثمانية أشهر وأربعة وعشرون يوما، وقيـل غير ذلك . وأقام فى الخـلافة أربعا وأربعين سنة . قلت : ومن الغرائب أن القائم هـذا كان معاصرًا للمستنصر العُبَيْدى صاحب الترجمة وهو خليفة مصر، وكلاهما مكث فى الخلافة مالم يمكثه غيرُه من آبائه وأجداده من طُول المدّة؛ فالقائم هـذا كانت مدّته أربعا وأربعين سنة، والمستنصر ستّين سـنة؛ فما وقع للقائم لم يقع لأحد من العباسيّين، وما وقـع للمستنصر لم يقع لأحد من الفاطميّين . وبويع بالخـلافة بعد القائم حفيده عبد الله بن محمد الذَّخيرة بن القـائم المذكور. ومولده بعد وفاة أبيـه الذخيرة بستّة أشهر، وتولّى تربيته جدّه القائم، ولُقِّب بالمقتدى (١) بالله .

(١) كذا فى الأصل هنا وما سيأتى . وفى ابن خلكان والفخرى فى الآداب السلطانية وابن الأثير « المقتدى بأمر الله » .

وفيها تُوفّى عبد الرحمن بن محمد بن المظفّر بن محمد بن داود أبو الحسن بن أبى طلحة الداوودىّ الحافظ . ولد سنة أربع وسبعين وثلثمائة، وسمع الحديث وقرأ الفقه ودرس وأفتى، ووعظ وصنّف، وكان له حظّ من النظم والنثر. ومن شعره :

[الخفيف]

كان فى الاجتماع للناس نورٌ ✱ فمضى النُّورُ وادلهمّ الظلامُ
فسَد النــاس والزمانُ جميعًا ✱ فعلى الناس والزمانِ السلامُ

وفيها تُوفّى أبو الحسن علىّ بن الحسن بن علىّ بن أبى الطيّب البــاخَرْزىّ(١) . كان إماما فاضلا شاعرا، صنّف «دمية القصر فى شعراء أهل العصر»(٢) . والعِماد(٣) الكاتب حذا حَذْوَه . وكان البَاخَرْزىّ فريدَ عصره ، وديوان شعره مشهور بأيدى الناس . ومن شعره قوله :

[الطويل]

زكاةُ رءوس النــاس فى عيد فطرهمْ ✱ بقول رســـول الله صاعٌ من الــبُرِّ
ورأسُــك أغلى قيمــة فتصــدّق ✱ بفيك علينا فهو صاعٌ من الدُّرِّ

(١) البــاخرزى: نسبة الى باخرز ، ناحية من نواحى نيسابور تشتمل على قرى ومزارع. وقد ضبطها ابن خلكان بالعبارة فقال : (بفتح البــاء الموحدة وبعد الألف خاء معجمة مفتوحة ثم راء ساكنة وبعدها زاى) .

(٢) فى وفيات الأعيان وكشف الظنون : « دمية القصر وعصرة أهل العصر » .

(٣) هو محمد بن محمد بن حامد بن عبد الله بن على بن أبى عبد الله المعروف بالعماد الكاتب الأصبهانى . ولد بأصبهان ســنة ٥١٩ هـ ونشأ بها ، وقدم بغداد شابا وانتظم فى سلك طلبة المدرسة النظامية فتفقــه بها بأبى منصور سعيد بن محمد بن الرزاز وآخرين . ثم عاد إلى أصبهان فتفقه بها أيضا على محمد بن عبد اللطيف الخجندى . (بضم الخاء المعجمة وفتح الجيم وسكون النون) ثم رجع الى بغداد واشتغل بصناعة الكتابة فبرع فيها ، وتوفى سنة ٥٩٧ هـ . ومن مصنفاته التى حذا فيها حذو الباخرزى كتابه : « خريدة القصر وجريدة العصر » ذيل به زينة الدهر لأبى المعالى سعد بن على الحظيرى الورّاق . وقد جمع العماد فيها تراجم شعراء الشام والعراق ومصر والجزيرة والمغرب وفارس ممن كان بعد المائة الخامسة الى ما بعد سنة سبعين وخمسمائة وهو فى عشرة مجلدات . (عن معجم الأدباء لياقوت) .

وفيها تُوفّى علىّ بن الحسين بن أحمد بن الحسين أبو الحسن التَّغلَبى، ويُعرف بآبن صصرى . ذكره الحافظ آبن عساكر وأثنى عليه. حدّث عن تمّام بن محمد وغيره، وكان ثقةً . وأصل بنى صصرى من قرية بالموصل . ومات بدمشق .

وفيها تُوفّيت كُوهر خاتون عمّــة السلطان ملكشاه السّلجوقىّ أخت السلطان ألْب أَرْسلان . كانت ديّنةً عفيفةً، صادرها نظامُ الملك لمّــا مات أخوها ألْب أَرْسلان وأخذ منها أموالا عظيمة . فخرجت إلى الرىّ لتمضى إلى المُبَارَكيّة[١] تستنجدهم على قتال الوزير نظام الملك، فأشار نظام الملك على ملكشاه بقتلها فقتلها . فلمــا وصل خبر قتلها إلى بغداد ذَمَّ الناسُ نظامَ الملك وقالوا : ما كفاه بناء هــذه المدرسة النظاميّة وغصبُه لأراضى الناس وأخذُ أنقاضهم حتى دخل فى الدماء من قتله هــذه المرأة ! وأيضا أنّه أشار على مَلِكْشاه بقتل عمّــه قاورد بك المقــدّم ذكره ، ثم أشار على ملكشاه بكحل أولاد عمّــه . وهجا نظامَ الملك جماعةٌ من أهل العراق ؛ فلمّــا بلغ نظامَ الملك قال : ما أقام هذه الشناعة علىّ إلّا فخر الدولة بن جِهِير[٢] .

وفيها تُوفّى محمود بن نصر بن صالح صاحب حلب ويُعرف بابن الروقليّة . كان عمّه عطيّة قد أخذ حلب منه، فتجهّز محمود هذا وأتاه وحصره حتّى آستعادها منه . ومات بها فى ليلة الخميس ثالث عشر شعبان، وهى الليلة التى مات فيها الخليفة القائم بأمر الله العباسىّ . وسبب موته أنه عَشِق جاريةً لزوجته، وكانت تمنعه منها، فماتت الجارية فحَزِن عليها حتّى مات بعــد يومين . ولـمّـا مات وقع بين العسكر الخلاف . وكان محمود هذا قد أوصى إلى ولده أبى المعالى شِبْل وأسكنه القلعة والخزائن عنده،

(١) المبــاركية : حصن بناه المبــارك التركى أحد موالى بنى العباس، وبها قوم من مواليــه (راجع معجم ياقوت وشرح القاموس مادة «برك»). (٢) ضبطه آبن خلكان بفتح الجيم وكسر الهــاء .

وأسكن ولده نصرا البلد ، وكان يكره نصرا ويحبّ شِبْلا ، والعساكر تحب نصرا ؛ فلا زالوا حتّى ملك نصرٌ وخُلِع شِبْل .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وتسع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع أصابع .

***

السنة الحادية والأربعون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهي سنة ثمان وستين وأربعمائة .

فيها خرج مؤيّد الملك بن نظام الملك الوزير من بغداد يريد والده ، وكان أبوه قد مَرِض ، وخرج معه أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد البيضاوي(١) الشاهد رسولا من الديوان إلى السلطان إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكِين صاحب غَزْنَة ، يخبره بوفاة الخليفة القائم بأمر الله وإقامة ولده المقتدي بعده في الخلافة .

وفيها لبس بدرٌ الجَمَاليّ أميرُ الجيوش من المستنصر خِلْعة الوزارة بمصر ، وكانت منزلته قبل ذلك أجلّ من الوزارة ، ولكن لبسها حتّى لا يترتّب أحد في الوزارة فينازعه في الأمر .

وفيها أيضا قبَض بدرٌ الجَمَاليّ على قاضي الإسكندرية ابن المحيرق وعلى جماعة من فقهائها وأعيانها ، وأخذ منهم أموالا عظيمة .

وفيها استولى أَتْسِز التُّركمانيّ على دمشق وخطب بها للمقتدي العَباسيّ ، وكتب إلى المقتدي يذكر له تسليمها إليه وغلوّ الأسعار بها وموت أهلها ، وأنّ الكارة

(١) في مرآة الزمان : « ابن البيضاوي » .

الطعام بلغت فى دمشق نيّفا وثمانين دينارا مغربيّة، وبقيت على ذلك أربع سنين (١) . والكارتان ونصفُ غِرَارةٍ بالشامىّ . فتكون الغرارة بمائتى دينار. وهذا شىء لم يُعهد مثله فى سالف الأعصار . قلتُ (٢) : ولا بعــده . وقد تقدّم ذكر هــذا الغلاء بمصر والشام فى ترجمة المستنصر هذا .

وفيها تُوفّى أحمــد بن علىّ بن محمد القاضى أبو الحسين جلال الدولة الشريف العَلَوىّ ، كان ولِى قضاء دِمَشْق للستنصر، وهو آخر قضاة المصريّين الرافضة، وهو الذى أجار الخطيبَ البغــدادىّ لمّــا أمر أميرُ دمشق بقتــله . قال يوما وعنــده [أبو] الفِتيان بن حَيُّوس : وَدِدت أنّى فى الشجاعة مثل جدّى علىّ ، وفى السخاء مثل حاتم. فقال له [أبو] الفتيان بن حيّوس: وفى الصدق مثل أبى ذَرّ [الغِفارِىّ] (٣) . فخَجِل الشريف، فإنّه كان يتزيّد فى كلامه .

وفيها تُوفّى إسماعيل بن علىّ أبو محمد العَيْن زَرْبِىّ (٤) الشاعر الفصيح. كان يسكن دِمَشق وبها مات . ومن شعره : [الطويل]

وحقِّكمُ لا زرتُكم فى دُجُنَّــــة * من الليــل تُخفينى كأنّى سارقُ
ولا زُرْت إلّا والسيوفُ شواهرٌ (٥) * علىّ وأطرافُ الرماح لواحقُ

---

(١) كذا فى الأصل ومرآة الزمان . وفى المنتظم . «ثلاث سنين» . (٢) فى الأصل : «وقلت» . (٣) زيادة عن تهذيب تاريخ دمشق . (٤) العين زربىّ : نسبة الى عين زربى . (راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٣١ من الجزء الثالث من هذه الطبعة) .
(٥) كذا فى الأصل ومرآة الزمان . ورواية معجم البلدان لياقوت وتهذيب تاريخ دمشق :
* ولا زرت الا والسيوف هواتف * على ... الخ

وله أيضا : [الطويل]

ألَا يا حمامَ الأَيْكِ[1] عيشُك آهلٌ * وغُصنك ميَّال وإلْفُك حاضرُ
أتبكى وما امتدّت اليك يدُ النَّوى * ببَيْنٍ[2] ولم يَذْعَرْ جَنَاحَك ذاعرُ

قلت : وهذا يشبه قول القائل فى أحد معانيه : [الخفيف]

نَسَبَ الناس للحمامة حزنًا * وأراها فى الحزن ليست هنالكْ
خضَبت كفَّها وطوّقت الجيـ * ـدَ وغنّت وما الحزينُ كذلكْ

وفيها تُوفّى مسعود [بن عبد العزيز][3] بن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق أبو جعفر البياضِىّ الشاعر البغدادىّ . كان أديبا فاضلا شاعرا . مات ببغداد فى ذى القعدة . ومن شعره : [الخفيف]

ليس لى صاحبٌ مِعينٌ سوى اللّيـ * ـل إذا طال بالصدود عليّا
أنا أشكو همَّ الحبيب إليه * وهو يشكو بُعْدَ الصَّباح إليّا

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وإصبعان . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وأربع عشرة إصبعا . وأوفى يوم نصف توت .

*
* *

السنة الثانية والأربعون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة تسع وستّين وأربعمائة .

---

(١) رواية تهذيب تاريخ دمشق .
الا يا حمام الأيك عشّك آهل * وغصنك مياس ... الخ
(٢) كذا فى تهذيب تاريخ دمشق . وفى الأصل : « ولم يدرك » .
(٣) التكملة عن وفيات الأعيان .

فيها فى صفر غلب على المدينة النبويّة مُحيطٌ العَلَوىّ وأعاد خطبة المستنصر هذا بها، وطرد عنها أميرَها الحسين بن مهنّا فقصد الحسين مَلِكْشاه السَّلْجُوقىّ .

وفيهـا تُوفّى — والصحيح فى التى قبلهـا — علىّ بن أحمـد بن محمد بن علىّ أبو الحسن الوَاحِدىّ النيسابورىّ . كان من أولاد التجار من ساوة[1] ، وكان أوحد عصره فى التفسير . كان إماما عالمـا بارعا محدّثا ، صنف التفاسير الثلاثة : «البسيط» و «الوجيز» و «الوسيط» . والغزالىّ أخذ هذه الأسماء برمّتها وسمّى بها تصانيفه . وصنّف الواحدىّ أيضا «أسباب النزول» فى مجلّد و «شَرْح الأسماء الحسنى» وكتبا كثيرة غيرذلك . وكان له أخٌ اسمه عبد الرحمن قد تفقّه وحدّث أيضا .

وفيها توفّى إسفهدوست[2] بن محمد بن الحسن أبو منصور الدَّيْلَمىّ الشاعر . كان أوّلا يهجو الصحابة — رضى الله عنهم — والنـاسَ، ثم تاب وحسُنت توبته . وقال فى ذلك قصيدة طَنّانة أولها : [الكامل]

لاح الهـدى فجلا عن الأبصار * كاللّيل يجـلوه ضِياءُ نهـارِ
وراتْ سبيل الرشد عينِى بعد ما * غَطَّى عليهـا الجهل بالأسـتار

ومنهـا :

وعدلتُ عمـا كنتُ معتقِدًا له * فى الصحب صحبِ نبيك[3] المختارِ
السيد الصدّيق والعدل الرِّضَى * عُمَـــر وعثمانَ شهيد الدار

وهى طويلة جدّا .

---

(١) ساوة : مدينة حسنة جليلة على جادّة حجاج خراسان وبهـا الأسواق والمنازل الحسنة بين الرى وهمذان (عن تقويم البلدان لأبى الفداء) . (٢) فى ابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير : «اسبهدوست» . وفى المنتظم وعقد الجمان : «اسبندوست» . (٣) رواية المنتظم وعقد الجمان : «صحب نبيه» .

وفيها تُوفّى طاهر بن أحمد بن باب شاذ(١) أبو الحسن النحوىّ المصرىّ صاحب «المقدّمة(٢)» المشهورة . كان عالما فاضلا وله تصانيف فى النحو . سمِع الحديث ورواه، وقُرِئَ عليه الأدب بجامع مصر(٣) سنين . تَرَدّى من سطح جامع مصر فى شهر رجب فمات من ساعته .

وفيها تُوفّى عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيي بن مَنْدَة — وآسم منـدة إبراهيم بن الوليد — الحافظُ أبو القاسم ابن الحافظ أبى عبد الله العبدىّ الأصبهانىّ . كان كبير الشأن، جليل القدر، حسن الخطّ واسع الرواية . وُلِد سنة إحدى(٤) وثمانين وثلثمائة ، وهو أكبر إخوته — رحمه الله — ومات فى شوّال . وقال الذهبيّ : مات فى سبعين وأربعمائة .

وفيها كان الطاعون العظيم بالشام، ومات خلائق لا تُحصر .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وسبع أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا . وأوفى بأواخر توت .

⁂

السنة الثالثة والأربعون من ولاية المستنصر مَعَدّ على مصر وهى سنة سبعين وأربعمائة .

---

(١) كذا فى بغية الوعاة للسيوطى وابن خلكان . وهى كلمة أعجمية تتضمن الفرح والسرور . وفى الأصل : «باب شاد» بالدال المهملة ، وهو تصحيف . (٢) وضعها فى النحو وتسمى : «المقدّمة المحسنية فى فنّ العربية» ويوجد منها ثلاث نسخ مخطوطة ومحفوظة بدار الكتب المصرية . (٣) المراد به جامع عمرو بن العاص، كما صرح بذلك فى المنتظم وابن خلكان . (٤) فى تذكرة الحفاظ وشذرات الذهب : «ولد سنة ثلاث وثمانين» . وفى المنتظم : «ثمان وثمانين» .

فيها ورد كتاب أُرْتُق [(١)] بك على الخليفة المقتدى العباسىّ بأخذه بلاد القرامطة .

وفيها تُوُفِّيت بنت الوزير نظام الملك وزوجة الوزير عميد الدولة [(٢)]، وجلس الوزير ولده للعزاء . ونظـام الملك وزير السلطان ملكشاه، وعميد الدولة وزير الخليفـة المقتدى بالله؛ وكان عميد الدولة فى المحلّ أعظم، ونظام الملك فى المـال أكثر .

وفيها تُوفّى أحمـد بن عبد الملك بن علىّ الحافظ أبو صالح النيسابورىّ المؤذّن . وُلِد سنة ثمان وثمانين وثلثمائة، وسمِـع الحديث الكثير، وصنّف الأبواب والشيوخ؛ وكان يؤذّن ويَعظ ، وكان شيخ الصوفيّة فى وقته علمًا وعملًا وصدقا وثقة وأمانة .

وفيها تُوفّى عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد أبو جعفر ابن أبى موسى، الشريفُ الهاشمىّ ، إمام الحنابلة وعالمهم فى زمانه . وُلِد سـنة إحدى عشرة وأربعمائة . وكان عالمـا وَرِعا فاضلا، تفقّه على القاضى أبى يَعْلَى . وكان يَشْهَد ثم ترك الشهادة. وكان صدوقا ثقة زاهدا عابدا مصنّفا . مات بنيسابور فى شهر رمضان .

وفيها تُوفّى أحمد بن محمد [(٣)] [بن أحمد] بن عبد الله بن النفور [(٤)] الحافظ أبو الحسن [(٥)] البزّاز . مات ببغداد فى شهر رجب وله تسعون سنة . وكان إماما محدّثا فاضلا بارعا .

---

(١) فى ابن الأثير وابن خلكان (ج ١ ص ٨٥) : «أرتق بن أكسـب» . وهو جدّ الملوك الأرتقية ، كان من التركمان وتغلب على حلوان والجبل . وملك القدس من جهة تاج الدولة تتش .

(٢) فى الأصل : « عميد الملك » ، فى المواضع التى تكررفيها هنا . والتصويب عن ابن خلكان وابن الأثير والمنتظم وعقد الجمان والفخرى والأصل فيما سيأتى فى حوادث سنة ٤٧٣ هـ .

(٣) تكملة عن شـذرات الذهب والمنتظم وابن الأثير .

(٤) كذا فى الأصـل والمنتظم . وفى ابن الأثير وشذرات الذهب : « ابن النقور » بالقاف .

(٥) كذا فى الأصـل والمنتظم وعقد الجمان . وفى ابن الأثير وشذرات الذهب والبداية والنهاية لابن كثير وشرح قصيدة لامية فى التاريخ : «أبو الحسين» .

وفيها توفّى الحسين(١) بن محمد [بن أحمد](٢) بن طلّاب أبو نصر خطيب دمشق في صفر بها وله إحدى وتسعون سنة . وكان إماما بارعا محدّثا فصيحا خطيبا .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وآثنتان وعشرون إصبعا . وفُتِح الخليج في سابع عشر مِسْرَى، والماء على آثنتى عشرة إصبعا من ست عشرة ذراعا . وأوفى في رابع أيام النسىء، وبلغ سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع . ونقص في ثالث عشر بابة .

***

السنة الرابعة والأربعون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة إحدى وسبعين وأربعمائة .

فيها تُوفّى إبراهيم بن علىّ بن الحسين أبو إسحاق شيخ الصوفية بالشام . سمع الحديث، وكان صاحب رياضات ومجاهدات . أقام بصُور(٣) أربعين سنة، ومات بدِمَشق .

وفيها تُوفّى الحسن بن أحمد بن عبد الله أبو علىّ بن البنّاء الحنبلىّ . وُلِد سنة سبع وتسعين وثلثمائة . و برَع في الفقه وغيره، وصنّف في كلّ فنّ . وكان يقول : صنّفت خمسين ومائة مصنَّف . وكانت وفاته في شهر رجب هذه السنة .

وفيها تُوفّى الحسين(٤) بن أحمد بن عقيل بن محمد أبو علىّ بن رِيش الدمشقىّ . مات بدمشق في جمادى الآخرة . وكان ثقة صدوقا فاضلا أديبا .

(١) في الأصل : «الحسن بن محمد» . والتصويب عن تهذيب تاريخ دمشق وشذرات الذهب .
(٢) التكلة عن تهذيب تاريخ دمشق . (٣) في الأصل : «أقام بصوم» . والتصويب عن تهذيب تاريخ دمشق . (٤) في تاريخ دمشق لابن عساكر وتهذيبه لابن بدران المكى ومعجم الأدباء لياقوت (ج ٤ ص ٧٨) : «الحسين بن عقيل بن محمد بن عبد المنعم بن ريش أبو على» . فلعل اسم «أحمد» هنا زيادة من الناسخ .

وفيها تُوفّى سعد بن علىّ بن محمد بن علىّ بن الحسين الحافظ أبو القاسم الزَّنجانىّ[1] الصُّوفىّ. وُلِد سنة ثمانين وثلثمائة، وطاف البلاد وسمِع الكثير. وٱنقطع فى آخر عمره بمكّة وصار شيخ الحرم .

وفيها تُوفّى عبد القاهر بن عبد الرحمن أبو بكر الجُرْجَانىّ النحوىّ اللغوىّ شيخ العربيّة فى زمانه . كان إماما بارعا مُفْتَنّاً . ٱنتهت إليه رياسة النُّحاة فى زمانه .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وسبع وعشرون[2] إصبعا . وفتح الخليج فى سابع عشرين مسرى والماء على ثمانىَ عشرةَ إصبعا من ست عشرة ذراعا . وكان الوفاء فى ثالث توت بعد ما توقّف ولم يزد إلى عاشر مسرى . وكان مبلغ الزيادة فى هذه السنة سبع عشرة ذراعا وعشرين إصبعا ، ونقص فى خامس بابة .

⁂

السنة الخامسة والأربعون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة ٱثنتين وسبعين وأربعمائة .

فيها توفّى منصور بن بَهْرَام[3] الأمير نظام الملك صاحب ميّافارقين من ديار بكر ، وملك بعده ٱبنه ناصر الدولة .

---

(١) كذا فى المشتبه فى أسماء الرجال للذهبى والمنتظم وشذرات الذهب وشرح قصيدة لامية فى التاريخ ، نسبة الى زنجان من اقليم أذربيجان . وفى الأصل : «الريحانى» بالراء المهملة وهو تصحيف .

(٢) مقياس النيل عمود رخام أبيض مثمّن فى موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه اليه ، وهذا العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعا ، كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسما متساوية تعرف بالأصابع ما عدا الأثنتى عشرة ذراعا الأولى فانها مفصلة على ثمانى وعشرين إصبعا لكل ذراع . (راجع المقريزى ج ١ ص ٥٩) .

(٣) كذا ورد فى الأصل ، ولم نعثر عليه فى المصادر التى بين أيدينا .

وفيها توفّى هَيّاج بن عُبَيْد بن الحسين أبو محمد الحِطّينىّ الزاهد — وحِطّين: قرية غربىّ طَبَرِيّة. ويقال: إن قبر شُعيب عليه السلام بها، وبنته صَفُورَاء زوجة موسى عليه السلام أيضا بها. وحِطّين بكسر الحاء المهملة وفتحها — . وكان هيّاج المذكور إماما زاهدا . سمِع الحديث و برع ، وجاور بمكّة وصار فقيه الحرم ومفتى مكّة . وكان يصوم يومًا و يفطر يومًا، ويأكل فى كلّ ثلاثة أيام مرّة، ويعتمر فى كلّ يوم ثلاث مرّات على قدميه . وأقام بالحرم[1] أربعين سنة لم يُحْدِث فيه، وكان يخرج إلى الحِلّ ويقضى حاجته. وكان يزور النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى كلّ سنة ماشيا، وكان يزور عبد الله بن عبّاس فى كلّ سنة مرّة بالطائف، ويأكل أكلة بالطائف وأخرى بمكّة، وما كان يدّخر شيئا، ولم يكن له غير ثوب واحد . وفيه قال بعضهم :

[الوفر]

أقول لمكّة ٱبتهجى وتيهى * على الدنيا بهيّاج الفقيهِ
إمامٌ طلّق الدنيا ثلاثا * فلا طَمَعٌ لها من بعدُ فيه

وكان سبب موته أنّ بعض الرافضة شكا إلى صاحب مكّة محمد بن أبى هاشم، قال : إنّ أهل السُّنة يستطيلون علينا بهيّاج، وكان صاحبُ مكّة المذكورُ رافضيًا خبيثا، فأخذه وضربه ضربًا عظيما على كِبَرِ سنّه، فبقِى أيّاما ومات، وقد نيّف على الثمانين سنة ، ودُفِن إلى جانب الفُضَيْل بن عِياض، رحمة الله عليهما . ولمّا مات قال بعض العلماء : لو ظفرت النصارى بهيّاج لما فعلوا فيه ما فعله به صاحب مكة هذا الخبيث ! . قلت : وهم الآن على هذا المذهب سوى أنّ الله تعالى قمعهم بالدولة التركيّة ونصر أهلَ السنّة عليهم ، وجعلهم رعايا ليس لهم بمكّة الآن غيرُ مجرد الاسم .

(١) كذا فى شذرات الذهب . وفى الأصل : « بالحرمين » .

وفيها توفّى الحسن بن عبد الرحمن أبو علىّ الفقيه المكىّ الشافعىّ فى ذى القعدة، وكان من الفضلاء .

وفيها توفّى أبو عبد الله يحيى بن أبى مسعود عبد العزيز بن محمد الفارسىّ بهَرَاة فى شوّال، وكان إماما فقيها نحويّا محدّثا .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم لم يحرّر،(1) فإنّه زاد فى بؤونة خمس أذرع، ثم نقص ثلاثَ أذرع؛ ولم يزد إلى ثانى عشرين أبيب . وفتح الخليج فى عشرين مسرى والماء على تسع عشرة إصبعا من ستّ عشرة ذراعا . وكثرت زيادته فى توت، وآنتهى إلى خمس عشرة ذراعا وثمانى عشرة إصبعا ، ثم نقص فى ثانى بابة .

⁂

السنة السادسة والأربعون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة .

فيها وصل السلطان مَلِكْشَاه السَّلْجوقىّ إلى الرَّىّ لقتال آبن عمّه سلطان شاه بن قاوِرْد بك؛ فخرج إليه سلطان شاه مستأمنًا وقبّل الأرض بين يديه . فقام السلطان ملكشاه له وأجلسه بجانبه وتحالفا وزوّجه آبنته ، وعاد السلطان ملكشاه إلى أصبهان .

(1) الذى فى درر التيجان نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦٠٥ تاريخ : «الماء القديم خمس أذرع وثمانى أصابع . مبلغ الزيادة فى تلك السنة سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع» .

وفيها ملك جلال الملك أبو الحسن بن عمّار قاضي طرابلس وصاحبها حصنَ جَبلة[١]. وكان آبن عمّار هذا قاضي طرابلس وصاحبها، غلب على تلك البلاد سنين، وعجَز بدر الجمالىّ أمير الجيوش عن مقاومته.

وفيها عزل المقتدى بالله العباسىّ وزيرَه عميد الدولة وآستوزر أبا شجاع[٢] محمد آبن الحسين الرُّوذْرَاوَرِىّ[٣]، وكان صالحا عفيفا ديّنا. فهجاه الموصلىّ فقال:

[الكامل]

ما آستبدلوا آبن جَهير[٤] فى ديوانهم * بأبى شُجَاعَ لِرفعـةٍ وجـلالِ
لكنْ رأَوه أشحَّ أهـلِ زمانه * فآسـتوزروه لحفظ بيتِ المـالِ

وفيها تُوفّى محمد بن الحسين بن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الشِّبْلِىّ أبو علىّ الشاعر البغدادىّ، كان شاعرا مجيدا، ومات فى المحرّم. ومن شعره: [الكامل]

لا تُظْهِرنّ لعـاذلٍ أو عاذرٍ * حالَيْـكَ فى السرّاء والضرّاءِ
فلرحمةِ المتوجّعيـن مرارةٌ * فى القلب مثلُ شماتة الأعداء

---

(١) فى معجم البلدان: «وجبلة: قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقيـة - قال أحمـد بن يحيى بن جابر: لما فرغ عبادة بن الصامت من اللاذقية فى سنة ١٧ هـ، وكان قدسيره اليها أبو عبيدة بن الجراح ... ... ولم تزل بأيديهم إلى سنة ٤٧٣ هـ فإن القاضى أبا محمد عبدالله بن منصور ابن الحسين التنوخى المعروف بابن صليحة قاضى جبـلة وثب عليها وآستعان بالقاضى جلال الدين (كذا) ابن عمار صاحب طرابلس فتقوى به على من بها من الروم فأخرجهم منها ونادى بشعار المسلمين. وآنتقل من كان بها من الروم الى طرابلس فأحسن ابن عمار اليهم، وصار الى ابن صليحة منها مال عظيم القدر... » هـ.
(٢) كان رجلا دينا خيرا كثير الخير والبر والصـدقة، كان يصلى الظهر ويجلس لكشف المظالم لوقت العصر. ولما ترك الوزارة تزهـد ولبس ثياب القطن وتوجه الى الحج وأقام بمدينة الرسول صلوات الله عليه وسلامه، فكان يكنس المسجد النبوى ويفرش الحصر ويشعل المصابيح وعليه ثوب غليظ وبدأ يحفظ القرآن وختمه هناك. ومات — رحمه الله — سنة ثلاث عشرة وخمسمائة. (راجع الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢٤٤). (٣) الروذراورى (بضم الراء وسكون الواو والذال المعجمة وفتح الراء والواو بينهما ألف): نسبة الى روذراور، بليدة بنواحى همذان. (٤) ابن جهير، هو عميد الدولة محمد بن محمد بن محمد بن جهير.

وفيها تُوُفّى محمد بن سلطان بن محمد بن حَيُّوس الأمير الشاعر. كان أحد شعراء الشاميّين وفحولهم المجيدين، وكان له ديوان شعر. ومات بدمشق فى شعبان وقد جاوز الثمانين سنة. وأنشد له ابن عساكر قصيدة أولها: [الطويل]

أسُكّان نَعمان الأراك تيقّنوا * بأنكمُ فى ربع قلبىَ سُكّانُ

وفيها تُوفّى علىّ بن محمد بن علىّ أبو كامل الصُّلَيْحىّ الخارج باليمن. قال ابن خَلّكان: كان أبوه قاضيا باليمن سُنّىّ المذهب، ثمّ ذكر عنه فضيلة وأشياء أُخر تدُلّ على أنّه كان رافضيّا خبيثا، إلى أن قال: ثمّ إنه صار يحجّ بالناس على طريق السّراة (٢) والطائف خمس عشرة سنة. انتهى كلام ابن خلّكان. قلت: وتغلّب على اليمن حتّى ملكه، وجعل كرسىّ مُلْكه بصنعاء، وبنى عدّة قصور، وطالت أيامه، ودخل سنة خمس وخمسين وأربعمائة إلى مكّة واستعمل الجميل مع أهلها، ورَخُصت الأسعار، وأحبّه الناس لتواضع كان فيه. ودخل معه مكّة زوجته (٣) الحرّة التى كان خُطِب لها على منابر اليمن، وأقام بمكّة شهرا ثمّ رحل. وكان يركب فرسا بألف دينار، وعلى رأسه العصائب. وإذا رَكِبت زوجته الحرّة ركبت فى مائتى جارية بالحُلِىّ والجواهر، وبين يديها الجنائبُ بالسروج الذهب.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وإحدى وعشرون أصبعا. وفُتِح الخليج فى خامس توت والماء على خمس عشرة إصبعا من ستّ عشرة ذراعا. وكان الوفاء فى خامس عشرين توت. وكان مبلغ الزيادة فى هذه السنة ستّ (٤) عشرة ذراعا وخمس عشرة إصبعا. ونقص فى ثالث بابة.

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٨ من هذا الجزء. (٢) السراة: الجبل الذى فيه طرف الطائف إلى بلاد أرمينية. (راجع معجم البلدان لياقوت ج ٣ ص ٦٥). (٣) هى أسماء بنت شهاب، كما فى وفيات الأعيان وعقد الجمان. (٤) كذا فى الأصل. وفى كنز الدرر ودرر التيجان: «سبع عشرة ذراعا».

* * *

السنه السابعة والأربعون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة أربع وسبعين وأربعمائة .

فيها تُوُفّى داود ولد السلطان مَلِكْشاه السَّلْجوقىّ فى يوم الخميس حادى عشرين ذى الحجة بأصبهان، وحزِن عليه والده مِلكشاه حزنًا جاوز الحدّ، وفعَل فى مُصابه ما لم يُسمع بمثله، ورام قتلَ نفسه دَفَعات وخواصُّه تمنعه من ذلك، ولم يُمكِّن من أخذه وغسله لقلّة صبره على فراقه، حتّى تغيّر وكادت رائحته تظهر، فحينئذ مَكَّن منه . وآمتنع عن الطعام والشراب . وآجتمع الأتراك والتُّرْكمان فى دار المملكة وجزّوا شعورَهم، وآقتدى بهم نساءُ الحواشى والحشم والأتباع والخدم، وجُزّت نواصى الخيول وقُلِبت السروج، وأُقيمت الخيول مُسَوّدات، وكذا النساء المذكورات؛ وأقام أهل البلد المأتم فى منازلهم وأسواقهم . وبقِيت الحال على هذا سبعة أيام، حتى كلّمه أرباب الدولة فى منع ذلك؛ وأرسل إليه الخليفة يحثّه على الجلوس بالديوان .

وفيها سار تُتُش صاحب دمشق فآفتتح أَنْطَرْطُوس[1] وغيرها .

وفيها أخذ شرف الدولة صاحب الموصل حَرّان[2] من بنى وثّاب النُّمَيْرِيّين، وصالحه صاحب الرُّهاء وخُطِب له بها .

وفيها تملّك الأمير سديد الملك[3] أبو الحسن علىّ بن مُقَلَّد بن نصر بن مُنقِذ الكِنانىّ حصن شَيْزَر، وآنتزعه من الفرنج، بعد أن نازلها وتسلّمها بالأمان وبمال

(١) أنطرطوس : بلد من سواحل بحر الشام، وهى آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية، وأول أعمال حمص (راجع معجم البلدان لياقوت) . (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٣٥ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٣) كذا فى ابن خلكان وعقد الجمان . وفى الأصل : «سديد الدولة» .

للأسقف. فلم تزل شَيْزَر بيده و بيد أولاده إلى أن هدمتها الزلزلة وقتلت أكثر من كان بها؛ فعند ذلك أخذها السلطان الملك العادل نور الدين محمود الشهيد وأصلحها وجدّدها. وأمّا سديد الملك فلم يَحْىَ بعد أن تملّكها إلّا نحو السنة ومات. وكان شجاعا فارسا شاعرا. وملكها بعده آبنه أبو المرهف نصر.

وفيها تُوفّى سليمان بن خلف بن سعد بن أيّوب بن وارث الإمام أبو الوليد التُّجيبى القُرْطُبى الباجى صاحب التصانيف. أصله بَطَلْيُوسى[1]، وآنتقل آباؤه إلى باجة، وهى مدينة قريبة من إشبِيلِيَة. ووُلِد فى ذى القعدة سنة ثلاث وأربعمائة. ورحل البلاد وحجّ وسافر إلى الشام و بغداد، وسمِع بهما الكثير. قال القاضى عِياض: وولى قضاء مواضع من الأندلس، وذكر مصنّفاته وأثنى على علمه وفضله.

وفيها تُوفّى نور الدولة دُبَيْس بن علىّ بن مَزْيَد أبو الأغرّ صاحب الحِلّة[2]. عاش ثمانين سنة، كان فيها أميرا نيّفا وستّين سنة؛ وكان الطبول تُضرب على بابه فى أوقات الصلوات، وكان جَوّادا ممدّحا، كان مَحَطّ رِحال الرافضة — أخزاهم الله — وملك بعده آبنه أبو كامل بهاء الدولة منصور.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وثمانى عشرة إصبعا. وفُتح الخليج فى خامس عشرين مسرى، والماء على ثمانى عشرة إصبعا من ستّ عشرة ذراعا. وكان الوفاء أوّل أيّام النسىء. وبلغ ثمانى عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا. ونقص فى ثالث بابة.

---

(١) بطليوسى: نسبة إلى بطليوس، مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربى قرطبة. (عن معجم البلدان لياقوت).

(٢) الحلة: يراد بها حلة بنى مزيد، وهى مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد، كانت تسمى الجامعين. (عن معجم البلدان لياقوت).

*
* *

السنة الثامنة والأربعون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة خمس وسبعين وأربعمائة .

فيها شفع أُرْتُق بك إلى تاج الدولة تُتُش صاحب الشام فى مسمار الكلبىّ فأفرج عنه، وسار الأمير أرتق بك إلى القدس .

وفيها فتح آبن قُتُلْمِش حصن أَنْطَرْطُوس من الروم، و بعث إلى آبن عمّار قاضى طرابلس وصاحبها يطلب منه قاضيا وخطيبا .

وفيها سار مسلم بن قُرَيش صاحب حلب إلى دِمَشق وحصر بها صاحبها تُتُش، ثم عاد عنها ولم يظفَر بطائل .

وفيها تُوفّى آبن ماكولا علىّ بن هبة الله بن علىّ بن جعفر بن علكان بن محمد ابن دُلَف ابن الأمير أبى دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن مَعْقِل العِجْلىّ . وعِجل : بطن من بكر بن وائل من أَمَة ربيعة أخى مضر آبنى نِزار بن مَعَدّ بن عدنان . قال شِيرَوَيْه فى طبقاته : وكان يُعرف بالوزير سعد الملك بن ماكولا، ووُلِد بعُكْبَرا فى سنة إحدى وعشرين وأربعمائة فى شعبان، وكنيته أبو نصر . قال صاحب مرآة الزمان : «الأمير الحافظ أبو نصر العجلىّ» . قال أبو عبد الله الحُمَيْدىّ (١) : ما راجعت الخطيب فى شىء إلّا وأحالنى على كتاب (٢) وقال : حتّى أبصره، وما راجعت أبا نصر آبن ماكولا فى شىء إلّا وأجابنى حفظًا، كأنّه يقرأ من كتاب . قلت : وهو الذى صنّف عن أوهام الخطيب كتابا سماه «مستمرّ الأوهام» . ومات فى هذه

---

(١) سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٤٨٨ هـ . (٢) كذا فى مرآة الزمان . وفى الأصل : «على الكتاب» وهو تحريف .

السنة . وقيل سـنة تسع وسبعين ، وقيل سنة سبع وثمانين . ومن شعره — رحمه الله — : [الطويل]

ولمّا توافينا تباكت قلوبُنا * فممسكُ دمع يوم ذاك كَسَاكِبِهْ

فيا كبدى الحَرّى آلبَسِى ثوب حسرةٍ * فِراقُ الذى تَهْوَيْنَه قـد كساكِ بِه

وفيها تُوفّى محمد بن أحمد بن عيسى[1] الإمام أبو بكر السّمسار . مات فى شوّال . كان إماما فاضلا بارعا، سمع الحديث وبرع فى فنون .

وفيها وقع الطاعون ببغداد ثم بمصر وما والاهما، فمات فيه خلق كثير .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثمانى عشرة ذراعا . ثم زاد حتّى كان مبلغ الزيادة فى هذه السنة خمس عشرة ذراعا وعشر أصابع . ثم نقص فى خامس بابة .

***

السنة التاسعة والأربعون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة ستّ وسبعين وأربعمائة .

فيها عَزَل المقتدى بالله العباسىّ عميدَ الدولة عن الوزارة .

وفيها سلّم آبن صقيل قلعة بعلبكّ إلى تاج الدولة تُتُش صاحب الشام ، وكان مقيما فيها من قِبَل المستنصر العُبَيْدىّ صاحب الترجمة، وكان ذلك فى صفر .

وفيها عزم تُتُش صاحب دمشق على مصاهرة أمير الجيوش بدر الجمالىّ وزير مصر وصاحب عَقْدها وحَلّها [على آبنته][2]، فأشار آبن عمّار قاضى طرابلس وصاحبها على تُتُش بألّا يفعل، فثنى عزمه عن ذلك .

---

(١) فى شذرات الذهب : « محمد بن أحمد بن على السمسار أبو بكر » .

(٢) زيادة عن مرآة الزمان .

وفيها تُوفّى سلطان شاه بن قاورد بك بن داود بن ميكائيل السَّلْجوقىّ صاحب كَرْمان وابن عمّ السلطان مَلَكْشاه ؛ فقدمت أمّه على ملكشاه بهدايا وأموال، فأكرمها وأقرّ ولدها الآخر مكانه .

وفيها تغيّرت نيّة السلطان ملكشاه على وزيره نظام الملك، ثمّ أصلح نظامُ الملك أمره معه .

وفيها تُوفّى إبراهيم بن علىّ بن يوسف أبو إسحاق الفَيْروزاباذىّ الشيرازىّ الشافعىّ . وُلِد سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة، وتفقّه بفارس على أبى عبد الله البيضاوىّ[1]، وببغداد على أبى الطّيب الطَّبَرِىّ . وسمع الحديث، وكان إماما فقيها عالما زاهدا . ولما قدِم خُراسان فى الرسالة تلقّاه الناس وخرجوا إليه من نَيْسابور، فحمل إمام الحرمين أبو المعالى الجُوَيْنىّ غاشيته[2] ومشى بين يديه كالخدم وقال : أنا أفتخر بهذا[3]. قال أبو المظفر فى المرآة : وما عِيب عليه شىء إلّا دخوله النِّظَامية[4]، وذكره الدروس

(١) كذا فى وفيات الأعيان والبداية والنهاية لابن كثير وعقد الجمان وطبقات الشافعية ، وهو محمد ابن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الحسين بن موسى البيضاوى . وفى الأصل : « ... على أبى الفرج بن البيضاوى » وهو خطأ . (٢) الغاشية : الغطاء من استغشى بثوبه وتغشى : تغطى . (٣) كذا فى مرآة الزمان . وفى الأصل : « ... أفتخر بها » . (٤) هى المدرسة النظامية التى أنشأها أبو على الحسن بن على بن إسحاق بن العباس الملقب نظام الملك قوام الدين الطوسى سنة سبع وخمسين وأربعمائة هـ، وفى سنة ٤٥٩ هـ جمع الناس على طبقاتهم ليدرس بها الشيخ أبو إسحاق الشيرازى — رحمه الله تعالى — فلم يحضر، فذكر الدرس أبو نصر بن الصباغ صاحب الشامل عشرين يوما ثم جلس الشيخ أبو إسحاق بعد ذلك، وكان إذا حضر وقت الصلاة خرج منها وصلى فى بعض المساجد، وكان يقول : بلغنى أن أكثر آلاتها غصب (عن ابن خلكان) .

[بهـا][1] ، لأنّ حاله فى الزهد والورع خلاف ذلك . ثم ساق له أشعارا كثيرة . منها فى غريق فى المـاء : [الطويل]

غريقٌ كأنّ المـوت رقّ لأخذه * فلَانَ له فى صـورة المـاء جانبُهْ
أبى الله أن أنساه دهرى فإنّه * توفّاه فى المـاء الذى أنا شاربُهْ

وله : [الوافر]

سالت النـاس عن خِلٍّ وفىٍّ * فقالوا ما إلى هـــذا سـبيلُ
تمسّكْ إن ظفِــرتَ بودّ حرّ[2] * فإنّ الحـــرّ فى الدنيا قليــل

وكانت وفاته ببغداد من الجانب الشرقى .

وفيها توُفّى محمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل أبو طاهر بن أبى الصقر[3] الأنبارىّ ، كان محدّثا فاضلا ثقة صدوقا صاحب صيام وقيام . وله شعر . وأنشـد لابن الرومىّ : [الكامل]

يا دهر صافيتَ اللئام مواليًـا * أبدا وعاديت الأكارم عامدا
فغَدرت كالميزان ترفع ناقصًـا * أبدا وتخفض لا محالة زائدا

§ أمر النيل فى هذه السنة ــ المـاء القديم خمس أذرع وسبع عشرة إصبعا . وفتح الخليج فى ثانى النسىء . وكان الوفاء فى ثامن توت . وكان مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وتسع أصابع . ونقص فى تاسع بابة .

***

السنة الخمسون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة سبع وسبعين وأربعمائة .

---

(١) زيادة عن مرآة الزمان . (٢) رواية ابن خلكان : «بذيل حر» . (٣) كذا فى شذرات الذهب ومرآة الزمان وشرح قصيدة لامية فى التاريخ . وفى الأصل : «ابن أبى الأصفر» بالفاء ، وهو تحريف .

فيها بنى أمير الجيوش بدر الجمالىّ جامع العطّارين[١] بالإسكندرية . وسببه أنّ ولد بدر الجمالىّ عصى عليه وتحصّن بالإسكندرية . فسار إليه أبوه بدر الجمالىّ حتى نزل على الإسكندرية وحاصرها شهرا حتّى طلب أهلها الأمان وفتحوا له الباب، فدخلها وأخذ آبنه أسيرا ثم بنى هذا الجامع .

وفيها تُوفّى عبد السعيد بن محمد بن عبد الواحد أبو نصر بن الصبّاغ الفقيه الشافعىّ . وُلد سنة أربعمائة، وتفقّه وبرَع حتّى صار فقيه العراق، وكان يُقدّم على أبى إسحاق الشيرازىّ فى معرفة مذهبه . وصنّف الكتب فى الفقه، منها: «الشامل» و «الكامل» و «تذكرة العالم» و «الطريق السالم» . وولى تدريس النِّظاميّة قبل أبى إسحاق عشرين يوما . ومات فى جُمادى الأولى .

وفيها تُوفّى مسلم بن قُرَيْش بن بَدْران الأمير أبو البركات شرف الدولة أمير بنى عُقَيل صاحب الموصل والجزيرة وحلب . وزوّجه السلطان ألْب أرْسلان السلجوقى أخته . وكان شجاعا جَوّادا ذا همّة وعزم، احتاج إليه الخلفاء والملوك والوزراء، وخُطب له على المنابر من بغداد إلى العواصم والشام . وأقام حاكما على البلاد نيّفا وعشرين سنة . ولمّا مدحه آبن حَيُّوس بقصيدته التى أوّلها :

[الكامل]

ما أدرك الطَّلِبات[٢] مثلُ مصمِّمٍ * إن أقدمت أعداؤه لم يُحجِمِ

فأعطاه الموصل جائزة له، فأقامت فى حكمه ستة أشهر . وقُتل مسلم هذا فى وقعة كانت بينه و[بين سليمان بن][٣] قُتُلْمِش فى هذه السنة .

---

(١) جامع العطارين لا يزال موجودا حتى الآن (سنة ١٣٥٣ هـ)، وهو واقع فى الميدان الذى يتقابل فيه شارع الملك فؤاد بشارعى مسجد العطارين وسيدى المتولى بمدينة الإسكندرية .

(٢) كذا فى هامش الأصل وديوانه ومرآة الزمان . وفى الأصل : «الطيبات» . (٣) تكملة عن ابن الأثير وعقد الجمان ومرآة الزمان .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعا. وفُتح الخليج فى رابع عشرين مسرى، والمـاء على آثنتى عشرة إصبعا من ست عشرة ذراعا . وكان الوفاء آخر أيام النسىء . ووقف مدّة ثم نقص فى العشرين من توت بعد ما بلغ سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا .

*
* *

السنة الحـادية والخمسون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سـنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

فيهـا وقـع طاعون عظيم بالعراق ثم عمّ الدنيا ؛ فكان الرجل قاعدا فى شـغله فتثور به الصفراء فتصرَعه فيموت من وقته . ثم هبّت ريح سوداء ببغداد، أظلمت الدنيا ، ولاحت نيران فى أطراف السماء وأصوات هائلة، فأهلكت خلقا كثيرا من الناس والبهائم . فكان أهل الدرب يموتون فيسدّ الدرب عليهم . قاله صاحب مرآة الزمان — رحمه الله — .

وفيها آتفق جماعة بمصر مع ولد أمير الجيوش بدر الجمالىّ على قتل والده وينفردَ الولد بالملك ، ففطن به أبوه فقتل الجماعة وعفّى أثر ولده، ويقال : إنّه دفنه حيّا ؛ وقيل : غرّقه، وقيل : جوّعه حتى مات . وكان بدر الجمالىّ أرمنىّ الجنس، فاتكا جبّارا، قتل خلقا كثيرا من العلماء وغيرهم، وأقام الأذان : «حىّ على خير العمل»، وكبّر على الجنائز خمسا، وكتب سبّ الصحابة على الحيطان. قلت: وبالجملة إنّه كان من مساوئ الدنيا، جزاه الله. وغالب من كان بمصر فى تلك الأيام كان رافضيّا خبيثا بسبب وُلاة مصر بنى عُبيد إلّا من ثبّته الله تعالى على السنّة .

وفيها تُوفّى أحمد بن الحسن(١) بن محمد بن إبراهيم أبو بكر سبط ابن فُورَك وخَتَن أبي القاسم القُشَيرىّ على ٱبنته، وكان يَعظ فى النِّظَاميّة، وكان قبيح السِّيرة .

وفيها تُوفّى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالى الجُوَيْنىّ الفقيه الشافعىّ المعروف بإمام الحرمين . وجُوَيْن : قرية من قرى نيسابور . وُلِد سنة سبع عشرة وأربعمائة . وتفقّه على والده فأُقعِد مكانه وله دون العشرين من العمر، فأقام الدرس، وسَمِع بالبلاد، وحجّ وجاور، ثم عاد إلى نيسابور، ودرّس بها ثلاثين سنة، وإليه المنبر والمحراب، ويجلس للوعظ، وتخرج به جماعة، وصنّف «نهاية المطلب [(٢)فى رواية المذهب]» . وصنّف فى الكلام الكتب الكثيرة : «الإرشاد» وغيره . قال صاحب مرآة الزمان : وقال محمد بن علىّ تلميذ أبى المعالى الجُوَينىّ : دخلت عليه فى مرضه الذى مات فيه وأسنانه تتناثر من فيه ويسقط منها الدود، لا يُستطاع شمُّ فيه؛ فقال : هذه عقوبة ٱشتغالى بالكلام فٱحذَروه! وكانت وفاته ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من شهر ربيع الأوّل عن تسع وخمسين سنة .

وفيها تُوفّى محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الوليد أبو علىّ المتكلّم المعتزلىّ شيخ المعتزلة والفلاسفة والداعية إلى مذهبهم . وهو من أهل الكَرْخ، وكان يُدرّس هذه العلوم، فٱضطرّه أهل السّنة إلى أنّه لزم بيته خمسين سنة لا يتجاسر أن يظهر . ومات فى ذى الحجة .

وفيها تُوفّى محمد بن علىّ بن محمد بن الحسن بن عبد(٣) الملك بن عبد الوهّاب بن حَمّويه، الإمام أبو عبد الله الدّامَغانىّ القاضىّ الحنفىّ . وُلِد بالدامَغان فى شهر ربيع الآخر

(١) كذا فى الأصل والمنتظم . وفى مرآة الزمان : «أحمد بن الحسين» . وفى عقد الجمان والبداية والنهاية : «أحمد بن محمد بن الحسن» . (٢) التكلة عن وفيات الأعيان وكشف الظنون والمنتظم وشذرات الذهب . (٣) فى الأصل : «ابن عبد الله» . والتصويب عن المنتظم وشذرات الذهب ومرآة الزمان وعقد الجمان والبداية والنهاية لابن كثير .

سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، وتفقّه ببلده ، ثم قدم بغداد وتفقّه أيضا بالصَّيْمَرِىّ والقُدُورِىّ ، وسَمِع منهما الحديث ، وبرَع فى الفقه ، وخُصّ بالفضل الوافر والتواضع الزائد ، وآرتفع وشيوخه أحياء ، وآنتهت إليه رياسة المذهب فى زمانه . وكان فصيح العبارة مليح الإشارة غزير العلم سهل الأخلاق معظّما عند الخلفاء والملوك . وولى قضاء القُضَاة ببغداد سنة سبع وأربعين ، وصار رأس علماء عصره فى كلّ مذهب . وحسُنت سيرته فى القضاء حتّى أقام فيه ثلاثين سنة . ومات ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر رجب . وكانت جنازته عظيمة ، نزَع العلماء طَيَالِسَتهم ومشَوْا فيها ، وكثُر أسف الناس عليه . رحمه الله تعالى .

وفيها تُوفّى منصور بن دُبَيْس بن علىّ بن مَزْيَد الأمير الرافضىّ أبو كامل بهاء الدولة صاحب الحِلّة . مات فيها فى شهر رجب ، وكانت ولايته ستّ سنين . وقام بعده ولده سيف الدولة صَدَقة . قلت : والجميع رافضة ، كلّ واحد أنجس من الآخر ، عاملهم الله بما يستحقّونه .

وفيها تُوفّى هِبَة الله بن عبد الله بن أحمد أبو الحسن السِّيبِىّ[1] البغدادىّ . سَمِع الحديث وتفقّه ، وكان أديبا شاعرا فصيحا . مات فى المحرّم . ومن شعره :

[المتقارب]

رجوتُ الثمانين من خالقى * لِمَا جاء فيها عن المصطفى

فبلَّغنيها وشكرًا له * وزاد ثلاثا بها أردفا

وهأنا منتظِرٌ وعده * ليُنْجِزه فهو أهل الوفا

---

(١) السيبى : نسبة الى السيب ، كورة من سواد الكوفة .

وفيها تُوفّى يحيى بن محمد بن طَبَاطَبَا الشريف أبو المعمّر بقية[1] شيوخ الطالبيّين. كان هو وأخوه من نَسّابيهم، وكان فاضلا شاعرا فقيها فى مذهب الشّيعة . ومات فى شهر رمضان . وهو آخر من بقى من أولاد طَبَاطَبا بالعراق ولم يُعقب .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وسبع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة يأتى ذكره؛ لأنّ النيل لم يزد فى هـذه السنة إلى أوّل مسرى إلا ثلثى ذراع فقط ، ثم زاد فى ثانى عشرين مسرى أذرعا حتى صـار فى يوم النوروز على ثلاث عشرة ذراعا وستّ عشرة إصبعا . ثم نقص إصبعين ثم ثمانيا، ثم زاد فى خامس توت ستّ أصابع؛ وخرج الناس إلى الجبل وآستسقَوْا، فزاد حتّى بلغ ثلاث عشرة ذراعا وتسع عشرة إصبعا، ثم نقص سبع أصابع — وقيل: ثمانيا — ثم زاد فى عيد الصليب حتّى صار على أربع عشرة ذراعا وخمس عشرة إصبعا. ونقص تسع أصابع، ثم زاد فى أوّل بابة حتّى بلغ خمس عشرة ذراعا وخمس أصابع . وكان ذلك منتهى زيادته فى هذه السنة .

***

السنة الثـانية والخمسون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سـنة تسع وسبعين وأربعمائة .

فيها صاد السلطان مَلِكْشاه أربعة آلاف غزال — وقيل : عشرة آلاف وبنى بقرونها منارة سمّاها أمّ القرون .

وفيها تُوفّى ختلغ بن كتتكين[2] الأمير أبو منصور أمير الكوفة والحاج . ذمّه محمد ابن هلال الصابئ وذمّ سيرته فى تاريخه، إلّا أنّه كان شجاعا ، وله وقائع مع العرب

(١) كذا فى المنتظم ومرآة الزمان . وفى الأصل : «نقيب شيوخ الطالبيين» .
(٢) كذا فى مرآة الزمان والمنتظم وعقد الجمان . وفى الأصل : «ابن كيتكين» بالياء بدل النون .

فى البَرِّيَّة . وكان محافظا على الصلوات فى الجماعة، ويختم القرآن فى كلّ يوم، ويختصّ بالعلماء والقرّاء، وله آثار جميلة بطريق الحجاز والمشاهد والمساجد . ومكث فى إمارة الحاج آثنتى عشرة سنة .

وفيها قُتِل سليمان بن قُتُلْمِش، هو آبن عمة السلطان مَلِكْشاه السّلجوقىّ . كان أميرا شجاعا، فتح عدّة بلاد، وآخر مافتحه أنطاكِيَة، وكان قد حاصر حلب ورجع. وقُتِل مسلم بن قريش فى حربه؛ فجاءه تاج الدولة تُتُش والأمير أُرْتُق بك من دمشق، وآلتقَوْا معه وآقتتلوا فجاء سليمانَ هذا سهم فى وجهه فوقع عن فرسه ميتا ، فدُفِن إلى جانب مسلم بن قريش الذى قتِل فى محاربته قبل ذلك بأيام .

وفيهـا تُوفِّى علىّ بن فَضَّال بن علىّ أبو الحسن المغربىّ القَيْروانىّ . كان فاضلا أديبا، له نظم ونثر . ومات بغَزْنة فى شهر ربيع الأوّل . ومن شعره قوله : [السريع]

إن تُلْقِكَ الغُرْبَةُ فى معشر * قد أجمعوا فيك على بغضهم

فدَارِهم ما دمتَ فى دارِهم * وأرْضِهم ما دمتَ فى أرضهم

وفيها تُوفِّى علىّ بن المقلَّد بن نصر بن مُنْقِذ بن محمد بن مالك الأمير أبو الحسن الكِنانِىّ . كان بينه وبين آبن عمّار قاضى طرابُلس وصاحبها مودّة، وكان شجاعا فاضلا نحويّا لغويّا شاعرا، وكان صاحب شَيْزر وبها تُوفِّى . وتولّى شيزر بعده آبنه نصر بن علىّ . وكان له ديوان شعر مشهور . ومن شعره : [البسيط]

إذا ذكرتُ أياديك التى سلفت * وســوءَ فعــلى وزلّاتى ومُجْتَرَمِى

أكاد أقتــل نفســى ثم يمنعنى * علمى بأنّك مجبــول على الكرم

وفيهـا توفى أبو سعيد[(١)] أحمد بن محمد بن دُوسْت النيسابورىّ الفقيه المحـدّث الصوفىّ شيخ الشيوخ ببغداد .

(١) فى شذرات الذهب : « أبو سعد » .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ستّ أذرع وتسع عشرة إصبعا . وزاد فى نصـف بشنس ، ثم نقص نصـف ذراع ، ثم زاد فى أوانه حتى أوفى فى ثالث أيام النسىء . وكان مبلغ الزيادة فى هـذه السنة سبع عشرة ذراعا وخمس عشرة إصبعا .

***

السنة الثالثة والخمسون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سـنة ثمانين وأربعمائة .

فيها بعث تُتُش أخو السلطان ملكشاه يقول لأخيه : قد آسـتولى المصريّون على الساحل وضايقوا دمشق، وأسأل السلطان أن يأمر آق سُنْقُر و بوزان (١) أن يُنجدانى . فكتب ملكشاه إليهما أن ينجداه . وكان الأمير بوزان بالرّهاء وآق سنقر بحلب . وسبب ذلك أنّ أمير الجيوش بدرًا الجمالىّ لمـّا قوِى أمره بمصر، وصار هو المتحدّث عن المستنصر صاحب الترجمة بهـذه البلاد ، وآسترجع كثيرا ممـا كان ذهب من ممـالكهم، جهّز (٢) جيشا إلى الساحل . فعظُم ذلك على تُتُش صاحب دِمشق .

وفيها بنَى تاج الملك أبو الغنائم (٣) ببغداد المدرسـة التاجيّة بباب أَبْرَز (٤) وضاهى بها النِّظاميّة . قلت : ومن باب أبرز هذا أصل بنى البَارِزِى كُتّاب سرّ زماننا هـذا . كان جدّهم مسلم يسكن فى بغداد بباب أبرز المذكور ، ثم خرج من بغداد فى جفلة التتار إلى حلب فسمِّى الأبرزىّ، ثم خُفِّف فسمِّى البـارزىّ . ويأتى ذكر جماعة منهم فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

---

(١) كذا فى ابن الأثير وتاريخ ابن القلانسى . وفى الأصل : « قزان » . وفى هامش الأصل : « قران » . وفى مرآة الزمان : «تزان» (٢) فى الأصل : «بجهز» . (٣) هو المرزبان ابن خسرو فيروز المتولى لتدبير دولة ملكشاه بعد الوزير نظام الملك . (٤) باب أبرز — ويقال بيبرز — : محلة كانت ببغداد .

وفيها تُوفّى شافع بن صالح بن حاتم أبو محمد الفقيه الحنبلىّ[١] . كان إماما عالمـا ، تفقّه على أبى يَعْلَى ، ومات فى صفر ودُفن بباب حرب ، وكان صالحا زاهدا ثقة .

وفيها تُوفّى محمـد بن هلال بن المُحَسّن بن إبراهيم الصـابئ أبو الحسن الملقّب بغرس النعمة صاحب التاريخ المسمّى بـ«عيون التواريخ» ذيّله على تاريخ أبيه ، وأبوه ذيّله على تاريخ ثابت بن سِنان ، وثابت ذيّل على تاريخ محمد بن جرير الطَّبَرِىّ . وكان تاريخ الطبرىّ آنتهى إلى سـنة آثنتين أو ثلاث وثلثمائة . وتاريخ ثابت آنتهى إلى سنة ستين وثلثمائة . وتاريخ هلال آنتهى إلى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة . وتاريخ غرس النعمة هـذا آنتهى إلى سـنة تسع وسبعين وأربعمائة . وكان غرس النعمة هذا فاضلا أديبا مترسّلا ، وله صدقة ومعروف ، محترما عند الخلفاء والملوك والوزراء . وجدّ أبيـه إبراهيم الصابئ هو صاحب «الرسائل» فى أيام عضد الدولة بن بويه . وقد تقدّم ذكره فى محلّه من هذا الكتاب .

وفيها تُوفّى أمير المُلَثَّمِين[٢] بمَرّاكُش وغيرها من بلاد المغرب الأمير أبو بكر بن عمر . أصـله من ولد تاشفين . كان أميرا جليلا مجاهدا فى سبيل الله تعالى . ركب فى بعض غزواته فى خمسمائة ألف مقاتل من رجال الديوان والمُطَّوِّعة . وكان يُخطب فى بلاده للدولة العباسـيّة ، وكان يصـلّى بالناس الصلوات الخمس ، ويُقيم الحدود ، ويلبَس الصوف ، ويُنصف المظلوم ، ويَعدِل فى الرعيّة ، وكان بين رعيّته كواحد منهم . رحمه الله تعالى .

---

(١) فى عقد الجمان والمنتظم وشذرات الذهب : «الجيلى» .

(٢) فى الأصل : «أمير المسلمين» . والتصويب عن عقد الجمان والمنتظم ومرآة الزمان .

§ أمر النيـل فى هـذه السنة — المـاء القديم ستّ أذرع وخمس أصابع . وكان الوفاء فى آخر أيّام النسىء. وكان مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع أصابع . ونقص فى رابع بابة .

***

السنة الرابعة والخمسون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سـنة إحدى وثمانين وأربعمائة .

فيها تُوفّى أحمد بن محمد بن الحسن بن الخضر الحافظ أبو طاهر الجَواليقىّ والد أبى منصور موهوب . كان شيخا صالحا متعبِّدا، من أهل البيوتات القديمة ببغداد، وكان جدّه صاحب دنيا واسعة. ومات هو فجأة فى شهر رجب .

وفيها تُوفّى عبد الله بن محمد بن علىّ بن محمد بن مَتّ بن أحمد بن علىّ بن جعفر ابن منصور بن مَتّ الحافظ شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصارىّ الهروىّ. هو من ولد أبى أيّوب الأنصارىّ رضى الله عنـه . سمع الكثير وروى عنه جماعة . وكان إماما حافظـا بارعا فى اللغـة إمام وقتـه . قال المؤتمن : وكان يدخل على الأمراء والجبابرة فما كان يبالى بهم . ومات فى ذى الحجة وقد جاوز أربعا وثمانين سنة .

وفيها تُوفّى محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن ماجة أبو بكر الأبهَرىّ الأصبهانىّ الإمام العالم المشهور . مات بأصبهان عن خمس وتسعين سـنة، وقد انتهت إليـه رياسة العلم بها .

وفيها تُوفّى عثمان بن محمد بن عبيد الله أبو عمرو المَحْمِىّ[1] . مات فى صفر. وكان إماما عالمـا مفتنًا .

(١) المحمى كالمرمى : نسبة الى محم، جدّ . (راجع شذرات الذهب ولب اللباب وأنساب السمعانى) .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وسبع عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وأربع أصابع . فهلكت الزروع والغلّات والمخازن من كثرة الماء .

⁂

السنة الخامسة والخمسون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة .

فيها جهّز بدر الجمالىّ أمير الجيوش عسكرا من مصر مع نصير الدولة الجيوشىّ ، فنزل على صُورَ وبها القاضى عين الدولة بن أبى عقيل ، فسلّمها إليه لمّا لم يكن له به طاقة . وفتح نصير الدولة صَيْدَاء وعكّا. وكان لتُتُش بهذه البلاد ذخائر وأموال، فأخذها نصير الدولة المذكور، ثم نزل على بعلبكّ ، وجاءه ابن مُلاعب وخطب للمستنصر صاحب الترجمة (أعنى أنه دخل تحت طاعة المصريّين) . وبعث تُتُش إلى آق سُنْقُر و بوزان وقال لهما : هذه البلاد كان لى فيها ذخائر وقد أُخِذت ، وطلب منهما النجدة ، فبعثا له عسكرا .

وفيها تُوفّى طاهر بن بركات[(١)] بن إبراهيم الحافظ أبو الفضل القرشىّ الخُشُوعىّ . كان عظيم الشأن ، من أكابر شيوخ دمشق . قال ابن عساكر : سألت ولده إبراهيم ابن طاهر: لم سُمّيتم الخشوعيّين ؟ فقال : لأنّ جدّنا الأعلى كان يَؤُمّ الناس فمات بالمحراب . انتهى . وكانت وفاة طاهر هذا بظاهر دمشق . وكان ثقة صدوقا عالمـا .

وفيها توفى عاصم بن الحسن بن محمد بن على بن عاصم أبو الحسين . كان ظريفا أديبا شاعرا فصيحا حافظا للشعر .

---

(١) كذا فى شرح القاموس وتهذيب تاريخ ابن عساكر . وفى الأصل : « طاهر بن ركاب » . وهو تحريف .

وفيها تُوفّى علىّ بن أبى يَعْلَى بن زيد الشيخ أبو القاسم الدَّبُوسِىّ من أهل دَبُوسِيَة، وهى بلدة بين بُخَارَى وسَمَرْقَنْد . كان إماما عالما . أقدمه الوزير نظام الملك إلى بغداد للتدريس [فى] مدرسته النظاميّة . وكان عارفا بالفقه والجدل والمناظرة . ومات ببغداد فى شعبان .

وفيها تُوفّى أحمد بن محمد بن صاعد رئيس نيسابور وعالمها وقاضيها أبو نصر النيسابورىّ الحنفىّ . كان إمام وقته ووحيد دهره علما وزهدا وفضلا ورياسة وعفّة . انتهت إليه رياسة السادة الحنفيّة فى زمانه .

وفيها تُوفّى الشيخ الإمام أبو حامد أحمد بن محمد السَّرَخْسِىّ الشُّجَاعِىّ البَلْخِىّ الفقيه العالم المشهور . كان إماما عالما فاضلا، سمع الحديث الكثير وتفقّه وبَرَع فى فنون .

وفيها توفّى إبراهيم بن سعيد الحافظ أبو إسحاق النُّعْمانىّ مولاهم الحبّال . كان إماما فاضلا حافظا، سمع الكثير ورحَل البلاد وحدّث وسمع منه خلائق، ثم سكن مصر، وبها كانت وفاته، ومات وله تسعون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وثمانى عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وتسع أصابع .

* * *

السنة السادسة والخمسون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة .

فيها نزل تُتُش على حصن بَعْلَبَكّ[1] وبها آبن مُلاعب ومع تُتش آق سُنْقُر و بوزان فقاتلوه مدّة، وقالوا له : أنت توجّهت إلى مصر وخطبت للمستنصر . فلمّا أخافوه طلب الأمان فأعطَوْه، فنزل من القلعة وتوجّه إلى مصر، وملك تُتش بعلبكّ[2] . وأقام آبن ملاعب بمصر مدّة، وأحسن إليه المستنصر صاحب الترجمة، ثم عاد إلى الشام ودبّر الحيلة على حصن فامِيَة حتّى ملكه .

وفيها تُوفّى الشيخ الإمام علىّ بن محمد القَيْرَوَانِىّ. كان فقيها عالما شاعرا. ومن شعره — وأجاد إلى الغاية — : [الكامل]

ما فى زمانك ماجدُ * لو قـد تأمّلتَ الشواهدْ[3]
فآشهَدْ بصدْق مقالتى * أو لَا فكذِّبنى بواحد

قلت : لله دَرّه ! لقد عبّر عن زماننا هذا كأنّه قد رآه .

وفيها تُوفّى محمد بن محمد بن جَهِير الوزير أبو نصر فخر الدولة . أصله من المَوْصل وبها وُلِد، وقدِم ميّافارقين . وكتب للخليفة القائم بأمر الله العبّاسىّ يسأله أن يستوزره، فأجابه ثم نَقِم عليه ونفاه إلى الحِلّة ثم أعاده . ولما تولّى المقتدى الخلافة وزر له، ثم عُزِل ونُفِى، فمضى إلى السلطان مَلِكشاه وآنتمى إليه، وفتح له ديار بكر وأتحفه بالأموال . ثم تغيّر عليه السلطان ، فآستأذن فى الإقامة بالموصـل فأذن له ، فتوجّه إليه فلم يُقِم به إلّا اليسير، ومرِض ومات ودُفِن بالموصل . وكان سخيّا كريما شجاعا مدبّرا عارفا .

---

(١) الذى فى مرآة الزمان : « نزل تتش على حمص وفيها ابن ملاعب » .
(٢) فى مرآة الزمان : « حمص » .
(٣) كذا فى مرآة الزمان . وفى الأصل :
* لو قد تأملت المشاهد *

وفيها تُوفّى الشيخ المُسْنِد أبو الحسين[1] عاصم بن الحسن العاصمىّ الكَرْخىّ . كان إماما محدّثا، سمع الكثير وروَى عنه خَلْق كثير، وكان أديبا شاعرا ثقةً .

وفيها تُوفّى الحافظ أبو نصر عبد العزيز بن محمد بن علىّ التِّرْيَاقِىّ[2] . مات بمدينة هَرَاة وله أربع وتسعون سنة . وكان عالمــا محدّثا فقيها فاضلا .

وفيها تُوفّى الشيخ الإمام العارف بالله أبو بكر محمد بن إسماعيل التَّفْلِيسِىّ الصوفىّ النَّيْسابورىّ . مات فى شوّال بنيسابور ، وكان إماما محدّثا فقيها صوفيّا معدودًا من أعيان الصوفيّة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وست وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثمـانى عشرة ذراعا سواء .

***

السـنة السابعة والخمسون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سـنة أربع وثمانين وأربعمائة .

فيهـا فى صفر كتب الوزير أبو شجاع إلى الخليفة يُعرّفه بآستطالة أهل الذمّة على المسلمين، وأنّ الواجب تمييزهم عنهم؛ فأمره الخليفة أن يفعل ما يراه . فألزمهم الوزير بلُبْس الغِيَار[3] والزّنانير وتعليق الدراهم الرّصاص فى أعناقهم مكتوب على الدراهم [ذمىّ][4]، وتجعل هـذه الدراهم أيضـا فى أعناق نسائهم فى الحمّامات ليُعرفن بهـا، وأن يَلْبَسْن الخفاف فردًا أسود وفردًا أحمر ، وجُلْجُلًا فى أرجلهنّ . فذلّوا وآنقمعوا

(١) تقدمت وفاته فى السنة الماضية . (٢) التِّرياقى : نسبة الى ترياق من قرى هراة .
(٣) الغيار (بالكسر) : علامة أهل الذمة . (٤) زيادة عن المنتظم .

بذلك . وأسلم حينئذ أبو سـعد بن المُوصَلايا[١]، كاتب الإنشاء للخليفة وآبن أختـه[٢] أبو نصر هبة الله .

وفيهـا فى جُمادى الأولى قدِم أبو حامد الطُّوسِىّ الغزالىّ إلى بغـداد مدرّسا بالنظاميّة ومعه توقيع نظام الملك .

وفيهـا وقع بالشام زلزلة عظيمة ووافق[٣] ذلك تشرين الأوّل، وخرج الناس من دورهم هاربين ، وآنهدم معظم أنطاكيَة ووقع من سـورها نحو من تسعين بُرْجا .

وفيها نزل آق سُنْقُر على فاميَة فأخذها من آبن ملاعب .

وفيهـا فى شهر رمضان خرج توقيع الخليفة المقتـدى بالله العبّاسىّ بعزل الوزير أبى شجاع من الوزارة؛ وكان له أسـباب ، منها أنّ نظام الملك وزير السلطان ملكشاه السلجوقىّ كان يسعى عليه لآبنه . فلمّا أتاه الخبر بعزله قام من الديوان ولم يتأثر؛ وأنشد : [الوافر]

تولّاها وليس له عـدوّ * وفارقها وليس له صديق

وفيها حاصر تُتُش أخو السلطان ملكشاه طَرَابُلُس ومعه آق سنقر وبوزان وبها قاضيها، وهو صاحبها، وآسمه جلال الملك بن عمّار، ونصب عليها المجانيق. فآحتجّ عليهم آبن عمّار بأن معه منشورَ السلطان ملكشاه بإقراره على طرابُلُس؛ فلم يقبل منه تُتش ذلك، وتوقّف آق سـنقر عن قتاله . فقال له تُتش : أنت تَبَع لى، فكيف تخالفنى فقال : أنا تبع لك إلّا فى عصيان السلطان . فغضب تاج الدولة تُتش

(١) قال ابن خلكان — بعد أن ضبطه بالعبارة — : « وهو من أسماء النصارى » . وسيذكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٤٩٧ هـ . (٢) كذا فى ابن خلكان والمنتظم . وفى الأصل : «ابن أخيه» وهو تصحيف . (٣) كذا فى مرآة الزمان . وفى الأصل : « ورافع ذلك » .

ورجع إلى دِمَشق، ومضى آق سُنْقُر إلى حلب، ومضى بوزان إلى الرُّهَاء (أعنى كلّ واحد إلى بلده) .

وفيها ملك يوسف بن تاشفين الأندلُس ونفى ٱبنَ عَبّاد عنها .

وفيها تُوفّى محمد بن أحمد بن علىّ بن حامد أبو نصر المَرْوَزِىّ . كان إماما فى القراءات ، وصنّف فيها التصانيف ، وٱنتهت إليه الرياسة فيها . وكانت وفاته فى ذى القعدة .

وفيها توفّى محمد بن علىّ بن محمد أبو عبد الله التَّنُوخىّ الحلبىّ ، ويُعرف بٱبن العظيمىّ(١) . كان إماما شاعرا فصيحا بليغا . ومن شعره قوله : [البسيط]

يلقى العِدا بجَنَان ليس يُرعِبُه * خَوْضُ الحِمام ومتنٍ ليس يَنْقَصِمُ
فالبِيضُ تُكسر والأوداج دامِيةٌ * والخيل تَعْرِمُ والأبطال تلتطم
والنقع غَيْمٌ ووقع المُرْهَفات به * لمعُ البوارق والغيثُ المُلِثُّ دم

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وٱثنتان وعشرون إصبعا .

+ + +

السنة الثامنة والخمسون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة خمس وثمانين وأربعمائة .

فيها ورد الأمير تاج الدولة تُتُش على السلطان مَلِكْشاه شاكيًا من(٢) آق سُنْقُر فلم يلتفت السلطان إليه ، فترك ٱبنه عند السلطان وعاد إلى دمشق .

(١) كذا فى الأصل ومرآة الزمان . والذى فى تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر : «قال لنا أبو سعد ابن السمعانى سألت : أبا عبد الله بن العظيمى عن ولادته فقال : فى سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة بحلب» .

(٢) فى الأصل : « فى » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان .

وفيها فى يوم الاثنين منتصف شهر ربيع الأوّل وقت الظهر، وهو السادس من نَيْسان، اقترن زُحَل والمرّيخ فى برج السَّرَطان، وذكر أهل صناعة النجوم أن هـذا القِران لم يحدث مثله فى هـذا البرج منذ بُعِث النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى هـذه السنة . قال صاحب مرآة الزمان : وكان تأثير هذا القِران هلاكَ مِلكشاه السلجوقىّ سيّد الملوك، ومقتل نظام الملك سيّد الوزراء . انتهى .

وفيهـا فى شهر رمضان توجّه السلطان مِلكشاه من أصبهان إلى بغداد بنيّة غير مرضيّة فى حقّ الخليفة المقتدى بالله وعزم على تغييره، وكان معـه وزيره نظـام الملك، فقتل فى شهر رمضان فى الطريق ، على ما سيأتى ذكره، إن شاء الله . ووصل مَلِكشاه إلى بغداد فى ثامن عشر شهر رمضان . فأوّل ما وصل بعث يقول للخليفة : لا بدّ أن تترك لى بغداد وتذهبَ إلى أىّ بلد شئت . فانزعج الخليفة وبعث إليه يقول: أمهلنى شهرا؛ فقال : ولا ساعة. فأرسل الخليفة إلى تاج الملك أبى الغنائم، وكان السلطان مَلِكشاه استوزره بعد قتل نظام الملك، فقال: سَله بأن يؤخّرنا عشرة أيّام . فدخل تاج الملك على السلطان وقال له : لو أنّ بعض العوامّ أراد أن ينتقل من دار إلى دار لم يَقْدِر على النُّقْلة فى أقلّ من عشرة أيام ، فكيف بالخليفة ! فأمر السلطان له بالمُهْلة عشرة أيام . ثم اشتغل بنفسـه من مرض حصل له ومات منه بعد أيام .

ذكر وفاته — هو السلطان جلال الدولة أبو الفتح مَلِكشاه بن أَلْب أَرْسلان [بن] (١) محمـد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقْمان (٢) التركىّ السلجوقىّ . تسلطن

(١) التكملة عن وفيات الأعيان . (٢) فى ابن خلكان وتاريخ ابن القلانسى وعقد الجمان ومرآة الزمان وتاريخ الاسلام للذهبىّ : « دقاق » . وقد قال المؤلف فى حوادث سنة ٤٩٧ هـ فى الكلام على وفاة دقاق بن تتش : « وسماه الذهبى وصاحب مرآة الزمان دقاقا بلا ميم . ولعل الذى قلناه هو الصواب ؛ فاننا لم نسمع باسم قبل ذلك يقال له دقاق . وأيضا فان جدّ السلجوقية الأعلى اسمه دقاق . وهذا من أكبر الأدلة على أن اسمه دقاق » .

بعد موت أبيه بوصية منه إليه فى سنة خمس وستين وأربعمائة، وجعل وزيره نظام الملك وزيرا له ومتكلّما فى الدولة، وفرّق البلاد على أولاده وجعل مرجعهم إلى مَلِكشاه هذا. فلمّا تسلطن مَلِكشاه خرج عليه عمّه قاورد بك صاحب كِرْمان؛ فواقعه فأخذه ملكشاه أسيراً. فلمّا مَثَل بين يدى مِلِكشاه قال: أمراؤك كاتبونى، وأظهر مكاتبات. فأخذها ملكشاه وأعطاها للوزير نظام الملك، فأخذها نظام الملك وألقاها فى موقد[1] نار كان بين يدى ملكشاه فآحترقت. فسكنت قلوب الأمراء، وبذلوا الطاعة؛ وثبت مُلْكُه بهذه الفعلة. ثم خَنَق عمّه قاورد بك المذكور بوتَر، وتمّ له الأمر. وملك من الأقاليم ما لم يملكه أحد من السلاطين؛ فكان فى مملكته جميع بلاد ما وراء النهر، وبلاد الهياطلة[2]، وباب الأبواب، وبلاد الروم والجزيرة والشام؛ حتّى إنّه ملك من مدينة كاشْغَر، وهى أقصى مدينة للترك، إلى بيت المقدس طولا، ومن القُسْطَنْطِينيّة إلى بلاد الخَزَر وبحر الهند عرضا. وكان من أحسن الملوك سِيرةً، ولذلك كان يلقّب بالسلطان العادل. وكان منصورًا فى حروبه، مُغْرًى بالعمائر، حَفَر الأنهار وعمّر الأسوار والقناطر وعمّر جامع السلطان ببغداد ولم يُتمّه، وأبطل المُكوس فى جميع بلاده، وصنَع بطريق مكة مصانع الماء، غَرِم عليها أموالا كثيرة. وكان مُغْرًى بالصيد، حتى إنّه صاد مرّة فى حَلْقة واحدة عشرة آلاف صَيْد؛ وقد تقدّم ذكر ذلك. وكانت وفاته فى شوّال. قيل: إنّه سُمَّ فى خَلالٍ تخلّل به. ولم يشهده[3] الدولة ولا عُمِل له عَزَاء. وحُمِل فى تابوت إلى أصبهان فدُفِن بها. وقام فى السلطنة بعده أكبر أولاده بَرْكْيَارُوق[4]، ولُقِّب بركن الدولة. وخالفه عمّه، ووقع له معه وقائع.

(١) فى الأصل: «منقل نار». (٢) بلاد الهاطلة: ما وراء نهر جيحون. (راجع معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٤٠٩). (٣) كذا فى الأصل. وهو يريد أنه لم يشهد وفاته أحد من رجال الدولة ولم يصلّ عليه أحد. وذلك لأنهم كتموا وفاته. (٤) ضبطه ابن خلكان بفتح الباء الموحدة وسكون الراء والكاف وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف راء مضمومة وواو ساكنة وقاف.

وفيهـا تُوفّى الوزير نظام الملك وزير السلطان مَلِكشاه السلجوقىّ المقدّم ذكره . وآسمه الحسن بن إسحاق بن العبّاس الوزير أبو على الطُّوسىّ . كان من أولاد الدَّهَاقين بناحية بَيْهَق[١] ، وكان فقيرا مشغولا بسماع الحديث ، ثم بعد حين آتصـل بداود بن ميكائيل السلجوقىّ ، فأخذه بيده وسلّمه إلى ولده أَلْب أَرسلان ، وقال له : يا محمد ، هذا حسن الطوسىّ اِتّخذه والدا ولا تخالفه . فلمّـا وصل المُلْك إلى أَلْب أَرْسـلان آستوزره ، فدبّر ملكه عشر سنين . ومات أَلْب أَرسلان ، فآزدحم أولاده على الملك ، فقام بأمر ملكشاه حتّى تمّ أمره وتسلطن . ولـمّـا دخل نظـام الملك على الخليفـة المقتدى أَمَره بالجلوس ، وقال له : ياحسن ، رضى الله عنك لرضا أمير المؤمنين عنك . وكان نظام الملك عالى الهمّة ، وافر العقل ، عارفا بتدبير الأمور ، محبّا للعلمـاء والصلحاء ، على ظلم وجَوْر كان عنده ، على عادة الوزراء .

ولـمّـا خرج من أصبهان بعد مخدومه مَلِكشاه قاصدًا بغداد نَزَل[٢] قرية من قُرَى نَهَاوَنْد مكان الوقعة التى كانت فى زمان عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — فقال : هذا موضع مبارك ؛ قُتِل فيه جماعة من الصحابة ، طوبى لمن كان منهـم . وكان جالسا والأمراء بين يديه ، وكان صائما ، فإنّه كان يوم الخميس ؛ فقدّم الأكل فأكل الناس ؛ ثم ركب مِحَفَّتَه إلى خَيْمة النساء ، وكان به مرض النِّقْرِس ، فآعترضه صبىّ دَيْلَمىّ فى زِىّ الصوفيّة و بيده قِصّة ، فدعا له وسأله أن يُناوله إيّاها من يده إلى يده ؛ فقال : هاتِ ؛ فمدّ يده ليأخذها فضربه بسكّين فى فؤاده ، فحُمِل الى مِضْرَبه ومات ؛ فهرب الديلمىّ فعثَرَ بطُنُبِ خَيْمة فقُطِّع قطعا . وكانت وزارة نظام الملك لبنى سلجوق

(١) بيهق : ناحية كبيرة وكورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة من نواحى نيسابور . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) فى الأصل : « فنزل » .

أربعا وثلاثين سنة — وقيل أربعين سنة — وكان عمره ستا وسبعين سنة. ومن شعره : [البسيط]

بعد الثمانين ليس قوّه * لهفى(١) على قوة الصبوّه
كأنني والعصا بكفّى * موسى ولكن بلا نبوّه

وفيها توفّى مالك بن أحمد الإمام أبو عبدالله البانياسي(٢) ثم البغدادي المعروف بالفرّاء في جمادى الآخرة شهيدًا في الحريق . وكان معدودا من العلماء الفضلاء .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع وستّ أصابع . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وإحدى عشرة إصبعا . وأوفى في سابع توت ، ونقص فيه أيضا .

*
* *

السنة التاسعة والخمسون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة ستّ وثمانين وأربعمائة .

فيها خطب تاج الدولة تُتُش السلجوقى لنفسه بعد موت أخيه ملكشاه ، وأرسل إلى الخليفة بأن يخطب له ويوعده، فما التفت إليه في الجواب ، غير أنه أرسل يقول له : إنما تصلح الخطبة إذا حصلت(٣) الدنيا بحكمك ، والخزائن التى بأصبهان معك ، وتكون صاحب الشرق وخراسان ، ولم يبق من أولاد أخيك ملكشاه من يخالفك ؛ وأمّا في هذا الحال فلا سبيل إلى ما التمسته . فلمّا وقف تتش على ذلك سار إلى الموصل وبها إبراهيم بن قريش ؛ فخرج إليه في بنى عقيل والتقوا معه فقتل

(١) رواية ابن خلكان : * قد ذهبت شرة الصبوّه *

(٢) البانياسى : نسبة الى بانياس (راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٢١ من الجزء الرابع من هذه الطبعة) .

(٣) كذا في مرآة الزمان . وفي الأصل : «إذا خلصت الدنيا بحكمك» .

إبراهيم وقتلُ عليــه أعيان بنى عقيل . وكان علىّ بن مسلم بن قريش عند بَرْكِيَارُوق ابن ملكشاه ، فأخبره بمصاب عمّه ، فعزّ عليه فكتب إلى تتش يلومه .

وفيها فتح عسكر مصر صُورَ وحُمِل صاحبها إلى مصر ومعه أصحابه . فضرب بدر الجَمالىّ رقاب الجميع ، وقطع على أهل صور ستين ألفا(١) عقوبةً لهم .

وفيها بطل مسير الحاجّ من العراق خوفاً عليهم ، وسار حُجّاج دمشق ، ولم يُوَصّلوا إلى أمير مكة مايُرضيه . فلمّا رحلوا خرج ونهبهم ، وعاد مَن سلِم منهم على أقبح حال ، وتخطّفهم العرب فى الطريق .

وفيها تُوفّى عبد القادر بن عبد الكريم بن الحسين أبو البركات . كان شيخا صالحا ، خطَب بدمشق لبنى العباس وللمصريّين ، وأنشد لبعضهم : [الطـــويل]

يُعَدّ رفيعَ القوم من كان عاقلًا * وإن لم يكن فى قومه بحسيبِ
فإن حلّ أرضا عاش فيها بعقله * وما عاقلٌ فى بلدة بغـــريبِ

وفيها تُوفّى علىّ بن أحمد بن يوسف بن جعفر بن عَرَفة الحافظ الفقيه الهَكّارىّ . كان يُنعت بشيخ الإسلام — والهَكّارِيّة : جبال فوق الموصل فيها قُرًى و بنًى — وكنيته أبو الحسن . كان إماما عالمــا فقيها ، سمع الحديث ورواه ، و بنى أرْبِطة ، وقدِم بغداد . وكان صالحا متعبّدا شيخ بلاده فى التصوّف ، وكان من أهل الســنة والجمــاعة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المــاء القديم ست أذرع وثلاث أصابع . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وثلاث أصابع .

---

(١) فى مرآة الزمان : « ستين ألف دينار » .

*
* *

السنة الستون من ولاية المستنصر معدّ على مصر وهى سنة سبع وثمانين وأربعمائة، وهى التى مات فيها المستنصر معدّ صاحب الترجمة حسب ما تقدّم ذكره.

وفيها أيضا تُوفّى الخليفة المقتدى بالله العباسىّ وبدر الجمالى أمير الجيوش بمصر، وآق سُنْقُر صاحب حلب قتيلا، وبوزان بالشام، وأمير مكة. وتسمّى هذه السنة سنة موت الخلفاء والأمراء؛ فعَدّ الناس هذا كلّه من القِران المقدّم ذكره فى سنة خمس وثمانين وأربعمائة. ويأتى كلّ واحد من هؤلاء على حِدته فى هذه السنة.

وفيها كانت زلزلة عظيمة [ببغداد](١) بين العشاءين فى المحرّم.

وفيها حدث فِتَنٌ وحروب وغلاء بسائر الأقاليم

وفيها تُوفّى الخليفة أمير المؤمنين أبو القاسم المقتدى بالله عبد الله ابن الأمير ذخيرة الدّين أبى العباس محمد ابن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله ابن الخليفة القادر بأمر الله أحمد ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة جعفر المقتدر ابن الخليفة المعتضد بالله أحمد ابن الأمير طلحة الموفّق ابن الخليفة المتوكّل على الله جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد بالله هارون ابن الخليفة المهدى بالله محمد ابن الخليفة أبى جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس العباسى الهاشمى. بويع بالخلافة بعد موت جدّه القائم بأمر الله فى ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة، وهو ابن تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر. وكان تُوفّى أبوه الذخيرة محمد، والمقتدى هذا حَمْل فى بطن أمّه، وكان آسم أمّه أرجوان — وقيل قرّة العين — وكانت أرمينيّة، فولدته بعد موت أبيه بستة أشهر. وكان المقتدى من رجال بنى العباس

---

(١) التكملة عن المنتظم.

له همّة عاليـة، وشجاعة وافرة، وظهرت فى أيامـه خيرات؛ وخُطِب له فى الشرق بأسره وما وراء النهر والهند وغَزْنة والصين والجزيرة والشام واليمن؛ وعُمِّرت فى أيامه بغـداد، وآسترجع المسلمون الرُّهاء . وأنطاكية ومات فجأة فى ليـلة السبت خامس عشر المحرّم ، وكان عمره ثمانيا وثلاثين (١) سـنة وثمانية أشهر و يومين . وتخلّف بعـده آبنه أبو العبّاس أحمد . وكانت خلافة المقتدى تسع عشرة سنة وثمانية أشهر .

وفيهـا تُوفّى الشريف أمير مكة محمـد بن أبى هاشم . كان ظالمـا جبّارا فاتكا سفّاكا للدماء مسرفًا رافضـيًا سبّابا خبيثًا متلونا ، تارة مع الخلفاء العباسيّين، وتارة مع المصريّين، وكان يقتل الحجّاج و يأخذ أموالهم . وهلك بمكة وقد ناهز السبعين . وفرح المسلمون وأهل مكّة بموته، وقام بعده آبنه هاشم .

وفيها تُوفّى المستنصر صاحب الترجمة العُبَيدىّ خليفة مصر، وقـد تقدّم ذكر وفاته فى ترجمته .

وفيها تُوفّى الحسن بن أسـد أبو نصر الفَـارِقىّ الشاعر المشهور . كان فصيحا فاضلا عارفا باللغة والأدب، وهو الذى سـلّم ميّافارقين إلى [منصور بن] (٢) مروان . فلمّا دخلها تُتُش السلجوقىّ آختفى، ثم ظهر لمـّا عاد تُتُش، ووقف بين يديه وأنشده قصيدة، منها : [البسـيط]

وآستحلَبتْ حَلَبُ جَفْـنىّ فآنهملا * وبشَّرتنى بَحَـرّ القتـل حَرّانُ

فقال تُتُش : مَن هذا ؟ فقيل له : هـذا الفارِقىّ ؛ فأمر بضرب عنقه من وقته . فكان قوله : * وبشّرتنى بحـرّ القتـل حرّان * فألًا عليـه .

---

(١) فى الأصل : « ثمانيا وأربعين » . والتصويب عن ابن الأثير وعقد الجمان .

(٢) التكلة عن مرآة الزمان .

ومن شعره : [المنسرح]

كم ساءنى الدّهر ثم سرّ فلم * يُدم لنفسىَ همّا ولا فرحَا
ألقاه بالصبر ثم يَعْرُكُنى * تحت رحًا من صروفه فرحا

وفيها تُوفّى الأمير آق سُنْقُر بن عبد الله قَسِيم الدولة التّركىّ . كان شجاعا عادلا مُنصِفًا، وكان الملوك السلجوقيّة يحترمونه، ولم يكن له ولد غيرَ زَنْكِى. وآق سُنْقُر هذا هو جَدّ الملك العادل نور الدين محمود المعروف بالشهيْد. ولمّا قتِل آق سنقر آنضمّ على ولده زَنْكِى مماليك أبيه وصار معهم، وآستفحل أمره ، على ما يأتى ذكره إن شاء الله فى عدّة مواطن .

وفيها تُوفّى أمير الجيوش بدر الجمالىّ الأرمنىّ وزير مصر للمستنصر بل صاحب أمرها وعَقْدها وحَلّها . كان أوّلا ولى الشام والسواحل للمستنصر، ثم خالفه مدّة وأقام بعكّا، إلى أن آستدعاه المستنصر المذكور إلى مصر بعد أن آختلّ أمرها من الغلاء والفتن؛ وفوّض إليه أمور مصر والشام وجميع ممالكه؛ فآستقامت الأمور بتدبيره وسكنت الفتن، وصار الأمر كلّه له؛ وليس للخليفة المستنصر معه سوى الاسم لا غيرُ. ومات قبل المستنصر بأشهر . ولمّا مات بَدْر الجمَالىّ أقام المستنصر آبنه أبا القاسم شاهِنشاه(١)، ولقّبه الأفضل؛ فأحسن الأفضل السِّيرة فى الرعيّة، لكنه عظم فى الدولة أضعافَ مكانة أبيه . وخلّف بدر الجمالىّ أموالا كثيرة يُضرب بها المثل.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع وإصبعان . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وإحدى وعشرون إصبعا .

(١) شاهنشاه : معناه ملك الملوك .

ذكر ولاية المستعلِي بالله على مصر

المستعلِي بالله خليفة مصر آسمه أحمـد وكنيته أبو القاسم بن المستنصر بالله مَعَـدّ ابن الظاهر بالله علىّ بن الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله نزار بن المعزّ لدين الله معدّ بن المنصور إسماعيل بن القائم محمد بن المهدىّ عُبَيْد الله ، السادس من خلفاء مصر الفاطميّين بنى عُبَيـد ، والتاسع ممّن ولى من أجداده الخلافة بالمغرب . بويع بالخلافة بعـد موت أبيه المستنصر معدّ فى يوم عيـد الغَدير، يوم ثامن عشر ذى الحجة سنة سبع وثمانين . ومولده بالقاهرة فى المحرّم سنة سبع وستين وأربعمائة . ولّـا ولى الخلافة كانت سِنّه يوم ذاك نيّفت على عشرين سنة . وقال آبن خِلّكان : مولده لعشر ليـالٍ بقين من المحرّم ، وذكر الســنة . وكان القـائم بأمره الأفضـلَ شاهِنشاه بن بدر الجمالىّ؛ فإنّ المستنصر كان قـد أجلس بعده آبنه أبا منصور نِزارا أكبر أولاده ، وجعل إليه ولايةَ العهد بالخلافة . فلمّا مرِض المستنصر أراد أخذ البَيْعــة له فتقاعد الأفضـــل شاهنشاه ودافـع المستنصرَ من يوم إلى يوم حتّى ماتِ المستنصر؛ وكان ذلك كراهــةً من الأفضل فى نِزار ولد المستنصر . وسببه أن نِزارا خرج ذات يوم فى حياة أبيه المستنصر فإذا الأفضل راكبٌ وقـد دخل من أحد أبواب القصر، فصاح به نِزار المذكور : إنزل يا أرمنىّ يا نجس ! . فحقَدها عليه الأفضـــل وصار كلٌّ منهما يكره الآخر . فآجتمـع الأفضل بعـد موت المستنصر بالأمراء والخواصّ وخوّفهم من نِزار وأشار عليهم بولاية أخيــه الصغير أبى القاسم أحمـد ؛ فرضُوا بذلك ما خلا محمود بن مَصَـال اللُّكّىّ (١) فإنّ نِزارا كان وعده بالوزارة والتَّقدمة على الجيوش مكان الأفضل . فلمّا علِم آبن مَصَال الحال أعلم نِزارا بذلك ،

(١) اللكى (بالضم وتشديد الكاف) : نسبة الى لك بلدة من نواحى برقة بين الاسكندرية وطرابلس الغرب (عن معجم البلدان لياقوت) .

وبادر الأفضل بإخراج أبى القاسم أحمد هـذا وبايعه ونعتـه بالمستعلِي بالله، وذلك بكرة يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة، وأجلسه على سَرير الخلافة، وجلس الأفضل شاهنشاه على دكّة الوزارة، وحضر قاضى القضاة المؤيّد بنصر الأنام علىّ بن نافع بن الكحّال والشهود معه، وأخذوا البيعة على مقدَّمى الدولة ورؤسائها وأعيانها . ثم مضى الأفضـل إلى إسماعيل وعبـد الله آبنى المستنصر وهما بالمسجد بالقصر والموكّلون عليهما، فقال لهما : إنّ البَيْعة تمّتْ لمولانا المستعلِي بالله، وهو يُقرئكما السلام ويقول لكما : تُبايعان أم لا؟ فقالا : السمع والطاعة؛ إنّ آلله آختاره علينا؛ وقاما وبايعاه . فكتب الأفضـل بذلك سِجِـلًّا قرأه الشريف سـناء الملك محمد بن محمد الحسينىّ الكاتب بديوان الإنشاء على الأمراء . وأمّا أمر نِزار فإنّه بادر وخرج من وقته وأخذ معه أخاه عبد الله الذى بايع وآبن مَصَال اللُّكِّىّ وتوجّهوا إلى الإسكندريّة، وكان الوالى بها ناصر الدولة أَفْتِكين التركىّ أحد مماليك أمير الجيوش بدر الجمالىّ (أعنى والد الأفضل هذا)، فعرّفوه الحال ووعده نِزار بالوزارة، فطمع أَفْتِكين فى ذلك، وبايع نِزارًا المـذكور، وبايع أيضـا جميع أهـل الإسكندرية، ولُقِّب المصطفى لدين الله . ثم وقع لنزار هذا أمور وحروب مع الأفضل نذكر منها نبذةً من أقوال جماعة من المؤرخين .

قال العلّامة شمس الدين يوسف بن قِزَأُوغلى فى تاريخه مرآة الزمان — بعـد ما ساق نسـبه بنحو ما ذكرناه وأقلّ — قال : وكان المتصرّف فى دولتـه الأفضل ابن أمير الجيوش (يعنى عن المستعلِي) . قال : وكان هَرب أخوه نزار بن المستنصر إلى الإسكندريّة وبهـا أَفتِكين مولى أبيه . قلت : وهـذا بخلاف ما ذكره غيره من أنّ أَفْتِكين كان مولًى لبدر الجمالىّ والد الأفضـل شاهنشاه . قال : وزعم نِزار أنّ أباه عَهِد إليه، فقام له بالأمر أَفْتِكين ولقّبه ناصر الدولة . وأخذ له البَيْعة على

أهل البلد، وساعده آبن عمّار[1] قاضي الإسكندرية. فتوجّه الأفضل إلى الإسكندرية وضايقها؛ فخرج إليـه أفتِكين فهزمه وعاد الأفضـل إلى القاهرة (يعنى مهزوما) فحشـد وعاد إليها ونازلها وآفتتحها عنوةً وقتل أعيان أهلها، وآعتقل أفتِكين وآبنَ عمّار. فكتب آبن عمّار إلى الأفضل ورقة من الحبس يقول فيها : [البسيط]

هل أنتَ منقذُ شِلوِى من يدىْ زمنٍ * أضحى يقُـدُّ أديمى قـدَّ مُنْتَهِس
دعوتُك الدّعوة الأولى وبى رَمَقٌ * وهــذه دعوة والدهر مُفْـترِسى

فلم تصل إليـه الورقة حتّى قُتِل . فلمّـا وقف عليها قال : والله لو وقفت عليهـا قبل ذلك ما قتلته . وكان آبن عمّار المذكور من حسنات الدهر . وقدِم الأفضل بأفتِكين ونِزار إلى القاهرة، وكان أفتِكين يلعَن المستعلِيَ والأفضل بن أمير الجيوش على المنابر؛ فقتله المستعلِي بيده وبنى على أخيه نزار حائطا فهو تحته إلى الآن . وكان للمستعلِي أخٌ آسمه عبـد الله [فظفِر به الأفضل][1] . انتهى كلام صاحب مرآة الزمان بآختصـار .

وقال غيره : ولمّـا آستهلّت سنة ثمانٍ وثمانين خرج الأفضل بعساكر مصر إلى الإســكندريّة ، وهنـاك نزار وأفتِكين ، فكانت بينهم حرب شديدة بظاهر الإسكندرية، آنكسر فيها الأفضل بمن معه، ورجع إلى القاهرة منهزما؛ فخرج نزار ونهب أكثر البلاد بالوجه البحرىّ . وأخذ الأفضل فى التجهّز لقتال نِزار ، ودسّ إلى جماعة ممّن كان مع نزار من العربان وآستمالهم عنه، ثمّ خرج بالعساكر ثانياً إلى نحو الإسكندريّة ، فكانت بينهم أيضا وقعـة بظاهر الإسكندريّة آنكسر فيها نزار بمن معه إلى داخل الإسكندرية؛ فحاصرهم الأفضل حصارا شديدا إلى ذى القعدة.

(١) هو جلال الدولة على بن أحمد بن عمار أبو القاسم، كما فى أخبار مصر لآبن ميسر.

فلمّا رأى ذلك آبن مَصّال جمع ماله وفرّ إلى الغرب . وكان سبب فِرار آبن مصال أنّه رأى فى منامه أنه راكب فرسًا وسار والأفضل ماشٍ فى رِكابه؛ فقال له المعبّر : المـاشى على الأرض أملكُ لها ؛ فلمّا سمِـع ذلك فرّ . ولـمّـا فرّ آبن مصال ضعُفت قُوَى نِزار وأَفْتِكين وخافا وطلبا من الأفضـل الأمان فأمّنهما ودخل البلد؛ ثم قبض على نزار وأَفْتكين وبعث بهما إلى مصر، وكان ذلك آخر العهد بنِزار. وكان مولد نِزار فى يوم الخميس العاشر من شهر ربيع الأول سـنة سبع وثلاثين وأربعمائة . وقيل : إنّ الأفضل بَنَى لنِزار حائطين وجعله بينهما إلى أن مات . وأمّا أَفْتِكين نائب الإسكندريّة فإنّه قتله بعد ذلك . ولم يزل الأفضل يؤمّن آبن مُصال حتّى حضر إليه بالقاهرة ولزِم داره حتّى رضِى عنه الأفضل . اِنتهى ذكر نزار وكيفيّة قتله .

وقال الحافظ أبو عبـد الله الذهبيّ : وفى أيّامه وهَنَت دولتهـم (يعنى المستعلى صاحب الترجمة) . قال : وآنقطعت دعوتهم من أكثر مُدُن الشام، وآستولى عليها الأتراك والفـرنج، ونزل الفرنج على أنطاكِيَـة وحصروها ثمـانية أشهر، وأخذوها فى سادس عشر رجب سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ، وأخذوا المعرة سـنة آثنتين وتسعين، ثم أخذوا القدس فيها أيضا فى شعبان، وآستولى الملاعين على كثير من مدن الساحل . ولم يكن للستعلى مع الأفضل بن أمير الجيوش حكم . وفى أيّامه هرَب أخوه نِزار إلى الإسكندريّة، فأخَذَ له البَيْعة على أهل الثغر أَفْتِكين، وساعده قاضى الثغر آبن عمّار، وأقاموا على ذلك سنة . فجاء الأفضل سنة ثمانٍ وثمانين وحاصر الثغر وخرج إليه أَفْتِكين نهزمه، ثم نازلها ثانيا وآفتتحها عَنوةً وقتَل جماعة، وأتى القاهرة بنزار وأَفْتِكين، فذبح أفتِكين صَبْرًا، وبَنَى المستعلى على أخيه حائطا، فهو تحته إلى

الآن : انتهى كلام الذهبيّ . قلت : ومن حينئذ نذكر كيفيّة أخذ الفرنج للسواحل فى أيام المستعلي هذا، وهو كالشرح لمقالة الذهبيّ وغيره :

كان أوّل حركة الفرنج لأخذ السواحل وخروجهم إليها فى سنة تسعين وأربعمائة، فساروا إليها، فأوّل ما أخذوا نيقيّة[١]، وهو أوّل بلد فتحوه وأخذوه من المسلمين. ثمّ فتحوا حصونَ الدروب شيئًا بعد شيء، ووصلوا إلى البارة[٢] وجبل السُّماق[٣] وفامية وكَفَرْ طَاب[٤] ونواحيها . وفى سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ساروا إلى أنطاكيَة ولم ينازلوها، وجاءوا إلى المعَـرّة فنصبوا عليها السّلالم فنزلوا إليها فقتلوا من أهلها مائة ألف إنسان، قاله أبو المظفّر سِبْط ابن الجوزيّ؛ قال : وسبَوْا مثلها . ثمّ دخلوا كَفَرْ طَاب وفعلوا مثل ذلك، وعادوا إلى أنطاكيَة، وكان بها الأمير شعبان[٥] . وقيل شقبان، وقيل فى آسمه غير ذلك — وكان على الفرنج صنجيل، فحاصرها مدّة، فنافق رجل من أنطاكيَة يقال له فيروز[٦] وفتح لهم فى الليل شُبّاكا فدخلوا منه، ووضعوا السيف، وهرب شعبان وترك أهله وأمواله وأولاده بها . فلما بَعُد عن البلد[٧] ندم على ذلك، فنزل عن فرسه وحَثَى التراب على رأسه وبكى ولَطَم، وتفرّق عنه أصحابه وبقي وحده؛ فمرّ به رجل أرمنيّ حَطّاب فعرفه فقتله وحمل رأسه إلى صنجيل ملك الفرنج .

(١) نيقية : مدينة من أعمال اصطنبول على البر الشرقي (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) البارة : بليدة وكورة من نواحى حلب، وفيها حصن . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) جبل السماق : جبل عظيم من أعمال حلب الغربية، يشتمل على مدن كثيرة وقرى وقلاع . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) كفرطاب : بلدة بين المعرّة ومدينة حلب . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٥) سيذكر المؤلف فى أثناء هذه الترجمة أن آسمه : « باغى سيان » وهو المذكور فى تاريخ ابن القلانسى . (٦) فى تاريخ ابن القلانسى : « نيروز » . (٧) فى الأصل : « عن البلاد » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان .

وقال أبو يعلى [بن] القلانسىّ : فى جمادى الأولى ورد الخبر بأن قوما من أهل أنطاكيَة عملوا عليها وواطئوا الفرنج على تسليمها إليهم لإساءة تقدمت من حاكم البلد فى حقهم ومصادرته لهم ، ووجدوا الفرصة فى بُرْج من الأبراج التى للبلد مما يلى الجبل، فباعوهم إيّاه ، وأصعدوا منه فى السّحَر وصاحوا (١)، فانهزم ياغى سيان وخرج فى خَلْق عظيم فلم يَسْلَم منهم شخص؛ فسقط الأمير عن فرسه عند مَعَرّة مَصْرِين، فحمله بعض أصحابه وأركبه فلم يثبُت على ظهر الفرس وسقط ثانياً فمات. وأمّا أنطاكِيَة فقُتِل منها وسُبى من الرجال والنساء والأطفال ما لا يُدركه حصر ، وهرب إلى القلعة قَدْر ثلاثة آلاف تحصّنوا بها .

وكان أخذ المَعَرّة فى ذى الحجّة بعد أخذ أنطاكِيَة . ولمّا وقع ذلك اجتمع ملوك الإسلام بالشام ، وهم رِضوان صاحب حَلَب وأخوه دُقَاق وطُغْتِكين (٢) وصاحب المَوْصِل وسُكمان (٣) بن أرتُق صاحب مارِدين وأرْسلان شاه صاحب سِنْجار (٤) — ولم ينهَض الأفضل بإخراج عساكر مصر. وما أدرى ما كان السبب فى عدم إخراجه مع قدرته على المال والرجال — فاجتمع الجميع ونازلوا أنطاكِيَة وضيّقوا على الفرنج حتّى أكلوا ورق الشجر . وكان صنجيل مقدّم الفرنج عنده دهاء ومَكْر، فرتّب مع راهب حِيلةً وقال : اذهب فادفِن هذه الحَرْبة فى مكان كذا، ثم قل للفرنج بعد ذلك : رأيت المسيح فى منامى وهو يقول : فى المكان الفلانىّ حربة مدفونة فاطلبوها ، فإن

(١) غير المؤلف فى كلمات عبارة ابن القلانسى . ونص هذا الجزء من الخبر فى تاريخه « ... ... مما يلى الجبل باعوه للافرنج وأطلعوهم الى البلدمنه فى الليل وصاحوا عند الفجر ... » .

(٢) هو كربوقا أبو سعيد قوام الدولة ، كما فى تاريخ ابن القلانسى ومرآة الزمان وتاريخ دولة آل سلجوق .

(٣) قال صاحب عقد الجمان فى حوادث سنة ٥٠٤ هـ : « سقمان و يقال سكمان بالكاف موضع القاف » .

(٤) سنجار : مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة ، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام . (من معجم البلدان لياقوت) .

وجدتموها فالظَّفَرُ لكم ، وهى حربتى ، فصوموا ثلاثة أيّام وصلُّوا وتصدّقوا ثم قام وهم معه إلى المكان ففتّشوه(1) فظهرت الحربة ؛ فصاحوا وصاموا وتصدّقوا وخرجوا إلى المسلمين ، وقاتلوهم حتى دفعوهم عن البـلد ؛ فثبت جماعة من المسلمين فقُتلوا عن آخرهم ، رحمهم الله تعالى . والعجب أنّ الفرنج لمـّا خرجوا إلى المسلمين كانوا فى غاية الضعف من الجوع وعدم القُوت حتّى إنهـم أكلوا الميتـة وكانت عساكر الإسلام فى غاية القوّة والكثرة ، فكسروا المسلمين وفرّقوا جموعهم ، وانكسر أصحاب الجُرْد السوابق ، ووقع السيف فى المجاهدين والمطّوّعين . فكتب دقـاق ورضوان والأمراء إلى الخليفة (أعنى المستظهر العباسىّ) يستنصرونه ؛ فأخرج الخليفة أبا نصر ابن المُوصَلايَا إلى السلطان بَرْكِيَارُوق ابن السلطان مَلِكْشاه السلجوقىّ يستنجده . كلّ ذلك وعساكر مصر لم تُهيّأ للخروج .

وأمّا أخذ بيت المقدس فكان فى يوم الجمعة ثالث عشرين شعبان سـنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، وهو أنّ الفرنج ساروا من أنطاكيَة ومقـدَّم الفرنج كندهرى فى ألف ألف ، منهم خمسمائة ألف مقاتل فارس ، والباقون رَجّالة وفَعَلة وأرباب آلات من مجانيق وغيرها ، وجعلوا طريقهم على الساحل وكان بالقدس افتخار الدولة من قِبَل المستعلى خليفة مصر صاحب الترجمة ، فأقاموا يقاتلون أربعين يوما ، وعملوا بُرْجين مُطِلّين على السـور ؛ أحدهما بباب صِهْيَوْن ، والآخر ببـاب العمود وباب الأسباط ، وهو برج الزاوية ؛ ومنه فتحها السلطان صلاحُ الدِّين بن أيوب ، على ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى . فأحرق المسلمون البرج الذى كان بباب صِهْيَوْن وقتلوا من فيه . وأمّا الآخر فزحفوا به حتّى ألصقوه بالسور ، وحكموا به على البلد ، وكشفوا مَن كان عليه من المسلمين ؛ ثم رمَوْا بالمجانيق والسِّهام رَمْيـةَ رجل واحد ،

(1) فى مرآة الزمان : « فنبشوه » .

فانهزم المسلمون فنزلوا إلى البلد، وهرب الناس إلى الصخرة والأقصى وآجتمعوا بها، فهجموا عليهم وقتلوا فى الحرم مائة ألف وسَبَوْا مثلهم، وقتلوا الشيوخ والعجائز وسُبُوا النساء، وأخذوا من الصخرة والأقصى سبعين قِنديلًا، منها عشرون ذهبا فى كلّ قِنديل ألف مثقال، ومنها خمسون فِضّة فى كلّ قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم بالشامىّ، وأخذوا تَنُّوراً من فِضّة زنته أربعون رطلا بالشامىّ، وأخذوا من الأموال ما لا يُحصى. وكان بيت المقدس منذ آفتتحه عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — فى سنة ستّ عشرة من الهجرة، لم يزل بأيدى المسلمين إلى هذه السنة. هذا كلّه وعسكر مصر لم يحضر، غيرَ أنّ الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالىّ صاحب أمر مصر لمّا بلغه أنّ الفرنج ضايقوا بيت المقدس خرج فى عشرين ألفًا من عساكر مصر وجدّ فى السير، فوصل إلى القدس يوم ثانى فتحه ولم يعلم بذلك. فقصده الفرنج وقاتلوه، فلم يثبت لهم ودخل عَسْقلان بعد أن قُتل من أصحابه عدد كثير، فأحرق الفرنج ما حول عسقلان وقطعوا أشجارها، ثم عادوا إلى القدس. ثم عاد الأفضل إلى مصر بعد أمور وقعت له مع الفرنج. وآستمرّ بيت المقدس مع الفرنج، فلا قوّة إلّا بالله.

وقال آبن القلانِسىّ: إنّ أخذ المَعَرّة كان فى هذه السنة أيضا، وإنّه كان قبل أخذ بيت المقدس. قال: وزحف الفرنج فى محرم هذه السنة إلى سور المَعَرّة من الناحية الشرقيّة والشمالية، وأسندوا البرج إلى سورها، فكان أعلى منه. ولم يزل الحرب عليها إلى وقت المغرب من اليوم الرابع عشر من المحرّم، وصعدوا السور، وآنكشف أهل البلد بعد أن تردّدت إليهم رسل الفرنج، وأعطوهم الأمان على نفوسهم وأموالهم وألّا يدخلوا إليهم، بل يبعثوا إليهم شِحْنة[1] فمَنَع من ذلك الخلف

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٣ من هذا الجزء.

بين أهلها ، فملكت الفرنج البلد بعد المغرب بعد أن قُتِل من الفريقين خلق كثير ، ثم أعطَوْهم الأمان . فلمّا ملكوها غدَرُوا بهم وفعلوا تلك الأفعال القبيحة وأقاموا عليها ، إلى أن رحلوا عنهـا فى آخر شهر رجب إلى القدس . وانجفل النـاس بين أيديهم ، فجاءوا إلى الرملة فأخذوها عند إدراك الغَلّة ، ثم آتهوا إلى القدس . وذكر فى أمر القدس نحوا ممـا قلناه ، غير أنّه زاد فقال : ولمّـا بلغهـم (يعنى الفرنج) خروجُ الأفضل من مصر جدّوا فى القتال ونزلوا من السور وقتلوا خلقا كثيرا ، وجمعوا اليهود فى الكنيسة وأحرقوها عليهم ، وهدموا المشاهد وقبر الخليل — عليه السلام — وتسلّموا محِراب داود بالأمان . ووصل الأفضل بالعساكر وقد فات الأمر ، فنزل عسقلان فى يوم رابع عشر شهر رمضان ينتظر الأسطول فى البحر والعرب ؛ فنهض إليه مقدّم الفرنج فى خلق عظيم ، فآنهزم العسكر المصرىّ إلى ناحية عسقلان ، ودخل الأفضل عسقلان ، ولعِبت سيوف الفرنج فى العسكر والرجال والمطّوّعة وأهل البلد ، وكانوا زُهاء عن عشرة آلاف نفس ، ومضى الأفضـل . وقرّر الفرنج على أهـل البلد عشرين ألف دينار تُحمل إليهم ، وشرعوا فى جبايتها من أهل البـلد ؛ فآختلف المقدّمون فرحلوا ولم يقبِضوا من المـال شيئا . ثم قال : وحكى أنّه قتِل من أهل عسقلان من شهودها وتجارها وأحداثها سوى أجنادها ألفان وسبعمائة نفس .

ولمـا تمّت هـذه الحادثة خرج المستنفِرون من دِمَشق مع قاضيها زين الدين أبى سعد الهَرَوِىّ ، فوصلوا بغداد وحضروا فى الديوان وقطّعوا شعورهم وآستغاثوا وبكَوْا ، وقام القاضى فى الديوان وأورد كلاما أبكى الحاضرين ؛ وندب من الديوان من يمضى إلى العسكر السلطانىّ ويعرّفهم بهـذه المصيبة ؛ فوقع التقاعد لأمر يريده

الله . فقال القاضى الهَرَوِىّ — وقيل : هى لأبى المظفّر الأَبِيوَرْدِىّ[1] — القصيدة التى أولها : [الطويل]

مَزَجْنَا دماءً بالدموع السواجم * فلم يبق منا عُرْضَةٌ للمراجم[2]

ومنها :

وكيف تنام العين مِلْءَ جفونها * على هَفَوَاتٍ[3] أيقظت كلَّ نائم
وإخوانكم بالشام يُضحِى مَقِيلُهم * ظهورَ المَذَاكِى[4] أو بطونَ القَشَاعِم[5]

ومنها :

وكاد لهنّ المستجنّ بطَيْبةٍ * ينادى بأعلى الصوت يا آل هاشم
أرى أمتى لا يَشْرَعون إلى العدا * رماحهمُ والدينُ واهى الدعائم

ومنها :

وليتهمُ إذ لم يذودوا حَمِيّةً * عن الدين ضَنّوا غيرةً بالمحارم
وإذ زَهِدوا فى الأجر إذ حَمِىَ[6] الوغى * فهلّا أتَوْه رغبةً فى الغنائم

وقال آخر : [الوافر]

أحلّ الكفر بالإسلام ضَيْمًا * يطولُ عليه للدين النَّحِيب
فحقٌّ ضائعٌ وحِمًى مُباحٌ * وسيفٌ قاطعٌ ودمٌ صَبِيب
وكم من مسلم أمسى سَلِيبًا * ومسلمةٍ لها حَرَمٌ سليب

(١) هو أبو المظفر محمد بن أحمد القرشىّ الأموى المعاوى المشهور بالأبيوردى المتوفى بأصفهان سنة ٥٥٧ هـ . وقد راجعنا ديوانه المطبوع فى لبنان سنة ١٣١٧ هـ فلم نجد هذه الأبيات واردة به .

(٢) المراجم (جمع مرجمة) : القبيح من الكلام .

(٣) فى نسخة يشير إليها هامش الأصل : «على غفوات» ... ورواية المنتظم : « على هنوات » بالنون .

(٤) المذاكى : الخيل التى تم سنها وكملت قوتها ، الواحد مذك .

(٥) القشاعم : جمع قشعم ، وهو المسنّ من النسور .

(٦) فى ابن الأثير : « إذ حمس الوغى » .

وكم من مسجد جعلوه دَيرا * على محرابه نُصِب الصليب
دمُ الخنزير فيه لهم خَلُوقٌ * وتحريقُ المصاحف فيه طِيب
أمورٌ لو تأملهنّ طفلٌ * لطفّل(١) فى عوارضه المَشِيب
أتُسْبَى المسلمات بكلّ ثغر * وعيشُ المسلمين إذًا يطيب
أمَا لله والإسلام حقٌّ * يُدافِعُ عنه شُبّانٌ وشِيب
فقل لذوى البصائر حيث كانوا * أجيبوا الله ويحكُمُ أجيبوا

وقال الناس فى هذا المعنى عدّة مراث . والمقصود أنّ القاضى ورفقته عادوا من بغداد إلى الشام بغير نجدة . ولا قوة إلّا بالله ! . ثم إنّ الأفضل بن أمير الجيوش جهّز من مصر جيشا كثيفا وعليه سعد الدولة القواسىّ فى سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ، فخرج سعد الدولة المذكور من مصر بعسكره فألتقى مع الفرنج بعَسْقلان ، ووقف سعد الدولة فى القلب ، فقاتل قتالا شديدا ، فكبا به فرسُه فقُتِل . وثبت المسلمون بعد قتله وحملوا على الفرنج فهزموهم إلى قَيْسارية(٢) . فيقال : إنّهم قتلوا من الفرنج ثلثمائة ألف ، ولم يُقتل من المسلمين سوى مقدّم عسكرهم سعد الدولة القواسىّ المذكور ونفر يسير . قاله صاحب مرآة الزمان . وقال الذهبىّ فى تاريخه : هذه مجازفة عظيمة (يعنى كونه قال قتل ثلثمائة ألف من الفرنج) . إنتهى . قلت : ومن يومئذ بدأت الفرنج فى أخذ السواحل حتّى آستولَوْا على الساحل الشامى بأجمعه إلى أن آستولت الدولة الأيوبيّة والتركيّة وآسترجعوها شيئا بعد شىء ، حسب ما يأتى ذكره إن شاء الله فى هذا الكتاب .

---

(١) طفل : أميل وأظل .

(٢) فى أخبار مصر لابن ميسر وتاريخ ابن القلانسى : « فهزموهم الى يافا » .

ومات المستعلي صاحب الترجمة في يوم الثلاثاء تاسع صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، وقيل : في ثالث عشر صفر، والأول أشهر . ومات وله سبع وعشرون سنة ، وكانت خلافته سبع سنين وشهرين وأياما . وتولى الخلافة بعده ابنه الآمر بأحكام الله منصور . وكان المتصرّف في دولته وزيرَه الأفضلَ سيفَ الإسلام شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجَمَالِيّ . فانتظمت أحوال مصر بتدبيره ؛ واشتغل بها عن السواحل الشاميّة حتى استولت الفرنج على غالبها ؛ وندم على ذلك حين لا ينفع الندم .

وكان المستعلي حسن الطريقة في الرعيّة ، جميل السيرة في كافّة الأجناد، ملازما لقصره كعادة أبيه، مكتفيًا بالأفضل فيما يريده ، إلا أنّه كان مع تقاعده عن الجهاد وتهاونه في أخذ البلاد متغاليًا في الرَّفْض والتشيّع ؛ كان يقع منه الأمور الشنيعة في مأتم عاشوراء ، ويبالغ في النَّوح والمأتم ، ويأمر الناس بلبس المُسُوح وغلق الحوانيت واللطم والبكاء زيادة عما كان يفعله آباؤه ، مع أنّ الجميع رافضة ، ولكنّ التفاوت نوع آخر .

وأما الذى كان يفعله آباؤه وأجداده من النَّوح في يوم عاشوراء والحزن وترتيبه، فإذا كان يوم العاشر من المحرّم احتجب الخليفة عن الناس، فإذا علا النهار ركب قاضي القضاة والشهود وقد غيروا زِيّهم ولبسوا قماش الحزن ، ثم صاروا إلى المشهد الحسينيّ بالقاهرة — وكان قبل ذلك يُعمل المأتم بالجامع الأزهر — فإذا جلسوا فيه بمن معهم من الأمراء والأعيان وقرّاء الحضرة والمتصدّرين في الجوامع، جاء الوزير فجلس صَدْرًا، والقاضي وداعي الدُّعاة من جانبيه، والقرّاء يقرءون نَوْبةً بنوبةٍ، ثم ينشد قوم من الشعراء غير شعراء الخليفة أشعارًا يرثون بها الحسن والحسين وأهل البيت ، وتصيح الناس بالضجيج والبكاء والعَويل — فإن كان الوزير رافضيًّا على

مذهب القوم تغالَوْا فى ذلك وأمعنوا، و إن كان الوزير سُنِّيًّا آقتصروا — ولا يزالون كذلك حتّى تمضى ثلاث ساعات، فيُسْتَدْعَوْن إلى القصر عند الخليفة بنقباء الرسائل؛ فيركب الوزير وهو بمنديل صغير إلى داره، ويدخل قاضى القضـاة والداعى ومَن معهما إلى باب الذهب (أحد أبواب القصر) فيجدون الدّهاليز قد فُرِشت مَساطبها بالحصر والبُسط[(١)]، ويُنصب فى الأماكن الخالية الدكك لتُلحقَ بالمساطب وتفرش؛ ويجدون صاحب البـاب جالسا هناك، فيجلس القاضى والداعى إلى جانبـه والناس على اختلاف طبقاتهم؛ فيقرأ القُرّاء ويُنشِد المنشدون أيضـا. ثم يُفرش وسـط القاعة بالحصر المقلوبة (ليس على وجوهها، وإنمـا تخالف مفارشهـا)؛ ثمّ يُفرش عليها سِمَاطُ الحزن مقدار ألف زبدية من العَـدَس والملوحات والمخلَّلات والأجبان والألبان الساذَجة والأعسال النّحْل والفَطِير والخُبز المغيَّر لونُه بالقصد لأجل الحزن. فإذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المـائدة (يعنى الحاجب والمشدّ) وأُدخِل النـاس للأكل من السِّماط. فيدخل القـاضى والداعى ويجلس صاحب الباب ببابه؛ ومن الناس من لا يدخل من شـدّة الحزن، فلا يُلزم أحد بالدخول. فإذا فرغ القوم آنفصلوا إلى مكانهـم ركبانا بذلك [الزىّ][(٢)] الذى ظهروا فيه من قمـاش الحزن. وطاف النُّوّاح بالقـاهرة فى ذلك اليوم، وأغلق البيّاعون حوانيتهم إلى بعـد العصر، والنَّوْح قائم بجميع شوارع القاهرة وأزقّتها. فإذا فات العصر يفتح الناس دكاكينهم ويتصرّفون فى بيعهم وشرائهم؛ فكان [ذلك] دأبَ الخلفاء الفاطميّين من أولهم المعزّ لدين الله مَعَدّ إلى آخرهم العاضد عبد الله. انتهت ترجمة المستعلى. ويأتى بعض أخباره أيضا فى السنين المتعلّقة به على سبيل الآختصار، كما هو عادة هذا الكتاب.

(١) رواية المقريزى (ج ١ ص ٤٣١): «بالحصر بدل البسط». (٢) زيادة عن المقريزى.

*

السنة الأولى من ولاية المستعلي أحمد على مصر وهى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة.

فيها آصطلح أهل السنة والرافضة ببغداد وعملوا الدعوات ودخل بعضهم إلى بعض .

وفيها قُتِل تاج الدولة تُتُش بن أَلْب أَرْسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دُقَاق أبو سعيد السلجوقيّ أخو السلطان مَلِكشاه . كان أوّلا في المشرق ، فاستنجده أَتْسِز الخُوَارَزْميّ صاحب الشام فقدم دِمَشق ، وقتل أتسِز المذكور وآستولى على الشام، وآمتدّت أيامه . وهو الذى قَتَل آق سُنْقُر و بوزان، ثمّ خالف على آبن أخيه بَرْكِيَارُوق بن مِلِكشاه ، ووقع بينهما أمور آخرها فى هذه السنة ؛ كانت بينهما وقعة هائلة على الرّيّ . وكان لمّا قتل آق سُنْقُر و بوزان أخذ جماعة من أمرائهما فقتلهم بين يديه ، وكان بكَجُور من أكابر الأمراء ، فقتل أولاده بين يديه صَبْرًا ، وهرب بكجور إلى بَرْكِيَارُوق. فلمّا آنتصر على الرّيّ جاء بكجور إلى السلطان بركياروق وهو يبكى ، فقال : قد قتل عمّك أولادى وأنا قاتله بأولادى ؛ فقال : آفعل . وكان تُتش قد وقف بالقلب مقابلَ آبن أخيه السلطان بَرْكِيَاروق ، فقصده الأمير بكَجُور المذكور وطعنه فألقاه عن فرسه؛ فنزل سُنْقُرجه — وكان أيضا صاحبَ ثار — فحزّ رأسه ، وقيل : رماه مملوك بوزان بسهم فى ظهره فوقع منه ، وآنهزم أصحابه ؛ وطيف برأسه . وأُسِر وزيره فخر الملك عليّ بن نظام الملك ، فعفا عنه السلطان بركياروق لأجل أخيه وزيره مؤيّد الملك بن نظام الملك . قلت : كان مؤيّد المُلك وزير بركياروق ، وفخر الملك وزير تُتُش ، وهما آبنا نظام الملك . ثم وقع أيضا لأولاد تاج الدولة تُتُش هذا أمور وفتن بعد موت أبيهم ؛ وهم رِضوان و إخوته ، على ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

وفيها تُوفّى عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بُنْدَار أبو يوسف القَزْوِينىّ شيخ المعتزلة . كان إمامًا فى فنون، فسّر القرآن فى سبعمائة مجلّد — وقيل فى أربعمائة، وقيل ثلثمائة — وكان الكتاب وَقفًا فى مشهد أبى حنيفة رضى الله عنه . وكان رَحَل إلى مصر وأقام بها أربعين ســنة . وكان محترمًا فى الدول ، ظريفًا ، حسنَ العِشرة ، صاحب نادرة . قيل : إنّه دخل على نظام الملك الوزير وكان عنده أبو محمد التميمىّ ورجل آخر أشعرىّ ، فقال له القَزْوينىّ : أيّها الصدر قد ٱجتمع عندك رءوس أهل النار . قال نظام الملك : وكيف ذلك ؟ قال : أنا معتزلىّ، وهــذا مُشبِّه (يعنى التميمىّ) وذلك أشعرىّ ، و بعضنا يكفّر بعضا ؛ فضحك النظام . وقيــل : إنّه ٱجتمع مع ٱبن البراج متكلّم الشّيعة، فقال له ٱبن البراج : ما تقول فى الشيخين ؟ فقال : سَفِلَتين ساقطين. قال: من تعنى؟ قال: أنا وأنت. وكانت وفاة القَزْوينىّ هذا فى ذى القعدة، وقد بلغ ســتًا وتسعين ســنة ، ودفن بمقابر الخَيْزُران عنــد أبى حنيفــة ، رضى الله عنـــه .

وفيها تُوفّى محمد بن فتوح بن عبد الله بن حُمَيْد أبو عبد الله بن أبى نصر الحُمَيْدىّ الأندلسىّ. كان من جزيرة مَيُورْقَة (١) . وُلِد قُبَيْل الأربعمائة، وسمع الكثير ورحل إلى الأقطار ثم ٱستوطن بغداد . وكان مختصًا بصحبة ٱبن حزم الظاهرىّ، وحمَل عنه أكثر كتبه . قال ٱبن ماكولا : «صديقنا أبو عبدالله الحُمَيْدىّ من أهل العلم والفضل، ورد بغــداد وسمع أصحاب الدارقطنىّ وٱبن شاهين وغيرهم ، وسمع منه خلق كثير ، وصنّف «تاريخ الأندلس» ، ولم أرَ مثله فى عفّته ونزاهته » .

---

(١) جزيرة ميورقة : جزيرة فى شرقى الأندلس ، بالقرب منها جزيرة يقال منورقة بالنون ، كانت قاعدة ملك مجاهد العامرى . (عن معجم البلدان لياقوت) .

وفيها تُوفّى منصور [بن نظـام الدين](١) بن نصر الدولة بن مروان صـاحب ميّافارِقين، وكان آستولى على الجزيرة فمات بها، فحمل إلى آمد فدفن بقُبّة بَنَتْها له زوجته ستّ الناس بنت عَميد الأمّة(٢). وأوّل ولاية بنى مروان لديار بكر فى سنة ثمانين وثلثمائة، وآستولى الوزير آبن جهِير على بلادهم سـنة تسع وسبعين وأربعمائة، ومات منصور فى هذه السنة. فكانت ولايتهم نيّفا ومائة سنة. وأعيانُ ملوكهم أوّلهم باد الكردىّ، وبعده مروان وهو جَدّهم، ثم بعده ولده أحمد، ثم بعده ولده نظام الدين ثم ولداه(٣) سعيد ومنصور هذا .

وفيها توفى محمد بن عبّاد بن محمد بن إسماعيل بن قريش السلطان المعتمد على الله أبو القاسم ابن السلطان المعتضِد بالله أبى عمرو ابن الفقيه قاضى إشْبيلية ثم سلطانها الظافر ابن المؤيّد بالله أبى العباس بن أبى الوليد اللّخمىّ، من ولد النُّعمان بن المنـذر صاحب الحيرة . كان المعتمد هـذا صاحب إشبيلية وقرطبة. وأصلهم من بلد العَريش(٤) التى كانت فى أوّل رمل مصر . وكان المعتمـد عالمـا ذكيا شاعرا عادلا فى الرعيّة، كان من محاسن الدنيا .

---

(١) التكملة عن ابن الأثير . (٢) عميد الأمة هو سعيد بن نصر الدولة، كما فى مرآة الزمان .

(٣) لما مات نصر الدولة أحمد بن مروان سـنة ٤٥٣ هـ آتفق وزيره فخر الدولة بن جهير وآبنـه نصر (نظام الدين)، فرتّب نصرا فى الملك بعـد أبيه، وجرى بينه وبين أخيه سـعيد حروب شديدة كان الظفر فى آخرها لنصر، فاستقر فى الإمارة بميافارقين وغيرها، وملك أخوه سعيد آمد . ثم مات سعيد سنة ٤٥٥ هـ ومات نظام الدين أبو القاسم نصر بن نصر الدولة سنة ٤٧٢ هـ وتولى بعده آبنه منصور بن نظام الدين بن نصر الدولة الذى توفى فى هذه السنة . فنصور هو ابن نظام الدين، ونصر الدولة جده لا أبوه. (راجع ابن الأثير فى هذه السنين المذكورة جميعا ومرآة الزمان فى حوادث هذه السنة) . وبهذا يعلم ما فى الأصل هنا من عدم التحرّى فى إيراد بعض هذه الأسماء. (٤) العريش : مدينة قديمة واقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط بقرب نهاية الحدّ الشرقى لأرض مصر الذى ينتهى من الجهـة الشمالية بقرية رفح الواقعة على رأس الحدّ الفاصل بين مصر وفلسطين، وبين العريش ورفح ٤٥ كيلو مترا . وكانت العريش من ثغور مصر ثم جعلت محافظة وبها من قديم قوّة عسكرية لوقوعها قرب حدود مصر الشرقية . وبسبب الحرب الأوروبية العامة التى وقعت بين سنتى ١٩١٤، ١٩١٨ أنشأت الحكومة فى أوّل سـنة ١٩١٧ مصلحة لأقسام الحدود المصرية فكان من محافظاتها محافظة سينا وجعل مركزها العريش ولم تزل محل إقامة المحافظ الى اليوم

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وست أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وآثنتا عشرة إصبعا .



السنة الثانية من ولاية المستعلى أحمد على مصر وهى سـنة تسع وثمـانين وأربعمائة .

فيهـا حكم المنجّمون بأن يكون طوفان مثل طوفان نوح عليه السلام . فسأل الخليفة آبن عَيْسون المنجّم ، فقال : أخطأ المنجّمون ، طوفان نوح قد آجتمع فى برج الحوت الطوالعُ السبعة ، والآن قد آجتمع فيه ستة ، زحل لم يجتمع معها ؛ ولكنّى أقول : إنّ بقْعة من البِقاع يجتمع بهـا عالم من بلاد كثيرة فيَغْرَقون . فقيل : ما ثَمّ أكبر من بغداد ، ويجتمع فيها مالا يجتمع فى غيرها ، ور بّمـا كانت هى ؛ فقال آبن عَيْسون : لا أدرى غير ماقلت . فأمر الخليفة بإحكام المُسَنَّيات[1] وسدّ الفروج ، وكان الناس يتوقّعون الغَرق ؛ فوصل الخبر بأن الحاج نزلوا فى وادٍ عند نخلة[2] ، فأتاهم سـيل عظيم وأخذ الجميع بالجمـال[3] والرجال ، وما نجا منهم إلّا من تعلّق برءوس الجبال . فخلع الخليفة على آبن عَيْسون وأجرى له الجراية وأمِن الناس .

وفيها ورد كتاب المستعلِى صاحب مصر وكتاب وزيره الأفضل أمير الجيوش إلى رضوان بن تُتُش السلْجوقىّ بالدخول فى الطاعة . فأجاب وخطب للمستعلى صاحب الترجمة .

---

(١) المسنيات : ما يبنى لحبس المـاء . (٢) المراد بها نخلة محمود . موضع بالحجاز قريب من مكة ، فيه نخل وكروم ، وهى المرحلة الأولى للصادر عن مكة . (٣) كذا ورد فى الأصل . وعبارة مرآة الزمان : «فاجتاح جمالهم وأخذ الرجال والنساء» . ورواية المنتظم وعقد الجمان : «وأذهب المـاء الرحال والرجال» .

وفيها خرج العسكر المصرىّ إلى الساحل ونزل على صُور وفتحوها عَنوةً، وأخذوا منها أموالا عظيمة، وكان بها رجل يُعرف بالكُتيلة، فأُسر وحُمِل إلى مصر .

وفيها سار الأفضل أمير الجيوش المذكور من مصر بالعساكر إلى القدس، وكان به سُكْمان بن أُرْتُق وأخوه ايلغازى؛ فحصر البلد ونصب عليها المجانيق وقاتلهم أربعين يوما؛ وأرسل أهل القدس فواطئوه على فتح الباب، وطلبوا منه الأمان فأمّنهم وفتحوا له الباب، وخرج سكمان من باب آخر ومضىٰ إلى الرُّها، ومضى أخوه ايلغازى إلى بغداد . وهما أول ملوك الأرْتُقيّة ظهورا .

وفيها تواترت الأخبار بخروج ملك الروم من بلاد الروم بقصد البلاد الشاميّة .

وفيها قُتِل رِضوان بن تاج الدولة تُتُش السلجوقىّ وقُتِل ولده ونُهِبت داره . وكان ظالما فاتكا . كان آستوزر أبا الفضل بن المَوْصِلىّ مشيِّد الدين .

وفيها توفّى عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله أبو حكيم الخَبْرِىّ — وخَبْر: إحدى بلاد فارس — وهو جدّ [أبى][1] الفضل بن ناصر لأبيه[2]. تفقّه على أبى إسحاق الشيرازىّ وبرَع فى الفرائض، وله فيها مصنّف . وكان فقيها صالحا حسن الطريقة .

وفيها توفّى عبد الرزّاق بن عبد الله بن المُحَسِّن أبو غانم التَّنُوخىّ المَعرّىّ . كان فاضلا شاعرا . ومن شعره فى كوز فُقّاع[3] : [الوافر]

ومحبوس بلا ذنبٍ جنـاه * له سجنٌ بباب من رَصاص
يُضَيَّق[5] بابه خوفًا [عليه][4] * ويُوثَق بعد ذلك بالعِفاص
إذا أطلقتَـه خرج آرتقاصا * وقبل فاك من فرح الخَلاص

(١) تكملة عن بغية الوعاة للسيوطى والمنتظم ومرآة الزمان . (٢) الذى فى عقد الجمان ومرآة الزمان : «وهو جد أبى الفضل بن ناصر لأمه» . (٣) الفقاع : شراب يتخذ من الشعير . (٤) التكملة عن مرآة الزمان . (٥) العفاص : غلاف القارورة .

وفيهـا توفّى منصور بن محمـد بن عبد الجبّار الشيخ أبو المظفّر السمعانىّ، جدّ أبى سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور صاحب «الذيل». وكان أبو المظفّر هذا من أهل مَرْو، وتفقّه على مذهب أبى حنيفة حتى برَع، ثمّ ورد بغداد وآنتقل لمذهب الشافعىّ لمعنى من المعـانى، ورجع إلى بلده فلم يقبلوه وقام عليه العوامّ، فخرج إلى طُوس، ثم قصد نيسابور. وصنّف «التفسير» و«البرهان» و«الأصطلام» و«القواطع فى أصول الفقه» وغير ذلك. ومات فى شهر ربيع الأوّل بمرو.

§ أمر النيل فى هذه السنة ـــ المـاء القديم أربع أذرع وسبع عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة ثلاث عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا.

***

السنة الثالثة من ولاية المستعلِى أحمد على مصر وهى سنة تسعين وأربعمائة.

فيها أخذت الفرنج نِيقِيّة وهى أوّل بلد أخذوه، ثم [فتحوا[1] حصون الدورب] شيئا بعد شىء، كما ذكرناه مفصّلا فى أوّل ترجمة المستعلى هذا.

وفيها توفّى المعمّر[2] بن محمد بن المعمّر بن أحمد بن محمد أبو الغنائم الحسينىّ الطاهر ذو المناقب نقيب الطالبيّين. مات بالكَرْخ، فحمل إلى مقابر قريش فدفن بها. وكان من كبار الشيعة. وولى النقابة بعده ولدُه أبو الفتوح حيدرة، ولقّب بالرضىّ ذى الفخرين.

وفيها تُوفّى نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم أبو الفتح الفقيه القدسىّ الشافعىّ. أصله من نابُلس، وأقام بالقدس مدّة ودرس بها. وكان فقيها عابدا زاهدا ورِعا. مات فى المحرّم من هذه السنة.

---

(١) التكملة عن مرآة الزمان. (٢) كذا فى الأصل والمنتظم وعقد الجمان. وفى مرآة الزمان: «المعمر محمد بن المعمر... الخ». وفى ابن الأثير: «النقيب الطاهر أبو الغنائم محمد بن عبد الله».

(٣) فى الأصل: «الحسنى». وما أثبتناه عن المنتظم وعقد الجمان ومرآة الزمان.

وفيها تُوفّى يحيى بن أحمد السِّبِيّ[1] . مات فى شهر ربيع الآخر وعاش مائة وثلاثا وخمسين سنة وثلاثة أشهر وأياما، وكان صحيح الحواسّ، يُقرأ عليه القرآن، ويُسمع الحديث، ورحل الناس إليه . وكان ثقة صالحا صدوقا .

وفيها قُتِل الملك أَرسلان أَرْغون بن السلطان أَلْب أَرْسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق السلجوقىّ بمرو، كان قد حكم على خُراسان . وسبب قتله أنه كان مؤذيا لغِلمانه جبّارا عليهم؛ فوثب عليه رجل منهم فقتله بسكّين . وكان قد ملك مَرْو ونيسابور وبَلْخ وتِرْمذ، وأساء السيرة وخرّب أسوار مدن خُراسان، وصادر وزيره عِماد الملك بن نظام الملك، وأخذ منه ثلثمائة ألف دينار ثم قتله .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وإحدى عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و إصبع واحدة .

⁂

السنة الرابعة من ولاية المستعلى أحمد على مصر وهى سنة إحدى وتسعين وأربعمائة .

فيها تواترت الشّكايات من الفرنج ، وكتب السلطان بَرْكِيَارُوق السلجوقىّ إلى العساكر يأمرهم بالخروج مع عَميد الدولة[2] للجهاد، وتجهّز سيف الدولة صَدَقة، وبعث مقدّماته إلى الأنبار . ثمّ وردت الأخبار إلى بغداد بأنّ الفرنج ملكوا أنطاكِيَة وساروا إلى مَعَرّة النعمان فى ألف ألف إنسان، فقتلوا وسَبَوْا، حسب ما ذكرنا فى أول ترجمة المستعلى هذا .

(١) السِّبِيّ : نسبة الى السِّيب، كورة من سواد الكوفة .

(٢) كذا فى مرآة الزمان وما يفهم من عبارة المنتظم وابن خلكان والفخرى ، وهو محمد بن محمد بن محمد بن جهير عميد الدولة . وفى الأصل : « عميد الملك » .

وفيها عزل السلطان بَرْكِيَاروق وزيرَه مؤيّد الملك بن نظام الملك عن وزارته ، واستوزر أخاه فخر الملك . وكان مؤيّد الملك فى غاية من العقل والفضـل وحسن التدبير، وفخـر الملك بعكس ذلك كلّه. فلحِق مؤيّد الملك بأخى بركياروق محمـد بن ملكشاه، وأطمعه فى الملك . وكان عزل مؤيد الملك بإشارة [مجـد الملك](١) القُمّىّ المسـتوفى .

وفيها خرج محمد بن ملكشاه المذكور على أخيه بركيار وق . وكان لملكشاه عدّة أولاد، منهم بركياروق السلطان بعده وأمّه زبيدة(٢)، ومحمود وأمه خاتون، ومحمد شاه هـذا الذى خرج، وسنجر؛ ومحمد وسنجر هما أخوان لأب وأم . وكان محمد هذا رباه أخوه بركياروق وأقطعه كَنْجَة(٣) وأعمالها ، ورتّب معه شخصا كالأَتابك، وآسمـه أيضا محمد؛ فوثب عليه محمد شاه وقتله لكونه كان يحجُر عليه، ولا يبتّ أمرًا حتى يراجع بركياروق. ووافق ذلك مجىء مؤيّد الملك بن نظام الملك إليه ، فجرت له مع أخيه بركيار وق حروب ووقائع .

وفيها توفّى طَرّاد بن محمد بن علىّ أبو الفوارس الزينبىّ العباسىّ الهاشمىّ . هو من ولد زينب بنت سليمان بن علىّ بن عبد الله بن عباس . وُلِد سنة ثمان وتسعين وثلثمائة، وسمع الكثير، ورحل الناس إليه من الأقطار، وأملى بجامع المنصور، وحجّ سنة تسع وثمـانين وأربعمائة، وأملى بمكة والمدينة، وولى نقابة العباسيّين بالبصرة، وكانت له رياسة وجلالة . ومات فى شوّال وقد جاوز تسعين سنة .

---

(١) الزيادة عن مرآة الزمان . (٢) كذا فى تاريخ آل سـلجوق ومرآة الزمان . وفى الأصل : «زريدة» . (٣) كنجة : مدينة عظيمة وهى قصبة بلاد أران ، وأهل الأدب يسمونها : «جنزة» . وكنجة من نواحى لرستان بين خوزستان وأصبهان . (عن معجم البلدان لياقوت).

وفيهـا توفّى نصر بن علىّ بن الْمُقَلَّد بن نصر بن مُنْقِذ أبو المرهف الكِنَانىّ عزّ الدولة. ملَكَ شَيْزَر بعد أبيه، وقام بتربية إخوته أحسن قيام . وفيه يقول أبوه علىّ بن المقلّد من قصيدة : [الطويل]

جزى الله نصراً خيرَما جُزِيتْ به * رجالٌ قَضَوْا فرضَ العُلَا وتَنَفّلُوا

ومنهـا :

سألقاكَ يوم الحشرِ أبيضَ واضحًا * وأشـكر عند الله ماكنتَ تفعل

ومنهـا :

إلى الله أشكو من فِراقـك لَوْعةً * تَوَقّـدُ فى الأحشاء ثم تَرَحَّـلُ

ومن شعر نصر هذا : [الخفيف]

كنت أستعمل البياض من الأمـ * ـشاط عُجْبًا بِلِمَّـتِى وشـبابى

فاتّخذت السـواد فى حالة الشّيْـ * ـب سُلُوًّا عن الصِّبا بالتّصابى

وفيها تُوفى الحافظ أبو العباس أحمد بن بِشْرَوَيْه[1] الأصبهانىّ الإمام المحدّث . مات وله ست وتسعون سـنة . وكان إماما حافظا، سمع الحديث وروى عنه غير واحد، وكان من أئمة المحدّثين . رحمه الله تعالى .

§أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وثمـانى عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة ثمـانى عشرة ذراعا وست عشرة إصبعا .

* * *

السنة الخامسة من ولاية المستعلى أحمد على مصر وهى سـنة آثنتين وتسعين وأربعمائة .

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن بشرويه، كما فى شرح القاموس (مادة بشر).

فيها آستولى الفرنج على بيت المقدس فى يوم الجمعة ثالث عشر شعبان، حسب ما ذكرناه فى ترجمة المستعلى هذا .

وفيها تُوفى السلطان إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكين صاحب غَزْنَة وغيرها من بلاد الهند . كان ملكا عادلا مُنصفا منقادا إلى الخير كثير الصدقات، كان لا يَبْنى لنفسه مكانا حتى يَبْنى لله مسجدا أو مدرسة . قال الفقيه أبو الحسن الطَّبَرِىّ : أرسلنى إليه بَرْكِيَارُوق فى رسالة، فرأيت فى مملكته مالا يتأتى وصفه . ومات فى شهر رجب وقد جاوز السبعين . وأقام مِلكا نيفا وأربعين سنة .

وفيها تُوفى الشيخ عبد الباقى بن يوسف بن علىّ بن صالح أبو تراب المَرَاغىّ الفقيه الشافعىّ . كان إماما فقيها زاهدا مدرّسا . مات فى ذى القعدة عن آثنتين (١) وتسعين سنة، وقد آنتهت إليه رياسة العلم بنيسَابور .

وفيها تُوفى علىّ بن الحسن بن الحسين (٢) بن محمد القاضى أبو الحسن المَوْصلىّ الأصل المصرىّ الفقيه الشافعىّ المعروف بالخِلَعِىّ . وُلِد بمصر فى أوّل سنة خمس وأربعمائة، وسمع الحديث الكثير ورواه، وكان مُسْنِد الديار المصريّة فى وقته . ومات فى ذى الحجة .

وفيها توفّى الحافظ أبو القاسم (٣) مَكّىّ بن عبد السلام الرُّمَيْلِىّ ببيت المقدس شهيدًا حين أخذته الفرنج فى شعبان، وآستُشْهِد به عالَم لا يحصى . وكان إماما محدّثا حافظا .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وآثنتان وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وأربع عشرة إصبعا .

(١) فى مرآة الزمان وعقد الجمان والمنتظم وعيون التواريخ : « عن ثلاث وتسعين سنة » .
(٢) كذا فى الأصل والمنتظم وطبقات الشافعية . وفى شرح القاموس وتذكرة الحفاظ : «أبو الحسين» .
(٣) كذا فى الأصل وعيون التواريخ وشذرات الذهب . وفى تذكرة الحفاظ : «أبو العباس» .

السنة السادسة من ولاية المستعلي أحمد على مصر وهى سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة .

فيها عادت الخطبة ببغداد باسم بَرْكَيَارُوق بعد الخليفة، وكان بَطَل اسمه وخُطب لأخيه محمد شاه ؛ وهـذا بعد أن وقع بينهما حروب إلى أن ملك بركياروق وأخرج أعوان محمد شاه من بغداد .

وفيها تُوفّى عبـد الله بن أحمـد بن علىّ بن صابر أبو القاسم السلمىّ الدمشـقىّ ويعرف بابن سيدة . وُلِد سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة، ومات فى شهر ربيع الآخر بدمشق. وأنشد : [الوافر]

صبرًا لحكمك أيّها الدهرُ * لك أن تجور ومنّى الصـبرُ
آليتُ لا أشكوك مجتهدًا * حتى يَرُدَّكَ مَن له الأمرُ

وفيها تُوفّى محمـد بن سلطان بن محمد بن حَيُّوس أبو الفتيان الأمير الشاعر . وُلِد سنة إحدى وأربعمائة(١)، وهو من بيت الفضل والعلم والرياسة . ومات فى شهر رجب وقد جاوز تسعين سنة . ومن شعره من قصيدة أوّلها : [الطويل]

لكم أن تجوروا مُعرضين وتَغضَبوا * وعادتُكم أن تَزْهَدوا حين تغضبوا
جنيتُم علينـا واعتذرنا إليكـمُ * ولولا الهوى لم يسأل الصَّفحَ مذنبُ

وفيها تُوفّى الوزير محمد بن محمد [بن محمد](٢) بن جَهِير الصاحب شرف الدين عَمِيد الدولة . كان حسن التدبير، كافيًا فى المَهام، شجاعا جَوادًا عظيما فى الدول. وزر للخليفة القائم، ثم من بعده للمقتدى فعزله بأبى شجاع ، ثم أعاده المستظهر فدبّر أموره ثمـانى

(١) فى ابن خلكان : «وكانت ولادة ابن حيوس يوم السبت سلخ صفر سنة أربع وتسعين وثلثمائة».
(٢) التكملة عن المنتظم ومرآة الزمان وعيون التواريخ وعقد الجمان والفخرى فى الآداب السلطانية

سـنين وأحد عشر شهرا وأربعة أيام . وكان له ترسّـل بديع ، وتوقيعات وجيزة وأشعار رقيقة . ومدحه شعراء عصره؛ وفيه يقول أبو منصور علىّ بن الحسن المعروف بصَرَّدُرّ الشاعر قصيدته العينية المشهورة التى أولها : [الكامل]

قـد بان عذرك والخليط مودِّع * وهوى النفوس مع الهوادج يَرْفَعُ

وفيهـا توفّى يحيى بن عيسى بن جَزْلَة أبو علىّ المتطبّب صاحب « المِنهـاج »[1] فى الطب . كان نصرانيـّا يقرأ على أبى علىّ بن الوليد المعتزلىّ ، فلم يزل يدعوه إلى الإسلام حتى أسلم وحسن إسلامه . واستخدمه أبو عبد الله[2] الدامغانى قاضى القضاة فى كتب السِّجلّات . وكان يَطُبّ أهل محلّته بغير عِوَض ، ويعود الفقراء ويُحسن إليهم . ووقف كتبه على مشهد أبى حنيفة — رضى الله عنه .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم عشر أذرع وستّ عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ثمـانى عشرة ذراعا وخمس عشرة إصبعا .

*
* *

السـنة السابعة من ولاية المستعلى أحمد على مصر وهى سنة أربع وتسعين وأربعمائة .

فيها قتل السلطان بَرْكِيَارُوق خلقا من الباطنية، وكانوا ثلثمائة ونيّفا، وكتب إلى الخليفة بالقبض على من اتّهم أنّه منهم .

---

(١) هو منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان من الأدوية المفردة والمركبة وتوجد نسخة مخطوطة منه محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٠٧ طب . (٢) كذا فى تاريخ الحكماء للقفطى والمنتظم وعقد الجمان وعيون التواريخ والبداية والنهاية لابن كثير . وفى الأصـل ومرآة الزمان : « أبو الحسن قاضى القضاة » .

وفيها ٱلتقى بَرْكِيَارُوق مع أخيه محمد شاه، وكان مع محمـد شاه خمسة عشر ألفا، ومع بركياروق خمسة وعشرون ألفا؛ فاقتتلوا قتالا شديدا، قُتِل من الفريقين عدّة كبيرة؛ فانهزم محمـد شاه وهرب وزيره مؤيّد الملك بن نظام الملك، فتبعه غلمان بركياروق وأخذوه وجاءوا به إلى بركياروق، فقـام وضرب عُنُقَه بيـده. ومضى محمد شاه وٱستجار بأخيه سنجر شاه؛ فأرسل سـنجر شاه إلى بركياروق يسأله فيه؛ فقال بركياروق: لا بدّ أن يطأ بساطى. ثم وقع أمور؛ وٱنتصر سنجر شاه لأخيه محمـد شاه، ولا زال حتّى دخل محمد بغـداد وخُطِب له بها، وتوجّه بركياروق إلى واسط.

وفيها أخذ الفرنج جَبَلَة من بلاد الساحل وأَرْسُوف[1] وقَيْسارِيّة بالسيف.

وفيها تُوفّى محمد بن منصور أبو سـعد شرف الملك المستوفى الخُوَارَزْمِىّ. كان جليل القدر فاضـلا نبيلا متعصّبا لأصحاب أبى حنيفة — رضى الله عنـه — وهو الذى بَنَى على أبى حنيفة القُبّة والمدرسـة الكبيرة بباب الطّاق — وقد قدّمنا ذكره فى وفاة أبى حنيفة فى هذا الكتاب — وبنى أيضا مدرسة بمَرْو، ووقف فيها كتبا نفيسة، وبنى الرِّباطات فى المفاوز، وعمل خيرات كثيرة. ثم ٱنقطع فى آخر عمره. وبذل للكبشاه مائة ألف دينار حتى أعفاه من الخدمة. ومات بأصبهان فى جُمادى الآخرة.

وفيها قُتِل أبو المحاسن[2] وزير بركياروق. كان قد نَقَم على أبى سعيد[3] شيئا فقتله؛ فركب بعد ذلك وسار على باب أصبهان، فوثب عليه غلام أبى سعيد الحدّاد فقتله وأخذ بثأر أستاذه. فأمر بركياروق بسلخ الغلام فَسُلِـخ وعُلِّق.

(١) أرسوف: مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا. (عن معجم البلدان لياقوت).

(٢) هو أبو المحاسن الأعز عبد الجليل بن على بن محمد الدهستانى، كما فى ابن الأثير.

(٣) كذا فى ابن الأثير وهامش الأصل. وفى الأصل: «أبو سعد».

وفيها تُوفّى الشيخ أبو الحسن علىّ بن أحمد بن الأخرم[1] المَدِينىّ المؤذّن. كان إماما محدّثا فاضلا. مات فى المحرّم وله تسع وثمانون سنة.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وثمانى عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وسبع أصابع.

* * *

السنة التى حكم فى أوّلها المستعلى أحمد ثم الآمر ولده، وهى سنة خمس وتسعين وأربعمائة.

فيها جلس الخليفة المستظهر بالله أحمد العباسىّ لمحمد شاه وسنجرشاه ابنى ملكشاه جلوسا عامّا ودخلا عليه وقبلا الأرض له، فأدناهما وأفاض عليهما الخِلَع، وتوّجهما وطوّقهما وسوّرهما، وقرأ الخليفة: ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ...﴾ الآية. ثم خرجا إلى قتال أخيهما بَرْكِيَارُوق؛ فوقع بينهما وقائع وحروب أسفرت عن نُصرة بَرْكِيَارُوق وانهزام محمد شاه.

وفيها قبض بركياروق على الكِيَا[2] الهرّاسىّ الفقيه الشافعىّ، لأنه بلغه عنه أنه باطنىّ شيعىّ؛ فكتب الخليفة إليه ببراءة ساحته وحسن عقيدته ودينه، فأطلقه.

وفيها كانت وفاة صاحب الترجمة المستعلى بالله أحمد، كما تقدّم ذكره فى ترجمته.

وفيها توفّى حسين بنُ ملاعب جَنَاح الدولة صاحب حِمْص. كان أميرا مجاهدا شجاعا يباشر الحروب بنفسه. دخل[3] جامع حِمْص يوم الجمعة فصلّى الجمعة، فوثب

(١) فى شذرات الذهب: «على بن أحمد الأحزم» بالحاء المهملة. (٢) هو على بن محمد ابن على أبو الحسن الطبرى الملقب عماد الدين المعروف بالكيا الهراسى. والكيا فى اللغة الأعجمية: الكبير القدر المقدّم بين الناس. (عن وفيات الأعيان لابن خلكان). (٣) فى الأصل: «دخل حمام حمص». والتصويب عن مرآة الزمان.

عليه ثلاثة من الباطنيّة فقتلوه . وكان سبب قتله أنه كان عند رِضوان بن تُتُش ملك حلب منجِّم باطنيّ، وهو أوّل من أظهر مذهب الباطنيّة بالشام، فندب لقتل جَنَاح الدولة هذا أولئك النفر . ثم قُتِل المنجم بحلب بعد ذلك بأربعة عشر يوما .

وفيها تُوفِّى الشيخ أبو العلاء صاعد بن سَيّار الكِنَانِىّ الهَرَوِى الفقيه العالم المشهور، كان إماما فقيها مُفْتِيًا مدرّسا صالحا ثقة .

أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وثمانى أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا .

ذكر ولاية الآمر بأحكام الله على مصر

الآمر آسمه منصور، وكنيته أبو علىّ، ولقبه الآمرُ بأحكام الله بن المستعلى بالله أبى القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبى تميم مَعَدّ بن الظاهر بالله علىّ بن الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله نِزار بن المعزّ لدين الله معدّ بن المنصور إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن المهدىّ عُبَيْد الله العُبَيْدىّ الفاطمىّ السابع من خلفاء مصر من بنى عبيد والعاشر منهم ممن ملك بالمغرب .

قال الحافظ أبو عبد الله شمس الدّين محمد الذهبىّ فى تاريخ الإسلام : «كان رافضيّا كآبائه فاسقا ظالمـا جبّارا(١) متظاهرًا بالمنكَر واللّهو ، ذا كِبْر وجَبَرُوت ، وكان مدبِّر سلطانه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش . ولى الآمر وهو صبىّ فلمـا كبِر قتل الأفضل وأقام فى الوزارة المأمونَ أبا عبد الله محمد بن مختار بن فاتك البطائحىّ(٢)، فظلم وأساء السِّيرة إلى أن قَبَض عليه الآمر سنة تسع عشرة وخمسمائة، وصادره ثم قتله فى سنة آثنتين وعشرين وصلبه ، وقتل معه خمسة من إخوته . وفى أيام الآمر أخذ الفرنج عكّا سنة سبع وتسعين وأربعمائة، وأخذوا طرابُلُس(٣) فى سنة آثنتين وخمسمائة، فقتلوا وسَبَوْا ، وجاءتها نجدة المصريّين بعد فوات المصلحة ؛ وأخذوا عِرْقَة(٤) وبانْيَاس . وتسلّموا فى سنة إحدى عشرة وخمسمائة تِبْنِين(٥) وتسلّموا صُور سنة ثمانى عشرة ، وأخذوا بيروت بالسيف فى سنة ثلاث وخمسمائة، وأخذوا صَيْداء(٦) سنة أربع وخمسمائة .

---

(١) فى تاريخ الإسلام للذهبى : «كان ظالمـا جائرا مستهزئا لعابا» . (٢) البطائحىّ : نسبة الى البطائح، موضع بين واسط والبصرة . (٣) فى تاريخ الإسلام : «وأخذوا طرابلس الشام» . (٤) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٥) تبنين : بلدة فى جبال بنى عامر المطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور . (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٦) صيداء : مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرق صور . (راجع معجم البلدان لياقوت) .

ثم قصد الملك بردويل[1] الإفرنجيّ مصر ليأخذها، ودخل الفَرَما وأحرق جامعها ومساجدها، فأهلكه الله قبل أن يصل إلى العريش[2]. فشقّ أصحابه بطنه وصبروه، ورمَوْا حُشْوَتَه[3] هناك؛ فهي تُرْجَم إلى اليوم بالسبخة[4]، ودفنوه بقُمامة[5]. وهو الذي أخذ بيت المقدس وعكا وعدّة حصون من السواحل. وهذا كله بتخلّف هذا المشئوم الطلعة. وفي أيامه ظهر ابن تُومَرت[6] بالغرب.

ووُلِد الآمر في أوّل سنة تسعين وأربعمائة، واستخلف وله خمس سنين، وبقي في الملك تسعًا وعشرين سنة وتسعة أشهر، إلى أن خرج من القاهرة يومًا في ذي القعدة

---

(١) الفرما — كانت مدينة من حصون مصر القديمة واقعة في الجهة الشرقية من بحيرة المنزلة بالقرب من شاطئ البحر الأبيض المتوسط. وبعد حفر قناة السويس أصبحت الفرما واقعة في الجهة الشرقية منه وعلى بعد ٣٥ كيلومترا من مدينة بورسعيد. وكانت الفرما حصنا من حصون مصر القديمة أكثر مما هي مدينة وكان بها على الدوام من عهد الفراعنة قوة عسكرية للمحافظة على حدود مصر الشرقية وفي أثناء الحرب الصليبية نزل الفرنج على الفرما في سنة ١١٥٠م ونهبوا أهلها ثم أحرقوها وفي سنة ١١٦٣م أكمل حرقها الوزير أبو شجاع شاور بن مجير السعدي وزير العاضد عبد الله بن يوسف الفاطمي بسبب النزاع الذي وقع بينه وبين أبي الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار اللخمي الذي كان مزاحما له في الوزارة. ومن تلك السنة أصبحت الفرما خرابا لم تعمر بعد ذلك وأطلالها قائمة شرق محطة الطينة (احدى محطات سكة الحديد بين بورسعيد والقنطرة) وعلى بعد ٢٥ كيلومترا منها.

(٢) العريش: مدينة قديمة واقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط قرب نهاية الحدّ الشرقي لأرض مصر الذي ينتهي من الجهة الشمالية بقرب رفح الواقعة على رأس الحدّ الفاصل بين مصر وفلسطين. وبين العريش ورفح ٤٥ كيلومترا. وكانت العريش من ثغور مصر ثم جعلت محافظة وبها من قديم قوة عسكرية لوقوعها قرب حدود مصر الشرقية. وبسبب الحرب الأوروبية العامة التي وقعت بين سنتي ١٩١٤ و ١٩١٨ أنشأت الحكومة في أول سنة ١٩١٧ مصلحة لأقسام الحدود المصرية فكان من محافظاتها محافظة سينا وجعل مركزها العريش، ولم تزل محل إقامة المحافظ الى اليوم. ويقيم بها فرقة من فرق الجيش المصري.

(٣) الحشوة (بالكسر والضم): الأمعاء.

(٤) هي سبخة بردويل، ويقال لها بحيرة البردويل واقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط شرق بورسعيد وعلى بعد ٩٠ كيلومترا منها. وهي لم تزل موجودة الى اليوم، وتمتدّ في المنطقة الواقعة شمالي سكة حديد القنطرة والعريش بين محطتي بئر العبد والمزار.

(٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧٨ من الجزء الرابع من هذه الطبعة.

(٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥١ من هذا الجزء.

وعدّى على الجسر(١) إلى الجزيرة(٢)؛ فكَمَن له قوم بالسلاح. فلما عَبَر نزلوا عليه بأسيافهم، وكان فى طائفة يسيرة، فردّوه(٣) إلى القصر وهو مُثْخَن بالجراح، فهلك من غير عقب. وهو العاشر من أولاد المهدىّ عُبَيد الله الخارج بسِجِلْمَاسَة وبايعوا

---

(١) الجسر: المقصود به هنا القنطرة التى يعبر عليها الناس والدواب. قال المقريزى عند الكلام على الجسور (ص ١٧٠ ج٢ من خططه): كان فيما بين ساحل مصر وبين جزيرة الروضة جسر من خشب، وكذلك فيما بين الروضة و بر الجيزة جسر آخر من خشب، وكان هذان الجسران من مراكب مصطفة بعضها بحذاء بعض وهى موثقة، ومن فوقها أخشاب ممتدة فوقها تراب، وكان عرض الجسر ثلاث قصبات وذلك لمرور الناس والدواب من مصر الى الروضة ومن الروضة الى الجيزة. ثم قال: وكان رأس هذا الجسر حيث المدرسة الخروبية البدرية التى أنشأها بدر الدين محمد بن محمد الخروبى التاجر على ساحل مصر قبلى خط دار النحاس (دير النحاس). وأقول: وقد عرفت هذه المدرسة فيما بعد باسم جامع القبوة لأنه كان معلقا على قبو فى مدخل شارع القبوة الحالى بمصر القديمة. وقد زال هذا الجامع ولم يبق من آثاره إلا أحد حائطى القبو من يمين الداخل من شارع القبوة. ومن هذا الوصف يتبين أن رأس الجسر المذكور من الجهة الشرقية كان واقعا على ساحل النيل بمصر القديمة تجاه شارع القبوة. وفى وقتنا الحاضر قد حل محل هذا الجسر كبرى الملك الصالح وكبرى عباس الثانى فى مكان آخر شمال مكان الجسر المذكور.

(٢) الجزيرة: المراد بها جزيرة الروضة، وهذه الجزيرة واقعة فى مجرى النيل بين مصر القديمة ومنطقة القصر العالى من الجهة الشرقية للنيل وبين بندر الجيزة وشاطئ النيل الغربى من الجهة الغربية. وقد عرفت فى أوّل الاسلام بالجزيرة لوقوعها فى مجرى النيل، وبجزيرة مصر، وبجزيرة الفسطاط لوقوعها تجاه مدينة مصر (الفسطاط). ثم قيل لها جزيرة المقياس حيث يوجد بها مقياس النيل الذى أنشأه أسامة بن زيد التنوخى العامل على خراج مصر بأمر الخليفة سليمان بن عبد الملك الأموى سنة ٩٧هـ. ويقع المقياس فى نهاية الجزيرة من الجهة الجنوبية تجاه جامع البربرى بمصر القديمة، وعرفت أيضا باسم جزيرة الحصن حيث كان بها الحصن الذى بناه الأمير أحمد بن طولون سنة ٢٦٣ هـ، ثم عرفت أيضا بعد ذلك باسم جزيرة الروضة نسبة الى البستان الذى أنشأه فى نهايتها البحرية الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى فى سنة ٤٩٠هـ وسماه «الروضة». ومن ذاك الوقت الى اليوم صارت الجزيرة تعرف كلها باسم جزيرة الروضة. وهى اليوم من توابع مدينة القاهرة وقد أقيم فى نهايتها البحرية، محل بستان الروضة، مستشفى فؤاد الأوّل، وبها بلدة منيل الروضة، وكانت أراضيها من عهد قريب مخصصة للزراعة إلا أنه قد تحوّل جزء عظيم من تلك الأراضى الى أرض للبناء أقيم عليها كثير من الدور والقصور وبعد قليل من الزمن تصبح كلها مبانى. وبها مقياس النيل المستعمل الآن لقياس آرتفاع مياه النيل، وقسمت أراضيها الى جملة شوارع أطولها شارع المنيل الذى يخترقها من الشمال الى الجنوب وشارع الروضة الذى يقطعها من الشرق الى الغرب بين كبرى الملك الصالح وكبرى عباس الثانى.

(٣) فى الأصل: «فردوا به الى القصر». وقد أثبتنا ما ورد فى تاريخ الاسلام للذهبى.

بالآمر ابن عمه الحافظ أبا الميمون عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله . وكان الآمر رَبْعَةً، شديد الأُدمة، جاحظ العينين، حسن الخط، جيّد العقل والمعرفة . وقد ابْتُهِجَ بقتله لفِسْقه وسَفْكه للدماء وكثرة مصادرته واستحسانه الفواحش . وعاش خمسا وثلاثين سنة . وبنى وزيره المأمون بالقاهرة «الجامع الأقمر»(١) . انتهى كلام الذهبيّ برمّته . ونذكر إن شاء الله قتله وأحواله بأوسع مما قاله الذهبيّ من أقوال جماعة من المؤرّخين أيضا .

وقال العلّامة أبو المظفّر في مرآة الزمان: «لما كان يوم الثلاثاء ثالث ذي القعدة خرج من القاهرة (يعني الآمر) وأتى الجزيرة وعبّر بعض الجسر، فوثب عليه قوم فلعبوا عليه بالسيوف — وقيل : كانوا غلمان الأفضل — فحُمِل في مركَب إلى القصر فمات في ليلته، وعمره أربع وثلاثون سنة — وزاد غيره فقال : وتسعة أشهر وعشرون يوما — وكانت أيّامه أربعا وعشرين سنة وشهرا .

قلت : وهِمَ صاحب مرآة الزمان في قوله : « وكانت مدّته أربعا وعشرين سنة وشهرا » . والصواب ما قاله الذهبيّ، فإنّه وافق في ذلك جمهور المؤرخين . ولعل الوهم يكون من الناسخ . وما آفة الأخبار إلّا رُواتها .

قال (أعني صاحب مرآة الزمان) : ومولده سنة تسعين وأربعمائة . قلت : وزاد غيره وقال : في يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرّم . قال : وكانت سيرته قد ساءت بالظلم والعسْف والمصادرة . قال : ولمّا قُتِل الآمر وثب غلام له أرمنيّ فاستولى على القاهرة، وفرّق الأموال في العساكر، وأراد أن يتأمر على الناس؛ فخالفه جماعة

(١) الجامع الأقمر، هذا الجامع أنشأه الخليفة الآمر بأحكام الله أبو علي منصور بن خليفة المستعلي أحمد الفاطمي في سنة ٥١٩ هـ الموافقة لسنة ١١٢٥ م . ولم يزل هذا الجامع قائم الشعائر الى اليوم سنة ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م بشارع النحاسين بقسم الجمالية بالقاهرة .

ومضوا إلى أحمد بن الأفضل (يعنى الوزير) فعاهدوه وجاءوا به إلى القاهرة، فخرج الغلام الأرمنىّ فقتلوه، وولّوا أبا الميمون عبد المجيد بن محمـد بن المستنصر، وولى الخلافة، ولقّبوه بالحافظ؛ ووزر له أبو علىّ أحمـد بن الأفضل بن أمير الجيوش، وسمّاه أمير الجيوش. فأحسن إلى الناس، وأعاد إليهم ما صادرهم به الآمر وأسقطه؛ فأحبّه النـاس؛ فحسده مقدّمو الدولة فآغتالوه. وقيل: إنّ الآمر لم يخلّف ولدا وترك آمرأة حاملا؛ فمـاج أهل مصر وقالوا: لا يموت أحد من أهل هذا البيت إلّا ويخلّف ولدا ذكرًا، منصوصة عليه الإمامة؛ وكان قد نصّ على الحَمْل قبل موته، فوضعت الحامل بنتًا، فعدلوا إلى الحافظ؛ وآنقطع النّسل من الآمر وأولاده. وهذا مذهب طائفة من شيعة المصريّين؛ فإنّ الإمامة عنـدهم من المستنصر إلى نزار. وكان نقش خاتم الآمر هذا «الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين». وآبتهج الناس بقتله. انتهى كلام صاحب مرآة الزمان أيضا برمّته.

قلت: ونذكر إن شاء الله قتلَةَ الآمر هذا بأوسع من هذا فى آخر ترجمته بعد أن نذكر أقوال المؤرخين فى أمره.

وقال قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن خلّكان — رحمه الله —: «وكان الآمر سيّئ الرأى جائر السّـيرة مستهترًا متظاهرا باللّهو واللّعب. وفى أيّامه أخذت الفرنج مدينة عكّا — ثم ذكر آبن خلّكان نحوًا ممّا ذكره الذهبىّ من أخذ الفرنج للبلاد الشامية. إلى أن قال: — خرج من القاهرة (يعنى الآمر) صبيحة يوم الثلاثاء ثالث عشر[1] ذى القعدة سـنة أربع وعشرين وخمسمائة، ونزل إلى مصر وعدّى على الجسر إلى الجزيرة التى قُبالة مصر (يعنى الرَّوْضَة)؛ فكمَن له قوم بالأسلحة

(١) فى وفيات الأعيان لابن خلكان (طبع بولاق سنة ١٢٧٥ هـ): «يوم الثلاثاء ثالث ذى القعدة».

وتواعدوا على قتله فى السكة التى يمرّ بها . فلمّا مرّ بها وثبوا عليه ولَعِبوا عليه بالسيوف ، وكان قد جاوز الجسر وحدّه فى عدّة قليلة من غِلمانه وبِطانته وخاصّته وشِيعته ، فحُمِل فى زَوْرَق فى النيل ولم يَمُت ، وأُدخِل القاهرة وهو حىٌّ وجىء به إلى القصر فمات من ليلته ، ولم يُعقب . وكان قبيح السِّيرة ، ظَلَم الناس وأخذ أموالهم ، وسَفَك الدماء ، وآرتكب المحظورات ، وآستحسن القبائح ، وآبتهج الناس بقتله » . انتهى كلام آبن خلّكان .

وقيل : إنّ الآمر كان فيه هَوَج عند طلوعه المِنْبَر فى خطبته فى الجُمَع والأعياد ، فآستحيا وزيره المأمون بن البطائحىّ أن يشافهه بما يقع له من الهَوَج ؛ وأراد أن يُفهمها له من غير مشافهة ، فقال له : يا مولانا ، قد مضى من الشهر أيّام ولم يبق إلا الرّكوب إلى الجمعة الأولى — قلت : وقد تقدّم فى ترجمة المعزّ لدين الله ترتيب خروج الخلفاء الفاطميّين إلى صلاة الجمعة — ويُصَلّوا بالناس ثلاث جُمَع ، والجمعة الأخيرة من كلّ شهر يُصَلّى بالناس الخطيب وتسمّى تلك الجمعة جمعة الراحة[1] (أعنى يستريح فيها الخليفة) . ونستطرد فى هذه الترجمة أيضا لذكر شىء من ذلك ممّا لم نذكره فى ترجمة المعزّ . قال الوزير : يا مولانا ، وبعد غد جمعة الراحة ، فإن حسُن فى الرأى أن يخرج مولانا بحاشيته خاصّة من باب النوبة[2] إلى القصر النافعىّ[3] فما فيه سوى عجائز وقرائب وألزام ، ويجلس مولانا على القُبّة التى على المِحراب قُبالة الخطيب ليشاهد نائبه فى الخَطَابة كيف يخطُب ، فإنّه رجل شريف فصيح اللّسان حافظ القرآن .

---

(١) يلاحظ أن الذى تقدّم (ج ٤ ص ١٠٢) أن جمعة الراحة هى الجمعة الأولى ، إذ يستريح الخليفة فيها بعد ركوب أوّل شهر رمضان . (٢) ليس بالقصر باب يسمى باب النوبة . ولعله يريد باب تربة الزعفران ، وهو أقرب باب الى القصر النافعى . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤٨ من الجزء الرابع من هذه الطبعة

فأجابه الخليفة الآمر إلى ذلك . ولمّـا حضر الجامع وجلس فى القُبّة وفُتِح الرَّوْشَنُ وقام الخطيب فخطب، فهو فى الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلّم فى الخطبة الثانية وإذا بالهوى قد فتّح الطاقَ فرفع الخطيب رأسه فوقع وجهه فى وجه الخليفة فعرفه فأُرْتِج عليــه وآرتاع ولم يَدْرِ ما يقول، حتّى فُتِحَ عليــه فقال : معاشرَ المسلمين، نفعكم الله وإيّاىَ بما سمعتم، وعن الضلال عصمكم . قال الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ . ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَــدْلِ وَالإِحْسانِ ...﴾ . إلى آخر الآية، وصلّى بالناس . فلمـا آنفصل المجلس تكلم الآمر مع وزيره المذكور بما وقع للخطيب . فآنفتح الكلام للوزير وتكلّم فيما كان بصدده، فرجع الآمر عن الخَطَابة وآستناب وزيرَه المذكور؛ فصار الوزير يخطُب بجامع القاهرة وجامع آبن طولون وجامع مصر .

وقال آبن أبى المنصــور فى تاريخه : إنّ آبتــداء خطبة الوزير المأمون كانت فى شهر رمضان ســنة خمس وثمـانين؛ وترك الآمر الخَطَابة مع ما كان له فى ذلك من الرغبة الزائدة، حتّى إنّه كان آقترح أشياء أُخرى فى خروجه إلى الجامع زيادة على ما كانت آباؤه تفعله، غيرَ أنّه كان يخطُب فى الأعياد بعد ما آستناب وزيرَه المأمون آبن البطائحىّ فى خطبة الجمع . فكان الآمر إذا خرج فى خطبة العيد خرج إلى المصلّى، ويخرجون قبله، على العادة السابقة المذكورة فى ترجمة المعزّ، بالفرش والآلات، وعُلّق بالمحاريب الشروب المُذهبة، وفُرش فيه ثلاث سجّادات متراكبة، وبأعلاها السجادة اللطيفة التى كانت عندهم معظّمة، وهى قطعة من حَصير، ذُكِر أنها كانت من حصير لجعفر الصادق — رضى الله عنه — وكانت ممـا أخذه الحاكم بأمر الله عند فتح دار جعفر الصادق . ثم تغلق الأبواب الثلاثة التى بجنب القُبّة التى فى صدرها المحراب .

قلت : والذى ذكرناه فى ترجمة المعزّ لدين الله كانت صــلاته بالجامع الأزهر ،

والآمر هذا كانت صلاته فى الجمعة بالجامع الحاكمىّ ، وفى العيد بالمصلّى . ونذكر أيضا هيئة خروج الآمر إلى الجامع بنحو ما ذكرناه هناك وزيادة أخرى لم نذكرها؛ فبهذا المقتضى يكون للإعادة نتيجة . قال : ثمّ تفرش أرض القبّة المذكورة جميعا بالحصر المحاريب المبطّنة ، ثم تُعلّق الستور بالمحراب وجانبي المِنْبر، ويُفرش دَرَجُه ، ويُنصب اللواءان ويُعلّقان عليه ، ويقف متولّى ذلك والقاضى تحت المنبر، ويُطلق البَخُور، ويتقدّم الوزير[(١)] بألّا يفتح الباب أحد ، وهو الباب الذى يدخل الخليفة منه ويقف عليه ، ويقعد الداعى فى الدّهليز، ويقرأ المقرئون بين يديه ، ويدخل الأمراء والأشراف والشهود والشيوخ ، ولا يدخل غيرهم إلّا بضمان من الداعى . فإذا آستحقّت الصلاة أقبل الخليفة فى زيه الذى ذكرناه فى ترجمة المعزّ لدين الله وقَضِيبُ المُلك بيده ، وجميع إخوته وبنو عمّه فى ركابه . فعند ذلك يتلقّاه المقرئون ويرجع مَن كان حوله من بنى عمه وإخوته . ويخرج من باب المُلك إلى أن يصل إلى باب العيد ، فتُنشر المِظلّة عليه — وقد ذكرنا أيضا زِىّ المِظَلّة فى ترجمة المعزّ — ويترتّب المَوْكب فى دَعَة لا يتقدّم أحد ولا يتأخّر عن مكانه ، وكذلك وراء المَوْكب العَمَاريات — هم عوض المحفّات — والزّرافات والفِيَلة والأسود عليها الأسِرّة مزيّنة بالأسلحة . ولا يدخل من باب المصلّى أحد راكبا إلا الوزير خاصّة ، ثم يدخل الباب الثانى فيترجّل الوزير ويتسلّم شَكِيمة فرس الخليفة حتّى ينزل الخليفة ويمشى إلى المحراب ، والقاضى والداعى عن يمينه ويساره يوصّلان التكبير لجماعة المؤذّنين . وكاتب الدَّسْت وجماعة الكُتّاب يصلّون تحت عقد المنبر، لا يُمكن غيرهم أن يكون معهم . ويُكبّر فى الأولى سبعا وفى الثانية خمسا على

(١) عبارة المقريزى (ج ١ ص ٤٣٥) : « وأطلق البخور ولم يفتح من أبوابه إلا باب واحد ، وهو الذى يدخل منه الخليفة ويقعد الداعى فى الدهليز » .

سُنّة القوم، ثم يطلُع الوزير ثمّ يسلّم الدعو[1] القاضى، فيستدعى من جرت عادته بطلوع المِنبر، وكلٌّ لا يتعدّى مكانه . ثم ينزل الخليفة بعد الخطبة ويعود فى أحسن زىّ على هيئة خروجه من رَحْبة باب العِيد حتّى يأكل الناس السِّماط . وقد ذكرنا كيفيّة السِّماط وزىّ لبس الخليفة والمِظلّة وصفة ركوبه وطلوعه إلى المِنبر ونزوله، فى ترجمة المعزّ لدين الله أوّل خلفائهم، فينظر هناك من هذا الكتاب .

قلت : وكان الآمر يتناهى فى العظمة ويتقاعد عن الجهاد . وما قاله الذهبىّ فى ترجمته فبحقّ ؛ فإنّه مع تلك المساوى التى ذُكِرت عنه كان فيه تهاونٌ فى أمر الغَزْو والجهاد حتّى آستولت الفرنج على غالب السواحل وحصونها فى أيّامه ، وإن كان وقع لأبيه المستعلى أيضا ذلك وأُخِذ القدس فى أيامه فإنّه آهتمّ لقتال الفرنج وأرسل [الأفضل بن][2] بدر الجمالىّ أمير الجيوش بالعساكر، فوصلوا بعد فوات المصلحة بيوم . فكان له فى الجملة مندوحة ، بخلاف الآمر هذا ، فإنّه لم ينهض لقتال الفرنج البتّة، وإن كان أرسل مع الأسطول عسكرا فهو كلا شىء . وسنبيّن ذلك عند آستيلاء الفرنج على طرابُلس وغيرها على سبيل الآختصار فى هذا المحلّ، فنقول :

أوّل ما وقع فى أيّامه من طمع الفرنج فى البلاد فإنّهم خرجوا فى أوّل سنة سبع وتسعين وأربعمائة من الرُّهاء ، وآنقسموا قسمين ، قسم قصد حَرّان ، وقسم قصد الرّقّة . فالذى توجّه إلى الرّقّة خرج لهم سكمان بن أُرْتُق صاحب ماردين، وكان سالم بن بدر العُقَيْلىّ فى بنى عُقَيل، وقد نزلوا على رأس[3] العَيْن ، فخرج بهم سكمان

(١) الظاهر أنه يريد بالدعو الخطبة . وهذا الموضوع واضح وضوحا تاما فى خطط المقريزى فى الكلام على صلاة العيد وما يتعلق بها . (٢) سبق فى ترجمة المستعلى أن الذى خرج لقتال الفرنج هو الأفضل ، أما بدر الجمالى أبوه فقد توفى فى عهد المستنصر أبى المستعلى . ومن ذلك يتعين أن المقصود هنا هو الأفضل ابن بدر الجمالى كما أثبتناه . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٨٢ من الجزء الثالث من هذه الطبعة .

المذكور ، وٱلتقوا مع الفرنج وٱقتتلوا قتالا شديدا أُسر فيه سالم بن بدر المذكور ، ثم كانت الدائرة على الفرنج ، فٱنهزموا وقُتِل منهم خلق كثير . والقسم الآخر من الفرنج الذى قصد حَرّان والبلاد الشاميّة لم ينهَض لقتالهم وصالحهم ٱبنُ عمّار قاضى طرابُلس وصاحبها وهادنهم ، على أن يكون لصنجيل ملك الفرنج ظاهر البلد ، وإلّا يقطع المِيرة عنها وأن يكون داخل البلد لٱبن عمّار . وهلك فى أثناء ذلك صنجيل المذكور ملِك الروم . ولم ينهَض أحد من المصريّين لقتال المذكورين . فعَلِمت الفرنج ضعف مَن بمصر . ثم بعد ذلك فى سنة ٱثنتين وخمسمائة قصد الفرنج طرابُلس وأخذوها، بعد أن ٱجتمع عليها ملوك الفرنج مع ريمند (١) بن صنجيل المقدّم ذكره فى ستين مركبا فى البحر مشحونة بالمقاتِلة ؛ وطنكرى الفرنجىّ صاحب أنطاكِيَة ، وبغدوين الفرنجىّ صاحب القدس بمن معهم ، جاءوا من البرّ وشرعوا فى قتالها وضايقوها من أوّل شعبان إلى حادى عشر ذى الحجّة ، وأسندوا أبراجهم إلى سور البلد . فلمّا رأى أهل طرابُلس ذلك أيقنوا بالهلاك مع تأخر أُسطول مصر عنهم . ثم حضر أُسطول مصر من البحر . وصار كلّما سار نحو البلد ردّه الفرنج إلى نحو مصر .

قلت : ومن هذا يظهر عدم ٱكتراث أهل مصر بالفرنج من كلّ وجه . الأوّل : من تقاعدهم عن المَسير فى هذه المدّة الطويلة . والثانى : لضعف العسكر الذى أرسلوه مع أُسطول مصر ، ولو كان لعسكر الأُسطول قوّة لدفع الفرنج من البحر عن البلد على حسب الحال . والثالث : لِمَ لا خرج الوزير الأفضل بن أمير الجيوش بالعساكر المصرية كما كان فعل والده بدر (٢) الجمالىّ فى أوائل الأمر . هذا مع قوّتهم

(١) كذا فى ابن الأثير ومرآة الزمان وتاريخ ابن القلانسىّ . وفى الأصل : « ريمن » .

(٢) يلاحظ أن الذى فعل ذلك فيما تقدّم هو الأفضل نفسه لا أبوه بدر الجمالى .

من العساكر والأموال والأسلحة . فلله الأمر من قبلُ ومن بعدُ . ولله درّ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب فيما فعله فى أمر الجهاد وفتح البلاد، كما يأتى ذلك كلّه إن شاء الله مفصّلا فى وقته وساعته فى ترجمة السلطان صلاح الدين ــ رحمه الله ــ .

ثمّ إنّ الفرنج لمــا علموا بحــال أهل طرابلس وتحقّقوا أمرهم حَمَلوا حملةَ رجل واحد فى يوم الاثنين حادى عشر ذى الحجة وهجموا على طرابلس، فأخذوها ونهبوها وأسروا رجالها وسَبَوْا نساءهم وأخذوا أموالها وذخائرها؛ وكانــ فيها ما لا يُحصى ولا يُحصر واقتسموها بينهم . وطَمِعوا فى الغنائم، فساروا إلى جَبَلة وبها فخر الملك ابن عمّار الذى كان صاحب طرابلس وقاضيها، وتسلّموها منه بالأمان فى ثانى عشر ذى الحجّة فى يوم واحد، وخرج منها ابنُ عمّار سالمــًا . ثم وصل بعد ذلك الأُسْطول المصرىّ بالعساكر، فوجدوا البلاد قد أُخذت فعادوا كما هم إلى مصر. وسار ابن عمّار إلى شَيْزَر، فأكرمه صاحبها سلطان بن علىّ بن مُنقِذ واحترمه وعرَض عليــه المُقام عنــده فأبى ، وتوجّه إلى الأمير طُغْتِكين صاحب دمشق، فأكرمه طغتكين وأنزله وأقطعه الزَّبَدانِىّ[1] وأعمــاله . ثم وقع بين بغدوين صاحب القــدس و بين طُغْتِكين المذكور أمور، حتّى وقع الاتفاق بينهما على أن يكون السَّواد[2] وجبــل عوف مثلّثة ، الثُّلُث للفرنج والباقى للسلمين . ثم انقضى ذلك فى ســنة خمس وخمسمائة . وقصد بغدوين الفرنجىّ المذكور صُور؛ فكتب واليها وأهلها إلى طُغْتِكين يسألونه أنهــم يسلّمونها إليه قبل مجىء الفرنج لأنّهم يئسوا من نُصرة مصر؛ فأبى وبعث إليهم الفُرسان والرَّجّالة ، وجاءهم هو من جبــل عاملة ثمّ عاد. ثمّ سار إليهم بغدوين فى الخــامس[3]

(١) الزبدانى : كورة بين دمشق و بعلبك (عن معجم البلدان لياقوت) .
(٢) يريد السواد الذى هو من أعمال دمشق . (راجع معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٢٠١) .
(٣) فى الأصل : « الى الخامس والعشرين » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان .

والعشرين من جُمادى الأولى سنة خمس وخمسمائة فقطع أشجارها وقاتلها أياما، وهو يعود خاسرًا . وخرج طُغْتِكين وخيّم ببانياس وجهّز الخيّالة والرّجالة إلى صُور نجدةً، فلم يقدروا على الدخول إليها من الفرنج . ثمّ رحلت الفرنج عنها، ونزلوا على الحَبِيس(١) (وهو حصن عظيم) وحاصروه حتى فتحوه عَنْوةً ؛ وقتلوا كلّ من كان فيه ، ثم عاد بغدوين إلى صور وشرع فى عمـل الأبراج، وأخذ فى قتالها(٢) والزحف فى كلّ يوم. فلمّـا بلغ ذلك طُغْتِكين زحف عليهم ليشغلهم، فخندق عليهم وهجم الشـتاء فلم يبالِ الفرنج به لأنّهم كانوا فى أرض رملة، والمِيرةُ تصل إليهم من صَيْداء فى المراكب . ثمّ ركب طُغْتِكين البحر وسار إلى نحو صيداء، وقتل جماعة من الفرنج وغرّق مراكبهم وأوصـل مكاتبته إلى أهل صُور، فقوّى قلوبهم . ثم عمِل الفرنج بُرْجين عظيمين ، طول الكبير منهما زيادة على خمسين ذراعا ، وطول الصغير زيادة على أربعين ذراعا، وزحفوا بهما أوّل شهر رمضان، وخرج أهل صور بالنِّفْط والقَطِران ورموا النار، فهبّت الريح فآحترق البرج الصغير بعـد المحاربة العظيمة ، ونُهِب منه زرديات(٣) وطوارق(٤) وغير ذلك ؛ ولعبت النار فى البرج الكبير أيضا فأطفأها الفرنج . ثم إنّ الفرنج طَمُّوا الخَنْدق ، وواتروا الزّحْف طول شهر رمضان ، وأشرف أهل البـلد على الهلاك . فتحيّل واحد من المسلمين له خِبرة بالحرب ، فعمل كِبَاشًا من أخشاب تدفع البرج الذى يُلْصِقونه بالسور . ثم تحيّـل فى حريق البرج الكبير حتّى أحرقه، وخرج المسلمون فأخذوا منه آلات وسلاحا . فحينئذ يئس الفرنج من

(١) الحبيس . قلعة بالسواد من أعمال دمشق، يقال لهـا حبيس جلدك . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) فى الأصل : «فى قتاله» . (٣) كذا فى الأصـل . والذى فى كتب اللغة : «الزرد ، وهو الدرع ، جمعه زرود» . (٤) الموجود فى كتب اللغة الطراق (بالكسر) وهو الحديد الذى يعرض فيجعل بيضة وغيرها ، ويجمع على طرق .

أخذها ، ورحلوا عنهـا بعد ما أحرقوا جميع ما كان لهم من المراكب على الساحل والأخشاب والعمائر والعلوفات وغيرها . وجاءهم طُغْتِكين فما سلّموا إليه البلد؛ فقال طُغْتِكين : أنا مافعلت الذى فعلته إلّا لله تعالى لا لرغبـة فى حِصن ولا مال، ومتى دهمكم عدوّكم جئتكم بنفسى و برجالى ، ثمّ رحل عنهم — فلله درّه من ملك — كلّ ذلك ولم تأت نجدة المصريّين . ودام الأمر بين أهل صـور والفرنج ، تارةً بالقتال وتارةً بالمهادنة، إلى أن طال على أهل صور الأمر و يئسوا من نُصرة مصر، فسلّموها للفرنج بالأمان فى سنة ثمـانى عشرة وخمسمائة .

قلت : وما أبقى أهل صور — رحمهم الله تعالى — ممكنًا فى قتالهم مع الفرنج وثباتهم فى هذه السنين الطويلة مع عدم المنجد لهم من مصر . وقيل فى أخذ صور وجهٌ آخر .

قال آبن القلانسىّ : وفى سنة تسع عشرة وخمسمائة، ملك الفرنج صُور بالأمان . وسببه خروج سـيف الدولة مسعود منها ، وكان قد حُمِل إلى مصر، وأقام الوالى الذى بها فى البـلد . قلت : وهـذه زيادة فى النّكاية للسلمين من صاحب مصر؛ فإنّ سيف الدولة المذكور كان قائمـا بمصالح المسلمين، وفَعَل مافعل مع الفرنج من قتالهم وحفظ سور المدينة هـذه المدّة الطويلة ، فأخذوه منها غصبًا وخلّوا البـلد مع من لا قِبَل له بمحاربة الفرنج . فكان حال المصريّين فى أوّل الأمر أنّهم تقاعدوا عن نُصرة المسلمين ، والآن بأخذهم سيف الدولة من صور صـاروا نجدةً للفرنج . وهـذا ما فعله إلا الآمر هذا صاحب الترجمة بنفسه بعـد أن قبض على الأفضل ابن أمير الجيوش وقتله ، وقتل غيره أيضا معه .

ونعود إلى كلام ٱبن القـلانسىّ قال : وعرف الفرنج (يعنى بخروج سيف الدولة) فتأهّبوا للنزول عليها، وعرف الوالى أنه لا قِبلَ له بهـم لقِلّة النجدة والمِيرة بها؛ فكتب إلى صاحب مصر يُخبره . فكتب إليه : قد رددنا أمرها إلى ظهير الدين — أظنه يعنى بظهير الدين طُغْتِكين المقـدّم ذكره أمير دمشـق — قال : ليتولّى حمايتها والذبّ عنها ، وبعث منشورًا له بها . ونزل الفرنج عليها وضايقوها بالحصار والقتال حتّى خفّت الأقوات، وجاء طُغْتِكين فنزل ببانياس، وتواترت المكاتبات. إلى مصر باستدعاء المؤن، فتمادت الأيّام إلى أن أشرف أهلها على الهلاك. ولم يكن للأتابَك طُغْتِكين قدرةٌ على دفع الفرنج ، ويئس من مصر؛ فراسـل أهلُها الفرنج وطلبوا الأمان على نفوسهم وأهاليهـم وأموالهم، ومن أراد الخروج خرج ومن أراد الإقامة أقام . وجاء الأتابَك بعسكره فوقف بإزاء الفرنج ، وركبت الفرنج ووقفوا بإزائه وصاروا صَفَّيْن؛ وخرج أهل البـلد يمرّون بين الصّفّين ولم يَعرِض لهم أحد، وحملوا ماأطاقوه، ومَن ضعُف منهم أقام. فمضى بعضهم إلى دمشق، وبعضهم إلى غَزّة، وتفرّقوا فى البلاد، وعاد الأتابَك إلى دمشق . ودخل الفرنج صُور وملكوها سنين إلى حين فُتِحت ثانيًا، حسب ما سيأتى ذكره فى ترجمة السلطان الذى يتولّى فتحها . قلت : وهذا الذى ذكرناه هو كالشرح لكلام الذهبىّ وغيره من المؤرّخين فيما ذكروه عن الآمر هذا . ونعود إلى ترجمة الآمر .

وكان للآمر نَظْمٌ ونظر فى الأدب . ومما نُسِب إليه من الشعر قوله :

[السـريع]

أصبحتُ لا أرجو ولا أتّقى * إلّا إلٰهى وله الفضـلُ

جَـدّى نبيّ وإمامى أبى * ومذهبى التوحيـدُ والعـدل

وقــد نُسب هذا الشــعر لغيره من الفاطميّين[١] أيضا . وكان الآمر يحفظ القرآن ، آنفرد بذلك دون جميع خلفاء مصر من الفاطميّين ، وكان ضعيف الخطّ[٢] . وأمّا ما وعدنا به من ذكر قتله فنقول : كان الآمر صاحب الترجمة مطلوبًا من جماعة من أعوان عمه نِزار المقتول بيد أبيه بعد واقعة الإسكندرية المقدّم ذكرها ؛ لأنّ الآمر وأباه المستعلِي غصبا الخلافة ، وأن النّص كان على نِزار . وقـد ذكرنا ذلك كلّه فى أوّل ترجمة المستعلى . فآتّصــل بالآمر أنّ جماعة من النِّزارية حصلوا بالقاهرة ومصر يريدون قتله ، فآحترز الآمر على نفســه وتحيّل فى قبضهم ، فلم يُقدَّر له ذلك لِمَـا أراده الله . وفشا أمر النِّزارية وكانوا عشرة ، فخافوا أن يقع عليهم الآمر فيقتلَهم قبل قتــله ، فآجتمعوا فى بيت وقال بعضهم لبعض : قــد فشا أمرنا ولا نأمن أن يظفَر بنا الآمر فيقتلَنا ، ومن المصلحة والرأى أن نقتل واحدًا منّا ونُلْقِى رأســه بين القصرين ، وحلانا[٣] عندهم ؛ فإن عرفوه فلا مُقام لنا عندهم ، و إن لم يعرفوه تمّ لنــا ما نريد ، لأنّ القوم فى غفلة . فقالوا للذى أشار عليهم : ما يتّسع لنا قتل واحد منّا ، ينقص عددنا وما يتمّ بذلك أمرنا ، فقــال الرجل : أليس هذا من مصلحتنا ومصلحة من تلزمنا طاعتــه ؟ فقالوا نعم . فقال : وما دللتكم إلّا على نفسى ، وشرع فى قتل نفسه بيده بسكّين فى جوفه فمات من وقته . فأخذوا رأسه فرمَوْه فى الليل بين القصرين ، وأصبحوا متفرّقين ينظرون ما يجرى فى البلد بسبب الرأس . فلمّا وُجِد الرأس آجتمع عليه الناس وأبصروه ، فلم يقل أحد منهم أنا أعرفه . فحُمِل إلى الوالى ، فأحضر الوالى عُرفاء الأسواق وأرباب المعايش فلم يعرف ؛ فأحضر أيضا

(١) سبق فى حوادث سنة ٤٦٠ هـ نسبة هذين البيتين للمستنصر. (٢) وافق المؤلف فى ذلك المقريزى ، وعبارته : « يحفظ القرآن و يكتب خطا ضعيفا » . و يلاحظ أن المؤلف ذكر فى أوّل ترجمة الآمر هذا أنه كان حسن الخط . (٣) كذا بالأصل . ولم نعثر عليها فى مصدر آخر .

أصحاب الأرباع والحارات فلم يعرف؛ ففرح التسعة بذلك ووثقوا بالمُقام بالقاهرة لقضاء مرادهم . واتّفق للخليفة الآمر أن يمضى إلى الرَّوْضة — حسب ما ذُكِر فى أوّل ترجمته — وأنّه يجوز على الجسر الذى من مصر إلى جزيرة الرَّوْضة للمقام بها أياما للفُرْجة . وكان من شأن الخلفاء أنهم يُشيعون الركوب فى أرباب خِدْمتهم حيثما قصدوا حتّى لا يتفرّقوا عنه، وأيضا لا يتخلّف أحد عن الركوب؛ فعلم النِّزارية التسعة بركوبه فجاءوا إلى الجزيرة، ووجدوا قُبالة الطالع من الجسر فُرْناً، فدخلوا فيه قبل مجىء الخليفة الآمر، ودفعوا إلى الفرّان دراهم وافرةً ليعمل لهم بها فَطيراً بسمن وعسل؛ ففرِح الفرّان بها وعمِل لهم الفطيرَ؛ فما هو بأكثر ممّا أكلوه، ولم يُتمّوا أكلهم إذ طلع الخليفة الآمر من آخر الجسر، وقد تفلّل عنه الرِّكابيّة ومن يصونه لحرَج الجَوَاز على الجسر لضيقه، فلمّا قابلوه وثبوا عليه وثْبةَ رجل واحد وضربوه بالسكاكين حتى إنّ واحدا منهم ركب وراءه وضربه عدّة ضَرَبات؛ وأدركهم الناس فقُتِل التسعة . وحُمِل الآمر فى عشارىّ[1] إلى قصر اللؤلؤة[2]، وكان ذلك فى أيّام النيل، ففاضت نفس الآمر قبل وصوله إلى اللؤلؤة . وقد تقدّم عمر الآمر ومدّة خلافته فى أوّل ترجمته، فلا حاجة لذكر ذلك ثانيا . وقيل : إنّ بعض مُنَجّميه كان عرّفه أنّه يموت مقتولاً بالسكاكين، فكان الآمر كثيرًا ما يَلْهَج بقوله : الآمر مسكين، المقتول بالسكين .

⁂

السنة الأولى من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة ستّ وتسعين وأربعمائة .

---

(١) العشارى: ضرب من السفن .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٦ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

فيها أُعِيدت الخطبة ببغداد إلى السلطان بَرْكِيَارُوق السلْجوقىّ بعـد أن ٱلتقى مع أخيه محمد شاه وهزمه بركياروق . فتوجّه محمد شاه إلى أرمِينِيَة وأخلاط، ثم عاد إلى تِبْرِيز فى جمادى الآخرة، ومضى بركياروق إلى زَنْجان . ووقع بينهما فى الآخر الاتّفاق على شىء فعلوه .

وفيها ٱستوزر الخليفة المستظهر بالله العبّاسىّ زعيمَ الرؤساء أبا القاسم علىّ بن محمد [بن محمد][1] بن جَهِير على كره منه[2]، وعزل وزيره سَدِيد الملك أبا الفضل بن عبد الرزّاق . فكانت ولايته عشرة أشهر .

وفيها تُوفّى أردشير بن منصور أبو الحسين العَبّادىّ الواعظ الأستاذ . كان أصله من أهل مَرْو، وكان يُخاطب بالأمير قطب الدين . قدِم بغداد وجلس فى النِّظاميّة، وحضر أبو حامد الغزالىّ مجاس وعظه ، وكان يحضر مجلسه من الرجال والنساء ثلاثون ألفا . وكان صَمْته أكثرَ من نطقه، وإذا تكلّم هابته الناس؛ وبوعظه حَلَق أكثرُ الصِّبيان رءوسهم، ولَزِموا المساجد وبدّدوا الخمور وكسروا الملاهى . ولمّا قدِم بغداد ووعظ بها، وكان البرهان الغَزْنَوِىّ[3] يعِظ بها قبله فٱنكسر سوقه[4] . فقال الدّهّان الشاعر المشهور فى ذلك : [السريع]

لله قطبُ الدِّين من عالِمٍ * منفرد بالعـلم والبـاس
قد ظهرتْ حُجّتُه للورَى * قام بهـا البرهان للناس

ومات قطب الدين فى غُرّة جمادى الآخرة . رحمه الله .

---

(١) تكملة عن مرآة الزمان . (٢) الذى فى ابن الأثير: «سديد الملك أبو المعالى ... الخ» .
(٣) هو عيسى بن عبد الله الغزنوى، كما فى مرآة الزمان . (٤) فى الأصل: «فانكسر شرقه» . والتصويب عن نسخة أخرى يشير اليها هامش الأصل ومرآة الزمان . يريد أن سوقه لم تنفق وكسد أمره .

وفيها تُوفّى الشيخ أبو المعالى الزاهد الصالح البغدادىّ . كان مقيما بمسجد باب الطاق ببغداد، فحضر مجلس آبن أبى عمامة(١) فوقع كلامه فى قلبه فتزهّد . وكان لا ينام إلّا جالسا ولا يَلْبَس إلّا ثوبا واحدا شتاء وصيفًا . وكان منقطعا إلى العبادة، ويُقْصَد للزيارة .

وفيها تُوفّى الشيخ أبو طاهر أحمد بن علىّ بن عُبَيْد(٢) الله بن عمر بن سِوَار المقرئ المجوِّد . كان إماما عارفا بالقراءات، وسمع الحديث وآشتغل فى القراءات سنين .

وفيها تُوفّى الشيخ أبو داود سليمان بن نَجَاح المؤَيّدىّ المقرئ الإمام . مات فى شهر رمضان وله ثلاث وثمانون سنة، وقد آنتهت إليه رياسة القرّاء فى زمانه .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وثمانى أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وإصبع واحدة .

* * *

السنة الثانية من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة سبع وتسعين وأربعمائة .

فيها وقع الصلح بين الإخوة أولاد السلطان ملكشاه السلجوقىّ، وهم السلطان بَرْكيَارُوق ومحمد شاه وسنجر شاه، على أن يكون آسم السلطنة لبركياروق وضَرْب(٣) النُّوبة (أعنى الطبلخانات) فى أوقات الصلوات الخمس على بابه ، وأن يكون لمحمد شاه أرمينِيَة وأَذَرْبِيجان وديار بكر والجزيرة والمَوْصِل، وأن يكون لسنجر شاه خُراسان

---

(١) هو أبو سعد المعمر بن على بن أبى عمامة الحنبلى الفقيه الواعظ ببغداد . (٢) كذا فى غاية النهاية فى طبقات القراء وشذرات الذهب وعيون التواريخ . وفى الأصل : « بن عبد الله » .
(٣) فى الأصل : « وضربت النوبة » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان .

على حاله أوّلا، وأن يكون لبركياروق الجَبل وهمَذان وأصبهان والرّىّ وبغداد وأعمالها والخطبةُ ببغداد، وأن محمد شاه وسنجر شاه يخطُبان لنفوسهما (١) .

وفيها نزل الأمير سُكْمان بن أُرْتُق صاحب مَارِدين، وجكرمش صاحب الموصل على رأس العَيْن عازمَيْن على لقاء الفرنج، وكان خرج ريمند وطنكرى صاحب أنطاكية بعساكر الفرنج إلى الرّهاء، فآلتقوا فنصر الله المسلمين وقتلوا منهم عشرة آلاف، وآنهزم ريمند وطنكرى فى نفر يسير من الفرنج .

وفيها نزل بغدوين صاحب القدس الفرنجىّ على عَكّا فى البرّ والبحر فى نيّف وتسعين مَرْكَبا فحصروها من جميع الجهات، وكان واليها زَهْرُ الدولة الجُيوشىّ، فقاتل حتّى عجز، فطلب الأمان له وللمسلمين فلم يُعطوه لمّا علموا (الفرنج) من أهل مصر أنهم لم يُنجدوه، ثم أخذوها بالسيف فى شهر رمضان . وقد قدّمنا ذكر ذلك فى ترجمة الآمر هذا بأكثر من هذا القول .

وفيها حاصر صنجيل الفرنجىّ طرابلس وبنى عليها حِصْنًا؛ فخرج القاضى آبن عمّار صاحب طرابلس بعسكره فى ذى الحجة، وهدم الحصن وقتل مَن فيه من الفرنج ونهبه، وكان فيه شىء كثير .

وفيها تُوفّى أحمد بن الحسين بن حَيْدَرة الأديب أبو الحسين، ويُعرف بآبن خُراسان الطرابُلْسِىّ الشاعر المشهور . وكان شاعرا مُجيدًا، هجا فخر الملك ابن عمّار قاضى طرابلس وصاحبها وأخاه؛ فأمر به قاضى طرابلس المذكور فضُرِب حتّى مات . ومن شعره من قصيدة : [الطويل]

[جزَى اللهُ عنا النَّيْرَبَ الفرد صالحًا * لقدجمع المعنى الذى يُذهِب الفِكْرَا] (٢)
خرجنا على أنّا نقيم ثلاثةً * فطاب لنا حتّى أقمنا به عشرا

(١) فى الأصل : « لنفوسم » .
(٢) التكلة عن مرآة الزمان . والنيرب : قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ فى وسط البساتين (عن معجم البلدان لياقوت) .

وفيها تُوفّى إسماعيل بن علىّ بن الحسن(١) بن علىّ الشيخ أبو علىّ الجَاجَرْمِىّ(٢) الأَصَمّ النَّيسابورىّ . وُلِد سنة ستّ وأربعمائة، ورحل فى طلب العلم، وطاف البلاد وعاد إلى نيسابور فمات بها فى المحرّم . وكان فقيها واعظا زاهدا وَرِعا صدوقا ثقة حسن الطريقة .

وفيها تُوفّى دُقمـاق بن تُتُش الأمير أبو نصر شمس الملوك السلجوقىّ صاحب دمشق . وسمّاه الذهبىّ وصاحب مرآة الزمان دقاقا بلا ميم . ولعلّ الذى قلناه هو الصواب؛ فإننا لم نسمع بآسم قبل ذلك يقال له دقاق، وأيضا فإنّ جدّ السلجوقيّين الأعلى آسمه دقماق ، وهـذا من أكبر الأدلّة على أنّ آسمه دقمـاق . ولى دِمَشق بعد قتل أبيـه تاج الدولة تُتُش بن أَلْب أَرْسلان؛ وقام بأمره الأتَابَك ظَهِير الدِّين طُغْتِكين، وتزوّج طُغْتِكين والدته . فأقام فى مملكة دمشق حتّى مات . وملك دمشق بعده آبنه تُتُش وهو حدَث السن، وأوصى أن يكون طُغْتِكين أيضا القائمَ بدولته؛ فوقع ذلك، وقام طُغْتِكين بالأمر أحسن قيام .

وفيها تُوفّى العَلَاء بن الحسن بن وهب بن المُوصَلَايَا أبو سعد الكاتب الفاضل . كتب فى الإنشاء للخلفاء خمسًا وستّين سنة . وكان نَصْرانيًّا، فأسلم فى سنة أربع وثمـانين وأربعمائة على يد الخليفة المقتدى بالله العبّاسىّ . ومات فُجَاءةً . وكان طاهرَ اللِّسان كريم الأخلاق شاعرًا مجيدا مترسِّلا . ومن شعره : [الوافر]

يا خليـلىّ خَلّيَانى ووجدى * فمـلامُ(٣) العَذُول ما ليس يُجْدِى

---

(١) كذا فى الأصل ومرآة الزمان . وفى المنتظم وعيون التواريخ : « علىّ بن الحسين » .

(٢) كذا فى شذرات الذهب والمنتظم وعيون التواريخ، نسبة إلى جاجرم، بلدة لها كورة واقعة بين نيسابور وجوين وجرجان، تشتمل على قرى كثيرة . (عن معجم البلدان لياقوت) . وفى الأصل : «الحاجرى» بالحاء المهملة وهو تحريف . (٣) فى الأصل : « فكلام العذول » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان ومعجم الأدباء .

ودعانى فقد دعانى إلى الحُكْ * ـم غريمُ الغَرَامَة الّتِ عندى[1]
فعسـاه يَرِقُّ إذْ ملك الرِّ[2] * قَّ بنَقْدٍ من وصـله أو بوعد

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع واثنتا عشرة إصبعا.
مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا .

*
* *

السنة الثالثة من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة ثمان وتسعين وأربعمائة .

فيها هلك صنجيل عظيم الفرنج وصاحب أنطاكية .

وفيها بعث ضِـياء الدّين محمد وزير ميّا فارقين إلى قلج أَرْسلان بن سـليمان بن قُتُلْمِش وهو بمَلَطْيَـة يسـتدعيه إلى ميّافارقين ؛ فتوجّه إليـه قلج أَرْسـلان وملَك ميّا فارقين . وكان مبدأ قلج أرسلان هذا أنّه خَدَم ملكشاه السـلجوقىّ ، فأرسله على جيش لغـزو الرّوم ؛ فسار وافتتح مَلَطْيَة وقَيْسارِيّة وأَقْصَرَى[3] وقُونِيَـة وسِيواس[4] وجميع ممـالك الروم ؛ فأقرّه مَلِكشاه بها ، فأقام بها وعُدَّ من الملوك ؛ إلى أن قدِم ميّا فارقين واستولى عليها ، وولّاها لمملوك والده خمرتاش السليمانىّ . واستوزر قلج أَرْسـلان ضِـياء الدّين المذكور ، وأخذه معه وولّاه أَبُلُسْـتَيْن[5] . ثمّ وقع بين قلج

---

(١) فى مرآة الزمان ومعجم الأدباء : «غريم الغرام للدين عندى» . (٢) كذا فى الأصل ومعجم الأدباء . وفى مرآة الزمان : « إذ ملك القلب » . (٣) كذا فى مرآة الزمان وتقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل ومعجم البلدان لياقوت ، وهى مدينة ذات أشجار وفواكه كثيرة ، ولها قلعة كبيرة حصينة فى وسط البلد . وفى الأصل : « أقصراى » وهو تحريف (٤) سيواس : بلدة كبيرة مشهورة وبها قلعة صغيرة . بينها وبين قيسارية ستون ميلا (عن تقويم البلدان لأبى الفدا اسماعيل) .
(٥) أبلستين : بلدة مشهورة ببلاد الروم . (عن معجم البلدان لياقوت) .

أرسلان هـذا و بين جاولى مملوك السلطان محمد شاه بن ملكشاه وتقاتلا ، فآنكسر قلج أرسلان . فلمّا رأى الهزيمة عليه ألقى نفسه فى الخابور فغَرِق ، فأُخْرِج وحُمل تابوته إلى ميّافارقين ودُفِن بها .

وفيها بعث يوسـف بن تاشفين صاحب المغرب إلى الخليفة المسـتظهر بالله العبّاسىّ يُخبِره أنّه خَطَب له على منابر ممالكه ، وأرسل يطلب منه الخِلَع والتقليد ؛ فبعث إليه بمـا طلب .

وفيها تُوفّى السلطان ركن الدولة بَرْكِيَارُوق ابن السلطان مَلِكشاه ابن السلطان أَلْب أَرْسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقماق السلجوقىّ أبو المظفَّر . مات فى شهر ربيع الأوّل وهو آبن أربع وعشرين سنة . وكانت سلطنته آثنتى عشرة سـنة . وعهِـد لولده ملكشاه ، وأوصى به الأمير آياز ؛ فتوجّه آياز بالصبىّ إلى بغداد، ونزل به دار المملكة، وعمره أربع سـنين وعشرة أيام ، وأجلسه على تخت الملك مكان أبيه بَرْكِيَارُوق ؛ وخطب له ببغـداد فى جمـادى الأولى . فلم يتمّ أمر الصبىّ، وملك عمّه محمد شاه الذى كان ينازع أخاه بركياروق، وقتل آياز المذكور . وبركياروق : بفتح الباء الموحدة وسكون الراء والكاف وفتح اليـاء المثناة من تحتها وبعد الألف راء مضمومة وبعد الراء واو وقاف .

وفيها تُوفّى محمد بن علىّ بن الحسن بن أبى الصقر أبو الحسن الواسطىّ . تفقّه على أبى إسحاق الشّيرازىّ، وسمع الحديث الكثير . وكان أديبًا عالمـًا . ومن شعره لـمّا كَبِر سِنُّه وصار لا يستطيع القيام لأصحابه : [الوافر]

عِلَّةٌ سُمِّيتُ ثمـانين عاما * منعتنى للأصـدقاء القياما

فإذا عُمِّروا تمهّـد عذرى * عندهم بالذى ذكرتُ وقاما

وفيها تُوفّى الحافظ أبو علىّ الحسين بن محمد الغسّانىّ الجَيّانِىّ[١] عن إحدى وتسعين سنة . كان إماما حافظا، سمع الكثير وحدّث وكتب وصنّف .

أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم سبع أذرع وخمس أصابع . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وآثنتا عشرة إصبعا .

⁂

السنة الرابعة من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة تسع وتسعين وأربعمائة .

فيها ظهر رجل من نواحى نَهاوَنْد وآدّعى النبوّة، وكان مُخَرِّقًا[٢] بالسّحر والنجوم فتبعه خلق كثير وحملوا إليه أموالهم . وكان يُعطى جميع ما عنده لمن يقصده، وسمّى أصحـابه بأسماء الصحابة الخلفاء ، رضوان الله عليهـم . وكان خرج أيضا فى هـذه السـنة بنهاوند رجل من ولد ألْب أرْسلان السلجوقىّ يطلب الملك ؛ فخرج إليهـما العساكر، وأخذوا الرجل المدّعى النبوّة، والذى طلب الملك معا وقُتِلا .

وفيها كان بين الفرنج و بين طُغْتِكِين واقعة عظيمة على سَوَاد طَبَرِيّة .

وفيها ملكت الإسماعيليّة[٣] حِصْنَ فَامِيَـة ، وقتلوا خلف بن مُلاعب صـاحب الحصن بأمر أبى طاهر الصائغ العَجَمِىّ المقيم بحلب . وهذا الصائغ هو الذى أظهر مذهب الباطنية الرافضة، وقتلته الفرنج، وأراح الله المسلمين منه .

---

(١) الجيانى : نسبة إلى جيان، مدينة بالأندلس . (٢) المخرق : المموه . يقال : خرق فلان اذا أظهر الخرق توسلا . (٣) الإسماعيلية : فرقة من الباطنية، وهم القائلون بامامة إسماعيل بن جعفر، ومحمـد بن إسماعيل بعد جعفر الصادق .

وفيها تُوفّى عمر بن المبارك بن عُمَر أبو الفوارس البغدادىّ . وُلِد سنة ثلاث عشرة وأربعمائة[1]، وبَرَع فى علم القرآن، وقرأ الناس عليه سنين كثيرة، وسمع الحديث الكثير، وكان من الصالحين .

وفيها تُوفّى مُهارش البدَوىّ بن مجلّى الأمير أبو الحارث صاحب الحديثة ، الذى خدَم الخليفة القائم بأمر الله، فيما تقدّم ذكره لمّا حصل عنده بالحديثة . وكان مُهارش هذا كثير الصلاة والصوم والصدقة صالحًا محبًّا لأهل العلم . وعاش نيّفا وثمانين سنة . رحمه الله .

وفيها تُوفّى الشيخ الإمام المقرئ أبو البركات محمد بن عبد الله بن يحيى بن الوكيل المقرئ المحدّث، مات وله ثلاث وتسعون سنة . وكان عالما بفنون كثيرة، عارفا بعلوم القرآن .

وفيها تُوفّى الشيخ الإمام أبو البقاء المُعَمَّر بن محمد بن علىّ الكوفىّ الحَبَّال، ومات وله ستّ وثمانون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثمانى أذرع سواء . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وآثنتا عشرة إصبعا .

*
* *

السنة الخامسة من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة خمسمائة .

فيها ولى الخليفة المستظهر بالله أبا جعفر عبد الله الدَّامَغَانِىّ[2] أخا قاضى القضاة حِجْبة الباب، فرمى الطَّيْلسان وتزيّا بزِىّ الحَجَبة، فشقّ ذلك على أخيه .

---

(١) فى المنتظم : « ولد سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة » .

(٢) فى مرآة الزمان : « أبا جعفر عبد الله بن الدامغانى » .

وفيهـا بعث[1] السلطان محمـد شاه برأس أحمد بن عبد الملك بن عطّاش مقـدّم الباطنيّة، ورأسِ ولده. وكان آبن عطّاش هذا فى قلعة عظيمة بأصبهان .

وفيها تُوفّى جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد الشيخ أبو محمد السرّاج القارئ البغدادىّ . وُلِد سـنة ستّ عشرة وأربعمائة . وقرأ بالروايات وأقرأ سنين، وسافر إلى مصر والشام، وسمع الحديث وصنّف المصنّفات الحِسان، منها كتاب «مصارع العُشّاق» وغيره. وكان فاضلا شاعرا لطيفًا. نظم « كتاب التنبيه» وغيره . ولم يمرَض فى عمره سوى مرض الموت . ومن شعره : [السريع]

يا ساكنى الدَّيْر[2] حُـلُولًا به * يُطربهـم فيـه النواقيسُ
قيسوا لنا القُرْبَ وكم بينـه * وبين أيّامِ النَّوى قِيسوا

وفيها قَتَل السلطان محمـد شاه بن مَلِكشاه بن ألْب أَرْسلان السلجوقىّ وزيرَه سعد الملك، سعد بن محمد أبا المحاسن[3]، وآستوزر عِوَضَه أبا نصر أحمد بن نِظام الملك. وكان سبب قتله أنه بلغه أنّه دبّر عليه هو و جماعة، وكاتب أخاه سنجر شاه، فقَبَض عليه وصلبه وأصحابه .

وفيها قُتِـل أيضا الوزير فخر الملك علىّ بن الوزير نظام الملك حسن، وكنيتـه أبو المظفّر . كان آستوزره بَرْكِيَارُوق، ثم توجّه إلى نيسابور، فوزر إلى سنجر شاه . وثب عليه شخص فى زِىّ الصوفيّة من الباطنيّة وناوله قِصّة ثم ضربه بسكّين فقتله . قلت : وهكذا أيضا وقع لأبيـه نظام الملك . حسب ما ذكرناه فى محـلّه . فأُخِذ الباطنىّ وفُصِّل على قبر فخر الملك عُضْوا عضوا .

(١) الذى فى المنتظم : « وفى آخر ذى الحجة وصل الى بغداد رأس أحمد بن عبد الملك ... الخ» .
(٢) فى الأصل : « ياساكنى الدهر » . والتصويب عن مرآة الزمان وعيون التواريخ .
(٣) فى الأصل : «أبو المعالى» . وما أثبتناه عن المنتظم وابن الأثير وعقد الجمان .

وفيها تُوفّى محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الأسدىّ . وُلِد بمكّة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، وسافر البلاد ولقِى العلماء . وكان إماما فاضلا شاعرا . ومن شعره :

[الخفيف]

قلتُ ثَقّلتُ(١) إذ أتيتُ مرارًا * قال ثَقّلتَ كاهلى بالأيادى
قلتُ طَوّلتُ قال لا بل تَطَوّلتَ وأبرمتُ قال حبـلَ ودادى

ورأيت هذين البيتين فى شرح البديعيّة لابن حِجّة(٢) فى القول بالموجب، ونسبهما لابن حجّاج . والله أعلم .

وفيها تُوفّى الحافظ أبو الفتح أحمد بن محمد بن أحمد الحدّاد الإمام العالم المحدّث. مات فى ذى القعدة بأصبهان وله اثنتان وتسعون سنة .

وفيهـا تُوفّى الشيخ الإمام أبو غالب محمد بن الحسن الكَرْخىّ البَاقِلّانىّ العـالم المشهور . مات وله ثمـانون سنة .

وفيهـا تُوفّى أبو الكرم(٣) المبارك بن فاخر النحوىّ البغـدادىّ . كان إماما عالمـا بالنحو واللغة والعربيّة، وله مصنَّفات حِسان . وتُوفّى ببغداد .

وفيهـا تُوفّى سلطان المسلمين بالمغرب يوسـف بن تَاشْـفِين اللَّمْتُونِىّ(٤) صاحب المغرب، كان من عظماء ملوك الغرب .

---

(١) هذه رواية معاهد التنصيص والمنتظم ومرآة الزمان . وفى الأصل :

قال ثقـلت إذ أتيت مرارا * قلت ثقلت كاهلى بالأيادى
قال طـوّلت قلت أوليت طولا * قال أبرمت قال حبل ودادى

(٢) هو ابن حجـة الحموى تقى الدين أبو بكر بن على بن محمـد المولود بحماة سنة ٧٧٧ المتوفى سنة ٨٣٧ هـ .

(٣) كذا فى بغية الوعاة والمنتظم وشذرات الذهب وعقد الجمان . وفى الأصل : «أبو المكارم» .

(٤) اللمتونى : نسبة الى لمتونة ، بطن من صنهاجة . (راجع صبح الأعشى ج ١ ص ٣٦٣) .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم ثمـانى أذرع وتسـع أصابع . مبلغ الزيادة تسع عشرة ذراعا و إصبع واحدة .

*
* *

السنة السادسة من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة إحدى وخمسمائة .

فيها ظهرت ببغداد صَبيّة عمياء تتكلّم عن أسرار الناس؛ فكانت تُسأل عن نقوش الخواتم وما عليها، وألوان الفصوص، إلى غير ذلك .

وفيهـا حاصر بغـدوين الفرنجىّ صاحبُ القـدس صَيْداء وضايقها . حسب ما ذكرناه فى أوّل هذه الترجمة .

وفيها تُوفّى الحسين بن أحمـد بن النَّقّار الشيخ أبو طاهر . ولِد بالكوفة ونشأ ببغداد . وكان أديبا شاعرا فاضلا . ومن شعره : [السريع]

وزائـــر زار عـــلى غفـــلةٍ * وقد أماط الصبحُ ثوبَ الظلام
راح وقـد سهّلتِ الراحُ من * أخلاقه ما كان صعبَ المـرام

وفيها قُتِل صَدَقة بن منصور بن دُبَيْس بن مَزْيَد الأمير أبو الحسن سيف الدولة صاحب الحِلّة. كان كريما عفيفا عن الفواحش، وكانت داره ببغداد حَرَمًا للخائفين . لم يتزوّج غير آمرأة واحدة فى عمره ، ولا تَسرى قَطُّ . قُتِل فى واقعة كانت بينـه وبين عسكر السلطان محمد شاه .

قلت : وكانت سِيرته مشكورة ، وخصاله محمودة وما سَـلِم[1] من مذهب أهل الحِلّة[2]، فإنّ أباه كان من كِبار الرافضة .

(١) فى الأصل : «و إن سلم من مذهب أهل الحلة » . و يستقيم الكلام به على أن تكون "إن" نافية . وعبارة ابن الأثير : « وإنمـا كان مذهبه التشيع » . (٢) الحلّة المراد بها حلّة بنى مزيد : مدينة كبيرة بين الكوفة و بغداد .

وفيها توفّى عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد الشيخ الإمام أبو المحاسن الرُّويَانِىّ الطَّبَرِىّ فخر الإسلام . وُلِد فى ذى الحجّة سنة خمس عشرة وأربعمائة ، وتفقّه بُبخارى مدة، وبَرَع فى مذهب الشافعىّ — رضى الله عنه — وله مصنّفات فى مذهبه منها كتاب « بحر المذهب » وهو أطول كتب الشافعيّة ، وكتاب «مناصيص الشافعىّ»[1] وكتاب «الكافى» وصنّف فى الأصول والخلاف . وكان قاضى طَبَرِسْتان، فقتلته الملاحدة فى يوم الجمعة حادى عشر المحرّم — ورُويَان : بلدة بنواحى طَبَرِستان — وقيل : إنّه مات فى سنة آثنين وخمسمائة .

وفيها تُوفّى يحيى بن علىّ بن محمد بن الحسن بن بَسْطَام أبو زكرياء الشَّيْبانىّ التِّبْريزىّ الخطيب اللغوىّ . كان إماما فى علم اللّسان. رحل إلى الشام، وقرأ اللغة على أبى العَلَاء المَعَرّىّ، وسمع الحديث وحدّث، وأقرأ اللغة. ومات فى جُمادى الآخرة، وله إحدى وثمانون سنة .

وفيها تُوفّى الملك تميم بن المُعِزّ بن باديس صاحب إفريقية وما والاها من بلاد المغرب . آمتدّت أيّامه وكان من أجلّ ملوك المغرب، أقام هو وأبوه المعزّ نحوا من مائة سنة وأكثر، ومات وله تسع وسبعون سنة . والصحيح أنه مات فى القابلة . حسب ما يأتى ذكره . وقد أثبت الذهبىّ وفاته فى هذه السنة .

وفيها تُوفّى الشيخ المُسَلِّك أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الدُّونِىّ[2] الصوفىّ ، أحد كبار مشايخ الصوفيّة فى شهر رجب . وكان له قَدَم فى علم التصوّف .

---

(١) كذا فى الأصل : وفى ابن كثير : « تناصيص الشافعى » . وفى طبقات الشافعية : « متقاضى الشافعى » . ولم نعثر على واحد من هذه الأسماء فى كشف الظنون .

(٢) الدونى : نسبة إلى دون ، قرية من أعمال دينور . (عن معجم البلدان لياقوت) .

§ أمر النيل فى هذه السنة ــ المـاء القديم سبع أذرع وخمس أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثمـانى عشرة إصبعا .

*
* *

السنة السابعة من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة آثنتين وخمسمائة .

فيها تُوفِّى إسماعيل بن إبراهيم بن العبّـاس بن الحسن الشريف أبو الفضـل الحسينىّ الدمشقىّ المعروف بآبن أبى الجِنّ . كان فقيها فاضلا ثقة . ولى قضاء دمشق مدّة، وبها تُوفِّى .

وفيهـا تُوفِّى ملك المغرب تميم بن المعزّ بن باديس أبو يحيى صاحب إفريقيّـة، وينتهى نسبه إلى يَعْرُب بن قَحْطان؛ قاله السـمعانىّ . وُلد سـنة آثنتين وعشرين وأربعمائة، وعاش ثمانين سنة، وأقام فى الإمرة ستًّا وأربعين سنة، وخلّف مائة ولد لصُلْبه، قاله صاحب مرآة الزمان؛ قال : لأنّه كان مُغرًى بالجوارى مع آهتمامه بالملك؛ وقيل : إنّه مات وله خمسون ولدا . وكان مُقامه بالمهديّة . وكان عظيم القدر شاعرا جَوادا ممدّحا . وله ديوان شعر . ومن شعره : [الكامل]

ما بان عُذرى فيـه حتّى عَذَّرا (١) * ومشى الدُّجى فى خدّه فتحيّرا
همّت تُقبّـله عقاربُ صُـدْغه * فأسـلّ ناظرُه عليهـا خَنْجَـرَا
والله لولا أن يقال تغـنى (٢) * وصبا وإن كان التّصابى أجدرا
لأمدتُ تُفّاح الخدود بنَفْسَجًا * لَثْمًـا وكافـورَ الـترائب عَنْـبرَا

---

(١) عذر الغلام : نبت عذاره . (٢) كذا فى الأصل . ولم نعثر على مصدر آخر نصحح منه هذه الكلمة . على أنه يستقيم لفظ البيت ومعناه لو كان : « ... أن يقال تمشّقا » .

وله أيضا : [الطويل]

أمَا والذى لا يعلم السِّرَّ غيرُه * ومَنْ هو بالسرّ المُكَتَّم أعلمُ
لئن كان كِتمانُ المصائبِ مُؤلِمًا * لَإعلامُها عِندى أشَدُّ وآلَمُ

وفيها تُوفِّى الحسن العَلَوِىّ أبو هاشم رئيس هَمَذَان. كان جَوَادًا مُمدَّحا مُمَوَّلا شجاعا صاحب صدقات وصلوات. صادره السلطان محمد شاه السلجوقىّ على تسعمائة ألف دينار، أدّاها فى نيّف وعشرين يوما، ولم يبع فيها عَقَارا .

وفيها توفّى الشيخ أبو القاسم علىّ بن الحسين الربعىّ البغدادىّ الفقيه المحدّث. مات فى شهر رجب .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع وثمانى عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وستّ عشرة إصبعا .

*
* *

السنة الثامنة من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة ثلاث وخمسمائة .

فيها كاتب السلطان محمد شاه السلجوقىّ الأميرَ سُكْمان بن أُرْتُق صاحب أرمينِيَة وأخلاط وميّافارقين ، والأميرَ شرفَ الدِّين مودودًا صاحب المَوْصِل، ونجمَ الدين إيلغازى صاحب ماردين بالاجتماع على جِهاد الفرنج؛ فاجتمعوا وبدءوا بالرُّهاء . وبلغ الفرنج، فاجتمع طنكرى صاحب أنطاكِيَة، وابن صنجيل صاحب طرابلس، وبغدوين صاحب القدس، وتحالفوا هم أيضا على قتال المسلمين، وساروا؛ فكانت وقعة عظيمة نصر الله المسلمين فيها وغنِموا منهم شيئا كثيرا .

وفيها تُوفّى [عمر بن] [1] عبد الكريم بن سَعْدويه الحافظ ابو الفِتْيان الدِّهِسْتَانىّ . كان إماما حافظا محدّثا، رحل البـلاد وسمع الكثير، وروى عنـه أبو بكر الخطيب وغيره، واتّفقوا على صدقه وثقته ودينه . ومات فى شهر ربيع الأول .

وفيها تُوفّى وجيـه [2] بن عبد الله بن نصر الأديب الفاضل أبو المِقدام التَّنُوخىّ . كان شاعرا فصيحا . ولـمّا أخربت الفرنج المَعَرّة، أنشد فى المعنى لمحمود بن علىّ :

[الخفيف]

هذه صاحِ [3] بلدةُ قد قضى اللّـ * ـهُ عليهـا كما ترى بالخَـرابِ
وَقِفِ العِيسَ وقفةً وَٱبكِ من كا * ن بها من شيوخها والشَّبابِ
وَٱعتبر إن دخلتَ يومًا إليها * فهى كانت منازلَ الأحباب

وفيها تُوفّى الشـيخ الإمام أبو سـعيد محمد بن محمد بن محمد الأصبهانىّ المعروف بالمطرّز . مات فى شوّال .

§ أمر النيل فى هذه السنة ـــ المـاء القديم ستّ أذرع وثمانى عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وخمس أصابع .

*
* *

السنة التاسعة من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة أربع وخمسمائة .

فيها بنى الخليفــة المستظهر بالله العباسىّ على الخاتون بنت مَلِكشاه السلْجوقىّ أخت السلطان محمد شاه .

---

(١) التكملة عن المنتظم ومرآة الزمان وعقد الجمان وتذكرة الحفاظ والبداية والنهاية لابن كثير وعيون التواريخ . (٢) كذا فى مرآة الزمان وعقد الجمان . وفى الأصـل : « دحية بن عبد الله » بالدال المهملة . (٣) فى الأصل : «هذه بلدة يا صاح قض الله عليها...» وهو تحريف .

وفيها أيضا جهّز السلطان محمد شاه المذكور العساكر إلى الشام لقتال الفرنج، وندب جماعة من الملوك معهم، منهم شرف الدّين مودود صاحب الموصل، وقطب الدين سُكمان بن أُرتُق صاحب ديار بكر فآجتمعوا ونزلوا على تلّ باشر(١) ينتظرون البُرسُقىّ صاحب هَمَذَان، فوصل إليهم وهو مريض، فآختلفت آراؤهم لأمور وقعت، ورجع كلّ واحد إلى بلاده.

وفيها توفّى الأمير قطب الدّين سكمان بن أُرْتُق — المقدّم ذكره — صاحب ديار بكر. عاد من الرُّهَاء مريضا فى مِحَفّة حتّى وصل ميّا فارقين فمات بها. وحُمِل تابوته من ميّا فارقين إلى أخلاط فدُفِن به. وكان ملكا عادلا مجاهدا. وأبوه أُرْتُق مات بالقدس. ونجم الدّين إيلغازى بن أُرْتُق أخو سكمان المذكور هو الذى ولى بعده. توجّه إيلغازى المذكور إلى السلطان محمد شاه السلْجوقىّ، فولاه شَحْنَجِيّة(٢) العراق عوضًا عن أخيه سكمان، ثم أخذ منه ماردين فى سنة ثمان وخمسمائة، وميّا فارقين فى سنة آثنتى عشرة وخمسمائة، ثم أخذ منه حلب أيضا. ولسكمان هذا وقائع مع الفرنج كثيرة ومواقف. رحمه الله.

وفيها تُوفّى علىّ بن محمد بن علىّ الشيخ الإمام العلّامة الفقيه العالم المشهور بالكِيَا الهَرّاسِىّ الشافعىّ العَجَمِىّ. لَقَبُه عِمَاد(٣) الدّين. كان من أهل طَبَرستان وخرج إلى نيسابور، وتفقّه على أبى المعالى الجُوَيْنِىّ، وقدم بغداد ودرس بالنظاميّة ووعظ

(١) تل باشر: قلعة حصينة وكورة واسعة فى شمال حلب و بينها و بين حلب يومان. (عن معجم البلدان لياقوت). (٢) الشحنجية (بفتح الشين وكسر الجيم وتخفيف الياء)، وردت فى القاموس الفارسى بمعنى مكتب رئيس الشرطة الذى يسمى شحنة (بفتح الشين) كما فى القاموس الفارسى. وقد شرحناها فيما تقدّم فى ص ٧٣ من هذا الجزء، وضبطناها بكسر الشين نقلا عن كتب اللغة. وفى الأصل: «شحنكية العراق» وهو تحريف. (٣) كذا فى ابن خلكان وطبقات الشافعية وشذرات الذهب وعقد الجمان والبداية والنهاية لابن كثير. وفى الأصل: «ضياء الدين».

وذكر مذهب الأشعرىّ، فَرُجِم وثارت الفِتن، واتُّهم بمذهب الباطنيّة. فأراد السلطان قتله، فمنعه الخليفة المستظهر بالله وشَهِد له بالبراءة. وكانت وفاته فى يوم الخميس غُرّة المحرم، ودُفِن عند الشيخ أبى إسحاق الشيرازىّ، وحضر لدفنه الشيخ أبو طالب الزَّينبىّ وقاضى القضاة أبو الحسن الدامغانىّ — وكانا مقدّمى طائفة السادة الحنفية — فوقف أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الدَّامغانىّ متمثّلا بهذا البيت : [الوافر]

وما تُغْنِى النوادب والبواكى * وقد أصبحتَ مثل حديثِ أمسِ

وأنشد الزَّينبىّ أيضا متمثّلا بهذا البيت : [الكامل]

عُقِم النساء فما يلِدْنَ شبيهه * إنّ النساء بمثله عُقُمُ

ولمّا مات رثاه أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان الغَزّىّ الشاعر المشهور آرتجالا بقصيدة أوّلها : [البسيط]

هى الحوادث لا تُبْقِى ولا تَذَرُ * ما للبريّة من محتومها وَزَرُ

لو كان يُنجِى عُلُوٌّ من بوائقها * لم تُكْسَفِ الشمس بل لم يُخْسَفِ القمرُ

والكِيَا : بكسر الكاف وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها ألف . والهَرّاسىّ معروف . والكيا بلغة الأعجام : الكبير القدر .

وفيها تُوفِّى أبو يَعْلَى حمزة بن محمد الزَّينبىّ أخو الإمام العالم طَرّاد . مات فى شهر رجب وله سبع وتسعون سنة .

وفيها تُوفِّى الشيخ الإمام المقرئ أبو الحسين يحيى بن علىّ بن الفَرَج الخَشّاب بمصر . كان عالم مصر ومقرئها .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع وثلاث أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأربع أصابع .

*
* *

السنة العاشرة من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة خمس وخمسمائة.

فيها عزل السلطان محمد شاه بن مَلِكشاه السلْجوقى وزيره أحمد بن نظام الملك، وكانت وزارته أربع سنين وأحد عشر شهرا.

وفيها تُوفّى الشيخ الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغَزّالىّ الطُّوسىّ الفقيه الشافعىّ. كان إمام عصره. تفقّه على أبى المعالى الجُوَيْنىّ حتى بَرَع فى عدّة علوم كثيرة، ودرس وأفتى، وصنّف التصانيف المفيدة فى الأصول والفروع، ودرّس بالنِّظاميّة، ثم ترك ذلك كلّه ولبس الخام الغليظ، ولازم الصوم وحجّ وعاد، ثم قدِم إلى القدس، وأخذ فى تصنيف كتابه «الإحياء» وتمّمه بدمشق. وله من المصنفات «البسيط» «والوسيط» «والوجيز» وله غير ذلك. وذكره ابن السمعانىّ فى الذيل فقال: ومن شعره: [الكامل]

حلّت عقارب صُدغه فى خدّه * قمرًا يجِلّ بها عن التشبيه
ولقد عهِدناه يَحُلّ ببُرْجها * ومن العجائب كيف حلّت فيه

وفيها توفّى محمود بن علىّ بن المهنأ بن أبى المكارم الفضل بن عبد القاهر أبو سلامة المعرّىّ القائل فى حق المعرّة لما استولى عليها الفرنج الأبيات التى مرّت فى ترجمة وجيه بن عبد الله فى سنة ثلاث وخمسمائة التى أوّلها: [الخفيف]

هذه صاح بلدةٌ قد قضى اللّـ * ـه عليها كما ترى بالخراب

وجد والد محمود هذا الفضل بن عبد القاهر هو القائل: [البسيط]

لَيلِى وليلَى نفى نومى اختلافُهما * بالطُّول والطَّوْل يا طُوبَى لو اعتدلا
يجود بالطُّول ليلِى كلّما بخلتْ * بالطَّوْل ليلَى وإن جادتْ به بخلا

وفيها تُوفّى مقاتل بن عطيّة بن مقاتل الأمير شِبل الدوله أبو الهيجاء البكرىّ من ولد أبى بكر الصدّيق رضى الله عنـه . قال العماد الكاتب : « كان شِبل الدولة من أولاد العرب ، وقع بينه وبين إخوته خشونة ففارقهم ، وسار إلى خُراسان وغَزْنة ومدح أعيانها ، وآختصَّ بنظام الملك الوزير» . انتهى كلام العماد . قلت وهو الذى رَثَى نظام الملك بقوله : [البسيط]

كان الوزيرُ نظام الملك لؤلؤةً * نفيسةً صاغها الرحمن من شَرَفِ

أضحت ولا تعرف الأيّام قيمتَها * فردّها غيرةً منـه إلى الصَّدَفِ

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم سبع أذرع وثلاث أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأربع أصابع .

***

السنة الحادية عشرة من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سـنة ست وخمسمائة .

فيها تُوفّى محمـد بن موسى بن عبد الله اللّامِشِىّ(١) التركىّ الإمام الفقيه الحنفىّ ، مصنّف « أصول الفقه » على مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه . كان إماما عالمـا فقيها متفنّنا . ولى قضاء بيت المقدس مدّة . وكانت وفاته بدمشق فى يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخرة . وسمّاه الذهبىّ البَلَاسَاغُونِىّ(٢) الحنفىّ قاضى دمشق عدوّ الشافعيّة .

وفيها تُوفّى قاضى القضاة أبو العلاء صاعد بن منصور النيسابورىّ الواعظ . كان إماما فقيها عالمـا واعظا ، كان له لسان حُلْو فى الوعظ .

---

(١) اللامشى : نسبة إلى لامش ، قرية من قرى فرغانة .

(٢) البلاساغونىّ : نسبة إلى بلاساغون ، بلد عظيم فى ثغور الترك وراء نهر سيحون قريب من كاشغر . (عن معجم البلدان لياقوت) .

وفيها تُوفّى الشيخ أبو سعد المعمّر بن علىّ [بن المُعمّر][1] بن أبى عِمَامة الحنبلىّ الفقيه الواعظ، كان فقيه بغداد وواعظها .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثمانى أذرع وخمس عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إصبعان .

*
* *

السنة الثانية عشرة من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة سبع وخمسمائة .

فيها تُوفّى إسماعيل بن أحمد بن الحسين بن علىّ بن موسى أبو علىّ البَيْهَقِىّ ولد أبى بكر[2] أحمد صاحب التصانيف. رحل البلاد، ولَقِى الشيوخ، وسكن خُوَارَزْم ودرس بها، ثم عاد إلى بَيْهق فتوفى بها . وكان إماما فاضلا صدوقا ثقةً .

وفيها تُوفّى الأمير رِضوان ابن الأمير تاج الدولة تُتُش بن أَلْب أَرْسلان بن داود ابن ميكائيل بن سَلْجُوق بن دقماق السلجوقىّ المنعوت بفخر الملك صاحب حلب. ملكها بعد قتل أبيه تُتُش فى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة. وكان غير مشكور السِّيرة. قتل أخويه أبا طالب وبَهْرَام ؛ وقتل خواصّ أبيه . وهو أوّل من بَنَى بحلب دار الدعوة . وكان ظالما بخيلا شحيحا قبيح السِّيرة، ليس فى قلبه رأفة ولا شفقة على المسلمين . وكانت الفرنج تغاوِروتسبي وتأخذ من باب حلب ولا يخرج إليهم . ومرِض أمراضًا مزمنة ، ورأى العِبَر فى نفسه، حتّى مات فى ثامن عشر جمادى

(١) التكملة عن تاريخ الاسلام للذهبى والمنتظم وشذرات الذهب ومرآة الزمان .

(٢) فى الأصل : « والد أبى بكر أحمد ... الخ » . والتصويب عن تاريخ الاسلام للذهبى والبداية والنهاية لابن كثير ومرآة الزمان والمنتظم .

الاخرة، وملك بعده آبنه ألب أرسلان وعمره ستّ عشرة سنة ، وقام بكفالته لؤلؤ الخــادم .

وفيها تُوفّى محمد بن أحمد بن الحسين أبو بكر الشّاشىّ الفقيه الشافعىّ . ولد سنة ســبع وعشرين وأربعمائة، وكان يعــرف بالمستظهرىّ، تفقّــه بجماعة وقرأ على آبن الصّبّاغ[1] كتابه «الشامل»[2] ودرس بالنظاميّة . ومات فى شوّال، ودفن عند أبى إسحاق الشّيرازىّ . وكان كثيرا ما يُنْشِد : [الوافر]

تَعَـلَّمْ يافـتى والعودُ رَطْبٌ * وطِينُك ليِّـــن والطبـعُ قابل

فحسبُك يا فــــتى شرفًا وفخرًا * سكوتُ الحاضرين وأنت قائل

وفيهــا تُوفّى محمد[3] بن أحمد بن محمد الإمام العلّامة أبو المظفّر الأَبِيوَرْدِىّ، وهو من ولد معاوية بن محمد بن عثمان بن عتبة بن عنبسة بن أبى سفيان صَخْر بن حرب . كان عالما بالأنساب وفنون اللغة والآداب، وسمع الحديث ورواه، وصنّف لأَبِيوَرْد[4] تاريخا، وصنّف «المختلف والمؤتلف» فى أنساب العرب . وكان له الشعر الرائق . وكان فيه كِبْر وتيه بحيث إنّه كان إذا صـلّى يقول : اللهم ملّكنى مشارق الأرض ومغاربها . وكتب قصّة للخليفة وعلى رأسها "الخادم المُعَاوِىّ" (يريد بذلك نسبه إلى

---

(١) تقدمت وفاته سنة ٤٧٧ هـ (٢) كذا فى مرآة الزمان والمنتظم والبداية والنهاية . وهو كتاب فى فروع الشافعية . قال آبن خلكان : «هو من أجود كتب الشافعية وأصحها نقلا وأثبتها أدلة . وفى الأصل : « كتاب الشامل » . (٣) ورد نسب أبى المظفر الأبيوردى هــذا فى معجم الأدباء لياقوت ووفيات الأعيان لابن خلكان وبغيــة الوعاة للسيوطى مع زيادة ونقص فى بعض الأسماء واختــلاف فى بعض الكنى . وما أورده المؤلف فى نسبه، بعــد حذف ما حذفه اختصارا ، يتفق مع ما ورد فى بغية الوعاة . (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٣ من الجزء الثانى من هذه الطبعة .

معاوية) . فأمر الخليفة بكشط الميم وردّ القصة ؛ فبقيت " الخادم العاوى " .
وكانت وفاته بأصبهان . ومن شعره وأجاد إلى الغاية : [الطويل]

تنكّر لى دهرى ولم يدرِ أننى * أَعِزُّ وأحداثُ الزمانِ تهونُ
وظلّ يُرِينى الخطْبَ كيف آعتداؤه * وبِتُّ أريه الصبر كيف يكون

وفيها تُوفّى الأمير مودود صاحب الموصل . كان قدِم الشام لمساعدة الأَتَابَك ظهير الدين طُغْتِكين وكسر الفرنج . وكان مودود هذا يدخل كلّ جمعة فيصلى بجامع دِمشق ويتبرّك بمصحف عثمان رضى الله عنه . فدخل على عادته ومعه الأتابك طُغْتِكين يمشى فى خدمته والغِلمان حوله بالسيوف مسلّلة ؛ فلمّا صار فى صحن الجامع وثب عليه رجل لا يُؤْ به له ، وقرُب من مودود هذا كأنّه يدعو له ، وضربه بخَنْجَر أسفل سرّته ضربتين ، إحداهما نفذت إلى خاصرته ، والأخرى إلى فخذه ، والسيوف تأخذه من كلّ ناحية ؛ وقُطِع رأسه ليُعرف شخصه فما عُرِف . ومات مودود من يومه ، وكان صائما فلم يُفطِر ، وقال : والله ما ألقى الله إلّا صائما . وكان من خِيار الملوك دِينا وشجاعة وخيرًا . ولمّا بلغ السلطانَ محمدا شاه السلْجوقىّ موتُه أقطع المَوْصِل والجزيرة لآق سُنْقُر البُرْسُقِىّ ، وأمره بتقديم عِماد الدين زَنْكى والرجوع إلى إشارته . وزَنْكى هذا هو والد الملك العادل نور الدين محمود المعروف بالشهيد ، المنشئ[1] لدولة بنى أيوب .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثمانى أذرع وخمس عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وإصبعان .

(١) فى الأصل : «الناشئ» .

* * *

السنة الثالثة عشرة من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة ثمان وخمسمائة .

فيها واطأ لؤلؤ خادم رِضوان على قتل آبن أستاذه ألب أرسلان، ففتكوا به فى قلعة حلب .

وفيها نزل الأمير نجم الدين إيلغازى بن أُرْتُق على حِمص ، وفيها خيرخان[1] بن قراجا. وكان عادة نجم الدين إذا شرب الخمر وتمكّن منه أقام أيّاما مخمورا لا يُفيق ، لتدبيره، ولا يستأمر فى أمور. وعرف منه خيرخان هـذه العادة فتركه حتّى سكِر ، فهجم عليـه برجاله وهو فى خَيْمته ، فقبض عليه وحمله إلى قلعة حِمص وسجنه بها أيّامًا، حتى أرسل إليه طُغتِكين يوبّخه و يلومه فأطلقه .

وفيها هلك بغدوين الفرنجىّ صاحب القدس من جُرح أصابه فى وقعة طَبَرِيّة، وأراح الله المسلمين منه، ومصيره إلى سَقَر .

وفيها قتِل الأمير أحمديل[2] الرَّوَّادِى صاحب مَرَاغة[3]، قتله باطنىّ ضربه بسكّين فى دار السلطان محمد شاه ببغداد. وكان شجاعا جوادًا، وكان يركب فى خمسة آلاف فارس . وكان إقطاعه أربعمائة ألف دينار فى السنة .

وفيها تُوفّى علىّ بن محمد بن محمد بن محمـد بن جهير الصاحب أبو القاسم الوزير ابن الوزير ابن الوزير، وزَر لجماعة من الخلفاء غير مرّة . ومات فى سابع عشرين شهر ربيع الأوّل . وكان وزيراً عاقلا حليما سديد الرأى، حسن التدبير والثبات، من بيت رياسة ووزر .

وفيهـا تُوفى الشريف الحسيب النسيب أبو القـاسم علىّ بن إبراهيم الحسينىّ خطيب دِمشق فى شهر ربيع الآخر . وكان فاضلا فصيحا خطيبا .

(١) كذا فى ابن الأثير وتاريخ ابن القلانسى . وفى مرآة الزمان : «جبرجان» . وفى الأصـل : «جرجان» . (٢) هو أحمديل بن إبراهيم ابن وهسوذان الأمير الرّوّادى الكردى، كما فى ابن الأثير وتاريخ ابن القلانسى . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٨٤ من الجزء الثالث من هذه الطبعة .

وفيها تُوفِّى الحافظ الفقيه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله الخَوْلَانِىّ القُرْطُبِىّ، كان عالم بلاده ومفتيها .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وأربع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع .

*
* *

السنة الرابعة عشرة من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة تسع وخمسمائة .

فيها صالح الأفضل أمير الجيوش مدبِّر مملكة الآمر صاحب الترجمة بردويل الفرنجىّ صاحب القدس . وكان بردويل قد أخذ قافلة عظيمة من المسلمين بالسبخة المعروفة الآن بسبخة[1] بردويل . فرأى الأفضل مهادنته لعجزه عنه ، وأمر الناس بذلك ، وساروا إلى الشام وغيره .

وفيها تُوفِّى علىّ بن جعفر بن القَطّاع[2] أبو القاسم السعدىّ الصِقِلّىّ ، من أولاد كِبار علماء صِقِلِّيَة . وقدِم مصر ومدح الأفضل أمير الجيوش . وكان شاعرا بارعا . ومن شعره : [الطويل]

أَلَا فليوطِّنْ نفسَه كلُّ عاشقٍ * على سبعةٍ محفوفة بغرام[3]
رقيبٍ وواشٍ كاشحٍ ومُفنِّدٍ * ومُلحٍّ ودمعٍ واكفٍ وسَقام

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٧١ من هذا الجزء . (٢) ذكر الذهبى وفاته سنة ٥١٥ هـ . وسماه : «على بن جعفر بن على بن محمد بن عبد الله بن حسين بن أحمد بن محمد بن زيادة الله بن محمد الأغلب الأغلبى أبو القاسم بن القطاع السعدى الصقلى» . ووافق الذهبى على تاريخ وفاته ابن خلكان وبغية الوعاة وعيون التواريخ . وذكر وفاته صاحب مرآة الزمان فى هذه السنة وقال : «وقيل إنه مات فى سنة ٥٠٨ هـ، وقيل : عاش إلى آخر زمان الأفضل» وهى سنة ٥١٥ هـ . (٣) كذا فى مرآة الزمان . وفى الأصل : «وغرام» .

وفيهـا تُوفّى محمد بن علىّ — وقيل محمد بن محمد — بن صالح الشيخ الأديب أبو يَعْلَى العَبّاسِىّ المعروف بآبن الْهَبّارِيّة[1] الشاعر البغدادىّ . كان فيه إقدام بالهجو على أرباب المناصب . وقدِم أصبهان وبهـا السلطان ملكشاه السلجوقىّ ووزيره نظـام الملك حسن الطُّوسىّ ، فدخل على النظام المذكور ومعه رُقعتان ، رقعة فيهـا هجوه والأخرى فيها مدحه ؛ فأعطاه التى فيها الهجو يظنّ أنها التى فيها المدح . وكان الهجـــو : [الكامل]

لا غَرْوَ أنْ ملك آبن إسـ * ـحاق وساعـــده القـــدَرْ
وصـــفا لدولتـــه وخَـــصّ أبا المحـاسن[2] بالكَدَر
فالدهر كالدُّولاب ليـ * ـس يـــدور إلّا بالبقـــر

— وأبو المحـاسن الذى أشار إليه كان صهر نظـام الملك ، وكان بينهما عداوة — فكتب نظام الملك : يُصرف لهذا القوّاد رسمه مضاعفًا . ثم هجاه بعد ذلك فأهدر دمه . قال العماد الكاتب : كان آبن الهَبّارِيّة من شعراء نظام الملك ، غلب على شعره الهجاء والهزل والسّخف ، وسلك فى قالب آبن حَجّاج[3] وفاقه فى الخلاعة والمجون .

ومن شعره أيضا : [الكامل]

وإذا البَيادِقُ فى الدُّسوت تَفَرْزَنتْ * فالرأىُ أن يتبيـــدق الفِرْزانُ
وإذا النفوسُ مع الدنو تبـاعدت * فالحـــزمُ أن تتباعد الأبدانُ
خُذْ جمـــلةَ البلوى ودَعْ تفصيلَها * ما فى الـــبريّة كلّهـــا إنسـان

قلت : وآبن الهَبّارِيّة هذا هو صاحب « الصادح والباغم »[4] .

---

(١) الهبارية : نسبة إلى هبار، وهو جدّ أبى يعلى المذكور لأمه . (٢) يقال له أبو الغنائم أيضا ، كما فى عقد الجمان وآبن خلكان . (٣) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج . كان يضرب به المثل فى السخف والمداعبة والأهاجى . وقد تقدمت وفاته سنة ٣٩١ ﻫ . (٤) الصادح والباغم : منظومة على أسلوب كليلة ودمنة فى ألفى بيت .

وفيها تُوفِّى الحافظ البارع أبو شجاع شِيَرويه بن شهردار[1] بن شِيَرويه الديلمىّ الهَمَذانى بهمذان . كان إماما حافظا، سمع الكثير ورحل البلاد وحدّث، وكان من أوعية العلم .

وفيها تُوفّى — فى قول الذهبىّ — الأمير يحيى بن تميم بن المعزّ بن باديس صاحب بلاد المغرب . وقد تقدّم ذكر أبيه وجدّه فى هذا الكتاب . كان مَلَكَ بعد أبيه تميم فى سنة آثنتين وخمسمائة إلى أن مات فى هذه السنة رحمه الله .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وسبع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء .



السنة الخامسة عشرة من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة عشر وخمسمائة .

فيها قُتِل الأمير لؤلؤ الذى كان قَتَل آبن أستاذه أَلْب أَرْسلان . والصحيح أنه قتل فى الآتية .

وفيها حجّ بالناس أمير الجيوش الجيوشى الحبشىّ المستظهرى العباسىّ، ودخل مكّة وعلى رأسه الأعلام وخلفه الكوسات[2] والبوقات والسيوف فى ركابه ، وقصد بذلك إذلال[3] أمير مكة والسودان؛ فوقع له بمكة أمور، ولم يقاومه أحد .

(١) كذا فى تذكرة الحفاظ وشذرات الذهب وعيون التواريخ . وفى الأصل : « شهرزاد » .
(٢) الكوسات : الطبول، واحدها كوس . (٣) فى الأصل : « إزالة » . وما أثبتناه عن عقد الجمان ومرآة الزمان والمنتظم .

وفيها تُوفّى محمد بن علىّ بن ميمون الحافظ أبو الغنائم بن النَّرْسِىّ الكوفىّ، محدّث مشهور ويعرف بأُبَىّ (١) لأنّه كان جيّد القراءة، وسمِـع الحديث الكثير وسافر البلاد، وخُتِم به علم الحـديث بالكوفة . قال محمـد بن ناصر : ما رأيت مثـل أبى الغنائم فى ثقته (٢) وحفظه، ما كان أحد يقـدر أن يُدخِل فى حديثـه ما ليس منـه . وعاش ستا وثمانين سنة .

وفيها تُوفّى محفوظ بن أحمد بن الحسن أبو الخطّاب الكَلْوَاذانِىّ (٣) الفقيه الحنبلىّ . تفقّـه على القاضى أبى يَعْـلَى ، وسمع الحـديث وحدّث وأفتى ودرّس ، وصـنّف «الهداية» (٤) وغيرها، وشهد عند قاضى القضاة أبى عبد الله الدَّامغانِىّ الحنفىّ . وكان فاضلا شاعرا . وله قصيدة (٥) من جنس العقيدة، أولها : [الكامل]

دع عنك تَذْكارَ الخليط المُنجِدِ * والشّوقَ نحو الآنسات الخُـرَّدِ
والنوحَ فى أطلال سُعْدَى إنّمـا * تذكارُ سُعْدَى شغلُ من لم يسعَدِ

وله أيضا من غير هذه القصيدة : [الوافـر]

لئن جار الزمانـ علىّ حـتّى * رمانى منـه فى ضَنْك وضِـيق
فإنّى قـد خَبَرتُ له صروفًا * عَرَفتُ بها عدوّى من صديق

ومات وله ثمان وسبعون سنة .

---

(١) عرف بأبى تشبيها بأُبَىّ بن كعب بن قيس سيد القراء بالأستحقاق وأقرأ هذه الأمة على الإطلاق، لأنه كما فى طبقات القراء لأبن الجزرى قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم، وقرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم بعض القرآن للإرشاد والتعليم . (٢) فى الأصل : «فى نفسه» . والتصويب عن مرآة الزمان وعقد الجمان والمنتظم وعيون التواريخ وتاريخ الإسلام للذهبي . (٣) الكلواذانى : نسبة الى كلواذى، بلدة أسفل بغداد، كما فى شرح القاموس . (٤) فى كشف الظنون : «الهداية فى فروع الحنابلة، شرحها القاضى وجيه الدين أسعد بن المنجا الدمشقى المتوفى سـنة ٦٠٦ وسماه النهاية، بلغ نصفه إلى عشرة مجلدات، كذا ذكره فى العبر» . (٥) وهى قصيدة طويلة ذكرها ابن الجوزى فى كتابه المنتظم فى حوادث هذه السنة تقرب من خمسين بيتا .

وفيها توفى المُسْنِد المعمَّر أبو بكر عبد الغفّار بن محمد الشِّيرُوِيّ[١]، مُسْنِد نَيْسَابور فى ذى الحجة، وله ستّ وتسعون سنة، ورحل إليه الناس من الأقطار.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وتسع عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وست أصابع.

***

السنة السادسة عشرة من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة إحدى عشرة وخمسمائة.

فيها زُلْزِلت بغدادُ يوم عرفة زلزلةً عظيمة آرتجّت لها الدنيا؛ فكانت الحيطان تذهب وتجىء، ووقع الدُّور على أهلها فمات تحتها خلقٌ كثير. ثم كان عقبَها موت السلطان محمد شاه السَّلْجوقى، ثم موت الخليفة المُسْتَظْهِر العباسىّ فى السنة الآتية، وحارب دُبَيس بن مَزْيَد الخليفةَ المسترشد بالله، وغلت الأسعار حتى بلغ الكُرّ القمح أو الدقيق ثلثمائة دينار، وفُقِد أصلا، ومات الناس جوعًا، وأكلوا الكلاب والسنانير. ثم جاء سيل عظيم فأخرب سِنْجار[٢]. قال ذلك صاحب مرآة الزمان.

وفيها نزل آق سُنْقُر البُرْسُقى على حلب وبها يارقتاش[٣] الخادم بعد لؤلؤ، فحاصرها فلم يظفَر منه بطائل، وعاد إلى الموصل.

---

(١) الشيرويىّ (بكسر الشين وسكون الياء آخر الحروف وضم الراء وسكون الواو وفى آخرها ياء أخرى، كما فى اللباب): نسبة الى شيرويه، جدّ، كما فى اللباب وأنساب السمعانى.

(٢) سنجار: مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام فى لحف جبل عال. (عن معجم البلدان لياقوت).

(٣) فى مرآة الزمان ونسخة أشير اليها فى هامش الأصل: «بارقياش». وفى نسختين أخريين أشير اليهما فى هامش الأصل أيضا: «بادقياش» و«رقياش». وفى عقد الجمان: «باروقطاش».

وفيها توفّى محمد بن سـعيد بن إبراهيم بن نَبْهَانـ أبو علىّ الكاتب سِبْط هلال ابن المُحَسِّن الصابئ المقـدّم ذكره ، مات فى شـوّال ودُفِن بداره بالكَرْخ . وكان فاضلا فصيحا شاعرا، إلّا أنّه كان شيعيّا رافضيّا . ومن شعره : [السريع]

لى أَجَـلٌ قـدّره خالقى * نَعَـمْ ورِزْقٌ أتـوَفّاهُ
حتّى إذا آستوفيتُ منه الذى * قُـدِّر لِى لم أتَعَـدّاهُ

وفيها توفّى السلطان محمد شاه آبن السلطان ملكشاه آبن السلطان أَلْب أرْسلان ابن داود بن ميكائيل بن سَلْجوق بن دُقَاق، أبو شُجاع غِياث الدين السَّلْجوقىّ . كان ملكا عادلا مَهِيبا شجاعا كريما. خرج فى السنة المـاضية إلى أصبهان، فمرض بها مرضًا طال به إلى أن مات فى حادى عشر ذى الحِجّة ، وعمره سبع وثلاثون سـنة ، ومدّة ملكه بعد وفاة أخيـه بَرْكِيَارُوق آثنتا عشرة سـنة . وخلّف خمسة أولاد : مسعودا ومحمودا وطُغْرِل وسليمان وسَلْجوق . وولى السلطنة من بعده ولده محمود .

وفيها توفّى يُمْن بن عبـد الله الخادم أبو الخير الحبشى خادم المستظهر العباسىّ . كان مَهِيبًا جَوادا حسن التدبير ذا رأى وفطنة، مات بأصبهان .

وفيها توفّى المحدّث الفاضـل أبو طاهر عبـد الرحمن بن أحمد بن عبـد القادر [آبن محمد](١) بن يوسف راوى سنن الدّارَقُطْنىّ. كان من كبار المحدّثين .

وفيها توفّى الشيخ الإمام الفقيه الواعظ الحافظ أبو زكرياء يحيى بن عبد الوهاب آبن مَنْدَة(٢) بأصبهان . سمع الكثير ورحل البلاد وبرع فى فنون وحدّث، وروى عنـه غير واحد .

---

(١) التكملة عن المنتظم وعيون التواريخ .

(٢) راجع بقية نسبه فى آبن خلكان (ج ٢ ص ٣٢٣) .

§ أمر النيل في هـذه السنة — المـاء القديم سبع أذرع وآثنتا عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وتسع عشرة إصبعا .



السنة السابعة عشرة من ولاية الآمر منصـور على مصر وهي سـنة آثنتي عشرة وخمسمائة .

فيها في يوم الجمعـة ثالث عشرين المحرّم خُطِب ببغداد لمحمود بن محمـد شاه السلجوقيّ بعد موت أبيه على المنابر .

وفيها توفّي الخليفة أمير المؤمنين المستظهر بالله أبو العبّاس أحمد ابن الخليفة المقتدي بالله أبي القاسم عبـد الله آبن الأمير محمد الذخيرة آبن الخليفة القائم بأمر الله أبي جعفر عبدالله آبن الخليفة القادر بالله أحمد آبن الأمير إسحاق آبن الخليفة المقتدر بالله جعفر آبن الخليفة المعتضد بالله أبي العباس أحمـد ابن الأمير الموفّق طلحة ابن الخليفة المتوكّل على الله جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشـيد بالله هارون ابن الخليفة المهديّ بالله محمد ابن الخليفة أبي جعفر المنصور بن محمد بن عليّ ابن عبدالله بن عبّاس العبّاسيّ الهاشميّ البغداديّ . وأمّه أمّ ولد تركيّة تسمّى الطن[1] . بويع بالخلافة بعد موت أبيـه المقتدي بالله في ثامن عشر المحرّم سنة تسع وثمـانين وأربعمائة ، وعمره سبع عشرة سنة وشهران . وكان ميمونَ الطّلْعة حميد الأيّام . قال ابن الأثير : كان ليّن الجـانب ، كريم الأخلاق ، يُسارع في أعمـال البرّ ، وكانت أيّامه أيّام سرور للرعيّة ، فكأنّهـا من حسنها أعياد . وكان حسن الخطّ جيّـد

(١) في عقد الجمان : « أم ولد أرمينية اسمها حرام » . وفي تقويم التواريخ : « أم ولد تركية » بدون ذكر اسم .

التوقيعات لا يقاربه فيها أحد، تدلّ على فضل غزير وعلم واسع . ومات بعلّة التّراقى وهى دُمّل يطلع فى الحَلْق . ومن شعره : [البسيط]

أذاب حرُّ الهوى فى القلب ما جَمَـدَا * يومَ مَدَدتُ[1] إلى رَسْم الوَدَاع يــدا
وكيف أسلُكُ[2] نَهْجَ الاصــطبار وقد * أرى طرائق فى مَهْوَى الهوى قِـددا

وكانت خلافته خمسا وعشرين سنة وأيّاما . ولم تصفُ له الخلافة، بل كانت أيّامه مضطربة كثيرة الحروب . وتولّى الخلافة من بعده آبنه المسترشد .

وفيهـا خرجت والدة السـلطان محمود بن محمد شاه من أصبهان إلى السـلطان سِنْجَر شاه، فلقِيها ببَلْخ فأكرمها . فقالت له : أدرك آبن أخيك وإلّا تَلِف، فإنّ الأموال قد تمزّقت ، والبلاد قـد أشرفت على الأخذ ، وهو صبىّ وحوله من يلعب بالملك . فقال لها : سمعًا وطاعة. وكان وزيرَ محمود ومدبّر مملكته أبوالقاسم، وكان سيئ التدبير ظالمـا ، وكان يخاف من مجىء سنجر شاه المذكور إلى البـلاد ؛ فأنفق ما فى خزائن محمـد شاه فى أربعة أشهر، وباع الجواهر [والأثاث][3] وأنفقـه فى العساكر فلم يفده ذلك، على ما سيأتى ذكره .

وفيهـا توفّى بكر بن محمد بن علىّ بن الفضل بن الحسن بن أحمـد بن إبراهيم، الإمام الفقيه الحافظ المحـدّث أبو الفضل الأنصارىّ الزَّرَنْجَرِىّ — وزَرَنْجَر : قرية على خمسة فراسخ من بُخَارَى — سمع الحديث الكثير من جمـاعة كثيرة، وتفرّد بالرواية عن جماعة منهم، لم يحدّث عنهم غيرُه. وكان بارعًا فى الفقه يضرب به المثل، ويقولون: هو أبو حنيفة الصغير. وكان إذا طلب منه أحد من المتفقهة الدرس ألقى

(١) رواية ابن الأثير : « لما مددت » . (٢) كذا فى ابن الأثير ومرآة الزمان وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي . وفى الأصل : «وكيف أملك» . (٣) فى الأصل: «ونفق فى العسكر» . والزيادة والتصويب عن عقد الجمان .

عليه من أىّ موضع أراد من غير مطالعة ولا نظر فى كتاب ، وكان إذا أشكل على الفقهاء شىء رجعوا إلى قوله ونقله .

وفيهـا توفّى الحسين بن محمد بن علىّ بن الحسن الإمام العلّامة أبو طالب الزينبىّ الحنفىّ فريدُ عصره . وُلِد سنة عشرين وأربعمائة ، وقرأ القرآن وسمع الحديث وبرع فى الفقه وأفتى ودرّس . انتهت إليه رياسة السادة الحنفيّة فى زمانه ببغداد ، ولقّب بنور الهدى . وترسّل إلى ملوك الأطراف من قِبَل الخليفة ، وولى نقابة الطالبيّين والعباسيّين . وكان شريف النفس والحسب ، كثير العلم جليل القدر . ومات يوم الاثنين حادى عشر صفر ، وصلّى عليه ابنه القاسم ، وحُمِل إلى قُبّة أبى حنيفة فدفن داخل القبّة ، وله اثنتان وتسعون سنة . وكان سمع من غَيْلان وغيره ، وانفرد ببغداد بروايته صحيح البخارىّ عن كَرِيمة[(١)] بنت أحمد .

وفيهـا توفّى محمد بن عتيق بن محمد التميمىّ القَيْرَوانِىّ . قدم الشام مجتازًا إلى العراق . وكان يقرئ علم الكلام بالنِّظاميّة ، وكان يحفظ كتاب سيبويه . وسمع يوما قائلًا يُنشِد أبيات أبى العلاء المَعَرِّى : [الطويل]

ضَحِكنا وكان الضِّحْك منّا سفاهةً * وحقّ لسكّان البسيطة أن يبكوا
وتَحْطِمنا الأيّام حتّى كأنّنا * زُجاج ولكن لا يُعاد لنا سَبْكُ

فقال مجيبا :

كذبتَ وبيتِ الله حِلْفَةَ صادقٍ * سَيَسْبِكُنا بعد النَّوَى مَنْ له المُلْكُ
ونرجع أجسامًا صِحاحًا سليمةً * تَعارَفُ فى الفردوس ما عندنا شكّ

(١) هى كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم أم الكرام المروزية المجاورة بمكة . روت الصحيح عن الكشميهنىّ وروت عن زاهر السرخسىّ . وكانت تضبط كتابها وتقابل بنسخها ، لها فهم ونباهة ، وما تزوجت قط . وقيل : إنها بلغت المائة وعدّها ابن الأهدل من الحفاظ . توفيت سنة ٤٦٣ هـ (راجع شذرات الذهب) .

وفيها توفّى أبو الفضل[1] بن الخازن الشاعر المشهور. كان ديّنا فاضلا شاعرا .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع سواء . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وأربع أصابع .

***

السنة الثامنة عشرة من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة .

فيها قدم السلطان سِنْجرشاه السلجوقىّ الرىّ وملكها ؛ وآصطلح مع آبن أخيه محمود بن محمد شاه بعد حروب، وزوّجه آبنته، وأقرّه على ملكه .

وفيها وقعت المباينة بين الآمر خليفة مصر (أعنى صاحب الترجمة) و بين مدبّر مملكته الأفضل بن أمير الجيوش؛ وآحتجب الآمر عنه وتعلّل بمرض . وآجتهد الأفضل أن يغتاله بالسمّ فلم يقدر ، ودسّ إليه السمّ مرارا فلم يصل إليه . وكان للآمر قَهْرَمانةٌ كاتبة فاضلة تَعْرِف أنواع العلوم : الطب والنجوم والموسيقى، حتّى كانت تعمل التحويلات وتحكم على الحوادث ، فآحترزت على الآمر ؛ ولم تزل تدبّر على الأفضل بن أمير الجيوش حتى قُتِل، حسب ما يأتى ذكره .

قال آبن القلانسىّ: وفيها ظهرت صور الأنبياء عليهم السلام : الخليل و ولديه إسحاق و يعقوب[2] — صلوات الله عليهم — وهم مجتمعون فى مَغَارة بأرض بيت المقدس ، وكأنّهم أحياء لم يَبْلَ لهم جسد ولا رمّ لهم عظم، وعليهم قناديلُ من ذهب وفضّة معلّقة، فسدّوا باب المغارة وأبقوا على حالهم .

---

(١) هو أبو الفضل أحمد بن عبد الخالق المعروف بابن الخازن، كما فى ابن الأثير وعقد الجمان .

(٢) كذا فى تاريخ آبن القلانسى ومرآة الزمان وعيون التواريخ وعقد الجمان . وفى الأصل : « وولديه إسحاق و إسماعيل و يعقوب » .

وفيهـا توفّى علىّ بن محمد بن علىّ بن محمـد بن الحسن بن عبد الملك بن حَمّويه قاضى القضاة أبو الحسن الدامغانىّ الحنفىّ . وُلِد فى رجب سنة تسع وأربعين وأربعمائة ، وقُلِّد القضاء وهو آبن ستّ عشرة سنة بعد موت أبيه ؛ وولى القضـاء لأربعة خلفاء . وهذا لم يقع لغيره إلّا للقاضى شُرَيْح . وأمّا القاضى أبو طاهر محمد ابن أحمد الكوفىّ فذالك ولى لخمسة خلفاء .

قلت : الشيء بالشيء يذكر ؛ وهـذا قاضى قُضاة زماننـا، جلال الدين عبد الرحمن بن عمر البُلْقِينىّ ، ولى القضاء لستة سلاطين : الناصر فَرَج، والمنصور عبـد العزيز آبنى الظاهر برقوق، والخليفة المستعين بالله العباسى ، والمؤيّد شيخ ، وآبنه المظفّر أحمد، والظاهر ططر . ووقع مثل هذا كثير فى آخر الزمان ؛ والمقصود غير ذلك . وكان الدامَغانىّ إماما عالمـا عفيفا ديّنا معظّما عند الخلفاء والملوك. وناب عن الوزارة، وآنفرد بأخذ البَيعـة للخليفة المسترشـد . وكان ذا مروءة وصـدقات وإحسان ، ومعرفة بصناعتى القضاء والشروط . ومات ليـلة رابع عشر المحرّم ، ودفن فى مشهد أبى حنيفة — رضى الله عنه — وعاش ثلاثا وستين سنة وأشهرا . ولى القضـاء منها تسعا وعشرين سنة وخمسـة أيّام . وسمع الحـديث من القاضى أبى يَعْلَى الفرّاء والخطيب وغيرهما، وكان صدوقا ثقة .

وفيهـا توفّى الإمام العلّامة أبو الوفاء علىّ بن عقيل بن محمد بن عَقيل البغدادىّ الحنبلىّ شـيخ الحنابلة فى عصره . كان إماما عالمـا صالحا مفتّيا، ومات ببغداد وله آثنتان وثمانون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ست أذرع وآثنتان وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وسبع أصابع .

* * *

السنة التاسعة عشرة من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة أربع عشرة وخمسمائة .

فيها خُطب ببغداد لِسنْجَر شاه السلجوقىّ ولابن أخيه محمود بن محمد شاه جميعا فى المخزم ، ولقب سنجر شاه بالسلطان عضد الدولة ، ومحمود بجلال الدولة .

وفيها توفى الحسين[(1)] بن علىّ بن محمد الإمام العلّامة مؤيّد الدين الطُّغْرَائىّ الكاتب وزير السلطان محمود بن محمد شاه السلجوقىّ ، المقدّم ذكره ، والطغرائى هذا جدّ محمد بن الحسين وزير الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . وكان السلطان محمود نسب خروج أخيه مسعود عليه إلى الطُّغْرائىّ فقتله . وقال الذهبىّ : وزير السلطان مسعود قُتِل فى المَصافّ بين مسعود وأخيه محمود . وكان أفصح الفصحاء ، وأفضل الفضلاء ، وأمثل العلماء ؛ وهو صاحب « لاميّة العجم » ، وديوانه مشهور بأيدى الناس . ومن شعره يمدح الوزير نظام الملك على قافيتين[(2)] : [الكامل]

يا أيّها المولى الذى أصـ * ـطنَع الورَى ، شَرْقًا وغَرْبا

والقصيدة كلها على هذا المنوال .

---

(١) كذا فى وفيات الأعيان ومرآة الزمان وتاريخ الإسلام للذهبى وشذرات الذهب . وفى الأصل : « الحسن » وهو تحريف .

(٢) القافية الأولى كلمة « الورى » فى البيت ، والقافية الثانية آخر البيت . وبعد هذا البيت :

والمستعان على الزما * ن إذا اعترى ، وأجدّ جدبا

أقسمت بالبزل النوا * خ فى البرى ، قودا وقبا

وللقاسم بن على الحريرى صاحب المقامات الذى كان معاصرا للطغرائى هذا ، مثل هذا الشعر ، فى المقامة الثالثة والعشرين الشعرية من قصيدة مطلعها :

يا خاطب الدنيا الدنية إنها * شرك الردى ، وقرارة الأكدار

دار متى ما أضحكت فى يومها * أبكت غدا ، بعدا لها من دار

ومن شعره أيضا : [السريع]

قُومُوا إلى لذّاتكم يانيـامْ * وَنَبِّهوا العُودَ وصَـفّوا المُدامْ

هذا هلال الفطر قد جاءنا * بِمِنْجَلٍ يحصُد شهر الصيام

وفيهـا توفى الحافظ أبو منصـور محمود بن إسماعيل الأشـقر الأصبهانىّ عالم أصبهان ومحدّثها، مات فى ذى القعدة .

وفيهـا توفّى الشـيخ الإمام المقرئ أبو الحسن عبد العزيز بن عبـد الملك بن شفيع الأندلسىّ المَرِىّ[1] المقرئ المجوّد . كان رأسا فى علوم القرآن، وأفاد وأقرأ سنين .

وفيهـا توفّى الشـيخ أبو الحسن علىّ بن الحسن بن المَوَازِينِىّ العـالم المحدّث المشـــهور .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم تسع أذرع وآثنتا عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إصبع واحدة .

*
* *

السنة العشرون من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سـنة خمس عشرة وخمسمائة .

فيها كتب الخليفة المسترشد بالله العباسىّ والسلطان محمود بن محمد شاه السلجوقىّ الى إيلغـازى يأمرانه بإبعاد دُبَيْس بن صدقة ، وفسـخ الكتاب الذى عقده له على آبنته .

(١) كذا فى شذرات الذهب وغاية النهاية . وفى الأصل : «المغربى» ، وهو تحريف . والمرى: نسبة الى مرية ، وهى مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس .

وفيها تُوُفّى عبـد الرزّاق بن عبد الله بن علىّ بن إسحاق الطوسىّ ابن أخى نظام الملك. كان فاضلًا، تفقّه على أبى المعـالى الجُوَينىّ، وأفتى وناظر، ووزر للسلطان سِنْجَر شاه السلجوقىّ . ومات بنيسابور .

وفيها توفّى محمد بن محمـد بن عبد العزيز أبو علىّ بن المهتـدى الخطيب . كان فاضلا، شهد عند القاضى أبى عبد الله الدامَغانىّ الحنفىّ، وكان ظريفا صالحا ديّنا. ومات فى شوّال، ودفن بباب حرب من بغداد .

وفيها قُتـل الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش أبو القـاسم بن أمير الجيوش بدر الجمالىّ الأرمنىّ وزير مصر ومـدبّر ممالكها. ولى مملكة مصر بعـد موت أبيه بدر الجمـالىّ فى أيّام المستعلى إلى أن مات المستعلى ؛ فأقام الأفضل هـذا ولده مكانه فى الخلافة ، ولقّبـه بالآمر (أعنى صاحب الترجمة) ودبّر دولته وحَجَر عليه . وكان الخليفة المستنصر جدّ الآمر هـذا وولده المستعلى والد الآمر كلاهما أيضـا تحت حجر بدر الجمالى والد الأفضل هذا. فلمّا ملك الأفضل سار على سيرة أبيه مع الخلفاء من الحَجْر والتضييق عليهم . وزاد الأفضل هـذا فى حقّ الآمر صاحب الترجمـة حتّى إنّه منعه من شهواته، وأراد قتله بالسمّ. فحمله ذلك على قتله، واتّفق الآمر مـع جماعة، وكان الأفضل يسكن بمصر؛ فلمّـا ركب فى غير موكب وثبوا عليـه وقتلوه فى سلخ شهر رمضان بعـد أمور وقعت . وخلّف الأفضل من الأموال والنقود والقماش والمواشى ما يُسْتحيا من ذكره كثرةً . وقد ذكرنا ذلك فى « كتاب الوزراء» وهـو محلّ الإطنـاب فى الوزراء ، وليس لذكره هنا محـلّ . والمقصود فى هذا الكتاب تراجم ملوك مصر لا غير، وما عدا ذلك يكون على سبيل الاستطراد. قال ابن الأثير : كانت ولايته (يعنى الأفضل) ثمانيا وعشرين سـنة ، وكان حسن السيرة عادلا . ثم أخذ فى تعداد أمواله .

وفيها تُوفّى الإمام الحافظ المحدّث أبو محمد الحسين بن مسعود البَغَوِىّ المعروف بابن الفرّاء . كان إماما حافظا ، رحل إلى البلاد وسمع الكثير وحدّث وألّف وصنّف . وكان يقال له محيى السنة . ومات فى شوّال .

وفيها تُوفّى الحافظ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عمر[1] السَّمَرْقَنْدِىّ الإمام الحافظ المشهور . سمع الكثير وروى عنه غير واحد ، وكان صدوقا ثقة ديّنا .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وأربع أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع ، وقيل : خمس أصابع .

***

السنة الحادية والعشرون من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة ست عشرة وخمسمائة .

فيها كانت وقعة عظيمة بين الأمير إيلغازى بن أُرْتُق صاحب ماردين وبين الكفّار على تِفْليس ، فعاد مريضا فمات بعد أيّام .

ذكر وفاته — هو نجم الدين إيلغازى بن أُرْتُق صاحب ماردين وديار بكر وحلب ، وهو ثالث من ظهر أمره من ملوك بنى أُرتق الأعيان . وكان ملكا شجاعا جوادا ، له غزوات ومواقف مشهورة مع الفرنج . وكانت وفاته فى هذه السنة عند عوده من تفليس بميافارقين فى شهر رمضان . وذكر الذهبىّ وفاته فى الخالية ؛ والأصحّ ماقلناه ؛ فإنّه عاد إلى ميّافارقين مريضا ، فنزل بظاهرها ومعه زوجته الخاتون بنت الأمير ظهير الدين طُغْتِكين صاحب دمشق ؛ فمات يوم الخميس سابع عشر شهر

---

(١) كذا فى المنتظم ومرآة الزمان وشذرات الذهب وعيون التواريخ . وفى الأصل : «ابن عمران» وهو تحريف .

رمضان فى قرية تُعْرَف بالفحول؛ فحمل تابوته إلى ميّافارقين. وكان عنده ٱبنه شمس الدولة سليمان فٱستولى على ميّافارقين؛ وٱستولى ٱبنه الآخر حُسَام الدولة تمرتاش[1] على ماردين.

وفيها توفّى عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان أبو محمد والد أبى اليسْر شاكر التنوخىّ المعرّىّ. ولد بالمعرّة، وقرأ الأدب، وقال الشعر. ومن شعره: [الكامل]

يامن تنكّب قَوْسَه وسِهامَه * وله من اللَّحْظ السقيم سُيوف
يُغْنِيك عن حمل السلاح إلى العِدا * أجفانُك المرضَى وهنّ حُتوف

وفيها توفّى عبد الله بن يحيى بن البهلول الأندلسىّ. كان أصله من مدينة سَرَقُسْطَة من الغرب، وكان فاضلا أديبا شاعرا. ومن شعره قوله: [الطويل]

ولستُ بمن يبغِى على الشعر رِشوةً * أبَى ذاك لى جَدٌّ كريمٌ ووالدُ
و إنّىَ من قومٍ قديمًا ومُحْدَثًا * تُباع عليهم بالألوف القصائدُ

وفيها توفّى الحسين بن مسعود بن محمد الشيخ الإمام العلّامة أبو محمد البَغَوِىّ الشافعىّ المعروف بٱبن الفرّاء، الفقيه المحدّث المفسر. وقد تقدّم ذكر وفاته فى الماضية. والصحيح أنّه مات فى هذه السنة. وهو مصنّف «شرح السنّة» و «معالم التنزيل» و «المصابيح» وكتاب «التهذيب فى الفقه» «والجمع بين الصحيحين». وكان أبوه يعمل الفِرَاء و يبيعها. ومات بمرو الرُّوذ فى شوّال.

(١) كذا فى قاموس الأعلام التركى ومرآة الزمان وتاريخ آل سلجوق وتاريخ ابن القلانسى وعيون التواريخ. وفى الأصل: «تمرداش». وفى نسخة أخرى أشير اليها فى هامش الأصل: «دمرداش».

وفيها توفّى عبد الرحمن بن أبى بكر عتيق بن خلف أبو القـاسم الصِّقِلِّىّ المقرئ المجوِّد المعروف بآبن الفحّام، مصنّف «التجريد»[1] فى القراءات السبع . كان من كبار شيوخ القرّاء، سكن الإسكندريّة، وقصده الناس من النواحى لعلوّ إسناده وإتقانه .

وفيها توفّى القاسم بن علىّ بن محمد بن عثمان الشيخ الإمام العلّامة الأديب اللغوىّ النحوىّ أبو محمد البصرىّ الحرامىّ الحريرىّ، مصنّف «المقامات» . كان يسكن بنى حرام[2] أحد محالّ البصرة ممـا يلى الشطّ . مولده ومرباه بقرية المَشَان[3] من أعمال البَصْرة فى حدود سنة ستّ وأربعين وأربعمائة ، وكان أحد أئمـة عصره فى الأدب والبلاغة والفصاحة ، وله مصنّفات كثيرة، منها كتاب «المقامات» الذى لانظير له فى معناه ، وقد سلك فيه منوال بديع الزمان صاحب المقـامات الذى عملها قبـل الحريرىّ ؛ وقد تقدّم ذكره فى هذا الكتاب فى محلّه . وفى مقامات الحريرى هذا يقول إمام الدنيا محمود الزمخشرىّ : [السريع]

أُقسِـــم بالله وآياته * ومعشرِ الحجّ وميقـاتِه
إنّ الحريرى حرىٌّ بأن * نكتبَ بالتِّـــبر مقاماتِه

ومن شعر الحريرىّ : [البسيط]

لا تخطونّ إلى خِـــطْء ولا خَطَأ * من بعد ما الشيبُ فى فَوْدَيْك قد وَخَطا
وأىّ عُذْرٍ لمن شابت ذوائبُه * إذا سـعى فى ميادين الصِّبا وخطا

وقد أرّخ الذهبىّ وفاته فى السنة المـاضية . والله أعلم

(١) كذا فى غاية النهاية وطبقات القرّاء وعيون التواريخ وشذرات الذهب وهامش الأصل . وفى الأصل : «التجويد» ، وهو تحريف . (٢) بنو حرام : خطة كبيرة بالبصرة تنسب الى حرام بن سعد ابن عدىّ بن فزارة بن ذبيان بن بغيض، ومنهم رؤساء وشعراء وأجواد . (عن معجم البلدان لياقوت) .
(٣) المشان : بليدة قريبة من البصرة كثيرة التمر والرطب والفواكه .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ست أذرع وست وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وثلاث أصابع .

*
* *

السنة الثـانية والعشرون من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سـنة سبع عشرة وخمسمائة .

فيها قَبَض السلطان محمـود السلجوقىّ على وزيره عثمان بن نظام الملك، وبعث الخليفة بعزل أخيه أحمد عن وزارته. فبلغ أحمد فآنقطع عن الديوان .

وفيهـا سار الأمير نور الدولة بلك [بن بهرام][1] بن أُرْتُق إلى غزو مدينة الرُّهاء فى شهر رجب .

وفيها توفّى الأمير الحاجب فيروز شِحْنة دمشق . وكان أميرا صالحا ديِّنـا، وله آثار جميلة بدمشق وغيرها .

وفيها توفّى أحمد بن محمد بن علىّ أبو عبد الله بن الخيّاط التغلَبىّ الدمشقىّ الكاتب الشاعر المجيد، طاف البلاد ومدح الأكابر والملوك؛ قيل: إنّه دخل حلب فى حداثة سنّه، فقصد دار أبى الفِتْيان بن حَيُّوس الشاعر وقد أسنّ، قال : فدخلت عليه؛ فقال : من أين أنت؟ فقلت : من دمشق. فقال : ما صناعتك؟ قلت : الشعر. قال : فأنشدنى من شعرك . فأنشدته قولى : [الكامل]

لم يبـــق عندى ما يبـاع بحبّة * وكفاك شاهد مَنْظَرى عن مَخْبَرِى
إلّا صُبابة ماء وجــهٍ صنتهـا * من أن تُبـاع وأين أين المشترى

---

(١) تكملة عن آبن الأثير وآبن القلانسى وعقد الجمان .

قال : نَعَيتَ إلىّ نفسى . قلت : ولِمَ ؟ قال : لأنّ الشام لا تخلو من شاعر مجيد ، ولا يجتمع فيها شاعران، وأنت مُوازنى فى هذه الصناعة . ثم أعطانى دنانير وكسوة . ومن شعره أيضا قوله فى جواب كتاب : [البسيط]

وافى كتابك أسنَى ما يعود به * وفدُ المَسَرّة منّى إذ يُوافينى

فظِلتُ أَطْويه من شوقٍ وأنشُرُهُ * والشوقُ ينشُرنى فيه ويَطْوينى

وفيها قُتل الوزير عثمان بن نظام الملك . كان آستوزره السلطان محمود بن محمد شاه السلجوقىّ، فبعث عمّه سِنْجَر شاه السلجوقىّ يطلبه . فقال أبو نصر المستوفى : متى بعثتَ به حيًّا إلى عمّك سنجر شاه لم تأمنه، أُقتله وآبعث إليه برأسه . فبعث عنبرا الخادم إليه ليقتله . فعرف عثمان وقال : أَمْهِلنى حتّى أُصَلِّىَ ركعتين ؛ فقام وصلّى وقال لعنبر : أرنى[1] سيفك ما أراه إيّاه، سيفى أمضى منه، فلا تقتلنى إلّا به ؛ وناوله إيّاه فقتله به . فلمّا كان بعد قليل بعث السلطان محمود إلى أبى نصر المستوفى مَنْ فعل به كذلك، وذبحه ذبح الشاة . قلت : الجزاء من جنس العمل .

وفيها توفّى عبد المنعم بن حفاظ[2] بن أحمد بن خلف المحدّث أبو البركات الأنصارىّ الدمشقىّ، ويعرف بآبن البقلىّ . كان جوّادا فاضلا، سمع الكثير ؛ وآستوزره خيرخان[3] بن قراجا صاحب حِمص ؛ ثم بلغه أنه كاتب طُغْتِكين صاحب دمشق، فقبض عليه وكحله، فرجع إلى دمشق أعمى، فأقام بها حتّى مات .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثمانى أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وعشر أصابع .

---

(١) فى الأصل : « أرى » .

(٢) الذى فى معجم البلدان لياقوت : « أبو البركات عبد المنعم بن محمد حافظ الحفاظ » .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ ص ٢٠٨ من هذا الجزء .

*
* *

السنة الثالثة والعشرون من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة ثمانى عشرة وخمسمائة .

فيها عزم دُبَيس على قصد بغداد؛ وكان دُبَيس قد ٱلتجأ إلى طُغرِل بن محمد شاه السلجوقىّ . فتأهّب الخليفة المسترشد بالله للقائهما، وجمع الجيوش من كلّ جانب؛ ثم ترك دُبَيس المجىء فى هذه السنة لأمر مّا .

وفيها كاتب أهلُ حَلَب آق سُنْقُر صاحب الموصل ؛ فسار إلى حلب فسلمها إليه أهلها، وهرب منها الأمير سُكْمان بن أُرْتُق؛ فساق آق سنقر البُرْسُقِىّ خلفه ، فلحقه بمَنْبِج فقتله .

وفيها ٱستولت الفرنج على صُور بالأمان بعد أمور وحروب ذكرناها فى أوّل ترجمة الآمر هذا .

وفيها تُوُفِّى عبد الله بن محمد بن علىّ بن محمد القاضى أبو جعفر الدّامَغانىّ الحنفىّ، شهد عند أبيه ، ثم ولى قضاء الكَرْخ من قِبَل أخيه، ثم ترك ذلك ورمى الطيلسَان وولى حِجبة باب النوبىّ للخليفة، وعظُم ذلك على أخيه. وكان فاضلا كريم الأخلاق حسن العشرة خليقا بالرياسة .

وفيها توفّى محمد بن نصر بن منصور أبو سعد القاضى الهَرَوِىّ . كان فى بداءة أمره فقيرا حتّى ٱتّصل بالخليفة، وصار سفيرا بينه وبين الملوك. وٱستشهد هو وولده بهمذان، وكانت له اليد الباسطة فى النظم والنثر. ومن شعره : [الوافــــر]

أُوَدِّعكم وأُودِعكُمْ جَنانى * وأنثُر دمعـــتى نَثْرَ الجُمَانِ
وإنّى لا أريد لكم فـــراقا * ولكن هكذا حُكْمُ الزمانِ

وفيها توفّى الفقيه أبو الفتح سلطان بن إبراهيم المَقْدِسىّ الشافعىّ بمصر؛ قاله الذهبىّ . كان فقيها عالما بارعا فى فنون .

§ أمر النيل فى هذه — الماء القديم سبع أذرع وأربع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وأربع عشرة إصبعا .

* * *

السنة الرابعة والعشرون من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة تسع عشرة وخمسمائة .

فيها جَسَّر دُبَيس بن صَدَقة طُغْرِلَ بن محمد شاه السلجوقىّ على قصد بغداد وأن يطلب السلطنة لنفسه، فسار، وآستعدّ له الخليفة المسترشد، ووقع له معهما حروب آلت إلى أنّ دُبَيسا توجّه بعد هزيمته إلى سِنجَرشاه السلجوقىّ مستجيرا به، فأجاره ثم قبض عليه .

وفيها قبض الآمر صاحب الترجمة على وزيره المأمون أبى عبد الله بن البطائحىّ وعلى أخيه[1] أحمد المؤتمن، وآستولى على أموالها وذخائرهما ثم قتلهما ، وكانا قد دبّرا فى القبض عليه . والمأمون هذا هو بانى جامع الأقمر بالقاهرة . وكان الآمر آستوزره بعد قتل الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش .

وفيها توفى أحمد بن محمد بن الفضل أبو الفضل الكاتب الأديب الفاضل الشاعر المشهور، المعروف بآبن الخازن، وقد تقدّم ذكر وفاته فيما مضى[2] . والله أعلم .

---

(١) فى أخبار مصر لآبن ميسر : «وعلى إخوته الخمسة مع ثلاثين رجلا من خواصه وأهله» .

(٢) تقدّمت وفاته فى وفيات سنة ٥١٢ هـ

وفيها قُتِـل الأمير آق سنقر البُرْسُقِىّ صاحب المَوْصل . كان أميرا شجاعا جَوادا عادلا فى الرعيّة ، وكان الخلفاء والملوك يحترمونه ، وكان قـد آحترز من البـاطنيّة بالرجال والسلاح والجاندارية [1] . فدخل يوم الجمعة لجامع المَوْصل، فجاء إلى المقصورة وفيها جماعة من الصوفيّة لهم عادة يصلّون فيها، فاستراب بهم ودخل فى الصلاة وتأخّر عنه اصحابه؛ فوثب عليه ثلاثة فى زِىّ الصوفيّة فضربوه بالسكاكين، فلم تعمـل فى جسده للدرع الذى كان عليه؛ فصاحوا : رأسَـه وجهَه، فضربوه حتّى قتلوه، وقُتِل الثلاثة . وحزِن الناس عليه، وأقاموا ابنه مسعودا مقامه .

وفيها توفّى الأمير سـليمان بن إيلغازى بن أُرْتُق صاحب ميّافارقين . كان عادلا شجاعا جَوَادا [2] ، مات فى شهر رمضان ودُفِن عنـد أبيه . وجاء أخوه تمـرتاش من ماردين، فملك ميّافارقين وأحسن إلى أهلها .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم تسـع أذرع وثلاث أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وأربع عشرة إصبعا .

***

السنة الخامسة والعشرون من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سـنة عشرين وخمسمائة .

فيها توفّى أحمد بن محمد بن محمد الشيخ أبو الفتوح [3] الغزالىّ الطوسىّ، أخو أبى حامد الغزالىّ المقدّم ذكره . كان متصوّفا متزهّدا فى أوّل عمره ثم وعظ، وكان مفوّها .

---

(١) الجاندارية : جمع الجاندار، وهى كلمة فارسية مركبة من كلمتين «جان» بمعنى روح و«دار» بمعنى حافظ . فالجاندار : حافظ الروح، وهم الحرس أو العسس . (عن القاموس الفـارسى والانجليزى لستر استاينجاس) . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٢٤ من هذا الجزء . (٣) فى الأصل : «أبو الفتح» والتصويب عن ابن خلكان وعقـد الجمان والمنتظم وعيون التواريخ وشـذرات الذهب والبداية والنهاية لابن كثير .

قال ابن الجوزى : ولمّا وعظ قبّله العوامّ . وجلس فى دار السلطان محمود فأعطاه ألف دينار ، فلمّا خرج رأى فرس[1] الوزير فى الدهليز بمركب ذهب وقلائد وطوق ذهب ، فركبه ومضى . وبلغ الوزير فقال : لا يتبعه أحد ولا يُعاد الفرس .

وفيها توفّى[2] عبد الله بن القاسم بن المظفّر بن علىّ القاضى أبو محمد المرتضى الشّهرزورىّ والد قاضى القضاة كمال الدين . كان أحد الفضلاء الشّهرزوريّين والعلماء المذكورين، وكان له النظم والنثر . ومن شعره : [الطويل]

وبانوا فكم دمعٍ من الأسْرِ أطلقوا * نجيعًا وكم قلبٍ أعادوا إلى الأسْرِ
فلا تُنكِروا خَلْعى عِذارى تأسُّفا * عليهم فقد أوضحتُ عندكم عُذْرى

وفيها توفّى محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيّوب الشيخ الإمام الفقيه الصوفىّ المالكىّ أبو بكر الطُّرْطُوشىّ[3] الأندلسىّ العالم المشهور نزيل الإسكندرية — وطُرْطُوشة آخر بلاد المسلمين من الأندلس، وقد عادت الآن للفرنج — وكان يعرف بابن أبى رَنْدَقة . حجّ ودخل العراق وسمع الكثير، وكان عالما زاهدا ورعا ديّنا متواضعا متقشّفا متقلّلا من الدنيا راضيا باليسير . وقال ابن خلّكان : إنّه دخل على الأفضل بن أمير الجيوش بمصر فبسط تحته مئزره، وكان إلى جانب الأفضل نصرانىّ، فوعظ الأفضل حتى أبكاه، ثم أنشد : [السريع]

ياذا الذى طاعتُه قُربةٌ * وحقُّه مفترضٌ واجبُ
إنّ الذى شُرِّفتَ من أجله * يزعُم هذا أنّه كاذبُ

(١) كذا فى المنتظم وعيون التواريخ . وفى الأصل : « فلما خرج وفرس الوزير... » .
(٢) ذكر المؤلف وفاته فى هذه السنة كما ذكرها صاحب مرآة الزمان وعقد الجمان فى إحدى روايتيه . وفى ابن خلكان وشذرات الذهب والبداية والنهاية لابن كثير وعيون التواريخ وعقد الجمان فى روايته الأخرى أن وفاته كانت سنة ٥١١ هـ .
(٣) طرطوشة : مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية ، وهى شرقى بلنسية وقرطبة ، قريبة من البحر متقنة العمارة مبنية على نهر أبره . (عن معجم البلدان لياقوت) .

وأشار إلى النصرانىّ . فأقام الأفضل النصرانىّ من موضعه وأبعده . وقد صنّف الشيخ أبو بكر كتاب «سراج الملوك»[1] للمأمون الذى ولِى وزارة مصر بعد الأفضل، وقد تقدّم ذكره فى الماضية، وله تصانيف أخرى، وفضله مشهور لايحتاج إلى بيان.

§ أمر النيل فى هــذه السنة ــ المـاء القديم ثمـانى أذرع وثلاث أصابع . مبلغ الزيادة ثمـانى عشرة ذراعا و إصبع واحدة .

*
* *

السنة السادسة والعشرون من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة إحدى وعشرين وخمسمائة .

فيها قتل الباطنيّةُ وزيرَ[2] السلطان سِنْجَر شاه السلجوقىّ . وكان قد أفنى منهــم آثنى عشر ألفــا . فبعثوا إليه سائسا يخدُم فى إصطبله مدّة إلى أن وجد الفرصــة؛ فدخل الوزير يومًا يفتقِد خيله، فوثب عليه المذكورفقتله، وقُتِل بعده .

وفيها قُتِل الأمير مسعود بن آق سُنْقُر البُرْسُقِيّ بالرَّحْبة؛ وكان عزمه أخذ دمشق فعوجل . وكان ولى بعد موت أبيه آق سُنْقُر فى الخالية، فلم تَطُل مدّته .

وفيها توفّى أحمد [بن أحمد][3] بن عبد الواحد بن أحمد بن محمــد بن عبد الله بن محمد بن المتوكّل على الله الإمام المحدّث أبو السعادات. سمع الحديث الكثير ورحل البلاد . مات متردّياً من سطحه فى شهر رمضان ببغداد. وكان صحيح السماع ثقة.

وفيها توفّى هبــة الله بن علىّ بن إبراهيم أبو المعــالى الشيرازىّ . كان من أعيان الفضلاء، وله شعر جيّد .

---

(١) الذى فى وفيات الأعيان : « وصنف له كتاب سراج الهدى ، وهو حسن فى بابه . وله من التصانيف سراج الملوك وغيره» . (٢) هو معين الملك أبو نصر أحمد بن الفضل، كما فى ابن الأثير وعقد الجمان . (٣) التكملة عن تاريخ الإسلام للذهبى والمنتظم وعقد الجمان وشذرات الذهب وعيون التواريخ .

وفيها توفّى العبد الصالح الزاهد أبو الحسن علىّ بن المبارك بن الفاعوس زاهد بغداد . كان كبير القَدْر، أحد أعيان الصوفيّة، وله أحوال وكرامات. مات ببغداد وكان له مشهد عظيم .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثمانى أذرع وسبع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا، وأصابع لم تحرّر .

***

السنة السابعة والعشرون من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة آثنتين وعشرين وخمسمائة .

فيها توفّى الحسن بن علىّ بن صدقة الوزير أبو علىّ جلال الدين وزير الخليفة المسترشد بالله العباسىّ . كان فاضلا ديِّنا رئيسا عاقلا حسن السِّيرة محمود الطريقة محبوبا للخاصّة والعامّة جوادا ممدّحا؛ مات ببغداد وحزن عليه الخليفة . وتطاول بعد موته للوزارة جماعة ، منهم عِزّ الدولة بن المطلّب، وآبن الأنبارىّ[١] ، وأحمد آبن نظام الملك وغيرُهم؛ فلم يستوزر الخليفة أحدا منهم، وآستناب نقيبَ النقباء علىّ بن طَرّاد الزينبىّ الحنفىّ .

وفيها تُوُفّى الحسين بن علىّ بن أبى القاسم الفقيه العلّامة أبو علىّ اللّامِشِىّ[٢] السَّمَرْقَنْدِىّ الحنفىّ . كان إماما مفتّيا يُضرب به المثل فى النظر[٣]، وسمع الحديث ورواه، وكان صالحا دينا على طريق السلف مُطَّرِحًا للكلفة . ومات بِسَمَرْقَنْد.

---

(١) هو سديد الدولة أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن الأنبارى كاتب الإنشاء . (راجع ابن الأثير والفخرى فى الآداب السلطانية) . (٢) اللامشى : نسبة إلى لامش من قرى فرغانة . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) فى الأصل : « يضرب به المثل فى النظم » . وما أثبتناه عن هامش الأصل وعقد الجمان وتاريخ الإسلام للذهبى .

وفيها توفّى الأمير ظهير الدين أبو المنصور طُغْتِكين بن عبد الله الأتابَك صاحب الشأم مملوك تاج الدولة تُتُش بن ألْب أرْسلان السلْجوقىّ . كان طغتكين مقدّما عند أستاذه تُتُش المذكور، وزوّجه أمّ ابنه دقـاق، ونصّ عليه فى أتابكية ابنـه دقماق المذكور . فقام بتدبير ملكه أحسن قيام، وغزا الفرنج غير مرّة، وله فى الجهاد اليد البيضاء . وقد ذكرنا بعض وقائعه فى أوّل ترجمة الآمر هـذا مع الفرنج على سبيل الاختصار، نُعَرِّف من ذلك همّته وشجاعته . وكان عادلا فى الرعيّة . ولمّـا احتُضر أوصى بالملك إلى ولده تاج الملوك بُورِى؛ فسار فى الناس أيضا أحسن سِيرة . ومات طغتكين فى صفر بعد أن حكم دمشق سنين كثيرة . رحمه الله تعالى .

وفيها توفى عبد الله بن طاهر بن محمـد بن كَاكُو أبو محمد الواعظ . ولد بصُور ونشأ بالشام . قال أنشدنى أبو إسحاق الشيرازىّ لنفسه : [البسيط]

لمّـا أتانى كتاب منـك مبتسمًا * عن كلّ معنًى ولفظٍ غير محدودِ
حكتْ معانيه فى أثناء أسطُره * أفعالَك البِيضَ فى أحوالىَ السُّود

§ أمر النيل فى هذه السنة ــ المـاء القديم سـبع أذرع وثمانى أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا .

*
* *

السنة الثـامنة والعشرون من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة .

فيهـا ضمِن زَنْكِى بن آق سُـنْقُر للسلطان مائة ألف دينار على ألّا يعـزِله عن الموصل؛ وضمِن الخليفة للسلطان أيضا مثل ذلك، ولا يولّى دُبَيسا ولاية ــ وكان الخليفة يكره دبيسا ــ فقبِل السلطان ذلك .

وفيها توفّى طاهر بن سعد الصاحب الوزير أبو علىّ المَزْدَقَانِيّ(١). كان شجاعا جوادا، بنى المسجد على الشرف(٢) شمالى دمشق، ويسمّى مسجد الوزير، وكان قد عاداه وجيه الدولة بن الصوفىّ(٣)، فآنتمى إلى الإسماعيليّة خوفا منه، فقُتل هناك .

وفيها توفّى هبة الله بن أحمد بن محمد الحافظ المحدّث أبو محمد الأنصارىّ المعروف بآبن الأكفانىّ. سمع الكثير ولقى الشيوخ، وسمع جدّه لأمّه أبا الحسن آبن صصرى وغيره .

وفيها توفّى الحافظ أبو الفضل جعفر بن عبد الواحد الثقفى الفقيه العالم المشهور، مات وله تسع وثمانون سنة .

وفيها تُوُفِّى أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن الإمام أبى بكر البَيْهَقِىّ ببغداد فى جمادى الأولى، وكان فاضلا فقيها، سمع الحديث .

وفيها توفّى الفقيه المحدّث أبو الحجّاج يوسف بن عبد العزيز المَيُورقىّ(٤) الأصل ثمّ الإسكندرى، وبها توفّى. كان إماما فقيها عالما بارعا مفتّنا فى كثير من العلوم .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وست وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وخمس أصابع .

*
*

السنة التاسعة والعشرون من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة أربع وعشرين وخمسمائة، وهى السنة التى قُتل فيها الآمر صاحب الترجمة، حسب ما ذكرناه مفصّلا فى ترجمته أوّلا .

(١) المردقانى : نسبة الى مزدقان، بليدة من نواحى الرى . (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٢) يقال له شرف البعل : وهو صقع بالشام، وقيل : جبل فى طريق الحاج من الشام : (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٣) هو أبو الذواد المفرّج بن الحسن بن الصوفى . (عن ابن الأثير وعقد الجمان) .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥٦ من هذا الجزء .

وفيها (أعنى سنة أربع وعشرين) آستوزر بُورِى بن طُغْتِكين صاحب دمشق المفرّج بن الصوفىّ .

وفيها وصل زنكى بن آق سُنْقُر إلى حلب من الموصل، وقد أظهر أنّه على عزم الجهاد ؛ وراسل بورى يلتمس منه المعونة على محاربة الفرنج . فأرسل إليه بورى مَن آستحلفه الأيمان المغلّظة، وآستوثق منه لنفسه ولصاحب حِمْص وحَمَاة .

وفيها ظهرت بالعراق عقارب طيارة لها أجنحة، وهى ذات شوكتين ؛ فقتلت من الأطفال خلقا كثيرا . قاله صاحب مرآة الزمان ؛ والعهدة عليه فيما نقلناه عنه .

وفيها توفّى إبراهيم بن عثمان بن محمد أبو إسحاق الغَزّىّ الكلبىّ الشاعر . مولده بغزّة . كان أحد فضلاء الدهر، رحل إلى البلاد وآمتدح جماعةً من الرؤساء . ومن شعره وأجاد إلى الغاية : [الكامل]

قالوا هجرتَ الشعرَ قلت ضرورة * بابُ البَوَاعِث والدّواعى مغلقُ
خلتِ البلادُ فلا كريمٌ يُرْتَجَى * منه النوالُ ولا مليحٌ يُعْشَقُ
ومن العجائب أنّه لا يُشْتَرَى * ويُخان فيه مع الكساد ويُسْرَق

وفيها توفّى الحسين بن محمد بن عبد الوهّاب الإمام البارع أبو عبد الله النحوى، وهو أخو أبى الكَرْم[1] بن فاخر النحوىّ لأمّه . قرأ بالروايات، وسمع الحديث الكثير، وآشتغل باللغة والأدب، وقال الشعر الرائق .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وأربع أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأربع أصابع .

---

(١) كذا فى المنتظم وشذرات الذهب وعقد الجمان وبغية الوعاة للسيوطى ، وهو المبارك بن فاخر بن محمد بن يعقوب أبو الكرم النحوى . وفى الأصل : «أبو المكارم» .

ذكر ولاية[1] الحافظ لدين الله على مصر

الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد ٱبن الأمير أبى القاسم محمد ٱبن الخليفة المستنصر بالله مَعَــدّ بن الظاهر بالله علىّ بن الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله نِزار بن المعزّ لدين الله معدّ بن المنصور إسماعيل بن القائم محمد بن المهدىّ عبيد الله، العبيدىُّ الفاطمىّ المصرىّ، الثامن من خلفاء مصر من بنى عبيد، والحادى عشر منهم ممن ولى من آبائه بالمغرب، وهم ثلاثة : المهدىّ والقائم والمنصور . وأوّل من ولى من آبائه بالقــاهرة المعزّ لدين الله؛ فلهذا قلنــا : هو الثــامن من خلفاء مصر، والحادى عشر منهم ممن ولى بالمغرب .

وولى الحافظ الخلافة بمصر بعــد قتل ٱبن عمه الآمر أبى علىّ منصور، على مايأتى بيانه من أقوال كثيرة . ولم يكن من خلفاء مصر مَنْ أبوه غير خليفة ســواه والعاضد الآتى ذكره . ولَقبوه الحافظ لدين الله، ووزر له أبو على أحمد بن الأفضل ولُقِّب أمير الجيوش، فأحسن إلى النــاس وعاملهم بالخير وأعاد لهم مصادراتهــم . وكان قبل ولاية الحافظ هــذا ٱضطرب أمر الديار المصرية؛ لأنّ الآمر قُتل ولم يُخَلِّف ولدا ذكرا، وترك ٱمرأة حاملا، فماج أهل مصر وقالوا : لا يموت أحد من أهل هــذا البيت إلّا ويُخلِّف ولدا ذكرا منصوصا عليه الإمامة[2] . وكان الآمر قد نص على الحمل قبل موته؛ فوضعت الحامل بنتا، فعدلوا إلى الحافظ هذا، وٱنقطع

---

(١) نلفت النظر إلى أن النسخة الفتغرافية ابتدأت، بعد انقطاعها، من (سنة ٥٢٥ هـ) أوّل ولاية الحافظ . وسيراجع ما بقى من الكتاب على الأصل الفتغرافى مع الأستعانة بالأصل المطبوع بجامعة كاليفورنيا .

(٢) عبارة الذهبى : «وقال الجهال : هــذا بيت لا يموت الإمام منهــم حتى يخلف ولدا وينص على إمامته» .

النسل من الآمر وأولاده. وهذا مذهب طائفة من الشّيعة المصريّين؛ فإنّ الإمامة عندهم من المستنصر إلى نزار الذى قُتل بعد واقعة الإسكندريّة .

وقال صاحب مرآة الزمان : ولمّا آستمر الحافظ فى خلافة مصر، ضَعُف أمره مع وزيره أبى علىّ أحمـد بن الأفضل أمير الجيوش وقوى شوكةُ الوزير المذكور، وخطب للمنتظر[1] المهدىّ، وأسقط من الأذان « حىّ على خير العمل » ودعا الوزير المـذكور لنفسه على المنابر بناصر إمام الحق، هادى العصاة[2] إلى آتباع الحق؛ مولى الأمم؛ ومالك فضيلتى السيف والقلم . فلم يزل كذلك حتى قُتل الوزير المذكور، على ما يأتى ذكره .

وقال آبن خلّكان : «وهـذا الحافظ كان كثير المرض بعلة القُولَنْج، فعَمِل له شِيرماه[3] الديلمىّ طَبْل القولنج الذى كان فى خزائنهم . ولمّا ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب مصر كُسر فى أيّامه، وقصته مشهورة . [و][4] أخبرنى حفيد شيرماه المـذكور أن جَدّه ركّب هـذا الطبل من المعادن السبعة، والكواكبُ السبعةُ فى أشرافها، وكل واحد منها فى وقته . وكان من خاصّته إذا ضرب به أحد خرج الريح من مخرجه . ولهـذه الخاصيّة كان ينفع من القولنج » . انتهى كلام آبن خلكان . قلت : ونذكر سبب كسر هذا الطبل فى ترجمة السلطان صلاح الدين عند آستقلاله بمملكة مصر .

ولما عظُم أمر الحافظ بعد قتل الوزير المقدّم ذكره، جدد له ألقابٌ لم يُسْبَق إليها، وخُطب له بها على المنابر؛ وكان الخطيب يقول: «أَصْلِحْ من شيّدت به الدِّين

---

(١) عبارة ابن خلكان : «ودعا على المنابر للقائم فى آخر الزمان المعروف بالإمام المنتظر على رأيهم» .

(٢) فى نسخة يشير إليها هامش الأصل وابن الأثير : «هادى القضاة» .

(٣) فى ابن خلكان : « شيرماه وقيل موسى النصرانى » . (٤) زيادة عن آبن خلكان .

بعد دُثُوره، وأعززت به الإسلام بأن جعلته سببا لظهوره؛ مولانا وسيّدنا إمام العصر والزمان، أبا الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله صلّى الله عليه وسلّم وعلى آبائه الطاهرين، مُجَج الله على العالمين» . ولمّا قتل الوزير أبو علىّ أحمد المذكور — على ما يأتى ذكره — وزر للحافظ جماعة، فأساءوا التدبير، منهم أبو الفتح يانس أمير الجيوش ومات ، فوزر له آبنه الحسن، ثم وزر له بهرام، ثم تولّى الحافظ الأمر بنفسه إلى أن مات .

وكان أمره مع الوزير أبى علىّ أحمد بن الأفضل أنّه لمّا قُتِل الخليفةُ الآمر كان الحافظ هذا محبوسا، فأخرجوه وأشغلوا الوقت به إلى أن يولد حمل الآمر ، فإن كان صبيّا يلى الخلافة ويخلع الحافظ . وتولّى أحمد المذكور الوزارة وجعلوا الأمور إليه، وليس للحافظ إلّا مجرّد الاسم فى الخلافة . وكان الوزير المذكور شهما شجاعا عالى الهمة كأبيه الأفضل وجدّه بدر الجمالى السابق ذكرهما ، فآستولى على الديار المصرية . وولدت الحامل بنتا، فآستمرّ الحافظ فى الخلافة تحت الحجر، وصار الأمر كلّه للوزير؛ فضيّق على الحافظ وحجر عليه ومنعه من الظهور وأودعه فى خزانة لا يدخل إليه أحد إلّا بأمر الأكمل (أعنى الوزير المذكور) فإنّه كان لُقِّب بالأكمل فى أيام وزارته. وطلع الوزير إلى القصر وأخذ جميع ما فيه، وقال : هذا كله مال أبى وجدّى ؛ ثم أهمل خلفاء بنى عُبَيد والدعاء لهم، فإنّه كان سنّيا كأبيه، وأظهر التمسّك بالإمام المنتظر فى آخر الزمان، فجعل الدعاء فى الخطبة له ، وغيّر قواعد الرافضة . فأبغضه الأمراء والدعاة؛ لأنّ غالبهم كان رافضيّا بل الجميع . ثم أمر الوزير الخطباء بأن يدعوا له بألقاب آختصّها لنفسه. فلمّا كرهه الشيعة المصريّون صمّموا على قتله . فخرج فى العشرين من المحرّم إلى لعب الكرة، فكمن له جماعة وحمل عليه مملوك إفرنجى

للحافظ فطعنه وقتــله وقطعوا رأسه، وأخرجوا الحــافظ و بايعوه ثانيا، ونهبت دار الوزير المذكور .

وركب الحــافظ إلى دار الخلافة وآستولى على الخزائن، وآستوزر مملوكه أبا الفتح يانس الحافظىّ . ولقّب أمير الجيوش أيضا وهو صاحب حارة اليانسية (١)، فظهر هو أيضا شيطانا ماكرا بعيد الغور حتى خاف منه أستاذه الحافظ، فتحيّل عليه بكل ممكن وعجز حتى واطاه فرّاشه بأن جعل له فى الطهارة ماء مسموما، فآستنجى به فعمّل عليــه سُفْله ودوّد؛ فكان يعالج بأن يلصق عليه اللحم الطرىّ فيتعلق به الدود إلى أن مات .

وقال صاحب كتاب «المقلتين فى أخبار الدولتين» : «كان الآمر قد آصطفى مملوكين، يقال لأحدهما هزَبْر الملوك، وآسمه جوامرد (٢)؛ والآخر برغش، وينعت بالعادل . وهو صاحب المسجد (٣) قبالة الروضة من بر مصر . وكان الآمر يُؤْثر هــذا الأصغر لرشاقته . فلمــا قُتل الآمر، وما ثم من يُدَبر الأمر، آعتمدا على الأمير أبى الميمون عبد المجيــد، وكان أكبر الجماعة سنّا، فتحيّلا بأن قالا : إنّ الخليفة المنتقِل (يعنون الآمر) كان قبل وفاته بأسبوع أشار إلى شىء من ذلك، وإنّه كان يقول عن نفسه : المسكين المقتول بالسكين، وإنّه قال : إنّ الجهة الفلانيّة حامل

(١) حارة اليانســية . قال المقريزى : إن هذه الحارة كانت واقعة خارج باب زويلة . وأقول : إن محلها اليوم مجموعة المساكن التى يخترقها درب الإنسية، المحرف عن اليانسية، وحارة اليانســية، بقسم الدرب الأحمر بالقرب من باب زويلة . ومدخل هــذه الحارة من شارع الدرب الأحمر تجاه جامع بخماس الإسحاقى المعروف بجامع أبى حريبة، ولها مدخل آخر بشارع المغربلين .

(٢) كذا فى المقريزى : ونسخة يشير اليها هامش الأصل . وفى الأصلين : «برغوارد» .

(٣) مسجد برغش، هذا المسجد لا أثر له اليوم ولم يذكر فى الخطط المقريزية وما يدل على أنه زال من قديم وإنما من وصفه يستنبط أنه كان واقعا بشارع مصر القديمة فيما بين فم الخليج المصرى وكوبرى الملك الصالح .

منه ، وإنّه رأى رؤيا تدلّ على أنّها ستلِد ولدا ذكرا، وهو الخليفة من بعده؛ وإنّ كفالته للأمير عبد المجيد أبى الميمون . فجلس عبد المجيد المذكور كفيلا ، ونُعت بالحافظ لدين الله،وأن يكون هِزَبْرُ الملوك وزيرا، وأن يكون الأمير الأجل السعيد يانس متولّى الباب وإسْفَهْسَالار . وكان أصله من غلمان الأفضل بن أمير الجيوش (يعنى من مماليكه) ؛ وكان من أعيان الأمراء بمصر، وقرئ بهذا التقرير سجلّ بالإيوان، والحافظ فى الشبّاك جالس، قرأه قاضى القضاة على مِنْبر نُصب له أمام الشبّاك بحضور أرباب الدولة . وآستمرّ الحافظ، وآنفشّ ورم الحُبلى، ووزر له هذا المذكور وأميران بعده، وهما : بهرام الأرمنىّ، ورِضوان بن ولخشى .

قلت : ولم يَذكر هذا المؤرّخ أمر أحمد الوزير ، ولا ما وقع له مع الحافظ ، وهو أجدر بأخبار الفاطميّين من غيره . ولعلّه حذف ذلك لكونه كان فى أوّل الأمر . والله أعلم .

قال : إستمرّ الحافظ خليفة من سنة أربع وعشرين وخمسمائة إلى جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة . وكان له من الأولاد عدّة : سليمان وهو أكبرهم وأحبّهم إليه ، وحسن وكان عاقّا له ، ويوسف وجبريل، هؤلاء قبل خلافته . ووُلد له فى خلافته أبو منصور إسماعيل ، وخلّف بعد موته . ولمّا ولّى العهد لسليمان أكبر أولاده فى حياته جعله يسدّ مكان الوزير ، ويستريح من مقاساة الوزراء الذين يَحيفون عليه ويُضايقونه فى أمره ونهيه . فمات سليمان بعد ولايته العهد بشهرين، فحزِن عليه شهورا. وترشّح حسن ثانيه فى العمر لولاية العهد،فلم يستصلحه أبوه الحافظ لذلك ولا أجابه إليه . فعظُم ذلك على حسن المذكور ، ودعا لنفسه وكاتب الأمراء وعوّل على آعتقال أبيه ليستبدّ هو بالأمر ، وأطمع الناس فيما يواصلهم به إذا تمّ له الأمر؛ فآمتدّت إليه الأعناق ، وكاتب الأمراء وكاتبوه .

ثم عاودتهم عقولهم بأنّ هذا لا يتمّ مع وجود الخليفة . وكاتبوا أباه بخلاف ذلك . فسـيّر أبوه تلك الكتب إليـه ؛ قال : لا تعتقد أن معـك أحدا . فأوقع بعدّة من الأمراء، وأخذ ما فى آدُرِهم . وقصـد أبوه الحافظ إضعافه وصَرْفه عن جرأته بغير فتك، ففسـد أمره وآفتقر إلى أبيه . وكان حسن المذكور سيّر بهرام الأرمنى المقدم ذكره حاشدًا له ليصل إليه بالأرمن ، وكان هذا (بهرام) أميرهم وكبيرهم . فلمّـا لجأ حسن إلى أبيه الحافظ آحتفظ به أبوه وحرص عليه . فلما علِم مَنْ بقى من الأمراء، وهم على تخوّف منه ، آجتمعوا على طلبه من أبيه ليقتلوه ويأمنوا أمره؛ فوقفوا ببين القصرين فى عشرة آلاف . فراسلهم الخليفة الحافظ بلين الكلام وتقبيح مرادهم من قتل ولده، وأنّه قد أزال عنهم أمره ، وأنّ ضمانه عليه فى ألّا يتصرّف أبدا؛ ووعدهم بالزيادة فى الأرزاق والإقطاعات . فلم يقبلوا شيئا من ذلك بوجه ؛ وقالوا : إمّا نحن و إمّا هو؛ و إن لم تتحقّق الراحة الأبديّة منه و إلّا فلا حاجة لنا بك أيضـا ونخلع طاعتـك . وأحضروا الأحطاب والنيران لتحريق القصر ، وبالغوا فى الإقدام عليه . فلم يجد الخليفـة من ينصره عليهم؛ لأنّهـم أنصاره وجنده الذين يستطيل بهم على غيرهم . فألجأته الضرورة أنّه آستصبرهم ثلاثة أيّام ليتروّى فيما يعمل فى حق ولده؛ فرأى أنّه لا ينفكّ من هذه المنازلة العظيمة التى لم ير مثلها إلّا أن يقتله مستورا ويحسم مادّته ويأمن مباينة عسكره، وأنّه لا يأمن هو على نفسه ، وأنّه لا بدّ من التصرف بهم وفيهم ، وأنّهم لا ينفكّون من المقام ببين القصرين على هذا الأمر إلّا بعد إنجازه . وكان لخاصته طبيبان يهوديّان يقال لأحدهما أبو منصور، وللآخر آبن قِرقة[1] . وكان آبن قِرقة خبيرا بالآستعمالات ذكيّا . فحضر إليه أبو منصور قبل آبن قِرقة، ففاوضه الخليفة فى عمل السقية القاتلة لولده؛ فتحرّج من ذلك وأنكر معرفته،

(١) فى المقريزى : «ابن قرفة» بالقاف ثم الفاء .

وحلف برأس الخليفة و بالتوراة أنّه لا يعرف شيئا من هـذا فتركه . ثم حضر آبن قرقة ففاوضه فى السـقية فقال : الساعة ، ولا يتقطّع الجسـد بل تفيض النفس لا غير ، فأحضرها فى يومه ، وألزم الخليفةُ ولدَه حسنا على شربها فشربها ومات ، وقيل للقوم سرّا : قد كان ما أردتم ، فآمضوا إلى دوركم . فلم يثقوا بذلك بل قالوا : يشاهد منّا من نثق به . فأحضروا أميرا معروفا بالجرأة يقال له المعظّم جلال الدين محمد جلب راغب[1]، فدخل المـذكور إلى المكان الذى فيه القتيل، فوجده مُسَجًّى وعليـه ملاءة ، فكشف عن وجهـه وأخرج من وسطه بارشـينا[2] ، فغرزه بهـا فى مواضـع خطرة من جسده حتى تحقّق موته ، وعاد إلى القوم فأخبرهم فوثقوا منـه وتفرّقوا . ولمـا تناهم الحافظ أمر آبنـه قبض على آبن قرقة صاحب السـقية فرماه فى خزانة البنود ، وأمر بآرتجاع جميـع أملاكه وموجوده إلى الديوان . وكانت داره[3] بالزقاق الذى كان يسكنه فروخ شاه بن أيوب ، تُطلّ على الخليج قُبالة الغزالة[4] وما فيه من الدور والحمّام؛ وهذا الدرب يعرف بدرب آبن قرقة

---

(١) كذا فى المقريزى وتاريخ آبن ميسر . وفى الأصلين : « جلب غالب » .

(٢) فى المقريزى : «وأخرج من وسطه آلة من حديد» . وفى آبن ميسر : «وأخرج من وسطه سكينا» .

(٣) دار ابن قرقة ، قال مؤلفـه : إن هذه الدار تطل على الخليج قبالة الغزالة . وقال المقريزى نقلا عن ابن عبـد الظاهر : إنها كانت بأوّل حارة زويلة من جهة باب الخوخة على يسرة السالك الى داخل الحارة و والى جانبها حمام ابن قرقة . ثم قال : إن هذه الدار والحمام قد هدمتا وصار موضع الدار الجامع المعروف بابن المغربى .

وأقول : إن هذا الجامع بعد أن تخرّب وعمل محله طاحونة أمر الملك أبو سعيد جقمق باعادته مسجدا كما كان فأعيد وهو الآن خرب ومحله أرض فضاء يتوصل اليها إما من باب المنزل رقم ٧ بشارع بين السورين وإما من عطفة بابانى التى بشارع مكسر الخشب الموصل الى حارة زويلة . ومدخل هذا الشارع فى أوّل الميدان الفاصل بين شارع الموسكى وشارع السكة الجديدة .

(٤) هى منظرة الغزالة بجوار منظرة اللؤلؤة على شاطئ الخليج تقابل حمام آبن قرقة

قريب باب الخوخة . ثم أنعم الخليفة على رفيقه أبى منصور وجعله رئيس اليهود، وحصلت له نعمة ضخمة .

قال : وكان الحافظ فى كلّ ستة أشهر يجرّد عسكرا إلى عَسْقَلان بما يحققه من عَزَمات الفرنج فى القلّة والكثرة مع من هو فيها مقيم من المركزية[1] والكنانيّة وغيرهم؛ فكان القلّة من الفرسان من ثلثمائة إلى أربعمائة (يعنى الذين يُسَيِّرهم فى التجريدة)، والكثرة من أربعمائة إلى ستمائة؛ ويقدّم على كلّ مائة فارس أميرا، ويسلّم للأمير الخريطة ؛ وهذا آسم[2] لحمل أوراق العرض من الديوان ليتّفق مع والى عسقلان على عرضهم . ثم يُسَلِّم إليه مبلغا من المال يُنفقه فيمن فاتته النفقة. وكانت النفقة للأمراء مائة دينار، والأجناد ثلاثين دينارا . فآتّفق أنّ والى عسقلان أرسل كتابا يعرّف الخليفة أنّ عند الفرنج حركة؛ فجرّد الخليفة فى تلك المرة العُدّة الكبيرة، وفيهم جلال الدين جلب راغب[3] الأمير الذى كشف صحة موت حسن آبن الخليفة بسقية السمّ ؛ فسيّر إليه الخليفة مائة دينار، وهى علامة التجريد والآهتمام ؛ فتجهّز المذكور للسفر فى جملة الناس، وفى نفسه تلك الجناية التى قدّمها عند الخليفة فى ولده حتى قتله . فلمّا كان السفر جلس الخليفة ليخدموه بالوداع ويدعو لهم بالنصر والسلامة؛ فدخلوا إليه ومثلوا بين يديه لذلك وآنصرفوا إلّا جلال الدين جلب راغب المذكور . فقال الخليفة : قولوا للأمير : ما وقوفك دون أصحابك! ألك حاجة ؟ فقال : يأمرنى مولانا بالكلام . فقال له : قل . قال : يامولانا ليس على وجه الأرض خليفة ابن بنت رسول الله غيرك . وقد كان الشيطان آستزلّنى فأذنبت ذنبا

---

(١) فى النسخة الفتغرافية : «الركزية» . (٢) كذا فى الأصلين الفتغرافى والمطبوع . ولعل صوابه : «وهذا رسم» . (٣) فى الأصلين «جلب غالب» . (راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٤٣ من هذا الجزء) .

عظيما، عفو مولانا أوسع منه. فقال له: قل ما تريد غير هذا، فإنّا غير مؤاخذيك به. فقال: يا مولانا، قد توهّمت بل تحقّقت أنّى ماضٍ فى حالة السخط منك، وقد آليت على نفسى أن أبذلها فى الجهاد، فلعلّى أموت شهيدا فيُضيع ذلك سخطُ مولانا علىّ. فقال له الخليفة: أنت غنىٌّ عن هذا الكلام، وقد قلنا لك: إنّا ما آخذناك[1]، فأىّ شىء تقصد؟ قال: لا يسرّنى مولانا تبعًا لغيرى، فقد سرت مرارًا كثيرة مقدّما، وأخشى أن يُظَنّ هذا التأخير للذنب الذى أنا معترف به. قال: لا، بل مقـدّما وصاحب الخريطة. وأمر بنقل المال عن المقدّم الذى كان تقرّر للتقدّمة والخريطة. فسُرَّ جلال الدين جلب راغب بذلك. ثم أعطاه الخليفـة أيضا مائتى دينار، وقال له: اِتّسع بهذه.

قال: وكان الأغلب على أخلاق الحافظ الحلم. ومرِض الخليفة مرضته التى تُوُفّى فيها، فحُمل إلى اللؤلؤة[2] خارج القصر فأثخن فى المرض فمات بهـا. وظهر من وصيّته أنّ ولده أبا منصور إسماعيل، وهو أصـغر أولاده، هو الخليفة من بعده، مع وجود ولدين كاملين، همـا أبو الحجّاج يوسف وهو أبو الخليفة العاضـد الآتى ذكره، وأبو الأمانة جبريل. فعُقدت عليه الخلافة من بعده، ونُعت بالظافر بأمر الله، وأن يستوزر له الأمير نجم الدين بن مَصَال[3]». انتهى كلام صاحب المقلتين.

وقال ٱبن القلانسىّ: «وفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة ورد الخـبر من مصر بوفاة الحافظ بأمر الله، وولى الوزارة أمير الجيوش أبو الفتح بن مَصَال المغـربىّ؛ فأحسن السيرة وأجمل السياسـة، فٱستقامت الأحوال. ثم حدث بعـد ذلك من

(١) فى الأصلين: «ما وخذناك».
(٢) يريد منظرة اللؤلؤة. (راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٦ من الجزء الرابع من هذه الطبعة).
(٣) هو نجم الدين سليمان بن محمد بن مصال، كما فى خطط المقريزى وعقد الجمان.

اضطراب الأمور والخلف بين السودان والعساكر بحيث قُتِـل بين الفريقين العدد الكثير وسكنت الفتنة» . انتهى كلام ابن القلانسىّ .

وكانت ولاية الحافظ على مصر تسع عشرة سـنة [1] وسبعة أشهر، وتولّى الخلافة بعده أصغر أولاده، حسب ما ذكرناه عن كلام صاحب المقلتين .

* * *

السنة الأولى من ولاية الحافظ عبدالمجيد على مصر وهى سنة خمس وعشرين وخمسمائة .

فيهـا توفّى حمّاد بن مسلم الرَّحْبِىّ الشيخ الإمام الصالح المسّلك، أسـتاذ الشيخ عبد القادر فى التصوّف وشيخه . سمع الحديث . وكان على طريق التصوّف يدّعى [2] المعرفة والمكاشـفة وعلوم الباطن . وكان يعطى كلّ من تُصيبه حمّى لوزةً وزبيبةً فيأكلهما فيبرأ ، وصار الناس يتردّدون إليه وينذرون إليه النذور ، فيقبل الأموال ويفرّقها على أصحابه، ثم كره أخذ النذور، حتّى مات فى شهر رمضان ببغداد، ودُفِن بالشُّونيزِيّة [3] . وكان من الأبدال الصالحين . ويعرف بحمّاد الدّبّاس. رحمة الله عليه .

وفيهـا توفّى السـلطان محمود بن السلطان محمد شاه ابن السـلطان ملكشاه ابن السلطان ألب أرسـلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دُقْماق، عضد الدولة السلجوقىّ. كان ملكا شجاعا . وكان قد عزم على إفساد الأمور على الخليفة المسترشد

(١) فى المقريزى : «كانت خلافته ثمانى عشرة سنة وأربعة أشهر وتسعة عشر يوما» . وفى عقد الجمان نقلا عن تاريخ ابن العميد : «كانت مدّة مملكته ثمانى عشرة سـنة وخمسة أشهر وعشرين يوما» .

(٢) كذا فى المنتظم ومرآة الزمان وعقد الجمان . وفى الأصلين : «يشير الى المعرفة» .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦٧ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

العباسيّ، فعاجله الموت بهَمَذان فى يوم الخميس خامس عشر شوّال؛ وعمره ثمان[1] وعشرون سنة ؛ ومدّة مملكته أربع عشرة سنة . وكان قد عَهِد إلى ٱبنه داود وهو صغير فى حجر زوج أمّه أحمديلى[2] صاحب أذْرَبِيجان . فجدّد أبو القاسم وزير محمود على الأمراء العهود، وكتب إلى أحمديلى بذلك . وكان مسعود أخو محمود المتوفَّى ببلاد أرمينيَة، فتحرّك لطلب السلطنة ، فكتب إلى الخليفة ولم يكتب لعمّه سنْجَر شاه السلجوقىّ، فمشى سنجر شاه وولّى السلطنة لآبن أخيه طُغْرِل (أعنى لعمّ الصبيّ داود) ورتّب لداود ما يكفيه إلى أن يكبرَ . ووقع بعد ذلك أمور .

وفيها توفّى محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد أبو عبد الله الرازىّ[3] ثم المصرىّ المعدّل الشاهد، ويعرف بٱبن الحطّاب، مسند الديار المصريّة وشيخ الإسكندريّة، مات فى سادس جمادى الأولى وله إحدى وتسعون سنة .

وفيها توفّى هبة الله[4] بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن العبّاس بن الحُصَيْن أبو القاسم الشيبانىّ الهَمَذانىّ الكاتب البغدادىّ مسند العراق . ولد سنة ٱثنتين وثلاثين وأربعمائة، وسمع الكثير وحدّث وروى عنه غير واحد .

وفيها قُتِل الوزير أبو علىّ أحمد بن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالىّ الأرمنىّ ثم المصرىّ وزير الحافظ العُبَيدىّ. قال الحافظ أبو عبدالله الذهبىّ :

(١) عبارة ٱبن الأثير : « وكان عمر السلطان محمود لما توفى نحو سبع وعشرين سنة ، وكانت ولايته للسلطنة ٱثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما » . (٢) كذا فى ابن الأثير وعقد الجمان وتاريخ ابن القلانسى . وفى الأصل المطبوع : «احديل» . وفى الأصل الفتغرافى : « احمديلة » ، وكلاهما تحريف . (٣) فى الأصلين : « الدارىّ » . والتصويب عن شرح القاموس وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي وتبصير المنتبه لأبن حجر (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب تحت رقمى ٣ ، ٤ ش مصطلح حديث) . (٤) فى الأصلين : «عبد الله» . والتصويب عن المنتظم وعقد الجمان وابن الأثير وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي .

« صاحب مصر وسـلطانها الملك الأكمل أبو علي وابن صاحبها ووزيرها » (يعني الأفضل) . قلت : والحقّ مانعته به الذهبيّ؛ فإن أحمد هذا ووالده وجدّه هم كانوا أصحاب مصر، والخلفاء معهم كانوا تحت الحجر والضيق . وتصديق [ذلك][1] ما خلفه الأفضل شاهنشاه أبو صاحب الترجمة من الأموال والمواشي وغير ذلك . وإنما كان[2] يطلق عليهم بالوزراء إلّا لكون العادة كانت جرت بأن الملك للخليفة لا وهم بلا مدافعة انهم كانوا أعظم من سلاطين زماننا هذا .

ولمّا قُتل أبوه الأفضل في سـنة خمس عشرة وخمسمائة في خلافة الآمر وأخذ الآمر أمواله، سجن ابنه أحمد هذا إلى أن مات . فلمّا مات الآمر أُخرج من السجن وجُعل أمر مصر إليه، ووزر واستولى على الديار المصريّة . وحجر على الحافظ الخليفة ومنعه من الظهور، حسب ما ذكرناه في ترجمة الحافظ . من أمر قتلته وكيف قتل، فلا يحتاج للتكرار هنا . وبموته صـفا الوقت للحافظ واسـتولى على الملك ، وسكن القصر على عادة الخلفـاء إلى أن مات .

§ أمر النيل في هذه السنة — المـاء القديم سبع أذرع وإصبعان . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وثماني عشرة إصبعا .

*
* *

السنة الثـانية من ولاية الحافظ عبد المجيد على مصر وهي سـنة ست وعشرين وخمسمائة .

---

(١) أثبتنا هذه الكلمة لأنا رأينا أن الكلام غير مستقيم بدونها . (٢) في هـذه العبارة التي تبتدئ من هذا الموضع اضطراب . ولعل صوابها : « وإنما كان يطلق عليهم الوزراء لكون العادة كانت جرت بأن الملك للخليفة لا لغيره، وهم بلا مدافعة كانوا ... الخ » .

فيهـا توفّى أحمد بن حامد بن محمد أبو نصر المستوفى المعروف بالعزيز عمّ العماد الكاتب . قبَض عليه الأنساباذىّ[١] وزير طُغرِل وسلّمه إلى بِهْرُوز الخادم ، فحمله إلى تَكْرِيت[٢] فقتل بهـا . وكان من رؤساء الأعاجم ، ولد بأصبهان ، وهو من بيت كتابة وفضـــل .

وفيهـا توفّى الملك تاج الملوك بُورى بن ظهير الدين طُغْتِكِين صاحب دمشق . وَلِىَ أمر دمشق بعد موت أبيه الأتابَك طغتكين فى سنة آثنتين وعشرين وخمسمائة . وكان حليما شجاعا شهما . قتل أبا علىّ المَزْدَقَانِىّ وجماعة كثيرة من الإسماعيليّة . قال آبن عساكر : بعث إليه الإسماعيليّة برجلين فضرباه بالسكاكين ، وهو قد خرج من الحمـام ، فأثّر فيه بعض الأثر ، وأقام ينتَقِض[٣] عليه الجرح تارة ويندمل تارة إلى أن مات فى شهر رجب بعد سنين . ولمـا آحتُضِر أوصى إلى ولده شمس الملوك إسماعيل فولى بعده . وكانت ولاية بورى على دمشق ثلاث سنين وشهورا .

وفيها توفّى عبـد الكريم بن حمزة بن الخضر المحدّث الفاضـل آبن محمد السلمىّ الدمشقىّ ، سمع الكثير ، وتوفّى بدمشق . وأنشد لأبى القاسم العجلىّ قوله :

[البســيط]

الضيف مرتحلٌ والمـال عارِيَةٌ * وإنّمـا الناسُ فى الدنيا أحاديثُ
فلا تغــرّنّك الدنيا وزَهْرَتُهـا * فإنّهـا بعـــد أيّامٍ مواريثُ
وآعمَلْ لنفسك خيرا تَلْقَ نائلَه * فالخير والشر بعد الموت مبثوث

(١) الأنساباذىّ : نسبة إلى أنساباذ ، وهى قرية من رستاق الأعلم من أعمال همذان بينها وبين زنجان . (٢) تكريت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل وهى إلى بغداد أقرب ، بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخا ، ولها قلعة حصينة فى طرفها الأعلى راكبة على دجلة وهى غربى دجلة . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) . من آنتقضت القرحة : نكست .

وفيها توفّى علىّ بن عبيد الله (١) بن نصر بن عبيد الله بن سهل (٢)، الإمام أبو الحسن آبن الزاغونىّ (٣) شيخ الحنابلة ببغداد . سمع الكثير بنفسه ونسخ بخطّه . وولد سنة خمس وخمسين وأربعمائة . وكان إماما فقيها متبحّرا فى الأصول والفروع متقنًا واعظا شاعرا .

وفيها توفّى أحمد بن عبيد الله (٤) بن كادِش، الإمام المحدّث أبو العزّ العُكْبَرِىّ ، مات فى جمادى الأولى وله تسعون سنة .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وسبع أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع .

✦ ✦ ✦

السنة الثالثة من ولاية الحافظ عبد المجيد على مصر وهى سنة سبع وعشرين وخمسمائة .

فيها خُطب لمسعود بن محمـد شاه بن ملكشاه السلجوقىّ ببغداد ، ومن بعـده لابن أخيه داود، وخُلِـع عليهما وعلى [آق] (٥) سنقر الأحمديلى .

وفيهـا فتح شمس الملوك بن تاج المـلوك بُورِى ابن الأتابَك طُغْتِكِين صاحب دمشق [حصن] (٦) بانْيَاس من يد الفرنج .

(١) فى الأصلين : «عبد الله» . والتصويب عن المنتظم وشذرات الذهب ومعجم ياقوت وابن كثير .
(٢) كذا فى الأصلين . وفى المنتظم وشـذرات الذهب : «ابن السرى» . (٣) الزاغونى : نسبة الى زاغونى، قرية من قرى بغداد . (٤) كذا فى المنتظم وعقـد الجمان وشذرات الذهب وابن الأثير . وفى الأصلين : « أحمد بن عبد الله » وهو أحمد بن عبيد الله بن محمد بن أحمد بن حمـدان ابن عمر بن عيسى بن إبراهيم بن سعد بن عتبة بن فرقد السلمى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، و يعرف بابن كادش . (٥) التكلة عن المنتظم وآبن القلانسى . (٦) زيادة عن ابن الأثير وعقد الجمان .

وفيها توفّى أحمد بن أحمد بن عمّار أبو عبد الله الحسينىّ، العالم الفاضل الفصيح الكوفىّ . قدِم بغداد ومدح الوزير آبن صَدَقة . ومن شعره : [السريع]

وشادنٍ فى الشّربِ قد أُشرِبتْ * وجنتُـــه ماءَ رَاوُوقِـــهُ
ما شُـــبِّهتْ يومًا أبَارِيقُـــهُ * بريقِـــه إلّا أبى رِيقُـــهُ

قلت : وهذا يشبه قول القائل مواليا، ولم أدر من السابقُ لهذا المعنى :

قم آســـقنى ما تبـــقّ فى أباريق * أمَا ترى الصبح قد لاحت أباريق
مع شادنٍ قـــد روق ســـقاريق * يسقِ المدام وإن عَزّتْ سقاريق

وقريب من هذا لشخص كان بخدمتى، يُسمّى بدر الدين حسن الزركشىّ رحمه الله :

أفدى مهفهف وقد روّق دواريق * بالسقم داوى لقلبى من دواريق
داساحر اللحظ قد صفّت نماريق * مزج المـــدام بحضرا من نماريق

وفيها تُوفّى محمد بن أحمد بن محمد بن صاعد القاضى أبو ســـعيد النيسابورىّ . وُلد بنَيْسابور وقدِم بغداد، وكان رئيس نيسابور وقاضيها، وله دنيا واســـعة ومنزلة تامّة عند الخاص والعامّ . ومات فى ذى الحجة بنيسابور . وكان فقيها نبيلا ثقة .

وفيها تُوفّى محمـــد بن الحسين بن علىّ بن إبراهيم الإمام المحدّث الفَـــرَضِىّ أبو بكر المَزْرِفىّ(١)، سمع الكثير وآنفرد بعلم الفرائض فى عصره . ومات فى سجوده فى المحرّم . وكان ثقة صالحا .

وفيها تُوفّى أبو خازم محمد ابن القاضى أبى يعلى بن الفرّاء الحنبلىّ الفقيه الصالح . مات فى صفر وهو من بيت علم وفضل .

(١) كذا فى المنتظم وعقد الجمان وياقوت : نســـبة الى « المزرفة » (بالفتح فالسكون وراء مفتوحة وفاء)، قرية كبيرة فوق بغداد على دجلة، بينها وبين بغـــداد ثلاثة فراسخ . وفى الأصلين : « الميورقى » وهو تحريف .

وفيها تُوفّى الفقيه العلّامة أسـعد بن أبى نصر المَيْهَنِىّ(١) شـيخ الشافعيّة فى عصره وعالمهم، مات فى هذه السنة فى قول الذهبىّ .

§ أمر النيل فى هذه السـنة — المـاء القـديم خمس أذرع وخمس وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وخمس عشرة إصبعا .

*

السنة الرابعة من ولاية الحافظ عبد المجيد على مصر وهى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة .

فيهـا عاد طُغْرِل إلى هَمَذان(٢) ومالت العساكر إليه وآنحلّ أمر أخيه مسـعود. ومسعود وطُغْرِل كلاهما ولد محمد شاه بن ملكشاه السلْجوقىّ .

وفيها خرج شمس الملوك صاحب دمشق يتصيّد، وآنفرد من عسكره ؛ فوثب عليه أحد مماليك جدّه طُغْتِكين يعرف بإيلبا . وضربه بالسيف ضربةً هائلة، فآنقلب السيف من يده، فرمى بنفسه إلى الأرض ؛ وضربه أخرى فوقعت فى عنق الفرس، وحال بينهما الفرس فآنهزم إيلبـا . وعاد شمس الملوك إلى دمشق سالمـا ، ورتّب الغلمان فى طلب إيلبا حتى ظَفِروا به . فلمّا جاءوا به إليه، قال : ما الذى حملك على قتلى ؟ قال : لم أفعله إلّا تَقَرُّبًا إلى الله لظلمك الناس . ثم قرّره فأقرّ على جمـاعة ؛ فجمع شمس الملوك الجميع وقتلهم صَـبْرًا بين يديه . ولم يكفه قتلهم حتّى آتّهم أخاه سونج فجعله فى بيت ، وسـدّ عليه الباب حتّى مات . ثم بعد ذلك بالغ فى سـفك الدماء والظلم والأفعال القبيحة إلى أن أخذه الله، حسب ما يأتى ذكره .

(١) الميهنى : نسـبة الى ميهنة ، وهى ناحيـة بين أبيورد وسرخس قرب طوس (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) الذى فى المنتظم وعقد الجمان وآبن الأثير : « إلى بغداد » .

وفيها أيضا وقع الخلف بين ولدى الخليفة الحافظ صاحب الترجمة ، وهما أبو علىّ الحسن المقتول بالسمّ المقدّم ذكره فى ترجمة أبيه ، وهو كان ولىّ العهد بعد سليمان ، وبين أخيه أبى تراب حيدرة ، وكان ذلك بحضرة والدهم الحافظ بمصر. وآنقسم العسكر فرقتين ، أحدهما على مذهب السنّة ، والثانى على مذهب الرافضة ، ووقع بينهم القتال ، فكان النصر لولىّ العهد ، وأباد الحسن من تبع أخاه من السودان والأمراء بالقتل . وبعد هذا كان ركوب الأمراء بين القصرين على الحافظ لطلب حسن هذا حتّى قتله أبوه الحافظ بالسمّ الذى صنعه آبن قرقة اليهودىّ ، وقد تبيّن ذكر ذلك كلّه مفصّلا فى ترجمة الحافظ .

وفيها توفّى أحمد بن إبراهيم الشيخ الإمام أبو الوفاء الفيروزاباذى — وفيروزاباذ : أحد بلاد فارس — وقد تقدّم الكلام على أنّ كلّ آسم بلد يكون فيها "باذ" فهو بالتفخيم — كان إماما محدّثا ، سمع الكثير ، وخدم مشايخ الصوفيّة ، وكان حافظا لسيرهم وأشعارهم ، وكان يسمع الغناء ، ويقول لعبد الوهّاب الأنماطىّ : إنى لأدعولك وقت السماع . وكان الأنماطىّ يتعجّب ويقول : أليس هذا يعتقد أن ذلك وقت إجابة ! وكانت وفاته فى صفر ، وحضر جنازته خلق كثير ، وكان صالحا ديّنا .

وفيها توفّى عبد الله بن محمد بن أبى بكر الشاشىّ ، كان فقيها مُفْتيًا مناظرا ظريف الشمائل حسن العبارة ، ويعظ وينشئ الكلام المطابق المجانس . ومن شعره : [الدوبيت]

الدمع دما يسيل من إجفانى * إن عشت مع الفراق ما أجفانى
يجنى شَجَنى وحالتى سجّانى[1] * والعاذلُ بالملام قد سجّانى

(١) رواية المنتظم وابن الأثير ، « وهنى » .

والذكر لهـم يزيد فى أشجانى * والنوح مع الحمام قد أشجانى
ضاقت ببعاد مُنيتى[1] أعطـانى * والبين به الهمومَ قد أعطـانى

وفيها توفّى علىّ بن محمد الأديب أبو الحسن العنبرىّ، ويقـال له : ٱبن دوّاس القنّاء . كان شاعرا فصيحا . أصله من البصرة وسكن واسطًا وبها مات . ومن شعره من أوّل قصيدة : [البسيط]

هل أنتِ مُنجزةٌ بالوصلِ ميعادى * أم أنتِ مُشْمِتةٌ بالهجر حُسّادى

وفيها توفّى محمد بن عبد الله بن تُومَرْت الأمير أبو عبد الله المنعوت بالمهدىّ الهَرْغىّ[2] صاحب دعوة عبد المؤمن بن علىّ . كان ٱبن تومرت هذا ينسب إلى الحسن ٱبن علىّ بن أبى طالب — رضى الله عنهما — وأصله من جبل السوس من أقصى بلاد المغرب ، ونشأ هناك ، ثم رحل فى شبيبته إلى العراق وغيره ، وسمع الحديث وتنسّك وهجر لذّات الدنيا ؛ ثم عاد إلى المغرب وٱنتهى إلى بجاية[3] ، فكسّر بها آلات اللهو وأهرق الخمور . ثمّ خرج منها إلى قرية يقال لها مَلّالة[4] ، فرأى بهـا عبد المؤمن ٱبن علىّ فتفرّس فيه النجابة ، وسأله عن نسبه حتى عرّفه عبد المؤمن . فقال له : أنت بغيتى . وقال ٱبن تُومَرْت هـذا لأصحابه : هذا الذى بشّر به النبىّ صلى الله عليه وسلّم فقال : " إنّ الله تعالى يَنصُرُ هذا الدينَ برجل من قَيْس سُلَيم " وٱستبشر به ٱبن تُومَرْت هـذا . ثمّ وقع له مع ملوك المغرب وقائع وأمور يطول شرحُها حتّى ملك عدّة بلاد . وكان ٱبتداء أمره فى سنة ٱثنتى عشرة وخمسمائة — وقيل : سنة

(١) رواية المنتظم : « مهجتى » . (٢) الهرغى : نسبة الى هرغة : قبيلة كبيرة من المصامدة فى جبل السوس فى أقصى المغرب تنسب الى الحسن بن على بن أبى طالب . (عن وفيات الأعيان لابن خلكان) . (٣) بجاية : هى قاعدة الغرب الأوسط و يقابلها من الأندلس طرطوشة .
(٤) ملالة : قرية على ساحل بحر المغرب . (عن معجم البلدان لياقوت) .

أربع عشرة وخمسمائة — ومولده فى يوم عاشوراء سنة خمس وثمانين وأربعمائة . ومات فى هذه السنة ، وقال ابن خلّكان : فى سنة أربع وعشرين . والله أعلم .

ومن شعره : [المتقارب]

أخذتَ بأعضادهم إذ نأَوْا * وخلّفك القومُ إذ ودّعوا
فكم أنتَ تنهَى ولا تنتهى * وتُسمِع وعظًا ولا تسمع
فيا حجر الشَّحْذ حتّى متى * تَسُنّ الحديدَ ولا تقطع

وكان كثيرا ما يتمثّل بهذا البيت : [الطويل]

تجرّد من الدنيا فإنك إنما * سقطت(١) على الدنيا وأنت مجرّد

وكان يتمثّل أيضا بقول المتنبي : [الوافر]

إذا غامرتَ فى شرف مَرُوم * فلا تقنع بما دون النجومِ
فطعمُ الموتِ فى أمرٍ حقيرٍ * كطعم الموت فى أمرٍ عظيم

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وخمس عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاثٌ وعشرون إصبعا .

* * *

السنة الخامسة من ولاية الحافظ على مصر وهى سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

فيها تُوفّى شمس الملوك إسماعيل بن تاج الملوك بُورِى ابن الأتابَك ظهير الدين طُغْتِكين صاحب دمشق . كانت ساءت سِيرته وصادر الناس وأخذ أموالهم وسفك الدماء، وظهر منه شحّ زائد، وقتل مماليك أبيه وجدّه . وقد ذكرنا من أخباره فى السنة الماضية تبيين ذلك . وزاد ظلمه حتى كتب أهل دمشق إلى زَنْكِى بن آق سُنقُر

(١) رواية ابن خلكان وتاريخ الإسلام للذهبى :

* خرجت إلى الدنيا وأنت مجرّد *

بالمسير إليهم . فقيل : إنه مات قبل وصول زنكي إلى الشام ، وآستراح أهل دمشق منه .

وفيها توفّى دُبَيْس بن صَدَقة بن منصور بن دُبَيْس بن علىّ بن مَزْيَد الأمير أبو الأغرّ الأسدىّ . أصله من بنى أسد — وقيل : من بنى خَفَاجة — وأول من ظهر من بيته جَدُّه الأكبر مَزْيَد فى أيّام بنى بُوَيْه ؛ ومات مزيد فقام علىّ ولده مقامه ؛ وكان عائنا ، ماوقعت عينه على شىء إلّا هلك . ثم قام بعده آبنه دُبَيْس ، ثمّ منصور ؛ فجرى من منصور فى الخليفة القائم بأمر الله ما جرى . ثم مات منصور وخلّف آبنه صَدَقة ، فخدم ملكشاه السلْجوقىّ ثم خالف آبنه بَرْكِيَاروق فقتله بَرْكِيَاروق . وقام بعده آبنه دُبَيْس صاحب الترجمة ؛ وكان شرّ أهل بيته ، يرتكب الكبائر ويفعل العظائم ، ولقى منه الخليفة والمسلمون شرورًا كثيرة ، وأبطل الحجّ ، وأباح الفروج فى شهر رمضان . وكانت أيّامه سبعا وستين سنة إلى أن قتله السلطان مسعود السلْجوقىّ صبرًا فى ذى الحجة . وكان دبيس المذكور كثيرا ما يُنشد : [الكامل]

إنّ الليالىَ للأنام مناهلٌ * تُطْوَى وتُبْسَطُ بينها الأعمارُ
فقصارُهنّ مع الهموم طويلةٌ * وطِوَالُهنّ مع السرور قِصارُ

وكان قتله بالمَرَاغة (١) .

وفيها توفّى الخليفة أمير المؤمنين المسترشد بالله أبو منصور الفضل آبن الخليفة المستظهر بالله أحمد ابن الخليفة المقتدى بالله عبد الله ابن الأمير محمد الذخيرة ابن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله العباسىّ الهاشمى البغدادىّ . بويع بالخلافة بعد موت أبيه فى شهر ربيع الآخر سنة آثنتى عشرة وخمسمائة . ومولده فى حدود

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٨٤ من الجزء الثالث من هذه الطبعة .

سنه خمس وثمانين وأربعمائة . وأمه أم ولد تسمى لُبابة[1] . وكان شهما شجاعا ذا همة ومعرفة وعقل ، وكان مشتغلا بالعبادة ، سالكا في الخلافة سيرة القادر . قرأ القرآن وسمع الحديث وقال الشعر ، ومن شعره : [الطويل]

أنا الأشقرُ الموعودُ بي في المَلَاحِم * ومَنْ يَمْلِكُ الدنيا بغير مُزَاحِم

ومات قتيلا . وكان سبب ذلك أنه خرج لقتال مسعود بن محمد شاه بن ملكشاه السلجوقي فخالف عليه عسكره فانكسر وأُسِر . فراسل سِنْجَر شاه عمّ مسعود يلوم مسعودا ، فرجع مسعود عن قتاله وضرب له السُّرادق ، فنزل المسترشد هذا فيه . ثم وصل رسول سنجر شاه إلى الخليفة ومعه سبعة عشر نفرا من الباطنية ؛ فركب مسعودا لتلقّى رسول عمه سنجر شاه ومعه العسكر ، فسبقت الباطنية في زيّ الغِلمان ودخلوا على الخليفة وضربوه بالسكاكين حتى قتلوه وقتلوا مَن كان عنده ، وعادت العساكر فأحدقت بالسرادق ، وخرج الباطنية والسكاكين بأيديهم فيها الدم ، فمالت العساكر عليهم فقتلوهم وأحرقوهم . وغُطِّى الخليفة بسندسة خضراء لفّوه فيها ، ودُفن على حاله بباب مَرَاغة . وكان قتله في سابع عشر ذي القعدة ، وعمره خمس وأربعون سنة ، وخلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام . وبويع بالخلافة بعده ابنه أبو جعفر منصور ، ولقب بالراشد ، وكان ببغداد .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وأربع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا وثلاث أصابع .

***

السنة السادسة من ولاية الحافظ عبد المجيد على مصر وهي سنة ثلاثين وخمسمائة .

---

(١) في عقد الجمان : «وأمه أم ولد خراسانية تسمى كش» .

فيها خُلِع الخليفة الراشد بالله أبو جعفر منصور بن المسترشد المقدّم ذكره، لأمور وقعت بينه و بين السلطان سِنْجَر شاه وآبن أخيه السلطان مسعود وقطع خطبته . وكاتب الخليفةُ زَنْكِى بن آق سُنْقُر وأطمعه فى الملك، وقال: يكون السلطان ألْب أرسلان بن محمود بن محمد شاه بن ملكشاه، وأنت تكون أتابكه ؛ فكان هذا أوّل سبب الفتنة، وخرج الخليفة من بغداد، ووقع له أمور آلت إلى خلعه .

قال صدقة الحدّاد الحنبلىّ فى تاريخه : إن الوزير أبا القاسم بن طَرّاد صدّر مَحْضَرا على الراشد فيه أنواع من الكبائر آرتكبها من الفسق والفجور ونكاح أمّهات أولاد أبيه وأخذ أموال الناس وسفك الدماء، وأنّه فعل أشياء لا يجوز أن يكون معها إماما . فتوقّف الشهود؛ فهدّدهم آبن طَرّاد وقال: علمتم صحّة هذا، فما المانع من إقامة الشهادة ! فشهدوا . وكان السلطان مسعود قد جمع القُضاة والشهود والأعيان وأخرج لهم نسخة يمين كانت بينه وبين الراشد، أخذها عليه بخطّه[1] : «متى حشدتُ أو حاذيتُ وجذبتُ سيفا فى وجه مسعود فقد خلعتُ نفسى من هذا الأمر»، وفيها خطوط القضاة والشهود بذلك. فحكم القضاة حينئذ بخلعه؛ فخُلِع فى يوم الاثنين ثامن عشر ذى القعدة . و ولّوا المقتفى محمد آبن المستظهر أخ المسترشد عمّ الراشد هذا، وحُبِس الراشد إلى أن مات ، حسب ما يأتى ذكره إن شاء الله فى محله .

وفيها تُوفّى القاسم بن عبد الله بن القاسم القاضى شمس الدين الشَّهْرُزُورِىّ أخو القاضى كمال الدّين الشهرزورىّ، ولى قضاء الموصل، وكان يعظ وله قبول حسن، وللناس فيه آعتقاد .

---

(١) نص اليمين فى كتاب الكامل لابن الأثير: « ... إنى متى جندت أو خرجت أو لقيت أحدا من أصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسى من الأمر ... » .

وفيها تُوفّى يوسف بن فَيْرُوز حاجب شمس الملوك إسماعيل . كان [من](١) مماليك طُغْتِكِين . حَقَدوا عليه لأنّه هو الذى أشار على شمس الملوك بقتل إيلبا الذى ضرب شمس الملوك بالسيف، حسب ماذكرناه ؛ فآتّفقوا على قتله ؛ فآلتقاه بُزَاوَش(٢) الأتابكىّ عند المسجد الجديد فضربه بالسيف على وجهه فقتله فى جمادى الآخرة .

وفيها تُوفّى الإمام العلّامة أبو الحسن علىّ بن أحمد بن منصور بن قيس الغسّانىّ المالكىّ النحوىّ . كان إماما فقيها عالما نحويّا، حلّق ودرّس سنين وأقرأ النحو وقصده الناس وآنتفع به خلق كثير .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وثمانى أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع أصابع .

***

السنة السابعة من ولاية الحافظ على مصر وهى سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة .

فيها أرسل السلطان مسعود طالَبَ الخليفة المقتفى لأمر الله العبّاسىّ وحواشيَه بمائة ألف دينار، فبعث إليه المقتفى يقول : ما رأيت أعجب من أمرك ! أنت تعلم أنّ أخى المسترشد سار من بغداد إليك بأمواله، فوصل الكلّ إليك ورجع أصحابه بعد قتله عُراةً ، ووَلِى آبن أخى الراشد فَفَعل ما فعل، ثمّ رحل وأبقى أمواله وخزائنه فى الدار، فأخذتَ الجميع . وأمّا الناس فإنّى عاهدت الله أنّى لا آخذ لأحد شيئا، وقد أخذتَ أنت أيضا الجوالى(٣) والتركات(٤)؛ فمن أىّ وجه أُقيم لك هذا المال ! .

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) كذا فى عقد الجمان مضبوطا بالقلم وآبن الأثير . وفى الأصلين : «بزواش» . (٣) الجوالى : أهل الذمة ، واحده جالية والمراد ما يؤخذ منهم من الجزية . (٤) فى الأصلين : «التركان» . وما أثبتناه عن المنتظم .

وفيها تتبّع المقتفى القوم الذين أفتَوْا بفسق الراشـد وكتبوا المحضر، وعاقب من آستحقّ العقوبة ، وعزل من يستحقّ العزل ، ونَكَب الوزيرَ شرف الدّين علىّ بن طَرَاد. وقال المقتفى : إذا فعلوا هذا مع غيرى فهم يفعلونه معى؛ وآستصفى أموال الزينبى؛ وآستوزر عوضه سديد الدولة بن الأنبارى[1]، وكان كاتب الإنشاء .

وفيها تُوفى مرشد بن علىّ بن المقلد بن نصر بن منقذ الأمير أبو سلامة صاحب شَيزَر . كان عارفا بفنون العلوم والآداب، صالحا كثير العبادة والتلاوة . وكان أخوه نصر ولّاه شيزر فتركها وقال : لا أدخل فى الدنيا ! وولّاها أخاه سلطان بن علىّ . وسافر البلاد، وكان له يد طُولى فى العربيّة والمكاتبة والشعر. كان كثير الصوم شديد البأس والنجدة فى الحرب حسن الخطّ، كتب بخطّه سبعين ختمة، وكان له شعر .

وفيها تُوفِّى بدران[2] بن صَدَقة بن منصور، وهو من بنى مَزْيَد، ولقبه شمس الدولة . ولمّا فعـل أخوه دُبَيْس ما فعل بالعراق وتغيّرت أحواله، خرج إلى مصر، فأكرمه صاحبها الحافظ صاحب الترجمة . وكان أديبا فاضلا، مات فى هذه السنة .

وفيها تُوفِّى إسماعيل بن أبى القـاسم بن أبى بكر النيسابورىّ الإمام القـارئ ، مات فى شهر رمضان . وكان رأسا فى علم القرآن وغيره .

وفيها توفى الحافظ أبو جعفر محمد بن أبى علىّ الهمذانىّ الحافظ المحدّث المشهور، سمع الكثير وكتب وصنّف وحدّث، وروى عنه غير واحد .

§ أمر النيل فى هـذه السنة ـــ المـاء القديم ستّ أذرع سواء . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وستّ عشرة إصبعا .

---

(١) هو سديد الدولة أبو عبد الله محمد بن عبـد الكريم بن إبراهيم بن عبـد الكريم بن الأنبارى كما فى ابن الأثير .

(٢) قال ابن خلكان فى ترجمة دبيس : «إن بدران بن صدقة المذكور لقبه تاج الملوك ، ولما قتل أبوه تغرّب عن بغـداد ودخل الشام فأقام بها مدّة ثم توجه إلى مصر ومات بها فى سنة اثنتين وخمسمائة» .

***

السنة الثامنة من ولاية الحافظ عبد المجيد على مصر وهى سنة آثنتين وثلاثين وخمسمائة .

فيها تُوفِّى أحمد بن محمد بن أحمد(١) الشيخ أبو بكر الدِّينَوَرِىّ الحنبلىّ ، تفقّه على أبى الخطّاب الكَلْوَذَانِىّ ، و برع فى الفقه والمناظرة ، ومات فى جمادى الأولى ، ودفن قريبا من الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، رضى الله عنه .

وفيها تُوفِّى الوزير أنو شِرْوان [بن محمد](٢) بن خالد بن محمد أبو نصر القاشانى القَيْنِىّ (وقَيْن : قرية من قرى قاشان(٣)) وزر للمسترشد الخليفة وللسلطان مسعود(٤) السلجوقىّ . وكان مَهيبا عاقلا فاضلا ، وهو كان السبب فى عمل الحريرىّ المقامات التى أنشأها . حُكِى أنّ الحريرىّ كان جالسا بمسجد بنى حَرَام ، وهى محلّة من محال البصرة ، إذ دخل شيخ ذو طِمْرَين عليه أُهبة السفر رثّ الثياب . فاستنطقه الحريرىّ فإذا هو فصيح اللّهجة حسن العبارة . فسأله من أين الشيخ؟ فقال : من سَرُوج(٥) . قال : فما كنيته ؟ قال : أبو زيد . فعمل الحريرىّ المقامة الحَرَامِيّة بعد قيامه من ذلك المجلس . هكذا قال صاحب مرآة الزمان .

قلت : ولعلّ الحريرىّ كان سمع به قبل ذلك وما آجتمع به ؛ فإنّ الذهبىّ قال عن أبى زيد السَّرُوجىّ(٦) : إنّه رجل مُكْدٍ خَلُوج فصيح العبارة يسمّى المطهر

(١) كذا فى المنتظم وشذرات الذهب وعقد الجمان والبداية والنهاية لابن كثير . وفى الأصلين : «أحمد ابن محمد بن محمد الشيخ... الخ » وهو تحريف . (٢) التكملة عن ابن خلكان . (٣) قاشان : مدينة قرب أصبهان . (٤) فى شذرات الذهب والبداية والنهاية لابن كثير : «وللسلطان محمود» . وفى المنتظم وعقد الجمان : «للسلطان محمد» . (٥) سروج : بلدة قريبة من حرّان من ديار مضر (عن معجم البلدان لياقوت) . (٦) كذا فى إنباه الرواة للقفطى وابن خلكان . وفى الأصلين : « المظفر بن سلار » .

ابن ســلّار . وكان الوزير أنو شَرْوَان كريما جَوَادا ذا همّة عالية و إقـدام . ومات فى شهر رمضان . رحمه الله .

وفيها تُوفّى المسنِد بدر بن عبـد الله أبو النجم ، سمع الحـديث الكثير، ومات فى شهر رمضـان عن ثمانين سنة ببغداد . وكان سليم الباطن . طلب منه أصحاب الحديث إجازة، فقال : كم تستجيزون! مابقى عندى إجازة .

وفيها تُوفّى الأمير البُقش[(١)] السِّلاحىّ . كان أميرا كبيرا ، ناب عن السلطان فى ممالك ؛ ثم توهّم السلطان منه وقبض عليه وحبسه بقلعة تَكْرِيت ، ثم أمر بقتله ، فغرّق نفسه فى دِجلة ، فأُخرج من المـاء وقُطع رأسه وحمل إلى السلطان .

وفيها تُوفّى الحسين بن تلمش بن يزدمر[(٢)] أبو الفوارس التركىّ الصوفىّ البغدادىّ . كان شاعرا . ومن شعره : [الخفيف]

أتمـنّى أنّى أكون مريضًا * علّهـا أن تعــودَ فى العــوّاد
فتراها عيــنى فيـذهبَ عنّى * ما أُقاسـيه من جوًى فى فؤادى

وفيها تُوفّى محمد بن عبد الملك بن محمد الشيخ أبو الحسن الكَرَجىّ[(٣)] . كان محدّثا فقيها شاعرا شافعىّ المذهب ، وصنّف فى مذهبه . وكان كريما جوادا . ومن شعره : [الوافـــر]

تنـاءت دارُه عنّى ولكـن * خيال جماله فى القلب ساكن
إذا آمتــلأ الفؤاد به فماذا * يضرّ إذا خلت منه المساكن

(١) فى ابن الأثير : « ابن البقش السلاحى » . (٢) فى مرآة الزمان : « الحسين ابن بكش بن لردمر » . وفى عقد الجمان : « الحسين بن بلمش » . (٣) الكرجى : نسبة الى الكرج ، وهى مدينة بين همذان وأصبهان فى نصف الطريق و إلى همذان أقرب . وفى الأصلين : « الكرخى » وهو تصحيف .

وفيها تُوفّى الخليفة الراشد بالله أبو جعفر منصور آبن الخليفة المسترشد بالله أبى منصور الفضل ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد ابن الخليفة المقتدى بأمر الله عبد الله ابن الأمير ذخيرة الدين محمد ابن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله، العباسىّ الهاشمى . بُويع بالخلافة بعد قتل أبيه المسترشد فى ذى القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة. ومولده فى سنة آثنتين وخمسمائة . وخرج بعد خلافته بمدّة إلى الموصل لقتال مسعود وغيره ، فخذله أصحابه ؛ فقبَض السلطان مسعود عليه ، وخلعه من الخلافة، حسب ماذكرناه فى سنة ثلاثين وخمسمائة، وحبسه إلى أن قتله فى هذه السنة . وأمّه أمّ ولد حبشية يقال لها [أمّ السادة](1) . و يقال : إنّ الراشد هذا وُلِدَ مسدودًا ، فأحضر أبوه المسترشد الأطبّاء، فأشاروا أن يُفتح له مخرج بآلة من ذهب، ففعل به ذلك فنفع . وحكى عن الراشد هذا أيضا أن والده أعطى له عدّة جوار وعمره أقلّ من تسع سنين، وأمرهنّ أن يلاعبنه؛ وكانت فيهنّ جارية حبشية فحملت من الراشد فلمّا ظهر الحَمْل و بلغ المسترشدَ أنكره لصغر سنّ ولده الراشد؛ وسألها فقالت : والله ما تقدّم إلىّ غيرُه، وإنّه آحتلم . فسأل باقى الجوارى فقلن كذلك . ووضعت الجارية صبيًّا وسمّى أمير الجيش . وقيل لأبيه : إنّ صبيان تِهامةَ يحتلمون لتسع ، وكذلك نساؤهم . وكانت قَتْلة الراشد هذا فى شهر رمضان من هذه السنة بظاهر أصبهان . وقال الذهبىّ : إنّ قتلته كانت فى الخالية . والله أعلم .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع و إصبع واحدة . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وآثنتا عشرة إصبعا .

(1) الزيادة عن عقد الجمان . وفى الأصلين بياض . وفى تقويم التواريخ وتاريخ الاسلام للذهبى: « أن أمه أم ولد تركية » .

***

السنة التاسعة من ولاية الحافظ عبد المجيد على مصر وهى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة .

فيها كانت زَلْزلة عظيمة أهلكت مائتى ألف وثلاثين ألف إنسان ، قاله صاحب مرآة الزمان . وقال آبن القَلَانِسِىّ : إنّها كانت بالدنيا كلّها ، وإنما كانت بحلب أعظم ، جاءت ثمانين مرّة ، ورمت أسوار البلد وأبراج القلعة ، وهرب أهل البلد إلى ظاهرها .

وفيها توفى إسماعيل بن محمد بن أحمد الشيخ الأديب أبو طاهر الوَثّابِىّ(١) . كان شاعرا فصيحا مترسّلا .

وفيها تُوفِّى علىّ بن أفلح الرئيس أبو القاسم الكاتب البغدادىّ . كان عالما فاضلا كاتبا شاعرا . تقدّم عند الخليفة المسترشد حتّى إنّه لقّبه جمال الملك وأعطاه الذهب ورتّب له الرواتب . ثمّ بلغه عنه أنّه كاتب دُبَيْسا ، فأراد القبض عليه ، فهرب إلى تَكْرِيت وآستجار بِبِهرُوز(٢) الخادم ، فشفع فيه فعفا عنه الخليفة . ومن شعره :

[البســـيط]

دَعِ الهوى لأُناسٍ يُعْرَفون به * قد مارسوا الحبّ حتّى لان أَصْعَبُهُ

بلوتَ نفسَـــك فيما لستَ تَخْـبُرُهُ * والشيءُ صعبُ على مَنْ لا يُجرّبُه

وفيها تُوفِّى الأمير محمود بن تاج الملوك بُورى بن الأتابك ظهير الدين طُغْتِكين ، الملك شهاب الدين صاحب دِمَشق . وَلِى دمشق مكان أبيـه — قلت : ولعـلّه

(١) كذا فى تاريخ الإسلام للذهبي وأنساب السمعانى ، نسبة إلى وثاب جد . وفى الأصل المطبوع : « الرذنانى » . وفى الأصل الفتغرافى : « العرفانى » وكلاهما تحريف . (٢) فى مرآة الزمان وتاريخ الإسلام : « بنهروز » بالنون .

ولي بعد أخيه شمس الملوك إسماعيل . والله أعلم — ولما ولي إمرة دمشق ساءت سيرته، فاستوحش منه جماعة من أمرائه واتفقوا على قتله مع يوسف الخادم والتُّغُش[1] الأرمني. وكانا ينامان حول سريره وساعدهما عَنْبَر الفرّاش الخَرْكَاوِيّ على ذلك . فلمّا كان ليلة الجمعة ثالث عشرين شوّال ذبحوه على فراشه وخرجوا هاربين؛ فظفروا بهم وأخذوا يوسف وعنبراً فصُلبا، وهرب التُّغُش. وكتب الأمراء إلى أخي محمود هذا، وهو محمد بن بُورِي بن طُغْتِكين وكان ببعلبكّ، وكان صبيّاً لم يبلغ الحُلُم، فجاء مسرعًا ودخل دمشق، فملّكوه ولقّبوه جمال الدين. وانتهى الخبر إلى خاتون صفوة الملك والدة محمود المقتول، فراسلت الأمير عماد الدين زَنْكي بن آق سُنْقُر تعرّفه الحال وتطلب منه أخذ الثأر، فجاء إلى دمشق وملكها بالأمان ، ثم غَدَر بهم وأمر بقتلهم وصلبهم .

قلت : وعماد الدين زَنْكي هذا هو والد السلطان نور الدين محمود بن زنكي المعروف بالشهيد .

وفيها توفّي الشيخ الإمام المقرئ أبو العبّاس أحمد بن عبد الملك بن أبي جَمْرة[2] . كان عالمـا فاضلا سمع الحديث وروى عنه غير واحد، وهو آخر من روى بالإجازة عن أبي عمرو الداني[3] .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا وخمس أصابع .

---

(١) كذا في ابن خلكان (طبع باريس ص ١٤٠ مضبوطا بالقلم) . وفي تاريخ ابن القلانسي : البغش» . وفي الأصلين : «البقش» . (٢) في الأصلين : «ابن أبي حمزة» . والتصويب عن شذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي وغاية النهاية . (٣) هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد ابن عمر الإمام أبو عمرو الداني تقدّمت وفاته سنة ٤٤٤ هـ .

***

السنة العاشرة من ولاية الحافظ على مصر وهى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة.

فيها قُتِل الأمير جوهر خادم السلطان سِنْجَر شاه بن ملكشاه السلجوقىّ. كان خادما حبشيًّا حاكما فى الدُّوَل. قتله باطنىّ جاءه فى صورة آمرأة فآستغاث به؛ فوقف له جوهر لأخذ ظُلَامته؛ فرمى الإزار ووثب عليه وقتله؛ فقتلته خدم جوهر فى الوقت. وعزّ على سِنْجَر شاه قتله وحزن عليه.

وفيها تُوفّى يحيى بن علىّ بن عبد العزيز القاضى الزكىّ أبو الفضل قاضى دمشق، وهو جدّ آبن عساكر لأمّه. تفقّه على أبى بكر الشاشىّ ببغداد، وتفقّه بدمشق على القاضى المَرْوَزِىّ، ومات بدمشق فى هذه السنة. وقال الذهبىّ: فى الآتية، وكان إماما فاضلا عالما. رحمه الله.

وفيها تُوفّى الأمير جمال الدين محمد آبن الأمير تاج الملوك بُورِى آبن الأتابَك ظَهير الدين طُغْتِكِين صاحب دمشق. كان مَلَك دمشق بعد قتل أخيه محمود، فلم تَطُل مدّته، وحضر الأميرُ زَنْكى بن آق سُنْقُر وأخذ دمشق منه وآستولى عليها، حسب ما ذكرناه. ومات فى شعبان ولم أدر مات قتيلا أم حتف أنفه.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وثمانى عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا، وشرِقت البلاد.

***

السنة الحادية عشرة من ولاية الحافظ على مصر وهى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة.

فيهـا نَقَل الخليفــةُ المقتفى لأمر الله العبّاسىّ المظفَّرَ بن محمـد بن جَهِـير من الأُستاداريّة[1] إلى الوَزَر . قلت : وهذا أوّل ما سمعنا بوظيفة الأُستاداريّة فى الدُّول .

وفيها تُوفّى محمد بن عبـد الباقى الشيخ الإمام أبو بكر الأنصـارىّ . هو من ولد كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين خُلِّفوا[2] . كان إماما عالمـا . وكان إذا سئل عن مولده يقول : أقبلوا على شأنكم ، لا ينبغى لأحد أن يخبر [عن] مولده ، إن كان صغيرا يستحقرونه ، وإن كان كبيرا يستهرمونه . وكان يُنشد : [الكامل]

لى مُـــدّةٌ لا بدّ أَبلغُها * فإذا انقضتْ وتَصَرَّمَتْ مُتُّ

لو عاندتنى الأُسْـدُ ضاريةً * ما ضرّ بى مالم يجى الوقتُ

وفيها تُوفّى الشيخ الإمام حافظ عصره أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضـل الطَّلْحىّ[3] الأصبهانى التيمىّ . وُلِد سـنة تسع وخمسين وأربعمائة ، وسافر البلاد وسمع الكثير وبرع فى فنون ، وكان إماما فى التفسـير والحديث والفقه واللغة ، وهو أحد الحفّاظ المتقنين . ومات بأصبهان فى يوم عيد النحر .

وفيها تُوفّى الشـيخ الإمام الفقيه المحدّث أبو الحسن رَزِين بن معاوية العَبْدَرِىّ[4] السَّرَقُسْطِىّ ، مات بمكّة فى المحرّم .

---

(١) الأسـتادارية : موضوعها التحدث فى أمر بيوت السـلطان كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان ، وهو الذى يمشى بطلب السلطان ، ويحكم فى غلمانه وباب داره ، وإليه أمر الجاشنكيرية . (راجع صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٠) . وعبارة المنتظم : « فيها أنه آستوزر أبو نصر المظفر بن محمد بن جهير ، نقل من أستاذية الدار الى الوزارة » . وفى ابن الأثير : «واستوزر الخليفة نظام الدين أبا نصر محمد ابن محمد بن جهير ، وكان قبل ذلك أستاذ الدار » .

(٢) فى المنتظم وعقد الجمان : «أحد الثلاثة الذين تيب عليهم فى قوله تعالى : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) .

(٣) كذا فى هامش الأصل والمنتظم وعقد الجمان وتاريخ الإسلام للذهبى : نسبة الى طلحة بن عبيد الله . وفى الأصلين : « الصلحى» وهو تحريف .

(٤) العبدرى : نسبة الى عبد الدار .

وفيها تُوفّى القُـدْوة الصالح الواعظ أبو يعقـوب يوسف بن أيّوب الهَمَذانىّ الواعظ المفسّر . كان إماما فاضلا، وله لسان حلو فى الوعظ، وللناس فيه محبّة وعليه القبول .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم ستّ أذرع سواء . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وآثنتا عشرة إصبعا .

⁂

السنة الثانية عشرة من ولاية الحافظ عبد المجيد على مصر وهى سنة ست وثلاثين وخمسمائة .

فيها تُوفّى شيخ الإسلام الحُسَامُ عمر بن عبد العزيز بن مازَة (١)، إمام الحنفيّة بِبُخَارى وصدر الإسلام . كان علّامة عصره، وكانت له الحرمة العظيمة، والنعمة الجليلة، والتصانيف المشهورة؛ وكان الملوك يصـدرون عن رأيه . ولمّـا عزم سَـنْجَرشاه ابن ملكشاه على لقاء الخَطَا (٢)، أخرجه معه، وفى صحبته من الفقهاء والخطباء والوعّاظ والمُطَّوِّعة ما يزيد على عشرة آلاف نفـر، فقتلوا فى المصـافّ عن آخرهم، وأُسِرَ الحُسام هـذا وأعيانُ الفقهاء . فلمّـا فَرَغ المصافّ أحضرهم ملك الخَطَا وقال : ما الذى دعاكم إلى قتـال من لم يقاتلكم والإضرار بمن لم يضرّكم ؟ وضرب أعنـاق الجميع . وآنهزم سَنْجَرشاه فى ستّ أنفس، وأُسِرت زوجته وأولاده وأمّه وهُتِك حريمه، وقُتِل عامّة أمرائه . قال صاحب مرآة الزمان : وقُتِل مع سَنْجَرشاه آثنا عشر ألف

(١) كذا فى ابن الأثير وعقـد الجمان وتاريخ الاسلام للذهبى وطبقات الحنفية . وفى الأصلين : « مارة » بالراء المهملة . وهو تصحيف . (٢) الخطا : من بلاد ما وراء النهر . (راجع هذه الواقعة بتفصيل واف فى ابن الأثير وتاريخ الإسلام للذهبى وعقـد الجمان) .

صاحب عمامة كلّهم رؤساء ، وكان يوما عظيما لم يُرَ مثلُه فى جاهليّة ولا إسلام ، وكانت قَتَلَة ٱبن مازة المذكور فى صفر .

وفيها تُوفّى الشيخ الإمام أبو سعد[1] أحمد بن محمد بن الشيخ علىّ بن محمود الزَّوْزَنِىّ[2] الصوفىّ . كان إماماً عالماً فاضلا رأساً فى علم التصوّف . مات ببغداد فى شعبانَ .

وفيها تُوفّى الشيخ العارف بالله أبو العبّاس أحمد [بن محمد][3] بن موسى الصَّنهاجىّ الأندلسىّ المالكىّ العالم الصوفىّ . كان ممن جمع بين علمى الشريعة والحقيقة .

وفيها تُوفّى الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبى الأشعث السَّمَرْقَنْدِىّ، مات ببغداد فى ذى القعدة . وكان حافظا مفتناً، سمع الكثير وسافر البلاد وكتب وحصّل وحدّث، روى عنه غير واحد .

وفيها توفّى شرف الإسلام عبد الوهّاب ٱبن الشيخ أبى الفرج عبد الواحد بن محمد الشِّيرازىّ الفقيه الحنبلىّ الواعظ . كان رأسا فى الوعظ مشاركا فى فنون كثيرة. ومات بدمشق .

وفيها تُوفّى الحافظ أبو عبد الله محمد بن علىّ المازَرِىّ[4] المالكىّ الحافظ المحدّث المشهور، مات فى شهر ربيع الأوّل وله ثلاث وثمانون سنة . وكان إماما حافظا متقنا عارفا بعلوم الحديث، وسمع الكثير وسافر البلاد وكتب الكثير .

---

(١) فى الأصلين : «أبو سعيد» . والتصويب عن عقد الجمان والمنتظم وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام . (٢) كذا فى عقد الجمان والمنتظم وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي ، نسبة الى زوزن، بلد بين هراة ونيسابور . وفى الأصلين : «المروزى» وهو تحريف . (٣) التكملة عن تاريخ الاسلام للذهبى وشذرات الذهب . (٤) المازرى : نسبة الى مازَر (بفتح الزاى وكسرها) ، بلدة بجزيرة صقلية . (عن شذرات الذهب) .

وفيها توفّى إمام جامع دمشق أبو محمد هبة الله بن أحمد بن عبد الله بن علىّ بن طاوس . كان رجلا فقيها صالحا وَرِعا حسن القراءة ، أمّ سنين بجامع دمشق ، ومات بها .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها توفّى أبو سعد أحمد بن محمد آبن الشيخ على بن محمود الزَّوْزَنِى الصوفىّ ببغداد فى شعبان . وأبو العبّاس أحمد ابن محمد بن موسى [بن عطاء الله](1) بن العريف الصنهاجىّ الأندلسىّ العارف . والحافظ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبى الأشعث السَّمَرْقَنْدِىّ ببغداد فى ذى القعدة . والفقيه أبو محمد عبد الجبّار بن محمد بن أحمد الخُوَارِىّ(2) البيهقىّ فى شعبان . وأبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبى الرجال ، وقد تغيّر . وشرف الإسلام عبد الوهاب آبن الشيخ أبى الفرج عبد الواحد بن محمد الشّيرازىّ الحنبلىّ الواعظ بدِمَشق . وأبو حفص عمر بن العزيز بن مَازَة شيخ الحنفيّة بما وراء النهر ، قُتِل صَبْراً فى صفر . وأبو عبد الله محمد بن علىّ المازَرىّ المالكىّ الحافظ فى شهر ربيع الأوّل ، وله ثلاث وثمانون سنة . وأبو الكرم نصر الله(3) بن محمد بن محمد بن مخلد بن الجلخت(4) بواسط فى ذى الحجّة . وإمام جامع دمشق أبو محمد هبة الله بن أحمد بن عبد الله بن علىّ بن طاوس . وأبو محمد يحيى بن علىّ بن الطرّاح المدينىّ فى رمضان .

---

(١) زيادة عن تاريخ الاسلام للذهبى . (٢) الخوارى (بضم الخاء وتخفيف الواو) : نسبة الى خوار ، بلدة بالرى . (٣) كذا فى الأصلين وتاريخ الإسلام للذهبى . وفى المنتظم وعقد الجمان : «نصر بن أحمد بن محمد» . (٤) كذا فى تاريخ الإسلام والمنتظم . وفى الأصلين : «ابن الجلحت» . وفى نسخة يشير اليها هامش الأصل المطبوع : «ابن الجلحب . وقد بحثنا فى المصادر التى تحت أيدينا عن هذه الأسماء فلم نعثر على واحد منها ، غير أننا وجدنا فى القاموس : «جلحب كجعفر اسم» .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وخمس أصابع . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و إحدى عشرة إصبعا .



السنة الثالثة عشرة من ولاية الحـافظ على مصر وهى سـنة سبع وثلاثين وخمسمائة .

فيها ملك الأمير زَنْكى بن آق سُنقُر التركى والد بنى زَنْكى قلعة الحَديثة التى على الفرات، ونَقَل من كان بها من آل مُهَارِش إلى الموصل، ورتّب فيها نُوّابه .

وفيها تُوفّى الحسن بن محمد بن علىّ بن أبى الضوء الشريف أبو محمـد الحسينى البغدادىّ، نقيب مشهد موسى بن جعفر ببغداد . كان إماما فاضلا فصيحا شاعرا إلّا أنّه كان على مذهب القوم، متغاليا فى التشيّع، فشان سُودَدَه بذلك. ومن شعره قوله فى المرثية التى عملها فى الشريف النقيب طاهر، وأظنّها من جملة أبيات، :

[الخفيف]

قَـرِّبانى إن لم يكن لكما عَقْـ * ـرٌ إلى جنب قـبره فٱعقِرانى
وٱنْضَحا من دمى عليه فقد كا * ن دمى من نداه لو تعلمان

قلت : لله دَرُّه ! لقـد أحسن وأبدع فيما قال . وقد ساق ٱبن خلّكان هـذه الأبيات فى ترجمة خالد[1] الكاتب، وساق له حكاية ظريفة، وذكر الأبيات فى ضمنها فلتنظر هناك .

وفيها تُوفى السلطان داود ٱبن السلطان محمود شاه ٱبن السلطان محمد شاه ابن السلطان ملكشاه ٱبن السلطان ألْب أَرْسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق

(١) لم نجد هذين البيتين فيمن سماه المؤلف خالد الكاتب وانما ذكرهما ابن خلكان فى ترجمة أبى سعيد المهلب بن أبى صفرة ظالم بن سراق .

ابن دقاق السلجوقىّ ، صاحب أَذْرَبِيجان وغيرها ، الذى كسره السلطان مسـعود وجرى له معـه وقائع وحروب — تقـدّم ذكر بعضها — حتّى آستولى على تلك النواحى . وكان سبب موته أنّه ركب يومًا فى سـوق تِبرِيز، فوثب عليـه قوم من البـاطنيّة فقتلوه غيلةً، وقتلوا معه جماعة من خواصّـه ، ودُفن بتِبْرِيز . وكان مَلِكا شجاعا جوّادا عادلا فى الرعيّة يباشر الحروب بنفسه .

وفيها تُوفّى العلامة قاضى القضاة عبد المجيد بن إسماعيل بن محمد أبو سـعيد الهَرَوىّ الحنفىّ قاضى بلاد الروم . كان إماما فقيها متبحّرًا مصنّفا ، وله مصنّفات كثيرة فى الأصول والفروع ، وخُطَبٌ و رسائل ، وأدّب وأفتى ودرّس سنين عديدة . ومات بمدينة قَيْسارِيّة فى شهر رجب من السنة المذكورة . ومن شعره : [الكامل]

وإذا مَتَتَّ إلى الكريم خديعةً * فرأيتَـه فيما تروم يُسارع(١)

فآعلم بأنّك لم تُخادِع جاهلًا * إنّ الكريم بفعله يتخادع

وفيها تُوفّى القانُ(٢) مَلِك الخَطَا والترك الملك كوخان(٣) وهو على كفره . وأظنّه هو الذى كسر سِنْجرشاه السلجوقىّ المقدّم ذكره ، وقتل تلك الأمم . والله أعلم .

وفيها تُوفّى القـاضى المنتخب أبو المعالى محمـد بن يحيى بن علىّ القرشىّ قاضى قضاة دمشق وعالمها ، مات بها فى شهر ربيع الأوّل وله تسع(٤) وتسعون سنة .

وفيها تُوفّى صاحب المغرب أمير المسلمين أبو الحسن على بن يوسف بن تاشِفِين المعروف بالملثّم ، قاله الذهبىّ فى تاريخ الإسلام .

(١) فى الأصلين : «مسارع» . (٢) القان : من ألقاب الملوك . (٣) كذا فى شذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي وابن الأثير . و «كو» بلسان الصين لقب لأعظم ملوكهم . و «خان» لقب لملوك الترك ؛ فمعناه أعظم الملوك . وفى الأصل المطبوع : «كورخان» . وفى الأصل الفتوغرافى : «دكرخان» . (٤) فى شذرات الذهب : «عن سبعين سنة» . وكذلك يفهم من عبارة تاريخ الاسلام للذهبي ، إذ قال : « ... ولد أوائل سنة سبع وستين» أى سنة سبع وستين وأربعمائة .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى أبو عبد الله الحسين[(١)] ابن علىّ سِبط أبى منصور الخيّاط . وأبو الفتح عبد الله بن محمد بن محمد البيضاوىّ فى جُمادى الأولى. وأبو طالب علىّ[(٢)] بن عبد الرحمن بن أبى عقيل الصورىّ بدمشق . وكوخان سلطان الخطا وهو على كفره . والخطيب أبو الفضل محمد[(٣)] بن عبد الله بن المهتدى بالله . وأبو الفتح مُفْلِح بن أحمد الرومىّ الورّاق ببغداد .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وست عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء .

*
* *

السنة الرابعة عشرة من ولاية الحافظ على مصر وهى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة .

فيها تُوفّى نقيب النقباء علىّ بن طَرّاد بن محمد بن علىّ أبو القاسم الزينبىّ . كان معظّما فى الدول . وولّاه الخليفة المستظهر بالله نقابة النقباء، ولقّبوه بالرضى ذى الفخرين . وكان من بيت الرياسة والنقابة والفضل .

قلت : وكان وَلِى الوزارة، فنقم[(٤)] عليه الخليفة المقتفى بالله وصادره بما فعله مع الخليفة الراشد من كتابة المحضر المقدّم ذكره فى سنة ثلاثين وخمسمائة . وكان

---

(١) فى الأصلين : « الحسن » . والتصويب عن تاريخ الإسلام للذهبي والمنتظم وشذرات الذهب وعقد الجمان . (٢) فى تاريخ الاسلام للذهبي : « علىّ بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن على بن عياض بن أبى عقيل » . (٣) فى تاريخ الإسلام : « محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدى بالله » . (٤) فى الأصلين : « فانه نقم عليه » .

الزينبيّ هـذا إماما فاضـلا فقيها بارعا فى مذهب الإمام أبى حنيفة ، وكان جَوَادًا ممدَّحا . مدحه الحَيْص بَيْص (١) بقصيدته التى أوّلها : [الكامل]

ما أنصفتْ بغدادُ نائبَها الذى * كَبُرَتْ نيابتُـه على بغـــداد

وفيها تُوفِّى الشيخ الإمام العالم العلّامة فريد عصره ووحيد دهره و إمام وقتـه أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشرى الْخَوارَزْمِىّ النحوىّ اللغوىّ الحنفىّ المتكلم المفسّر صاحب « الكشّاف » فى التفسـير و « المفصّل » فى النحو . وكان يقال له جار الله ؛ لأنّه جاور بمكّة المشرّفة زمانا ، وقرأ بهـا على ٱبن وَهّاس الذى يقول فيه : [الطــويل]

ولولا ٱبن وَهّاسٍ وسابقُ فضله * رَعَيْتُ هَشِيمًا وٱسْتَقَيتُ مُصَرَّدا

وزَمَخْشَر : قريةٌ من قرى خُوَارَزْم، ومولده بهـا فى رجب سـنة سبع وستين وأربعمائة . وقدِم بغـداد وسمع الحديث وتفقّه وبَرَع فى فنون ؛ وصار إمام عصره فى عدّة علوم . ومن شعره يرثى شيخه أبا مُضَر منصورا (٢) : [الطــويل]

وقائـــلةٍ ما هـــذه الدُّرَرُ الّـتى * تَساقَطُ (٣) من عينيك سِمْطَيْنِ سِمْطَيْنِ

فقلتُ لها الدُّرّ الذى كان قد حشا * أبو مُضَرٍ أذنى تَسَاقطَ من عيـنى (٤)

§ أمر النيل فى هذه السنة ـــ المـاء القديم خمس أذرع سواء . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وتسع أصابع .

---

(١) هو أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن الصيفى التميمى الملقب شهاب الدين . وإنما قيـل له « حيص بيص » لأنه رأى الناس يوما فى حركة مزعجة وأمر شديد، فقال : ما للناس فى « حيص بيص » فبق عليه هذا اللقب . ومعنى هاتين الكلمتين : الشدة والاختلاط . توفى سنة أربع وسبعين وخمسمائة (عن ابن خلكان) .

(٢) كذا فى الأصلين وابن خلكان وتاريخ الاسلام للذهبي وشذرات الذهب وعقـد الجمان . وفى بغية الوعاة للسيوطى ومعجم الأدباء لياقوت : « محمود بن جرير الضبي أبو مضر » .

(٣) رواية بغية الوعاة ومعجم الأدباء : * تساقطها عيناك ... الخ *

(٤) رواية ابن خلكان و بغية الوعاة ومعجم الأدباء : « فقلت هو الدرّ... الخ » .

***

السنة الخامسة عشرة من ولاية الحافظ على مصر وهى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة .

فيها افتتح زَنْكِى بن آق سُنْقُر الرُّهاء من يد الفرنج مع أمور وحروب، ورَدَم سورها ، وكتب إلى النصارى أمانا وأحسن للرعيّة ، وحفر بها أساسا عميقا . وأول صخرة ظهرت فى هذا الأساس وجدوا مكتوبا عليها سطرين بالسريانيّة ؛ فجاء شيخ يهودىّ فحلّهما إلى العربيّة، وهما : [السريع]

أصبحتُ خِلْوًا من بنى الأصفرِ * أختال بالأعلام والمِنْبَرِ
فَظَهَر الرّحب على أنّنى * لولا ابنُ سُنْقُرَ لم أَظْهرِ

وفيها تُوفّى هبة الله بن الحسن الشيخ أبو القاسم المعروف بالبديع الأَسْطُرْلابِىّ(١) . كان فريد وقته فى عمل الأَسْطُرْلابات وآلات الفلك والطِّلَّسْمات ، وكان مع ذلك أديبا فاضلا . ومن شعره وقد أرسل لبعض الرؤساء هديّة : [الكامل]

أُهْدِى لمجلسك الشريفِ وإنّما * أُهدى له ما حُزْتُ من نَعْمائِهِ
كالبحرِ يُمطره السحابُ وما له * مَنٌّ عليه لأنّه من مائه

وفيها تُوفّى صاحب المغرب وأمير المسلمين تاشِفين بن علىّ بن يوسف بن تاشفين المَصْمُودىّ المغربىّ . وتمكّن بعده عبد المؤمن بن علىّ بعد أمور وقعت له مع تاشفين هذا وبعده .

(١) ضبطه ابن خلكان بالعبارة فقال : «بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وضم الطاء المهملة وبعدها راء ثم لام ألف ثم باء موحدة» . هذه النسبة الى أسطرلاب، وهو الآلة المعروفة ، وهى كلمة يونانية معناها ميزان الشمس .

وفيها تُوفّى الشيخ الإمام أبو الحسن شُرَيح بن محمد بن شُرَيْح الرُّعَيْنِى المالكىّ الفقيه خطيب إشْبِيلِيَة . كان إماما عالما خطيبا أديبا شاعرا .

وفيها تُوفّى المسنِد المُعَمَّر أبو الحسن علىّ بن هبة الله بن عبد السلام الكاتب الفقيه مُسْنِد الأندلس ، سمع الكثير ورحل البلاد وتفرّد بأشياء عوال .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ،قال : وفيها تُوفى أبو البدر (١) إبراهيم بن محمد بن منصور الكَرْخىّ فى شهر ربيع الأوّل . وتاشفين بن علىّ بن يوسف بن تاشفين المَصْمُودىّ أمير المسلمين ، وتمكّن بعده عبد المؤمن . وأبو منصور سعيد بن محمد آبن آلرزاز (٢) شيخ الشافعيّة ببغداد . وأبو الحسن شُرَيْح بن محمد بن شُرَيح الرُّعَيْنِىّ خطيب إشْبِيلِيَة . ومسند الأندلس أبو الحسن علىّ بن هبة الله بن عبد السلام الكاتب . وأبو البركات عمر بن إبراهيم بن محمد الزَّيْدىّ العَلَوىّ النحوىّ الكوفىّ . وفاطمة بنت محمد بن أبى سعد محمد (٣) البغدادىّ بأصبهان ، ولها أربع وتسعون سنة . وأبو المعالى محمد بن إسماعيل الفارسىّ النيسابورىّ . وأبو منصور [محمد بن] (٤) عبدالملك [بن الحسن بن إبراهيم] (٥) بن خَيْرُون المقرئ فى رجب . وأبو المكارم المبارك آبن علىّ .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع وأربع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وأربع أصابع .

---

(١) فى الأصلين : «أبو الوليد» . والتصويب عن تاريخ الإسلام للذهبى والمنتظم وشذرات الذهب وعقد الجمان . (٢) كذا فى تاريخ الإسلام للذهبى والمنتظم وعقد الجمان وشذرات الذهب وطبقات الشافعية وشرح قصيدة لامية فى التاريخ . وفى الأصلين : «البزاز» وهو تحريف .

(٣) فى تاريخ الإسلام : «بنت محمد بن أبى سعد أحمد» . (٤) التكلة عن المنتظم وتاريخ الإسلام للذهبى وعقد الجمان وشذرات الذهب وغاية النهاية . (٥) التكلة عن المنتظم وعقد الجمان .

***

السنة السادسة عشرة من ولاية الحافظ عبد المجيد على مصر وهى سنة أربعين وخمسمائة .

فيها تُوفّى بِهْرُوز الخادم أبو الحسن مجاهد الدين خادم السلطان مسعود السَّلْجوقىّ . كان خادما أبيض، ويُلقّب مجاهد الدين . ولى إمرة العراق نيّفا وثلاثين سنة، وله به مآثر . منها أخذ كنيسة وبناها رِباطًا على شاطئ دجلة وأوقف عليها أوقافا، وبها دُفِن . وبِهرُوز (بكسر الباء الموحدة ثانية الحروف وهاء ساكنة وراء مهملة مضمومة وواو وزاى ساكنة) ومعناه باللغة العجميّة يوم جيّد على التقديم والتأخير على عادة اللغة العجمية والتركية .

وفيها تُوفّى موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجَوَالِيقىّ الشيخ أبو منصور إمام المقتفى العبّاسىّ . سمع الحديث ببغداد وقرأ الأدب فأكثر، وآنتهى إليه علم اللغة ودرّس النحو والعربيّة بالنظاميّة بعد أبى زكريا التِّبْرِيزى[1] . فلمّا ولِى المقتفى الخلافةَ آختصه وجعله إمامه، فكان غزير العلم طويل الصمت متواضعا مليح الخطّ . مات فى المحرّم .

وفيها تُوفّى الشيخ أبو بكر بن تقِىّ[2] (بتاء مثناة من فوق ثالثة الحروف) الأندلسى القرطبى الفقيه الشاعر، كان فاضلا شاعرا فصيحا . ومن شعره : [الطويل]

ومشمولةٍ فى الكأس تحسَب أنّها * سماءُ عَقيقٍ زُيِّنتْ بكواكب

بنتْ كعبةَ اللّذات فى حَرَم الصِّبَا * فحجّ إليها اللّهوُ من كلّ جانب

(١) هو يحيى بن على بن محمد بن الحسن بن بسطام أبو زكريا الشيبانى التبريزى، تقدّمت وفاته سنة ٥٠١ هـ . (٢) هو يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن تقى أبو بكر، كما فى تاريخ الاسلام للذهبى .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هـذه السنة ، قال : وفيها توفّى الحافظ أبو سعيد[(١)] أحمد بن محمد بن أبى سعد البغدادىّ ثم الأصبهانىّ فى شهر ربيع الأوّل . وأبو بكر عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الرحمن النيسابورىّ فى جمادى الأولى . وأبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد الجَوَاليقىّ النحوىّ اللغوىّ إمام المقتفى فى المحرّم .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وأربع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء .

*
* *

السنة السابعة عشرة من ولاية الحافظ عبـد المجيد على مصر وهى سـنة إحدى وأربعين وخمسمائة .

فيها بَنَى حُسام الدين بن أُرْتُق جسر القرمان بأرض ميّا فارقين .

وفيها توفّى الأمير جاوِلى صاحب أَذْرِ بِيجَان . كان شجاعا شهما يخافه السلطان مسعود وغيره . وسبب موته أنه آفتصد وركب للصيد، فعنّ له أرنب فرماه بسهم فآنفجر فِصَاده فضعُف، ولم يقدِر الطبيب على حبس الدم فمات .

وفيها توفّى الملك أبو المظفّر[(٢)] عماد الدين زَنْكِى[(٣)] آبن الأَتَابك آق سُنْقُر . كان أبوه يكنى بقسيم الدولة . وكان (أعنى آق سُنْقُر) من خواصّ السلطان ملكشاه السلجوقىّ

(١) كذا ورد فى الأصلين . وقد أجمعت المصادر التى بين أيدينا وهى المنتظم وعقد الجمان والبداية والنهاية وتذكرة الحفاظ للذهبي وطبقات الحفاظ للسيوطى على أن كنيته «أبو سعد» ونسبه الكامل فى أكثر هذه المصادر هو : «أحمد بن محمد بن الحسن بن على بن أحمد بن سليمان أبو سعد بن أبى الفضل البغدادى ...» . (٢) كذا فى الأصلين وتهذيب تاريخ دمشق ومرآة الزمان . وفى ابن خلكان وعقد الجمان : «أبو الجود» . (٣) ضبطه صاحب عقد الجمان بالعبارة فقال : «بفتح الزاى المعجمة وسكون النون وكسر الكاف بعدها ياء آخر الحروف ساكنة» .

وولّاه حَلَب وحِمْص وغيرهما . ولمّا مات مَلَك بعده آبنه زَنْكي جميع هذه البلاد، وزاد مملكته حتّى ملك الشام من محمد بن بُوري بن طُغْتِكين بعد حروب. ثم آستولى زَنْكي هذا على الشام جميعه ، وأقام على ذلك سنين، إلى أن توجّه إلى قلعة جَعْبَر(١)، فقاتل صاحبها شهاب الدين سالم بن مالك العُقَيْليّ ونصب عليها المجانيق حتى لم يبق إلّا أخذُها. فلمّا كان ليلة الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الآخر آتّفق ثلاثة من خدّامه على قتله فذبحوه على فراشه وهربوا إلى القلعة وعرّفوا من بها. وكان مع زَنْكي أولاده الثلاثة : سيف الدين غَازِي ، ونور الدين محمود المعروف بالشهيد ، وقطب الدين مودود . فملك بعده آبنه نور الدين محمود الشهيد، وسار غازي إلى الموصل .

قلت : وبنو زَنْكي هؤلاء هم أوسط الدول ؛ فإن أوّل من ملك مع الخلفاء وتلقّب بالسلطان والألقاب العظيمة بنو بُوَيْه ، ثم أنشأ بنو بويه بني سلجوق . وأنشأ بنو سلجوق بني أُرْتُق وآق سُنْقُر جدّ بني زَنْكي هؤلاء . ثم أنشأ بنو زَنْكي (أعني الملك العادل نور الدين محمود الشهيد) بني أيّوب سلاطين مصر وغيرها . ثم أنشأ بنو أيوب المماليك ودولة الترك . وأوّل ملوكهم الملك المعزّ أيبك التركمانيّ . فآنظر إلى أمر الدنيا وكيف كلُّ طائفة نعمةُ طائفةٍ ونشؤها إلى يومنا هذا .

وفيها تُوفّي الأمير عبّاس شِحْنة مدينة الرّيّ . كان أميرا شجاعا مقداما جَوَادا يباشر الحروب بنفسه .

وفيها تُوفّي عبد الرحيم بن المُحَسِّن بن عبد الباقي الشيخ أبو محمد التَّنُوخيّ . كان شاعرا فصيحا، مات بميّافارقين .

(١) قلعة جعبر : هي على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى أبو البركات إسماعيل آبن أبى سعد أحمد بن محمد[1] بن دُوسْت الصوفىّ شيخ الشيوخ فى جُمادى الآخرة . وأبو جعفر [حسن][2] بن علىّ البخارىّ الصوفىّ بَهَرَاة . وعِمَاد الدين زَنْكِى الأَتَابك آبن قسيم الدولة آق سُنْقُر، قتله غلام له وهو محاصر قلعة جَعْبَر . وأبو الفتح محمد ابن محمد بن عبد الرحمن بن علىّ النيسابورىّ الخشّاب[3]، آخر من حدّث بأصبهان عن القُشَيْرِى[4] . وأبو عبد الله محمد بن محمد [بن أحمد][5] بن السّلّال[6] الورّاق . وأبو بكر وجيه بن طاهر الشَّحّامِى[7] العدل فى جمادى الاخرة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ست أذرع و إصبعان . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وعشرون إصبعا .

⁂

السنة الثامنة عشرة من ولاية الحافظ على مصر وهى سنة آثنتين وأربعين وخمسمائة .

فيها آفتتح نور الدين محمود المعروف بالشهيد صاحب الشام حصن أرْتاح[8] وغيرها من يد الفرنج . قلت : وهذا أوّل أمر الفتوحات الزّنكيّة والأيّوبيّة الآتى ذكرها إن شاء الله تعالى .

---

(١) كذا فى الأصلين وتاريخ الاسلام وشذرات الذهب . وفى المنتظم وعقد الجمان ومرآة الزمان : «أحمد بن محمود» . (٢) زيادة عن تاريخ الإسلام للذهبي . (٣) فى تاريخ الإسلام للذهبي : « الحساب » . (٤) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد أبو القاسم القشيرى توفى سنة ٤٦٥ هـ . (٥) زيادة عن المنتظم وعقد الجمان وتاريخ الإسلام . (٦) كذا فى الأصلين والمنتظم وعقد الجمان وشرح قصيدة لامية فى التاريخ . وفى تاريخ الاسلام للذهبي : « ابن المسال » . (٧) الشحامى : نسبة الى بيع الشحم مثل الشحام . (٨) حصن أرتاح : حصن منيع ، كان من العواصم من أعمال حلب . (عن معجم البلدان لياقوت) .

وفيها آستولى عبد المؤمن بن علىّ على مدينة مَرَّاكُش من المغرب بالسيف وقتل مَن بها من المُقَاتِلة، ولم يتعرّض للرعيّة، وأحضر اليهود والنصارى وقال: إنّ الإمام المهدىّ أمرنى ألّا أُقِرّ الناسَ إلّا على مِلّة واحدة وهى الإسلام، وأنتم تزعمون أن بعد الخمسمائة عام يظهر من يَعْضُد شريعتكم، وقد آنقضت المدّة؛ وأنا مخيِّركم بين ثلاث: إمّا أن تُسْلِموا، وإمّا أن تلحَقوا بدار الحرب، وإمّا أن أضرب رقابكم. فأسلم منهم طائفة، ولَحِق بدار الحرب أخرى. وأخرب عبد المؤمن الكنائس والبِيَع وردّها مساجد، وأبطل الجِزْيَة، وفعل ذلك فى جميع ولاياته.

وفيها قُتِل الوزير رِضْوان بن ولخشى أمير الجيوش وزير الحافظ صاحب الترجمة ومدبِّر ممالكه بديار مصر وغيرها. كان آستوزره الحافظ صاحب مصر المذكور. فلمّا ولى الوزرَ آستولى على مصر، وحَجَر على الخليفة الحافظ، وسلك فى ذلك طريق الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى. وزاد أمره، حتى دسّ عليه الحافظ السودانَ فوثبوا عليه وقتلوه.

وفيها تُوفِّى الأستاذ هبة الله بن على بن محمد بن حمزة أبو السعادات العلوىّ النحوىّ، ويُعرف بآبن الشَّجَرىّ. انتهى إليه فى زمانه علم النحو والعربيّة ببغداد، وسمع الحديث وطال عمره وأقرأ وحدّث.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وثلاث أصابع. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا.

* * *

السنة التاسعة عشرة من ولاية الحافظ عبد المجيد على مصر وهى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة.

فيها أزال السلطان نور الدين محمود بن زَنْكى صاحب دمشق من حلب الأذان بـ«حىّ على خير العمل» وسبَّ الصحابةِ بهــا، وقال : من عاد إليه قتلته؛ فلم يَعُد أحد . رحمه الله تعالى .

وفيها ظهر بمصر رجل من ولد نِزار آبن الخليفــة المستنصر العُبَيْدىّ يطلب الخلافة، فآجتمع عليه خَلْق، حتّى جهّز إليه الخليفة الحافظ صاحب الترجمة العساكر فآلتقَوْا بالصــعيد، وقُتل من الفريقين جماعة . ثم آنهــزم النِّزارىّ الذى خرج وقُتِل ولده .

وفيها أغار نور الدين محمود صاحب دمشق المعروف بالشهيد المقدّم ذكره على بلاد الفرنج وفَتَح عِدَّة حصون — تقبّل الله منه — وأَسَر وقَتَل وغَنِم .

وفيها حجّ بالناس من العراق الأمير قايماز .

وفيها تُوفّى قاضى القضاة أبو القاسم علىّ بن الحسين بن محمــد بن علىّ الزينبى البغدادىّ الحنفىّ . وُلِد فى نصف شهر ربيع الأول ســنة سبع وأربعين وأربعمائة ، وسمع الحديث وتفقّه وبَرَع فى مذهبه . ولّاه الخليفة المسترشد قضاء القضاة، وطالت مدّته وحسُنت سِيرته، وناب فى الوزارة فى بعض الأحيان .

وفيهــا توفى الفقيه أبو الحجّــاج يوسف بن دُرُنَاس[1] الفِنْدَلَاوىّ[2] شيخ المــالكيّة بدمشق، اسْتُشْهِد بظاهر دمشق فى حرب الفرنج ومحاصرتهم لدمشق . وكان إماما عالمــا دينّا بارعا فى فنون .

---

(١) كذا فى معجم ياقوت وتاريخ الإسلام للذهبى . وفى الاصلين : «ابن دوباس» .

(٢) كذا فى الأصلين وابن الأثير ومعجم ياقوت . والفندلاوى : نسبة الى فنــدلاو، قال ياقوت : أظنه موضعا بالمغرب . وفى شذرات الذهب وعقد الجمان : «القندلاوى» بالقاف . وفى تاريخ الإسلام للذهبى : «الفندلاوى» بالفين .

وفيها تُوفِّى الأستاذ أبو الدرّ ياقوت الرومىّ الكاتب مولى أبى المعالى أحمد بن علىّ بن البخارىّ التاجر بدمشق . قلت : وتَسَمّى بهذا الاسم جماعة كثيرة لهم ذكر، فمنهم من يُذكر هنا ومنهم من لا يُذكر على حسب الاتفاق ، وهم ياقوت هذا المذكور . وياقوت بن عبد الله الصَّقَلِّى أبو الحسن المعروف بالجمالى مولى الخليفة المسترشد بالله الفضل العَبّاسىّ ، ووفاته سنة ثلاث وستين وخمسمائة . وياقوت بن عبد الله أبو سعيد مولى أبى عبدالله عيسى بن هبة الله بن النَّقّاش ، ووفاته سنة أربع وسبعين وخمسمائة . وياقوت بن عبدالله الموصلىّ الكاتب أمين الدين المعروف بالملكىّ نسبته إلى أستاذه السلطان ملكشاه السَّلْجوقىّ ، انتشر خطّه فى الآفاق ، تُوفّى بالموصل سنة ثمانى عشرة وستمائة . وياقوت بن عبد الله الحَمَوىّ الرومىّ شهاب الدين أبو الدرّ . كان من خُدّام بعض التجار ببغداد يُعرف بعسكر الحموىّ ، وهو صاحب التصانيف ؛ تُوفّى سنة ست وعشرين وستمائة . وياقوت بن عبد الله مهذّب الدين الرومىّ مولى أبى منصور الجِيلِىّ (١) التاجر ، كان شاعرا ماهرا ، وهو صاحب القصيدة التى أوّلها : [البسيط]

إن غاض دمعك والأحباب قد بانوا * فكلُّ ما تدّعى زُورٌ وبُهتانُ

تُوفِّى سنة اثنتين وعشرين وستمائة . وياقوت بن عبد الله المُسْتَعْصِمىّ الرومىّ جمال الدين أبو المجد صاحب الخطّ البديع ، مولى الخليفة المستعصم بالله العباسىّ ، تُوفّى سنة ثمان وتسعين وستمائة . وياقوت الشَّيْخىّ افتخار الدين الحبشى مقدّم المماليك فى دولة الأشرف شعبان بن حسين ، توفّى سنة سبع وسبعين وسبعمائة . وياقوت بن عبد الله الحَبَشىّ المُعِزّىّ المسعودىّ المحدّث الفاضل ، توفّى سنة أربع وخمسين وستمائة . وياقوت بن عبد الله الأرغون شاوى الحبشىّ مقدّم

(١) فى الأصلين : «الجيلى» . وما أثبتناه عن المنهل الصافى وابن خلكان .

المماليك للأشرف برسباى ، تُوفّى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة . قلت : وهؤلاء الأعيان . وأمّا غير الأعيان فكثير. وقد آستطردنا ذكرهم هنا جملة لئلّا يلتبس أحد منهم على من ينظر فى ترجمة أحدهم فى محلّه .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وثمانى أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا .

⁂

السنة العشرون من ولاية الحافظ عبد المجيد على مصر — مات فى جمادى الآخرة ، حسب ما تقدّم ذكره — وهى سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

فيها واقع السلطان الملك العادل نورُالدين محمود بن زَنْكى بن آق سُنْقُر المعروف بالشهيد صاحبُ دمشق الفرنجَ وكسرهم الكَسْرَة المشهورة ، وقتل منهم ألفا وخمسمائة ، وأسر مثلهم ، وعاد إلى حلب بالغنائم العظيمة والأُسارى ، وبعث بعضها إلى أخيه مودود . وفيها يقول آبن القَيْسَرانىّ (١) الشاعر : [السريع]

وكم له من وقعةٍ يومُها (٢) * عند ملوك الشِّرك مشهودُ
حتّى إذا عادوا إلى مثلها * قالت لهم هيبتُه عودوا

(١) هو أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير بن داغر بن محمد بن خالد بن نصر بن داغر بن عبد الرحمن ابن المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومى الخالدى الحلبى الملقب شرف الدين المعروف بابن القيسرانى . كان من الشعراء المجيدين والأدباء المتقنين ، قرأ الأدب على توفيق بن محمد وأبى عبد الله بن الخياط ، وكان فاضلا فى الأدب وعلم الهيئة . توفى سنة ٥٤٨ هـ . (راجع ترجمته بتفصيل واف فى وفيات الأعيان لابن خلكان) .

(٢) هذه الأبيات ضمن قصيدة طويلة واردة فى كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين : النورية والصلاحية (لشهاب الدين أبى محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبى شامة المقدسى) . وهو يتضمن سيرة السلاطين : نور الدين محمود بن عماد الدين أتابك زنكى ، والسلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى ، وانتهى فيه الى سنة سبع وتسعين وخمسمائة هجرية . ومطلع القصيدة :

يا ليت أن الصدّ مصدود * أولا فليت النوم مردود

وفيما ذكره المؤلف تقديم وتأخير فى الأبيات .

مَنَاقِبُ لم تك موجودةً * إلا ونُور الدين موجود
وكيف لانُثنى على عيشنا الـ * ـمحمود والسلطان محمود

وفيها ٱفتتح نور الدين محمود أيضا حصن فَامِيَةَ ؛ وكان على حماة وحمص منه ضرر عظيم .

وفيها تُوفّى القاضى الإمام الأديب العلّامة ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد ابن الحسين الأَرَّجَانِيّ قاضى تُسْتَر . قال ٱبن خلِّكان : «والأرجانىّ : بفتح الهمزة وتشديد الراء والفتح والجيم وبعد الألف نون ، هذه نسبة إلى أَرَّجان ، وهى من كور الأهواز من بلاد خُوزِسْتان» . ٱنتهى . وقال صاحب المرآة : «كان إمام عصره فقيها أديبا شاعرا صاحب النظم الرائق . وديوان شعره مشهور بأيدى الناس ، سمع الحديث وتفقّه . وكان بليغا مُفَوَّهًا . وهو القائل : [الكامل]

أنا أشعرُ الفقهاء غيرَ مُدَافَعٍ * فى العصر وَانا أفقه الشعراء

قلت : ومن شعره — والبيت الثانى يُقرأ معكوسا : — [الوافر]

أُحِبُّ المرءَ ظاهرُه جميلٌ * لصاحبه وباطنُه سليمُ
مَوَدَّتُه تدوم لكلّ هولٍ * وهل كُلٌّ مودتُه تدوم

وفيها تُوفّى الحافظ الناقد الحجة عِياض بن موسى بن عِياض بن عمرو[1] بن موسى ابن عِياض بن محمد بن موسى بن عياض اليَحْصِبىّ السَّبْتِىّ أبو الفضل المعروف بالقاضى عِياض أحد عظماء المالكيّة . وُلِد بسَبتة فى منتصف شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة . وأصله من الأندلس ثم ٱنتقل أخيرُ أجداده إلى مدينة فاس ، ثم من فاس إلى سَبْتَة . كان إماما حافظا محدِّثا فقيها متبحِّرا ، صنّف التصانيف المفيدة ، وٱنتشر

(١) فى وفيات الأعيان لابن خلكان : «ابن عمر» .

اسمه فى الافاق و بعُـد صيته . ومن مصنّفاته كتاب «الشفا فى شرف المصطفى» . وكتاب «ترتيب المدارك وتقريب المسالك فى ذكر فقهاء مـذهب مالك» وكتاب «العقيدة» وكتاب «شرح حديث أمّ زَرْع» وكتاب «[جامع](١) التاريخ» وهو كتاب جليل، وشىء كثير غير ذلك . ومات بمَرَّاكُش فى جُمادى الآخرة . ومن شعره رحمه الله : [السريع]

أُنظـر إلى الزرع وخَاماتِه(٢) * تحكى وقد هَبَّتْ(٣) عليها الرياح
كتيبــةً خضراءَ مهــزومةً * شـقائقُ النّعمانـ فيها جِرَاح

وفيها تُوفّى الملك غَازِى بن زَنْكِى بن آق سُـنْقُر التركىّ، أخو السلطان نور الدين محمود الشهيد الأَتَابك، سـيف الدين صاحب الموصل، وهو أكبر أولاد زَنْكِى . مات فى سلخ جمادى الآخرة وله أربع وخمسون سنة، وأقام فى المُلك ثلاث سنين وشهورا . وكان شجاعا جَوَادا . وهو أوّل من حمل السِّنْجق(٤) على رأسه فى الأَتَابَكِيّة، ولم يحمله أحد قبله لأجل ملوك السلجوقيّة(٥) .

وفيهـا توفّى الأمير مُعينـ الدين أُنُر(٦) مملوك الأَتَابك طُغْتِكِين . كان مدبِّر دولة أولاد أستاذه الأتابك طُغْتِكِين، وكان جليل القدر عالى الهمّة .

---

(١) التكلة عن كشف الظنون وتذكرة الحفاظ . (٢) الخامات : جمع خامة ، وهى القصبة الرطبة من الزرع . (٣) رواية ابن خلكان وتاريخ الإسلام للذهبي وشذرات الذهب وتذكرة الحفاظ وعقد الجمان :

* تحكى وقد ماست أمام الرياح *

(٤) السنجق : اللواء والدائرة تحت لواء واحد ، و جمعه سناجق ، فارسية . (٥) عبارة عقد الجمان : «وهو أول من حمل على رأسه السنجق من أصحاب الأطراف فانه لم يكن فيهم من يفعله لأجل السلاطين السلجوقية» . (٦) كذا وجد مضبوطا بالقلم فى هامش الأصل وتاريخ ابن القلانسى . وفى ابن الأثير ضبط بالقلم بفتح النون . وفى الأصلين : «أبر» . وفى عقد الجمان : «أنز» .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيهـا تُوفّى القاضى أبو بكر أحمد بن محمـد بن الحسين الأَرَّجانى الشاعر بتُسْتَر . ومُعين الدين أُنُر الطُّغْتِكِيّ مدبّر دولة أولاد أستاذه . والحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد [بن] المستنصر العبيدىّ . والقـاضى عِياض بن موسى بن عِيـاض أبو الفضـل اليَحْصِبىّ السَّبْتِىّ بمَرّاكُش فى جمادى الآخرة . وصاحب الموصل سيف الدين غازى آبن الأتابَك .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ستّ أذرع وأربع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثمانى عشرة إصبعا .

ذكر ولاية الظافر على مصر

الظافر بالله أبو منصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله أبى الميمون عبد المجيد آبن الأمير محمد آبن الخليفة المستنصر مَعَدّ بن الظاهر علىّ بن الحاكم منصور بن العزيز بالله نِزار بن المعزّ لدين الله مَعَدّ ، التاسع من خلفاء مصر من بنى عُبَيْد، والثانى عشر منهم ممّن وَلِى من أجداده خلفاء المغرب .

بُويع بالخلافة بعد موت أبيه الحافظ فى جُمادى الآخرة سنةَ أربع وأربعين وخمسمائة ، وهو آبن سبع عشرة سنة وأشهر ؛ لأنّ مولده فى يوم الأحد منتصف شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وخمسمائة . وأمّه أم ولد تُدْعَى ستّ الوفاء، وقيل : ست المنى .

قال العلّامة شمس الدين أبو المظفّر يوسف بن قِزَأُوغْلى سِبْط آبن الجوزى فى تاريخه مرآة الزمان — بعد أن سمّاه يوسف، والصواب ما قلناه أنّه إسماعيل — قال : «وكانت أيّامه مضطربة لحداثة سنّه وآشتغاله باللّهو، وكان عبّاس(١) الصِّنْهاجىّ لمّا قتل آبن سلّار(٢) وزر له وآستولى عليه . وكان له ولد آسمه نصر، فأطمع نفسه فى الأمر وأراد قتل أبيه ، ودسّ إليه سمّا ليقتله . فعلم أبوه وآحترز وأراد أن يَقبِض عليه فما قَدر ؛ ومنعه مؤيّد(٣) الدولة أُسامة بن مُنْقِذ وقبّح عليه ذلك، وقال : إن فعلتَ هذا لم يبقَ لك أحد ويَفِرّ الناس عنك . فشرع أبوه يُلاطفه (يعنى

(١) هو أبو الفضل عباس بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ، كما فى أخبار مصر لابن ميسر ووفيات الأعيان لابن خلكان فى ترجمة ابن السلار وخطط المقريزى فى الكلام على دار عباس . (٢) هو أبو الحسن على بن سلار المنعوت بالملك العادل سيف الدين . (عن وفيات الأعيان لابن خلكان) .

(٣) هو أبو المظفر أسامة بن مرشد بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى الكلبي الشيزرى الملقب مؤيد الدولة مجد الدين . (عن وفيات الأعيان لابن خلكان) .

الوزير عباس يلاطف ٱبنه نصرًا) وقال له : عوض ما تقتلنى أُقتـل الظافر . وكان نصر ينادم الظافر ويعاشره ، وكان الظافر يثق به وينزل فى الليل إلى داره متخفّيا . فنزل ليلةً إلى داره وكانت بالسوفيّين(١) داخل القـاهرة ومعه خادم له(٢) ، فشربا ونام الظافر، فقام نصر فقتله ورمى به فى بئر . فلمّـا أصبح عبّاس (يعنى الوزير أبا نصر المذكور) جاء إلى باب القصر يطلب الظافر، فقال له خادم القصر : ٱبنُك يعرف أين هو [ومن](٣) قتله . فقال عبّاس : ما لآبنى فيه علمٌ . وأحضر أخَوَى الظافر وٱبن أخيه فقتلهم صَـبْرًا بين يديه ، وأحضر أعيان الدولة وقال : إنّ الظافر ركب البارحة فى مركب فٱنقلبت به فغَرِق(٤) . ثمّ أخرج عيسى ولد الظـافر . فتفرّقوا عن عبّـاس وٱبنه ، وثار الجند والعبيد وأهل القاهرة وطلبوا بثأر الظافر من عبّاس وٱبنه نصر . فأخذ عبّاسٌ وٱبنه نصر ما قَدَرا عليه من المـال والجواهر وهربا إلى الشام . فبلغ الفرنجَ فخرجوا إليهما ، وقتلوا عبّاسا وأسروا ٱبنه نصرًا ، وقُتل نصر فى السنة الآتية» . انتهى .

وقال القاضى شمس الدّين أحمـد بن خلّكان : « بويع يوم مات أبوه بوصية أبيه ، وكان أصغرَ أولاد أبيـه سنّا . كان كثير اللهو واللّعب ، والتفرّد بالجوارى ، وٱستماع المغانى . وكان يَأْنَس بنصر بن عبّاس . فٱسـتدعاه إلى دار أبيه ليلًا سرًّا

(١) راجع حاشية المدرسة السيوفية فيما سيأتى أثناء هذه الترجمة . (٢) عبارة المقريزى (ج ٢ ص ٣٠) : « ومعـه خادمان ، كما هى عادته ، ومشى الى دار نصر بن عباس فاذا به قد أعدّله قوما ، فعندما صار فى داخل داره وثبوا عليه وقتلوه هو وأحد الخادمين وتوارى عنهم الخادم الآخر ولحق بعد ذلك بالقصر » . (٣) زيادة عن هامش الأصل المطبوع . (٤) عبارة تاريخ ٱبن ميسر : وعرفهم أنه صح عنده أن إخوة الظافر قتلوه فأفتى الجماعة بقتلهم » .

بحيث لا يعلم به أحد ، وتلك الدار فى المدرسة الحنفيّة السيوفيّة[(١)] الآن ، فقتله بهـا وأخفى أمره . قال : وقصّته مشهورة، وذلك فى نصف المحرّم سنة تسع وأربعين وخمسمائة . وكان من أحسن الناس صــورةً . والجامع الظّافرىّ[(٢)] الذى بالقــاهرة داخل باب زويلة منسوب إليـه، وهو الذى عمّره وأوقف عليه شـيئا كثيرا » .

انتهى كلام ابن خلّكان . قلت : والجامع الظافرىّ هو المعروف الآن بجامع الفاكهانيّين على الشارع الأعظم[(٣)] بالقرب من حارة الدّيلم[(٤)] .

---

(١) المدرسة السيوفية ، لمـا تكلم المقريزى على المدارس فى الجزء الثانى من خططه قال : إن المدرسة السيوفية بالقاهرة محلها من جملة دار الوزير المأمون محمــد بن فاتك البطائحى وقفها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على الحنفية سنة ٥٧٢ هـ، وهى أول مدرسة وقفت على الحنفية بديار مصر وعرفت بالمدرسة السيوفية لأن سوق السيوفيين كان فى ذاك الوقت على بابها .

وهذه المدرســة هى التى تعرف اليوم باسم جامع الشــيخ مطهر الذى بأول شارع الخردجية على يسار الداخل إليه من جهة شارع السكة الجديدة . (٢) الجامع الظافرى — لمـا تكلم المقريزى على الجوامع فى الجزء الثـانى من خططه قال : إن جامع الظافر بالقاهرة بسوق الشوايين كان يقال له الجامع الأفخر ، ويقال له اليوم : جامع الفاكهانيين ، عمره الخليفــة الظافر بنصر الله إسماعيل ابن الخليفــة الحافظ لدين الله عبد المجيد الفاطمى سنة ٥٤٣ هـ .

وأقول إن الخليفة الظافر بنى هذا المسجد فى سنة ٥٤٨ هـ لأنه تولى فى ٥ جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ هـ ومات فى المحرم ســنة ٥٤٩ هـ وهذا الجامع موجود الى اليوم باسم جامع الفاكهانى بشارع العقادين عند تلاقيه بشارع الشوايين بالقاهرة . ويقال إنه عرف بجامع الفاكهانيين لأن سوق الفاكهة كان فى ذاك الوقت بالقرب من بابه . (٣) الشارع الأعظم — لما تكلم المقريزى على مسالك القاهرة وشوارعها فى الجزء الأول من خططه ، قال : إن الشارع الأعظم هو قصبة القاهرة من باب زويلة الى بين القصرين عند باب الخرنفش .

وأقول : إن هذا الشارع موضعه اليوم الطريق العام الذى يشمل شوارع السكرية والمناخلية والعقادين والشوايين والغورية والأشرفية والخردجية و بين القصرين حيث ينتهى عند مدخل شارع الخرنفش من شارع النحاسين . (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٣ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

وقال آبن القَلانِسِيّ : «إنّ الظافر إنّما قتله أخواه يوسف وجبريل وآبن عمهما صالح بن الحسن . قلت : وهذا القول يُؤيِّده قول ما نقله أبو المظفر من أنّ عبّاسا قتل أخَوَى الظافر وآبن عمه صَبْرًا (أعنى لمّا بلغه قتلهم للظافر قتلهم به) ؛ غير أنّ جمهور المؤرخين آتّفقوا على أنّ قاتل الظافر نصر بن عبّاس المقدّم ذكره .

قال : وكان الظافر قد ركَن إليهم (يعنى أخويه وآبن عمه) وأنِس بهم فى وقت مسرّاته ، فآتّفقوا عليه وآغتالوه ، وذلك فى يوم الخميس سلخ صفر . وحضر العادل عبّاس الوزير وآبنه ناصر الدين نصر وجماعة [من][1] الأمراء والمقدّمين [للسلام][1] على الرسم . فقيل لهم : إن أمير المؤمنين ملتاث الجسم . فطلبوا الدخول إليه فمُنِعوا ؛ فألحّوا فى الدخول بسبب العيادة فلم يمكّنوا . فهجموا ودخلوا القصر وآنكشف أمره ، فقتلوا الثلاثة وأقاموا ولده عيسى وهو آبن ثلاث سنين ، ولقّبوه بالفائز بنصر الله وبايعوه ؛ وعبّاس الوزير إليه تدبير الأمور . ثم ورد الخبر بأن طلائع بن رُزِّيك فارس المسلمين قد آمتعض من ذلك وجمع وحشد وقصد القاهرة ، وكان من أكابر الأمراء . وعلم عبّاس أنّه لا طاقة له به ، بجمع أمراءه وأسبابه وأهله وخرج من القاهرة . فلمّا قرُب من عَسْقَلان وغزّة خرج عليه جماعة من خيّالة الفرنج ، فآغترّ بكثرة من معه ؛ فلمّا حمل عليهم قُتِل أكثر أصحابه وآنهزموا ، فآنهزم هو وآبنه الصغير وأُسِر آبنه الكبير الذى قتل آبنَ سلّار مع ولده وحرمه وماله وكُراعه[2] ، وصار الجميع للفرنج ، ومن هرب مات من الجوع والعطش . ووصل طلائع بن رُزِّيك إلى القاهرة ، فوضع السيف فيمن بقى من أصحاب عبّاس ، وجلس فى مَنصِب الوزارة» . انتهى كلام آبن القلانسيّ . وما نقله غالبه مخالف لغيره من المؤرّخين . والله أعلم .

(١) الزيادة عن تاريخ آبن القلانسى . (٢) الكراع : الخيل والبغال والحمير .

وقيل غير ذلك : إنّ خدّام القصر كتبوا إلى طلائع بن رُزِّيك وهو والى قُوص[(١)] وأُسوان[(٢)] والصعيد يخبرونه بقتل الظافر و يستنجدونه على عبّاس وآبنه نصر . وكتب إليه فيمن كتب القاضى الجليس أبو المعالى عبد العزيز بن الحَبَّاب[(٣)] قصيدته الدالية التى أوّلها : [الطويل]

دمعىَ عن نظم القـريض غوادى[(٤)] * وشـفّ فؤادى شجُوه المتمادى
وأرّق عينى والعيونُ هواجـعٌ * هُمُومٌ أقضّت مَضْجَعى و وِسَادِى
بمَصْرَع أبناء الوَصِىِّ وعِترة النـ * ـبىّ وآل الذاريات وصاد
فأين بنو رُزِّيك عنهـم ونصرُهم * ومالَهـُمُ من مَنْعَـةٍ وذِياد
أولئـك أنصارُ الهدى وبنو الرّدى * وسمّ العِـدا من حاضرين و باد
لقـد هُـدّ ركن الدّين ليـلةَ قتله * بخـير دليـلٍ للنّجاة وهاد
تَدَارَكْ من الإيمان قبـل دُثُوره * حُشاشـةَ نفس آذنت بنَفَاد

(١) قوص : مدينة واقعة على الشاطئ الشرقى للنيل فى الصعيد الأعلى ، وهى اليوم قاعدة مركز قوص أحد مراكز مديرية قنا . (٢) أسوان هى من المدن المصرية القديمة واقعة على الشاطئ الشرقى للنيل بالقرب من الشلال الأوّل الذى يعلوه قناطر خزان أسوان وكانت هذه المدينة مشهورة بحركتها التجارية بين مصر و بلاد النوبة والسودان . وكانت من عهد العرب تابعة لإقليم القوصيـة ثم لولاية جرجا ثم لمديرية إسنا إلى أن صدر قرار مجلس النظار فى سنة ١٨٨٨ م بإنشاء مديرية جديدة باسم مديرية الحدود وجعل قاعدتها مدينـة أسوان . وفى سـنة ١٩٠٠ م صـدر قرار آخر بتسمية المديرية أسوان ولم تزل قاعدتها أسوان الى اليوم . (٣) كذا ضبط بالقلم فى النكت العصرية ؛ وهو القاضى الجليس أبو المعالى عبـد العزيز بن الحسين بن الحباب الأغلبى السعدى التيمى جليس صاحب مصر ، فضله مشهور وشـعره مأثور ، وكان أوحد عصره فى مصر نظما ونثرا وترسلا وشعرا . مات سنة ٥٦١ هـ وقد أناف على السبعين (عن الروضتين فى أخبار الدولتين) . وقد وجدنا فى ابن خلكان فى ترجمة يوسف بن الخلال نقلا عن الخريدة أن آسمه عبد العزيز بن الحسين بن الخشاب . (٤) كذا فى الأصلين ، وهو غير مستقيم . ولعل صوابه : «دهتنى عن نظم القريض عوادى» .

وقد كاد أن يُطفِي تألُّق نوره * على الحق عادٍ من بقية عاد (١)
فلو عاينتْ عيناك بالقصر يومَهم * ومَصْرَعَهم لم تكتحل برُقاد

وهى طويلة كلّها على هذا المِنْوال فى معنى النجدة . وقد نقلتها من خطٍّ عَقِدٍ لا يُقرأ إلّا بجهد . فلمّا بلغ ذلك طلائع بن رُزِّيك جمع ودخل القاهرة فى تاسع شهر ربيع الأوّل، وجلس فى دَسْت الوزارة، وتلقّب بالملك الصالح؛ وهو صاحب الجامع خارج بابى زويلة (٢)، وأخرج جسد الظافر من البئر التى كان رُمِى فيها بعد قتله وجعله فى تابوت ومشى بين يديه حافيًا مكشوفَ الرأس ، وفعل الناسُ كذلك ، وكثر الضجيج والبكاء والعويل فى ذلك اليوم .

وقال بعضهم وأوضح الأمر، وقوله : إنّ الظافر كان قد أحبّ نصر بن عبّاس حبّا شديدا ، وبقى لا يُفارقه ليلًا ولا نهارًا . فقدِم مؤيّد الدولة أُسامة بن مُنقذ من الشام ، فقال لعبّاس الوزير يوما : كيف تصبر على ما أسمع من قبيح القول ! قال عبّاس : وما يقولون ؟ قال يقولون : إن الظافر يَنِى (٣) على آبنك نصر. فغضب عبّاس من ذلك، وأمر آبنه نصرًا، فدعا الظافر لبيته فوثب عليه وقتله . وساق نحوًا مما سقناه من قول أبى المظفّر وآبن خلّكان . وآنتهى كلامه .

وقال صاحب كتاب المقلتين فى أخبار الدولتين : «ولمّا تمّ أمر الظافر ركب بزِىّ الخلافة وعاد إلى القصر؛ ولم يقدّم شيئا على آنتقامه من آبنى الأنصارى لِمَا كان يبلغه عنهما فى أيام والده الحافظ .

---

(١) فى الأصلين : «وقد كان ... » ز . (٢) لما تكلم المقريزى على الجوامع فى الجزء الثانى من خططه قال : إن جامع الصالح طلائع خارج باب زويلة بناه الصالح طلائع بن رزيك وزير الخليفة الفائز بنصر الله عيسى الفاطمى .

وأقول : إن هذا الجامع بنى سنة ٥٥٥ هـ وهو موجود اليوم باسم جامع الصالح تجاه باب زويلة من الخارج . ومكانه على ناصية شارعى الدرب الأحمر والخيامية بالقاهرة . (٣) فى الأصلين : « تبنى بابنك » .

وخبرُ آبنَى الأنصارىّ أنّهما كانا من جملة الكُتّاب ، وتوصّلا إلى الحافظ ، فآستخدمهما فى ديوان الجيش قصدا لتمييزهما ، وهما غير قانعين بذلك ، لمّا يعلمانه من إقبال الحافظ عليهما ؛ فوثبا على السادة من رؤساء الدولة مثل الأجلّ الموفّق أبى الحجّاج[١] يوسف كاتب دَسْت الخليفة ومشورته ، ومن يليه مثـل القاضى المرتضى المحنّك[٢] ، والخطـيرى البوّاب ؛ فتجرّأا على المذكورين وغيرهم من الأمراء مع قِلّة دُرْبة . فتتبّع القوم عَوْراتهـم ، والخليفة الحافظ لا يزداد فيهما إلّا رغبـة . ووقع لهما أمور قبيحة ، والقوم يُلْقُون الخليفة خبرهم شـيئا بعد شىء ، وهو لا يلتفت إلى قولهم . ولازال آبنا الأنصارىّ حتى صار الأكبر شريكَ الأجلّ الموفّق فى ديوان المكاتبات ، ولكن خُصِّص الموفّق بالإنشاء جميعه . ولمّا تولّى آبن الأنصارىّ نصف الديوان نُعِت بالقاضى الأجلّ سناء الملك ، بعد أن وصّاه الخليفة الحافظ أن يقنع مع الموفق بالرتبة ويدع المباشرة ، ويخدُم الموفّق . وصبَر الأجلّ الموفّق على ذلك مراعاةً لخاطر الخليفة . وأمّا آبن الأنصارى الصغير فإنّه تجنّد فتأمّر فى يوم ، وخُلِـع عليه بالطَّوْق وما يلزم الأمريّة ، وصار أمير طوائف الأجناد . فقال الناس : هو الأمير الطارى ابن الأنصارى ! . وبينما هم فى ذلك مرِض الخليفة الحافظ ومات ، وآلت الخلافة لولده الظافر هذا . فرجع لِمَا كنّا عليه من أمر الظافر مع ولدى الأنصـارىّ[٣] المذكورين . فركب الخليفة الظافر بعـد العشاء الآخرة فى الشمع بالقصر ، ووقف على باب الملك بالإيوان المجاور للشباك ، وأحضر آبنى الأنصارىّ وآسـتدعى متولّى

(١) فى الأصلين : « ابن الحجاج » . والتصويب عن عقد الجمان وكتاب الروضتين . وهو يوسف ابن محمد المعروف بابن الخلال الملقب بالموفق صاحب ديوان الإنشاء بمصر فى دولة الحافظ . توفى سنة ست وستين وخمسمائة . (راجع ترجمته بتفصيل واف فى ابن خلكان) . (٢) هو أبو عبد الله محمد بن الحسين الطرابلسى المعروف بالمحنك . (عن ابن ميسر) . (٣) فى الأصلين : « مع أولاد الأنصارى » . وسياق الكلام يأبى ذلك .

السِّتْر، وهو صاحب العذاب، وأحضرت آلات العقوبة، فضُرب الأكبر بحضوره بالسِّياط إلى أن قارب الهلاك، وثنّى بأخيه كذلك، وامر بإخراجهما وقطع أيديهما وسلّ ألسنتهما من قُفِيِّهما، وصُلِبا على بابى زويلة الأوّل والثانى زماناً .

وأقام الظافر ٱبن مَصّال[(١)] المغربىّ وزيراً مدة شهرين . فخرج عليه ٱبن سلّار، وكان واليًا على البُحيرة والإسكندرية، ولم يرض بوزارة ٱبن مَصّال المذكور، وتابعه عباس وكان واليا على الغربية، وهو ولد زوجته . فلمّا بلغ الوزير ٱبن مَصّال ذلك، خرج إلى الصعيد لكونه لم يُطِق لقاء ٱبن سلّار ومن معه على غير موافقة من الخليفة الظافر . ودخل ٱبن سلّار إلى القاهرة وزيرا ؛ فما طابت به نفس الخليفة الظافر بالله ، فباشر الأمور مباشرةً بجِدّ . وأقام الظافر خليفةً إلى أوائل سنة تسع وأربعين وخمسمائة، ولم يصفُ بين الخليفة والوزير عيشٌ قطّ ، وجرت بينهما أمور، وثبت عند ٱبن سلّار كراهة الخليفة فيه ، فٱحترز على نفسه منه ، وأقام كذلك أربع سنين وبعض الخامسة، حتّى قتله نصر بن عبّاس ٱغتيالًا فى داره . وذُكر أنّ ذلك بموافقة الخليفة الظافر على ذلك ؛ لأنّ هذا نصرا كان قد ٱختلط بالخليفة ٱختلاطًا دائما أدّى إلى حسد أكثر أهل الدولة له على ذلك . وخشى عبّاس على نفسه من ولده نصر المذكور لِمَا تمّ منه فى حقّ ٱبن سلّار ؛ فرمى بينه وبين الخليفة بمُوهِمات قبيحة، حتّى قتَل نصر الخليفة أيضا . ودفنه فى داره التى بالسيوفيّين[(٢)] ، وقتَل أستاذينِ معه .

ولمّا عُدِم الخليفة ٱستُخلِف ولده بعده، وهو أبو القاسم عيسى، ونُعِت بالفائز بنصر الله ، وكان عمره يومئذ خمس سنين . أخرجه الوزير عبّاس من عند جدّته أمّ

(١) هو الأمير نجم الدين أبو الفتح سليم بن محمد بن مصال السيد الأجل المفضل أمير الجيوش . (عن ابن ميسر وابن خلكان فى ترجمة على بن سلار) . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٠ من هذه الترجمة .

أبيه الخليفة يوم قتل عمّيه يوسف وجبريل آبنى الحـافظ ـ وهما مظلومان ـ بتهمة أنّهما قتلا أخاهما الخليفة الظافر حسدًا على الرتبة لينالاها بعده . وليس الأمر كذلك ، بل عبّاس الوزير وولده نصر قتلاه . فرآهما الخليفة هذا الصغير مقتولين، فتفزّع وآضطرب وغُشِى عليه ، ولازمه ذلك وكثر به .

قلت : وقول هذا عندى فى قتـل الخليفة الظافر أثبت الأقاويل . وبكلامه أيضـا يُعرف جميــع ما ذكرناه فى أمره من أقوال المؤرّخين ؛ فانّه ساق أمره على جليّته من غير إدخال شىء معه .

وأمّا تفصيل أمر عبّاس الوزير وآبنــه نصر فإنّ عبّاسا كان رجلا من بنى تميم ملوك الغرب ، ودخل عبّاس القاهرة فآجتمع بالخليفة ، فأكرمه وأنعم عليه بأشياء ثم خَلَع عليــه بالوزارة على العادة ولقبه ؛ فباشر عبّاس الوزارة وخدم الأمور وأكرم الأمراء وأحسن إلى الأجناد لينسيهم العـادل آبن سـلّار . وآستمّر آبنه نصر على مخالطة الخليفة الظافر ، حتّى آشـتغل الظافر عن كلّ أحد بآبن عبّاس المذكور ، وأبوه عبّاس يكره خلطتــه بالخليفة . وآنتهى الخليفة معــه إلى أن يخرج من قصره لزيارة آبن عبّاس بداره التى بالسيوفيين ، بحيث لا يعـلم عبّاس بذلك . فلمّـا علم آستوحش من الخليفة لجرأة آبنــه، وتوهّم أنّه ربمـا يحمله الخليفة على قتله . فقال عباس لآبنه سرًّا : قد أكثرت من ملازمة الخليفة حتى تحدّث النـاس فى حقّك معه بما أزعج باطنى، وربّما يتناقل الناس ذلك ويصــل إلى أعدائنا منه مالا يزول، ففهم آبنه نصر عنه وأخذته حِدّة الشباب، فقال نصر لأبيه : أيُرضيك قتله ؟ فقال أزل التهمة عنك كيف شئت . فخرج الخليفة ليلةً إلى نصر بن عبّاس على عادته، فقتله بالجماعة الذين قَتَل بهم الوزير آبن سلّار ، وقَتَل أيضا أستاذين كانا مع الخليفة

الظافر، وطَمَرهم فى بئر هناك. وأصبح عبّاس فبايع عيسى بن الظافر، ولقّبه الفائز، على ما يأتى ذكره فى أوّل ترجمة الفائز.

ولمّا تمّ لعبّاس ما قصده من قتل الخليفة وتولية ولده الخلافة، كثرت الأقاويل ووقع الناس على الخبر الصحيح بالحَدْس، فآستوحش الناس قتل هؤلاء الأئمة. وكان طلائع بن رُزِّيك واليًا على الأُشْمُونين[(1)] والبَهْنَسا[(2)]؛ فتحرّك حاشدًا على عبّاس، ولبس السواد وحمل شعور النساء حرمِ الخليفة على الرماح. فتخلخل أمر عبّاس وتفرّق الناس عنه؛ وصار الناس تُسمعه المكروه فى الطُّرقات من كلّ فجّ، حتى إنّه رُمِى من طاق ببعض الشوارع وهو جائز بهاوُن نحاس، وفى يوم آخر بقِدر مملوءة ماء حارًّا؛ فقال عبّاس: ما بقى بعد هذا شىء. فصار يدبّر كيف يخرج وأين يسلُك. فأشار عليه بعض أصحابه بتحريق القاهرة قبل خروجه منها فلم يفعل، وقال: يكفى ما جرى. فلمّا قرُب طلائع بن رُزِّيك إلى القاهرة خرج عبّاس وآبنه ومعهما كلّ ما يملكانه طالبًا للشرق. فحال الفرنج بينه وبين طريقه، فقاتل حتّى قُتِل وأُسِر ولده نصر، وفاز الفرنج بما كان معه، وذلك فى شهر ربيع الأوّل سنة تسع وأربعين وخمسمائة. وأمّا ولده نصر فنذكر أمره وقتله فى أوّل ترجمة الفائز بأوسع من هذا إن شاء الله تعالى.

وكانت قتلة الخليفة الظافر هذا فى سلخ المحرّم سنة تسع[(3)] وأربعين وخمسمائة على قول من رجّح ذلك، وله آثنتان وعشرون سنة؛ وكانت خلافته أربع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام. وتولّى الخلافة بعده ولده الفائز عيسى.

ونذكر إن شاء الله أمر قتله أيضا فى ترجمة الفائز بأوسع من هذا هناك.

---

(1) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٩٦ من الجزء الثالث من هذه الطبعة. (2) البهنسا: مدينة واقعة على الشاطئ الغربى لبحر يوسف، وهى اليوم إحدى قرى مركز بنى مزار بمديرية المنيا. (3) فى الأصلين: «سنة أربع وأربعين وخمسمائة». والتصويب عن المقريزى عند الكلام على قتل الخليفة الظافر وابن الأثير.

***

السنة الأولى من ولاية الظافر بأمر الله أبى منصور إسماعيل على مصر وهى سنة خمس وأربعين وخمسمائة .

فيها مُطِرت اليمن مطرًا دمًا، وبقى أثره فى الأرض وفى ثياب الناس .

وفيها فى المحرّم نزل الملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكِى صاحب الشام على دِمَشق وحاصرها ؛ فراسله صاحبها مُجير الدين(١)، وخرج إليه هو والرئيس آبن الصوفىّ(٢) وبذلا له الطاعة وأن يخطُب له مجير الدين بعد الخليفة والسلطان ، وأن ينقُش آسمه على الدينار والدرهم ؛ فرضى نور الدين وخلع عليه ورحل عنه . وعاد وآفتتح قلعة اعزاز .

وفيها آختلف وزير مصر آبن مَصَال المغربى والعادل آبنَ سلّار وجمعا العساكر وآقتتلا، فقُتِل الوزير آبن مَصال، وآستقلّ آبن سلّار بالوزر والملك . وقد ذكرنا نحو ذلك فى ترجمة الظافر هذا .

وفيها تُوفّى أبو المفاخر الحسن بن ذى النون(٣) الواعظ [بن أبى القاسم] . كان فاضلا صالحا إماما فقيها حنفىّ المذهب، كان يُعيد الدرس خمسين مرّة . ومن شعره : [البسيط]

مات الكرامُ ومرّوا وآنقضَوْا ومَضَوْا * ومات بعدهمُ تلك الكراماتُ
وخلّفونىَ فى قوم ذوى سَفَهٍ * لو أبصروا طَيْفَ ضيف فى الكَرى ماتوا

(١) هو آبق بن محمد بن بورى بن طغتكين أتابك أبو سعيد التركى . (راجع تاريخ ابن القلانسى وتهذيب تاريخ مدينة دمشق) . (٢) هو الرئيس أبو الفوارس المسيب بن على بن الحسين بن الصوفى ، كما فى تهذيب تاريخ دمشق . (٣) فى الأصلين : « الحسن بن أبى اللبوث » . والتصويب والزيادة عن تاريخ الإسلام للذهبى والمنتظم وابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير .

وفيها تُوفّى الأمير أبو الحسن علىّ بن دُبَيْس صاحب الحِلّة . كان شجاعا جوادا إلّا أنّه كان على عادة أهل الحِلّة رافضيّا خبيثا .

وفيها تُوفّى قتيلًا الوزير علىّ[1] بن سلّار وزير الظافر صاحب الترجمة بديار مصر. كان يلقّب بالملك العادل . وتولّى الوزر بعده عبّاس أبو نصر الذى قتل الظافر، حسب ما ذكرنا ذلك كلّه مُفصّلا .

وفيها ملكت الفرنج عَسقلان[2] بالأمان بعد أن قُتِل من الفريقين خَلْق كثير، وكان قد تمادى القتال بينهم فى كلّ سنة إلى أن سلّموها . وأخذ الفرنج جميع ما كان فيها من الذخائر وغيرها .

وفيها تُوفّى أحمد بن منير بن أحمد[3] الأديب أبو الحسين الطرابُلُسىّ الشاعر المشهور المعروف بالرّفاء . وُلِد سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة بطرابُلُس . وكان بارعا فى اللغة والعربيّة والأدب إلّا أنّه خبيث اللّسان كثير الفُحْش . حبسه الملك تاج الملوك بُورِى صاحب دمشق، وعزم على قطع لسانه؛ فآستوهبه منه الحاجب يوسف بن فيروز فوهبه له فنفاه . وكان هجا خلائق كثيرة، وكان بينه وبين آبن القَيْسرانى مهاجاة ، وكان رافضيّا . وكانت وفاته بحلب فى جُمادى الآخرة .

ومن شعره : [الطويل]

جنى وتجنّى والفؤاد يُطيعه * فلا ذاق من يجنى عليه كما يجنى
فإن لم يكن عندى كعيني ومَسْمَعِي * فلا نظرت عينى ولا سمعتْ أُذْنى

---

(١) الذى فى آبن الأثير وتاريخ الاسلام للذهبي وشذرات الذهب وتاريخ ابن القلانسى وتاريخ ابن ميسر والروضتين فى أخبار الدولتين أنه قتل سنة ٥٤٨ هـ . (٢) هذا الخبر ذكره ابن القلانسى وابن الأثير وعقد الجمان فى حوادث سنة ٥٤٨ هـ . (٣) فى ابن خلكان وشذرات الذهب وتاريخ الاسلام للذهبي وعقد الجمان أنه توفى سنة ٥٤٨ هـ .

وفيها تُوفّى الأمير تمرتاش[1] بن نجم الدين إيلغازى الأرتُقىّ صاحب ماردين وديار بكر. كان شجاعا جوادا عادلاً محبّا للعلمـاء والفضلاء يبحث معهم فى فنون العلوم . وكان لا يرى القتل ولا الحبس . ومات فى ذى القعدة، وكانت مدّته نيّفا وثلاثين سنة . وقام بعده ٱبنه .

وفيها تُوفّى حَيْدرة[2] بن الصوفىّ الذى كان أقامه مُجير الدين صاحب دمشق مقام أخيـه ، ثم وقع منه سعىٌ بالفساد، فٱستـدعاه مجير الدين إلى القلعة على حين غفلة فضرب عنقه لسوء سِيرته وقُبْح أفعاله .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هـذه السنة ، قال : وفيها توفى أبو بكر محمد بن أبى حامد بن عبد العزيز بن على الدِّينَوَرِىّ البَيِّع ببغـداد . والمبارك بن أحمد ابن بركة الكِندىّ الحبّار[3] .

§ أمر النيل فى هذه السنة ـــ المـاء القديم ست أذرع وأربع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا .

*
* *

السنة الثانية من ولاية الظافر على مصر وهى سنة ست وأربعين وخمسمائة .

فيها دخل السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقىّ إلى بغداد، وخرج الوزير ٱبن هُبيرة[4] وأرباب الدولة إلى لقائه فأكرمهم .

---

(١) فى تاريخ ابن القلانسى وتاريخ آل سلجوق أنه توفى سـنة ٥٤٩ هـ . وفى ابن الأثير وتاريخ الاسلام للذهبى وعقد الجمان أنه توفى سنة ٥٤٧ هـ . (٢) هو حيدرة بن على بن الحسين بن الصوفى أبو البيان زين الدولة الوزير وهو أخو الرئيس أبى الفوارس المسيب بن على بن الحسـين ، كما فى تاريخ دمشق فى ترجمة آبق . (٣) فى هامش الأصل المطبوع وتاريخ الاسلام للذهبى : «الخباز» . (٤) هو عون الدين أبو المظفر يحيى بن هبيرة، كما فى الفخرى فى الآداب السلطانية .

وفيها عاد الملك العادل نورالدين محمود إلى حصار دمشق، ووقع له مع مجيرالدين صاحب دمشق أمور حتّى آستنجد مجير الدين بالفرنج ، فرحل عنها نور الدين؛ ثم نازلها وتراسلا على يد الفقيه[1] برهان الدين البلخىّ وأسد الدين شِيرِكُوه[2] الكردىّ وأخيه نجم الدين أيوب، ثم تحالف نور الدين مع مجير الدين على أمر ورحل عنه .

وفيها تُوفِّى الأمير علىّ بن مُرشد [بن علىّ][3] بن المُقلَّد بن نصر بن مُنقِذ عِزّ الدين . وِلد بشَيْزَر . وكان فاضلا أديبا حسن الخط، مات بعسقلان شهيدا . وكان أكبر إخوته وبعده أُسامة . ومن شعره : [الكامل]

قد قلت للنثور إنّ الورد قد * وافى على الأزهار وهو أمير
فآفترّ ثغر الأُقْحُوان مسَرّةً * لقدومه وتلوّن المنثور

وفيها تُوفِّى الفامىّ[4] الحافظ أبو نصر عبد الرحمن بن عبد الجبّار الهَرَوِىّ العجمىّ . كان إماما عالما فاضلا، رحل وسمع الحديث وتفقّه وبَرَع فى علوم شتّى . مات فى هذه السنة فى قول الذهبىّ .

وفيها تُوفِّى الأمير نُوشْتِكِين[5] بن عبد الله الرِّضوانىّ السلجوقىّ ببغداد . كان أميرا معظَّما فى الدول وله مواقف ووقائع .

---

(١) كذا فى تاريخ ابن القلانسى وكتاب الروضتين . وهو الفقيه برهان الدين على بن محمد البلخى . وفى الأصلين : «الفقير» وهو تحريف . (٢) هو أبو الحارث شيركوه بن شادى بن مروان الملك المنصور أسد الدين عم السلطان صلاح الدين . وشيركوه : لفظ عجمى تفسيره بالعربى : أسد الجبل . فشير : أسد، وكوه : جبل . توفى سنة ٥٦٤ هـ (راجع ابن خلكان) . (٣) تكملة عن تاريخ الإسلام للذهبى . (٤) فى الأصلين : «القاضى» . والتصويب عن أنساب السمعانى وشذرات الذهب وتذكرة الحفاظ . (٥) كذا فى هامش الأصل المطبوع وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبى . وفى الأصلين : «بوستكين» .

وفيها تُوفّى القاضى أبو بكر محمـد بن عبد الله بن العربىّ الأندلسىّ المـالكىّ . كان إمام وقته مُفْتَنًّا فى علوم كثيرة، وولى القضاء مدّة طويلة، وكان مشكور السِّيرة عدلا فى حكمه .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى أبو نصر عبد الرحمن ابن عبد الجبّار الهَرَوىّ الفامىّ الحافظ . والقاضى أبو بكر محمد بن عبد الله الأندلسىّ . والأمير نُوشْتِكين الرِّضوانىّ ببغداد . وأبو الوليد يوسف بن عبد العزيز بن الدّبّاغ[1] اللّخمىّ الأندلسىّ .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم ست أذرع و إصبعان . مبلغ الزيادة ثمـانى عشرة ذراعا وأربع أصابع .

*
* *

السنة الثـالثة من ولاية الظافر أبى منصور على مصر وهى سنة سبع وأربعين وخمسمائة .

فيهـا تُوفّى محمد بن نصر أبو عبد الله العَكّاوىّ[2] ويقال له آبن صـغير القَيْسَرانىّ الشـاعر المشهور . ولد بعكّا ونشأ بقَيْسارِيّة الساحل ، ثم آنتقل إلى حلب وإلى دمشـق . فبلغ تاجَ الملوك بُورِى بن طُغْتِكِين أنّه هجاه فتنكّر له ، فهرب إلى حلب ومدح نور الدين محمود بن زَنْكى صاحبها . وله ديوان شعر مشهور، ومات بدمشق . ومن شعره فى مغنّ وأجاد إلى الغاية : [البسيط]

والله لو أنصف الفتيـان أنفسهم * أعطوْك ما آدّخروا منها وما صانوا
ما أنت حيـن تُغَنّى فى مجالسهم * إلا نسـيمُ الصَّبَا والقوم أغصـان

---

(١) هو يوسف بن عبد العزيز بن يوسف بن عمر بن فيرة بن الدباغ اللخمى الأندلسى ، كما فى تاريخ الاسلام للذهبى وتذكرة الحفاظ وكتاب الصلة لابن بشكوال . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٨٤ من هذا الجزء .

وفيها تُوفّى السلطان مسعود آبن السلطان محمد شاه آبن السلطان ملكشاه ابن السلطان أَلْب أَرْسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق السلجوقىّ . كان ملكا جليلا شجاعا طالت أيامه . قال أبو المظفّر : لم يَر أحد ما رأى من الملوك والسلاطين حتّى مرِض على همذان بأمراض حارّة ، وعسُرت مداواته . ومات فى سلخ جُمادى الآخرة . وأُقِيم بعده فى الملك آبن أخيه ملكشاه بن محمود بن محمد شاه آبن ملكشاه، فأقام ملكشاه المذكور خمسة أشهر ثمّ وقع له أمور وخُلِع . قلت : يكون ملكشاه هذا ثانى ملك من بنى سلجوق سمّى بملكشاه .

وفيها تُوفّى الشيخ الإمام الواعظ المظفّر بن أَرْدَشير أبو منصور العَبَّادِىّ(1) الواعظ . سمع الحديث الكثير، وقدِم بغداد ووعظ بجامع القصر والنِّظَاميّة ، وحصل له قبول زائد . وكان فصيحا بليغا . وترسّل بين الخليفة والملوك، وعظُم أمره .

وفيها تُوفّى القاضى أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأُرْمَوِىّ الشافعىّ . كان إماما عالما فقيها مُفْتَنًّا فى عدّة فنون، وولى القضاء زمانا ، وحُمِدت سِيرتُه .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوفّى أبو عبد الله محمد ابن الحسن بن محمد بن سعيد الدَّانِىّ ، المقرئ آبنُ غلام الفَرَس(2) . وأبو الفضل محمد ابن عمر بن يوسف الأُرْمَوِىّ القاضى الشافعىّ . وأبو نصر محمد بن منصور ابن عبد الرحيم النَّيْسَابورِىّ الحُرْضِىّ فى شوّال، وله تسعون سنة . والسلطان مسعود ابن محمد بن ملكشاه السلجوقىّ .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع وسبع أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وأربع أصابع .

---

(1) العبادى : نسبة الى شنك عباد (بكسر الشين المعجمة وسكون النون والكاف) . ويكتبها المحدّثون سنج عباد ، قرية بمرو . (عن معجم البلدان لياقوت) .

(2) الفرس : اسم رجل من تجار دانية اسمه موسى . كان سعيد جدّ هذا المقرئ يتولاه ، فقيل له غلام الفرس . (عن شرح القاموس) .

*
* *

السنة الرابعة من ولاية الظافر أبى منصور على مصر وهى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .

فيها آنحل أمر بنى سلجوق بآستيلاء الترك على السلطان سِنجَرشاه السلجوقىّ . وسببه أنّه لمّا آلتقى مع خاقان ملك الترك وخُوَارَزْم شاه قبل تاريخه ، وآنهزم منهم تلك الهزيمة القبيحة التى قُتِل فيها خلائق من العلماء والفقهاء وغيرهم، وعاد خاقان إلى بلاده، ثم صالح سِنجَرشاه خُوَارَزْم شاه، وبقى[١] فى قلب سِنْجرشاه ما جرى عليه. فلمّا حسُن أمره تجهّز للقاء الترك ثانيا بعد أمور صدرت بينهم، وآلتقى معهم فآنكسر ثانيا، وآستولَوْا عليه وجعلوه فى قفص حديد، فبقى فيه مدّة وهو يخدُم نفسه وليس معه أحد. وآقتصّ الله منه للخليفة المسترشد وآبنه الراشد ما كان فعله معهما حسب ماتقدم ذكره . وآمتُحِن بأشياء إلى أن مات، على ما يأتى ذكره إن شاء الله .

وفيها تُوفّى القاضى محفوظ[٢] بن أبى محمد الحسن بن صصرى أبو البركات ، ويُعرف بالقاضى الكبير . كان إماما عالما مشهورا بالخير والعَفَاف. ومات بدمَشق فى ذى الحجّة وقد بلغ ثمانين سنة .

وفيها تُوفّى الشيخ الزاهد المُسَلِّك أبو العبّاس أحمد بن أبى غالب بن الطَّلاية الصوفىّ العارف فى شهر رمضان .

---

(١) الظاهر أن هذه الجملة هى جواب الشرط وأن الواو فيها من زيادات النساخ .

(٢) فى تاريخ دمشق وتاريخ الاسلام للذهبى وتاريخ ابن القلانسى أن وفاته فى سنة ٥٤٥ هـ . وذكر نسبه فى تاريخ الاسلام وتاريخ دمشق هكذا : «هو محفوظ بن الحسن بن محمد بن الحسن بن أحمد بن الحسين ابن صصرى أبو البركات الدمشقىّ»

وفيها تُوفّى الحافظ أبو الفرجُ عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر اليُوسفىّ . كان إماما حافظا محدِّثا ، سمع الكثير ورحل وكتب وصنّف . ومات فى المحرّم وله أربع وثمانون سنة .

وفيها تُوفّى الأفضل أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشَّهْرَسْتَانِىّ الإمام العالم المتكلِّم . كان إمام عصره فى علم الكلام عالمـًا بفنون كثيرة من العلوم، و به تخرّج جماعة كثيرة من العلماء .

وفيها تُوفّى شيخ الصوفيّة فى زمانه أبو الفتح محمد بن عبد الرحمن بن محمد المَرْوَزِىّ الكُشْمِيهَنِىّ . كان إمامًا مُسَلِّكا عارفا بطريق القوم، إمام عصره فى علم التصوّف وغيره، وللناس فيه محبّة وآعتقاد حسن .

وفيها تُوفّى الشيخ الإمام أبو سعد محيي الدين محمد بن يحيي النَّيْسابورىّ الشافعىّ تلميذ أبى حامد الغَزَالىّ فى شهر رمضان حين آستباحت الترك نَيْسابور . وكان فقيها إماما عالمـا مصنّفا .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وخمس عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وستّ أصابع .

ذكر ولاية الفائز بنصر الله على مصر

هو أبو القاسم عيسى آبن الخليفة الظافر بأمر الله أبى منصور إسماعيل آبن الخليفة الحافظ أبى الميمون عبـد المجيد بن محمد ــ ومحمد هذا ليس بخليفة ــ آبن الخليفة المستنصر بالله مَعَدّ آبن الخليفة الظاهر[(١)] لإعزاز دين الله على آبن الخليفة الحـاكم بأمر الله منصـور آبن الخليفة العزيز بالله نِزَار آبن الخليفة المُعِزّ لدين الله مَعَدّ أول خلفاء مصر آبن الخليفة المنصور إسماعيل آبن الخليفة القائم بأمر الله محمد آبن الخليفة المهدىّ عُبَيْد الله ، العُبَيْدىّ الفاطمىّ المغربىّ الأصل المصرىّ العـاشر من خلفاء مصر من بنى عُبَيد والثالث عشر من أصلهم المهدىّ أحد خلفاء بنى عبيد بالمغرب. وأُمّ الفائز هذا أمّ ولد يقال لها زين الكمال .

قال أبو المظفَّر بن قَزَأُوغِلى فى تاريخه مرآة الزمان : «مولده فى المحرّم سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وتُوُفّى وهو آبن إحدى عشرة سنة وشهور» . وزاد آبن خَلِّكان بأن قال : لتسع بَقِين من المحـرّم[(٢)] . قال : وكانت أيّامه ستّ سنين وسـتة أشهر وسبعة عشر يومًا . وبين وفاته ووفاة المُقْتَفِى (يعنى خليفة بغداد العبّاسىّ) أربعةُ أشهر وأيّام . قلت : وقوله «وبين وفاته ووفاة المقتفى أربعة أشهر وأيام» لا يُعرف بذلك مَن السابق منهما بالوفاة . وأنا أقول : أمّا السابق فهو الخليفة المقتفى الآتى ذكره ، إن شاء الله ؛ فإنّ وفاة المقتفى فى شهـر ربيع الأوّل، ووفاة الفـائز هذا صاحب الترجمة فى شهر رجب .

---

(١) فى الأصلين هنا : « الظاهر بالله » والتصويب عن ترجمته التى تقدّمت .

(٢) كذا فى ابن خلكان . وفى الأصلين : «لتسع بقين من ذى الحجة» .

قال صاحب المرآة : «وقام بعده أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ . ولم يكن أبوه خليفة، وأمّه (يعنى عبد الله) أمّ ولد تدعى ستّ المنى، ولقّب بالعاضد» . انتهى كلام صاحب المرآة .

وقال صاحب كتاب المُقلتين فى أخبار الدولتين : «ولمّا أصبح الوزير عبّاس (يعنى صبيحة قتل الخليفة الظافر بأمر الله) ركب إلى القصر ودخل إلى مقطع الوزارة من غير آستدعاء، فأطال جلوسه ولم يجلس الخليفة له، فآستدعى عبّاسُ زمامَ القصر، وقال له : إن كان لمولانا ما يَشْغَله عنّا فى هذا اليوم عُدنا إليه فى الغد . فمضى الأستاذ وهو حائر فيما يعمل وقد فُقِد الخليفة . فدخل إلى أخَوَى الخليفة يوسف وجبريل، وهما رجلان أحدهما مُكْتهل، فأخبرهما بالقصّة، ولما كان عندهما من خروج أخيهما البارحة إلى دار نصر بن عبّاس خبرٌ ولا آطّلاعا عليه إلّا فى تلك الساعة، فما شكّا فى قتل أخيهما الخليفة الظافر، وقالا للزّمام : إن آعتذرت اليوم هل يتمّ لك هذا مع الزمان ؟ فقال الزّمام : ما تأمرانى به؟ قالا : تَصدُقُه وتحقّقه . وكان للخليفة ولد عمره خمس سنين آسمه عيسى . فعاد الزّمام إلى عبّاس وقال له : ثَمّ سِرٌّ أقوله إليك بحضور الأمراء والأستاذين . فقال عبّاس : ما ثَمّ إلّا الجهر . قال : إنّ الخليفة خرج البارحةَ لزيارة ولدك نصر فلم يَعُد بغير العادة . فقال عبّاس : تكذب يا عبدَ السوء! إنّما أنت مبايع أخويه يوسف وجبريل اللذين حسداه على الخلافة فآغتالاه، وآتّفقتم على هذا القول . فقال الزّمام : معاذَ الله! قال عبّاس : فأين هما؟ فخرجا إليه ومعهما آبن أخ لهما آسمه صالح بن حسن الذى قتل والده الخليفة الحافظ بالسمّ . وقد تقدّم ذكر قتله فى ترجمة أبيه الحافظ عبد المجيد .

قال : فلمّا حضروا قال لهم عبّاس الوزير : أين الخليفة؟ فقالوا : حيث يعلم آبنُك ناصر الدين . قال لا . قالوا : بلى ! وهذا بُهْتانٌ منك، لأنّ بَيْعة أخينا

فى أعناقنا ، وهؤلاء الأمراء الحاضرون يعلمون ذلك ، و إنّا فى طاعته بوصيّة والدنا ، وأقاما الحجّة عليه . فكذّبهما وأمر غلمانه بقتل الثلاثة فى دارهم . ثم قال للزِّمام : أين آبن مولانا؟ قال حاضر. فقال عبّاس : قُدَّامى إلى مكانه. فدخل الوزير عبّاس بنفسه إليه ، وكان عنـد جدّته لأمّه ، فحمله على كتفه وأخرجه للنّاس قبل رفع المقتولين ، وبايع له بالخلافة ، ولقّبه بالفـائز بنصر الله . فرأى الصبيّ القَتْلَى فتفزّع وآضطرب ودام مدّة خلافته لايَطِيب له عيش من تلك الرجفة . وتم أمر الفـائز فى الخلافة ، ووزر له عبّاس المذكور ، إلى أن وقع له مع طلائع بن رُزِّيك ما سنذكره من أقوال جماعة من المؤرّخين . وقد ذكرنا منه أيضا نبذةً جيّدة فيما مضى ، ولكن آختلاف النقول فيها فوائد .

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبىّ فى تاريخ الإسلام — بعـد أن ساق نسب الفائز هذا حتّى قال — : «بويع بالقاهرة حين قُتِل والده الظافر وله خمس سنين ، وقيل : بل سنتان ، فحمله الوزير عبّاس على كتفه ووقف فى صحن الدار به مظهر الحزن والكآبة ، وأمر أن يدخل الأمراء فدخلوا ؛ فقال لهم : هـذا ولد مولاكم ، وقد قَتَـل عمّاه مولاكم ، وقد قتلتهما كما تَرَوْن به ، وأشار إلى القَتْـلَى ، والواجب إخلاص الطاعة لهذا الولد الطفل . فقالوا كلّهم : سمعنا وأطعنا ، وضجّوا ضجّةً واحدة بذلك . ففزع الطفل (يعنى الفائز) ، ومال على كتف عبّاس من الفَزَع . وسمّوه الفائز ، ثم سيّروه إلى أمّه وقد آختلّ عقله من تلك الضجّة فيما قيل ، فصار يتحرّك فى بعض الأوقات و يُصْرَع — قلت : على كلّ قول كان الفائز قد آختلّ عقـله — . قال : « ولم يبق على يد عبّاس الوزير يد ودانت له الممالك . وأمّا أهل القصر فإنّهم آطّلعوا على باطن القصّة فأخذوا فى إعمـال الحيلة فى قتل عبّاس وآبنه ، فكاتبوا طلائع بن

رُزِّيك الأَرْمَنِيّ والى مُنْيَــة بنى خَصِيب[(١)] . ثم ساق الذهبيّ قصّة طلائع مع الوزير عبّـاس .

وقال آبن الأثير : «اتّفق أنّ أسامة بن منقذ[(٢)] قدم مصر، فآتّصل بعبّاس الوزير وحسّن له قتل زوج أمّه العادل بن سَلّار فقتله، وولّاه الظافر الوزارة من بعده، فآستبدّ بالأمر وتمّ له ذلك . وعلِم الأمراء [والأجناد][(٣)] أنّ ذلك من فعل آبن منقِذ فعزموا على قتـله . فخلا بعبّاس وقال له : كيف تصـبر على ما أسمع من قبيح قول الناس إنّ الظافر يفعل بآبنك نصر — وكان من أجمل الناس، وكان ملازما للظافر — فآنزعج لذلك وقال : كيف الحيلة ؟ قال : اقتله فيذهب عنك العار . فآتّفق مع آبنه على قتله . وقيل : إنّ الظافر أقطع نصر بن عبّاس [قرية][(٣)] قليوب[(٤)] كلّها فدخل وقال: أقطعنى مولانا قليوب . فقال آبن منقِذ : ما هى فى مهرك بكثير ! » .

---

(١) منية آبن خصيب : واقعة على الشاطئ الشرقى للنيل، سميت منية الخصيب نسـبة الى الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر فى عهد الخليفة هارون الرشـيد العباسى، و يقال لها : منية آبن خصيب . وقد ورد آسمها فى معجم البلدان : منية أبى الخصيب . وفى الخطط المقريزية : منية الخصيب . وفى التحفة السنية لابن الجيعان : منية بنى خصيب فى إقليم الأشمونين . وقد حذف المضاف اليـه واستبدل به أداة التعريف اختصارا فاشتهرت باسم المنية ثم المنيا، وهو اسمها الحالى . وكانت فى الزمن المـاضى إحدى قرى الأشمونين . ولمـا أنشئت مديرية الإقليم الوسطى فى سنة ١٢٤٥ هـ — ١٨٣٠ م محل البهنساوية نقلت قاعدتها إلى مدينـة المنيا، وفى سنة ١٢٤٩ — ١٨٣٣م أنشئت مديرية المنيا لأول مرة فى جغرافية مصر فأصبحت المنيا قاعدتها إلى اليوم . (٢) هو مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشـد الكنانى الشـيزرىّ المعروف بآبن منقذ مؤلف كتاب الاعتبار فى التاريخ . (٣) زيادة عن آبن الأثير .

(٤) قليوب : هى من البلاد القديمة واقعة شمال القاهرة وعلى بعد خمسة عشر كيلومترا منها، وأما محطتها فعلى بعد أربعة عشر كيلومترا من القاهرة، و إلى قليوب تنسب مديرية القليوبية حيث كانت قليوب قاعدتها قبل أن تنقل القاعدة إلى بنها . وقليوب اليوم بلدة عامرة وهى قاعدة مركز قليوب أحـد مراكز مديرية القليو بيـــة .

بجرى ما ذكرناه ، وهربوا وقصدوا الشام على ناحية أَيْلة[1] فى شهر ربيع الأوّل سنة تسع وأربعين . وملك الصالح طلائع بن رُزِّيك ديار مصر من غير قتال، وأتى إلى دار عبّـاس المعروفة بدار الوزير المأمون بن البطائحىّ التى هى اليوم المدرسـة[2] السُّيوفيّـة الحنفيّة، فآستحضر الخادم الصـغير الذى كان مع الظافر لـمّـا نزل سرًّا، وسأله عن الموضـع الذى دُفِن فيـه فعرّفه به . فقلع البلاطة التى كانت على الظافر ومن معه من المقتولين، وحُملوا وقُطِّعت عليهم الشعور وناحوا عليهم بمصر، ومشى الأمراء قُـدّام الجنازة إلى تربة آبائه . فتكفّل الصالح طلائع بن رُزِّيك بالصـغير (يعنى الفائز هذا) ودبّر أحواله .

وأمّا عبّاس ومن معه فإنّ أخت الظافر كاتبت الفرنج الذين بعَسْـقَلان الذين آستَوْلَوْا عليها من مُدَيْدة يسيرة، وشَرَطَت لهم مالًا جزيلًا إذا خرجوا عليه وأخذوه، فخرجوا عليـه فواقعهم فقُتِـل عبـاس وأخذت الفرنج أمواله وهرب آبن مُنْقِـذ فى طائفة إلى الشام ؛ وأرسلت الفرنج نصر بن عبّاس إلى مصر فى قَفَص حديد . فلما وصل سلّم رسولهم المـال وذلك فى [شهر] ربيع الأوّل سنة خمسين وخمسمائة، ثم خَلَعت[3] أخت الظافر يد نصر وضُرِب ضربًا مهلكا،وقُرِض جسمه بالمقاريض، ثم صُلِب على باب زويلة حيًّا ثم مات،وبقِى مصلوبًا إلى يوم عاشوراء سنة إحدى وخمسين ، ثم أُنزِل وأُحرِقت عظامه . وقيــل : إنّ الصالح طلائع بن رُزِّيك بعث إلى الفرنج بطلب نصر بن عبّاس وبذَل إليهم أموالا. فلمّا وصل سلّمه الملك الصالح

(١) راجع الحاشـية رقم ١ ص ١٣٥ من الجزء الثانى من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٠ من هذا الجزء . (٣) فى الأصل الفتوغرافى : «قطعت» .

إلى نساء الظافر فاقمن يضربنه بالقباقيب والزرابيل[(١)] أياما ، وقطّعن لحمه وأطعمنه إيّاه ، إلى أن مات ثم صُلِب .

وتكفّل الصالح طلائع بن رُزِّيك أمر الصبيّ (أعنى الفائز) وساس الأمور وتلقّب بالملك الصالح ، وسار في الناس أحسن سيرة . وفُخِّم أمره وكان طلائع أديبا كاتبا . ولمّا ولى الوزر وتلقّب بالملك الصالح خُلِع عليه مثل الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالىّ من الطيلسان المقوّر ، وأنشئ له السّجلّ ؛ فتناهى فيه كُتّاب الإنشاء . فمما قيل فيه :

« واختصّك أمير المؤمنين بطيلسان غدا للسيف توْءَما ، ليكون كلّ ما أُسْنِد إليك من أمور الدولة معلما . ولم يُسمع بذلك إلّا ما أُكْرِم به الإمامُ المستنصر بالله أميرُ المؤمنين أميرَ الجيوش أبا النجم بدرا وولده أبا القاسم شاهنشاه ، وأنت أيها السيد الأجلّ الملك الصالح . وأين سعيُهما من سعيك ، ورعيهما الذِّمام من رعيك ؛ لأنك كشفت الغُمّة ، وانتصرت للأئمة ، وبيّضت غياهب الظلمة ، وشفَيْت قلوب الأمة » . وأشياء غير ذلك . وعظُم أمر الصالح طلائع إلى أن وقع له ما سنذكره . كلّ ذلك والفائز ليس له من الخلافة إلّا مجرّد الاسم فقط ، وذلك لصغر سنّه .

ولمّا استفحل أمر الصالح طلائع أخذ في جمع المال ، فإنّه كان شَرِها حريصا على التحصيل . وكان مائلا إلى مذهب الإمامية[(٢)] (أعنى أنّه كان متغاليًا في الرّفْض) فمال على المستخدَمين في الأموال ، وأخذ يعمل على الأمراء المقدّمين في الدولة ، مثل ناصر الدولة[(٣)] ياقوت ، وكان صاحب الباب ، وناب عن الحافظ في مَرْضة مرضها

(١) الزرابيل : نوع من الخفاف تلبسه الجوارى . (٢) الإمامية : هم القائلون بإمامة على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وهم خمس عشرة فرقة . (راجع الفرق بين الفرق والملل والنحل) .
(٣) في الأصل الفتوغرافى : « فاخر الدولة » .

مدّة ثلاثة أشهر، وطلب أن يُوزّره فأبى ياقوت المذكور . ومثل الأوحد بن تميم، فإنّه كان من أعيان الأمراء . ولمـّا سمع بقصّة عبّاس من قتله الظافرَ، وكان واليا على دِمياط[1] وتِنّيس[2]، تحرّك لطلب دم الظافر وقصد القاهرة، فسبقه طلائع بن رزيك بيوم واحد، فخاب قصده، فردّه طلائع بن رُزّيك إلى ولايته، وأضاف إليـه الدّقَهْلِيّـة والمُرْتاحيّة[3] . وبقى تاج الملوك قايماز بالقاهرة، وهو من كبار الأمراء، وآبن غالب لاحق به، فحَمَل الأجنـادُ عليهـما يطلبونهما، فخرجا فى جماعتهما، فتكاثر عليهـما الأجناد فقُتِـلا ونُهبت دورهما بأطماع الصالح طلائع بن رزيك فى ذلك .

---

(١) دمياط : هى من ثغور مصر القديمة واقعة على الشاطئ الشرقى لفرع النيل المسمى باسمها بينها وبين مصبه فى البحر الأبيض المتوسط ١٥ كيلو متر . وهى اليوم إحدى محافظات مصر . (٢) تنيس : اسم مدينـة قديمة كانت قائمة فى جزيرة صغيرة واقعـة فى الجهة الشمالية الشرقية من بحيرة المنزلة على بعـد ٩ كيلو مترات من الجنوب الغربى لمدينة بور سعيد . وبسبب إغارة الصليبيين على مصر أمر الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر الأيوبى فى سنة ٦٢٤ هـ ١٢٢٧ م بإخراج سكان هذه المدينة منها ونقلهم إلى دمياط . ومن ذاك الوقت خربت تنيس ولم يبق منهـا إلا رسومها فى بحيرة المنزلة . ويلاحظ التميز بين تنيس هـذه التى بكسر التاء وتشديد النون وبين تانيس التى هى صان الحجر بمركز فاقوس، وبين تنيس بغير تشديد، ويقال : لها التينة، وهى التى تعرف اليوم باسم البربا بمركز جرجا وهى مسقط رأس الملك مينا أول ملوك مصر الفراعنة .

(٣) المرتاحية . هو آسم أحد الأقاليم المصرية بالوجه البحرى فى العهد العربى، وكان يقال لها : كورة المرتاحية ثم الأعمال المرتاحية . وكان إقليم المرتاحية واقعا فى المنطقة التى تشمل اليوم بلاد مركزى المنصورة وأجا بمديرية الدقهلية، وكان يجاوره من الجهة البحرية إقليم الدقهلية . وكان إقليم الدقهلية فى ذاك الوقت واقعا فى المنطقة التى تشمل اليوم بلاد مراكز فارسكور ودكرنس والمنزلة بمديرية الدقهلية، وفى زمن حكم دولتى المماليك جعل هذان الاقليمان إقليما واحدا باسم إقليم الدقهلية والمرتاحية، وفى عهد الحكم العثمانى اختصر باسم الدقهلية، ولم يزل يطلق لغاية اليوم على مديرية الدقهلية التى قاعدتها مدينة المنصورة .

ثم إنّ طلائع ما آتسع له قُرْبُ الأوحد بن تميم بدِمْياط[1]، فقلّده أسيوط وإخميم[2] . وكان ناصر الدولة بقوص من وزارة عباس ؛ وكان آبن رُزِّيك لمّا آستُدعي لأخذ الثأر وهو بالأُشْمُونين لم يجسُر على الحركة إلّا بعد مكاتبة ناصر الدولة بذلك، وآستدعاه آبن رُزِّيك ليكون الأمر له . فكاتبه ناصر الدولة بإزهاده في ذلك، وأنّه سئل به وتركه في أيام الحافظ عن قدرة، وآعتقد أنّه لا يُفلح لأنّه لم يتحقق ما كان من عبّاس . فعند ذلك خلت القاهرة لطلائع بن رُزِّيك من مماثل . وأظهر مذهبَ الإماميّة، وباع الولايات للأمراء، وجعل لها أسعارا، ومدّتها ستة أشهر؛ فتضرّر الناس من تردّد الوُلاة عليهم في كلّ ستة أشهر . وضايق القصرَ طمعًا في صغر سنّ الخليفة، فتعب الناس معه . وجعل له مجلسًا في أكثر الليالي يحضُره أهل الأدب، ونظَم هو شعرا ودوّنه، وصار الناس يُهرعون إلى نقل شعره؛ وربّما أصلحه له شاعر كان يصحَبه يقال له آبن الزُّبير[3] . وممّا نُسِب إليه من الشعر .

---

(١) أسيوط : بلدة مصرية قديمة واقعة على الشاطئ الغربي للنيل . وكانت هذه المدينة في عهد الفراعنة قاعدة قسم «بوتف خنت» وفي عهد الرومان قاعدة قسم «ليكو» وفي العهد العربي قاعدة كورة الأسيوطية، وفي العهد العثماني ألغى هذا القسم وأضيفت بلاده الى ولايتي المنفلوطية وجرجا . وفي سنة ١٢٤١هـ — ١٨٢٦م أعيد إنشاء إقليم أسيوط باسم مأمورية أسيوط اذ كانت المديريات في ذلك الوقت تسمى مأموريات وجعلت أسيوط قاعدة لها . وفي سنة ١٢٤٩هـ — ١٨٣٣م . سميت المأموريات باسم مديريات ومنها مديرية أسيوط وقاعدتها مدينة أسيوط الى اليوم . (٢) إخميم وهي من البلاد المصرية القديمة واقعة على الشاطئ الشرقي للنيل . وكانت إخميم في عهد الفراعنة قاعدة قسم «خمينو» وفي عهد الرومان قاعدة قسم «بانوس» وفي عهد العرب قاعدة كورة الإخميمية، واستمرت كذلك إلى آخر حكم دولتي المماليك، وفي العهد العثماني ألغيت الإخميمية وأضيفت بلادها الى ولاية جرجا وأضحت إخميم إحدى بلاد مركز سوهاج . وفي سنة ١٩٠٣م صدر قرار من الداخليــة بفصل البلاد الواقعــة شرق النيل من مركز سوهاج وجعلها مركزا باسم إخميم وهي قاعدة المركز من تلك السنة إلى اليوم . (٣) هو الحسن بن علي بن إبراهيم بن الزبير الملقب بالقاضي المهذب . كان كاتبا مليح الخط جيد العبارة حسن الألفاظ . واختص بالصالح بن رزيك، ويقال إن أكثر الشعر الذي في ديوان الصالح إنما هو من شعر المهذب، وحصل له من مال الصالح شيء جم . ومن شعره :

لقد طال هذا الليل بعــد فراقه * وعهــدي به قبل الفراق قصير
وكيف أرجي الصبح بعدهم وقد * تولت شموس بعــدهم وبدور

قـــوله [الكامل]

كم ذا يُرينا الدهر من أحداثه * عِبرًا وفينا الصّــدُّ والإعراضُ
نَنْسى المماتَ وليس نُجرى ذكرَه * فينا فتُـذْكِرنا به الأمراض

وله من قصيدة : [الوافر]

مَشيبُكَ قـد رمَى(١) صِبْغَ الشبابِ * وحلّ البـازُ فى وَكْر الغُــرابِ

ومنهـا :

فكيف بقاءُ عمرك وهـو كنزٌ * وقـد أنفقتَ منـه بلا حساب

فلمّـا تَقُلتْ(٢) وطأته على القصر ، وكان الخليفة الفائز فى تدبير عمتـه ، شرعت فى قتـل طلائع بن رُزِّيك المذكور، وفرّقت فى ذلك مالًا يقرُب من خمسين ألف دينار. فعلم آبن رُزِّيك بذلك، فأوقع بها وقتلها بالأستاذين والصقالبة سرًّا، والخليفة فى واد آخر من الآضطراب. ثم نَقَل آبن رُزِّيك كفالة الفـائز إلى عمّته الصغرى، وطيّب قلبها و راسلها. فما حماه ذلك منها بل رتّبت قتله. وسعى لها فى ذلك أصحاب أختها المقتولة؛ فرتّبت قوما من السودان الأقوياء فى باب السِّرداب فى الدِّهليز المظلم الذى يُدْخَل منـه إلى القـاعة ، وقوم أُخَر فى خزانة هناك وفيهم واحد من الأجْناد يقال له آبن الراعى(٣) . فدخل يوم خمســة من شهر رمضان سنة ستّ وخمسين وخمسمائة؛ فلمّـا آنفصل من السلام على الخليفة ، وكان صاحب البـاب فى ذلك اليوم أميرًا يقال له آبن قوّام الدولة ، وكان إماميًّـا ، فيقال : إنّه أخلى الدِّهليز من الناس حتّى لم يبق فيه أحد، و إنّه آستوقفه أستاذ يقال له عنبر الربعى بحديث طو يل. وتقـدّم طلائع بن رُزِّيك ومعـه ولده رُزِّيك ، فأرادت الجماعة المخبّاة أن تخرج ،

(١) فى ابن خلكان وعقد الجمان : «قد قضا» . (٢) فى الأصلين : «فشرعت» بز يادة الفاء.
(٣) فى آبن الأثير (ج ١١ ص ١٨١ طبع أوروبا) : «ابن الداعى» بالدال .

فوجدوا البـاب مغلقا، وخافوا من خلعه التشغيب[١]؛ فخرجت عليه الجماعة الأخرى فضربوا رُزِّيك بن الصالح طلائع ضربة أوقعت عَضُده الأيمن، وجُرِح أبوه الصالح طلائع بن رُزِّيك من آبن الراعى المذكور. وقيل: إنّ طلائع كان متخوما فآستفرغ بالدّم، فأكبّ على وجهه وأُخِذ[٢] منديله من على رأسـه؛ فعاد إليـه رجل يقال له ابن الزُّبْد[٣]، فألبسه المنديل، وخرج به محمولا على الدّابة لا يُفيق. فقيل: إنّه كان يقول إذا أفاق: رحمك الله ياعبّاس (يعنى بذلك عبّاسا الوزير الذى قتل الخليفة الظافر).

وكان الفائز قد مات، وتولّى الخلافةَ العاضـد، وهو أيضا تحت تَحْجر طلائع المذكور. فمات طلائع سَحَرًا. وكان طلائع قد ولّى شاوَر[٤] قوص[٥] ونَدِم على ولايته، فأراد آستعادته من الطريق؛ فسبقه شاوَر حتّى حصل بها، وطلب منه كلّ شهر أربعمائة دينار، وقال: لابدّ لقوص من والٍ، وأنا ذلك؛ والله لا أدخل القـاهرة، ومتى صرفنى دخلت النُّوبة. ولمّـا مات الصالح طلائع بن رُزِّيك وطلب ولده رُزِّيك، طلبت عمّة الفائز رُزِّيكَ، وأحضرت له الذى ضربه فى عضده الأيمن، وأحضرت أيضا سـيف الدين حسين آبن أخى طلائع، وحلفتْ لهما أنّها لم تدرِ بما جرى على أبيه الصالح، وأنّ فاعل ذلك أصحاب أختها المقتولة؛ وخلعت على رُزِّيك بالوزارة عوضا عن أبيه طلائع بن رزّيك، وفسحتْ له فى أخذ من آرتاب به فى قتل أبيه. فأخذ آبنَ قوّام الدولة فقتله وولده، والأستاذ الذى شغله. وأقام رُزِّيك المذكور

(١) التشغيب: كثرة الجلبة. وفى الأصلين: «التشعيث». (٢) فى الأصلين: «وأخذت».

(٣) هو أبو الحسن على بن الزبد، كما فى النكت العصرية (ج ١ ص ٣٥). مضبوطا بالقلم.

(٤) هو أبو شجاع شاور بن مجير بن نزار بن عشائر بن شاس بن مغيث بن حبيب بن الحارث بن ربيعة ابن نخيس بن أبى ذؤيب عبد الله والد حليمة مرضع رسول الله صلى الله عليه وسـلم. توفى سنة ٥٥٩ هـ (راجع ترجمته فى ابن خلكان بتفصيل واف). وضبطه صاحب عقد الجمان بالقلم (بفتح الواو).

(٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٢ من هذا الجزء.

فى الوزارة سنة وكسرا، فما رأى النـاس أحسن من أيامه، وسامح النـاس بما عليهم من الأموال البواقى الثابتة فى الدواوين ، ولم يُسبَق إلى ذلك . ودام فى الوزارة حتى قيل : اِصرِف شاوَر من قُوص يتمّ الأمر لك . فأشار عليه سيف الدين حسين بإبقائه ، فقال رُزِّيك : مالى طمع فيما آخذه منه ، ولكن أُريده يطأ بساطى . فقيل له : ما يدخل أبدا ، فما قَبِل . وخلع على أمير يقال له آبن الرفعة بولاية قوص عوضا عن شاوَر ، فخرج شاوَر من قوص فى جماعة قليلة إلى الواحات[1] .

وأما رُزِّيك الوزير فإنّه رأى مناما أخبر به آبنَ عمّه سيف الدين[2] حسين ؛ فقال له حسين : إنّ بمصر رجلا يقال له آبن الإيتاخى حاذقًا فى التعبير ، فأحضره رُزِّيك وقال له : رأيت كأنّ القمر قد أحاط به حنش ، وكأنّى روّاس فى حانوت . فغالطه المعبِّر فى التفسير ، وظهر ذلك لسيف الدين حسين ، فأمسك إلى أن خرج المعبِّر فقال له : ما أعجبنى كلامك ، والله لابدّ أن تصدُقنى ولا بأس عليك . فقال : يا مولاى ، القمر عندنا هو الوزير ، كما أنّ الشمس خليفة ، والحنش المستدير عليه هو جيش مصحف ، وكونه روّاسا اِقلبها تجـدها شاور مصحّفا أيضا . فقال له حسين : اُكتم هـذا عن النـاس . وآهتمّ حسين فى أمره ، ووطّأ له التوجّه إلى مدينة النبىّ عليه السلام ، وكان أحسنَ إلى المقيمين بها ، وحمل إليها مالًا وأودعه عند مَنْ يثق به . وصار أمر شَاور يزداد ويقوَى حتى قرُب من القاهرة ، وصاح

(١) الواحات : عبارة عن جزائر زراعية تروى أراضيها بماء عيون الآبار ، واقعـة فى صحراء مصر الغربية (صحراء ليبيا) . ويوجد فى مصر الواحات البحرية ومنها واحة الفرافرة ثم واحة سيوه والواحات الخارجة والواحات الداخلة ، وكلها تابعة لمحافظة الصحراء الغربيـة إحدى محافظات مصلحة الحـدود المصرية . والظاهر أن المؤلف يقصد الواحات الخارجة لأنها أقرب الواحات إلى قوص .

(٢) فى الأصلين هنـا : « سـيف الدولة » وقد سـبق أنه « سيف الدين » وهو الموافق لمـا فى النكت العصرية .

الصائح فى بنى رُزِّيك وكانوا أكثر من ثلاثة آلاف فارس . فأول من نجا بنفسه حسين . فلمّا بلغ رُزِّيكَ توجُّه حسين آنقطع قلبه ، وأخذ أمواله على البغال وخرج فى خاصّته إلى إطْفِيح[1] ، فأخذه مقدّم إطْفِيح بعد أمور وكلّ من معه ، وأتى بهم إلى شاوَر فى الحديد ؛ فآعتقله شاوَر وأخاه جلال الإسلام ؛ فطلب رُزِّيك من بعض غلمان أبيه مِبْرَدًا فبرد قيده ؛ فعلم أخوه جلال الإسلام فأعلم شاوَر بذلك ، فقتل شاور رُزِّيك وأبقى على أخيه جلال الإسلام لهذه النصيحة . وآستمرّ شاوَر فى الوَزَر أشهرًا حتى وقع له مع الضِّرغام أحد أمراء بنى رُزِّيك ما وقع ، وآستنجد عليه بتوجّهه إلى دِمشق إلى نور الدين محمود بن زَنْكى ؛ فأرسل معه نور الدين أسَدَ الدين شِيرِكُوه بن شَادِى[2] . وشاوَر هو صاحب القِصّة مع أسد الدين شِيرِكُوه وآبن أخيه السلطان صلاح الدين . يأتى ذكر ذلك فى ترجمة العاضد مفصّلا ، إن شاء الله .

وكانت وفاة الفائز صاحب الترجمة فى شهر رجب سنة خمس وخمسين وهو آبن عشر سنين أو نحوها . وبايعوا العاضد لدين الله أبا محمد عبدالله بن يوسف

---

(١) إطفيح : هى من البلاد المصرية القديمة الواقعة على الشاطئ الشرقى للنيل . وكانت فى عهد الفراعنة قاعدة قسم ماتونو ، وفى عهد الرومان قاعدة قسم أفروديتون ، وفى عهد العرب قاعدة كورة الإطفيحية ، وكان يقال لها «الشرقية» لوقوع بلادها شرق النيل . وفى سنة ١٢٤٩ هـ — ١٨٣٣ م سميت مديرية شرق إطفيح وفى سنة ١٢٥٧ هـ — ١٨٤١ م ألغيت هذه المديرية وأضيفت بلادها الى مديرية الجيزة مع بقاء إطفيح قاعدة للركز المسمى باسمها . وفى سنة ١٨٩٨ م نقل المركز من إطفيح إلى الصف باسم مركز الصف ، فأصبحت إطفيح إحدى بلاد مركز الصف بمديرية الجيزة .

(٢) كذا فى آبن خلكان وتهذيب تاريخ دمشق وعقد الجمان . وقد ضبطه صاحب عقد الجمان بالعبارة (بكسر الشين المعجمة وسكون الياء آخر الحروف وكسر الراء المهملة وضم الكاف وسكون الواو وفى آخره هاء) . وشادى (بالشين المعجمة وبعد الألف الساكنة دال مكسورة وفى آخره ياء) . وقال : وهو اسم أعجمى ومعناه بالعربى فرحان وفى الأصلين : «ابن شاذى» بالذال المعجمة .

آبن الحافظ عبد المجيد بن محمد بن المستنصر آبن عم الفائز هذا. وأجلسه الملك الصالح طلائع بن رُزِّيك على سرير الخلافة . وأزْوَجَه آبنته . ثم بعد ذلك آستعمل طلائعُ شاوَرَ على بلاد الصعيد . وهو شاوَر البدرىّ الذى آستولى على ديار مصر فى خلافة العاضد آخر خلفاء بنى عُبَيد، على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

*
* *

السنة التى حكم فى أولها الظافر وفى آخرها الفائز ، وكلاهما ليس له فى الخلافة إلّا مجرّد الآسم فقط، وهى سنة تسع وأربعين وخمسمائة .

فيها خَنقت الترك على سِنْجَرشاه السلجوقىّ وتركوه فى قيد من حديد فى خيمة، ووُكِّل به جماعة وأجرَوْا عليه مالا يُجرَى على الكَفَرة، وكاد يموت خوفا، وصار يبكى ليلا ونهارا على نفسه، ويتمنّى الموت .

وفيها ملك نور الدين محمود بن زَنْكى بن آق سُنْقُر المعروف بالشهيد دمشق من الأمير مجير الدِّين (١) . وساعده فى ذلك بعض أهل دمشق على مجير الدين المذكور لزيادة ظلمه ومصادراته الناس ؛ فلمّا تحرّك نور الدين لطلب دمشق وافقه أهلها لما فى نفوسهم من مجير الدين .

وفيها توفى المظفّر بن علىّ [بن محمد بن محمد] (٢) بن جَهِير الوزير أبو نصر آبن الوزير فخر الدولة ، وجدّه كان أيضا وزيرا . وهو من بيت وزارة وفضل ، وزر للمقتفى سبع سنين، وعُزِل عن الوزارة فى سنة آثنتين وأربعين وخمسمائة، وكان الخليفة المقتفى نقله من الأُستادارية إلى الوزر . وكانت وفاته فى ذى الحجة . وكان فاضلا نبيلا، سمع الحديث وحجّ وتصدّق .

---

(١) هو مجير الدين آبق بن محمد بن بورى بن طغتكين، كما فى آبن القلانسى وشذرات الذهب وعقد الجمان وآبن كثير .

(٢) التكملة عن المنتظم وعقد الجمان وتاريخ الإسلام للذهبى .

وفيها توفى محمد بن أحمد بن إبراهيم العلّامة أبو بكر البغدادىّ الحنفىّ . كان فقيها عالما نحويا . مات فى ذى القعدة .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها تُوُفِّى الظافر بالله إسماعيل ابن الحافظ العُبَيدىّ، اغتاله عبّاس فى المحرّم وله آثنتان وعشرون سنة ، وأجلس مكانه ولده الفائز طفلًا . وأبو البركات عبدالله بن محمد بن الفضل الفراوىّ، مات جوعًا فى ذى القعدة فى كائنة الغُزّ . وأبو منصور عبد الخالق بن زاهر بن طاهر الشَّحّامىّ، هلك فى شوّال بنيسابور . وأبو سعد محمد بن جامع الصَّيْرفىّ خيّاط الصوف، تُوفّى فى [شهر] ربيع الآخر . وأبو العشائر محمد بن خليل بن فارس القَيْسىّ بدمَشق فى ذى الحجّة . والحافظ أبو المُعَمَّر المبارك بن أحمد الأنصارى الأَزَجىّ(١) فى رمضان . والوزير أبو نصر المظَفّر بن علىّ آبن الوزير فخر الدولة بن جَهير، وزر للمقتفِى سبع سنين ، ومات فى ذى الحجة . وأبو المحاسن نصر بن المظفَّر البرمكىّ بهمذان .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع وسبع أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشرون إصبعا .

*
* *

السنة الثانية من ولاية الفائز بنصر الله على مصر وهى سنة خمسين وخمسمائة .

فيها دخلت الترك نَيْسابور(٢) بعد أن كان بينهم و بين أهلها قتال عظيم ونهبوا وسَبوْا وقتلوا بها نحوا من ثلاثين ألف نسمة ، منهم محمد بن يحيى شيخ الشافعيّة،

(١) الأزجى : نسبة إلى باب الأزج (بفتحتين) ، محلة ببغداد .

(٢) فى مرآة الزمان : « الغز » .

وكان الملك سِنْجَرشاه السلجوقىّ معهم فى الأسر، وعليه آسم السلطنة وهو مقيَّد معتقَل على أقبح وجه يَخدُم نفسه و يجلس وحده فى أضيق مكان .

وفيها تُوفّى محمد بن ناصر بن محمد بن علىّ بن عمر السَّلَامىّ (١) الدار الفارسىّ الأصل . سمع الحديث ورحل إلى البلاد، وكان حافظا متقنا عالما بالأسانيد والمتون، ضابطا ثقة من أهل السنّة . ومات فى شعبان . وأنشد لغيره : [البسيط]

دِع المقادير تجرى فى أعنّتها * وآصبر فليس لها صبر على حال
ما بين رَقْدَة عين وآنتباهتها * يقلّب الدهرُ من حال إلى حال

وفيها تُوفّى هبة الله بن علىّ أبو محمد بن عرام ، كان فاضلا شاعرا . ومن شعره فى ذمّ إنسان : [البسيط]

جميع أقواله دعاوِى * وكلّ أفعاله مَساوِى
ما زال فى وقته غريبًا (٢) * ليس له فى الورى مُساوِى

وفيها تُوفّى محمد بن علىّ بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو بكر القَيْسِىّ المغربىّ المالكىّ ، مات بفاس فى ذى القعدة . وكان فقيها أديبا مترسّلا شاعرًا .
ومن شعره : [الخفيف]

أطيبُ الطيِّباتِ قتلُ الأعادِى * وآختيالى على مُتونِ الجيادِ
ورسولٌ يأتى بوعد حبيبٍ * وحبيبٌ يأتى بلا ميعادِ

قلت : وقد تغالى الناس فى رسول الحبيب وقالوا فيه أحسن الأقوال .
فمن ذلك قول بهاء الدين زُهَيْر فى أول قصيدة (٣) : [الطويل]

رسول الرضا أهلا وسهلا ومَرْحَبَا * حديثك ما أحلاه عندى وأطيبا

(١) السلامى : نسبة الى دار السلام (بغداد) . (٢) كذا فى مرآة الزمان . وفى الأصلين : « فى فنه » . (٣) فى الأصلين : « من أول قصيدته » .

وأحسن ما سمعت فى هذا المعنى قول صَفِىّ الدين الحِلّىّ : [الكامل]

من كنت أنت رسولَه * كان الجـواب قبـولَهُ
هو طلعة الشمس الذى * جاء الصـــباح دليـــلَه

وفى المعنى للسِّراج الورّاق[1] : [الكامل]

إن كانت العُشّاق من أشواقهم * جعلوا النسيمَ إلى الحبيب رسولا
فأنا الذى أتلو لهـــم : ياليتنى * كنتُ ٱتخذت مع الرسول سبيلا

ومما يُقارب هــذا المعنى ما أنشدنى الحافظ شهاب الدّين بن حَجر لنفسه إجازةً إن لم يكن سماعا : [الطويل]

أتى من أحِبّائى رسولٌ فقال لى * تَرَفَّقْ وهُنْ وٱخضَعْ تفُزْ برضانا
فكم عاشــقٍ قاسى الهوانَ بحبِّنا * فصــار عزيزًا حين ذاق هوانا

وقد خرجنا عن المقصود .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها توفى أبو العباس أحمد ابن مَعَــدّ التُّجيبىّ الأُقْلِيشىّ[2] . وأبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن العَصَائِدىّ[3] النَّيسابورىّ . وأبو القاسم سعيد بن أحمد بن الحسن[4] [بن عبد الله][5] بن أحمد بن البنّاء فى ذى الحِجّة . وأبو الفتح محمد بن علىّ بن هبة الله بن عبد السلام الكاتب . والحافظ

---

(١) هو عمر بن محمد بن حسن بن سراج الدين الورّاق الشاعر . كان حسن التخيل ، جيد المقاصد ، صحيح المعانى ، عذب التراكيب . توفى سنة ٦٩٥ هـ . (عن فوات الوفيات) .

(٢) الأقليشى : نسبة إلى أقليش (بضم الهمزة وسكون القاف وكسر اللام) ، مدينة بالأندلس ، كما فى شرح القاموس ومعجم البلدان لياقوت .

(٣) العصائدى : نسبة إلى عمل العصيدة . ولعل بعض أجداده كان يعملها (عن اللباب) .

(٤) كذا فى تاريخ الإسلام للذهبى والمنتظم . وفى الأصلين : «ابن الحسين» .

(٥) تكملة عن المنتظم .

أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علىّ السَّلَامِىّ فى شعبان، وله ثلاث وثمانون سنة. وأبو الكرم المبارك بن الحسن الشهرُزُورِىّ المقرئ فى ذى الحجّة.

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وتسع عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا.

*
* *

السنة الثالثة من ولاية الفائز بنصر الله على مصر وهى سـنة إحدى وخمسين وخمسمائة.

فيها خَلَع الخليفة المقتفى بالله على سليمان شاه بن محمد شاه بن ملكشاه السلجوقىّ بعـد عمّه سِنْجَرشاه خِلْعة السلطنـة : التاج والطوق والسِّـوار والمَرْكَب الذهب، وآستحلفه الخليفة أن يكون العراق للخليفة ولا يكون لسليمان شاه المذكور إلّا ما يفتحه بسيفه من غير العراق، وخُطب له على منـابر العراق بالسلطنة، وتمّ أمره إلى ما سيأتى ذكره.

وفيها خلَص السلطان سِنْجَرشاه من أَسْر الترك[(١)] بحيلة، وهرب إلى قلعة تِرْمِذ[(٢)] بعـد أن أقام عنـدهم أربع سنين فى الذلّ والهوَان حتى ضُرِب بحاله عنـدهم الأمثـال.

وفيها تُوفّى عبـد القاهر بن عبـد الله بن الحسين أبو الفرج المعروف بالوَاوَا الشاعر المشهور. كان أصله من بُزَاعة ونشأ بحلب (وبُزَاعَة بضم الباء الموحدة وفتح الزاى وبعد الألف عين مهملة مفتوحة وهاء، وهى قرية من أعمال حلب) وتأدّب

(١) فى آبن الأثير وعقد الجمان : «من أسر الغز».
(٢) ترمذ : مدينة مشهورة من أمهات المدن راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرق، يحيط بها سور. (عن معجم البلدان لياقوت).

بحلب وبَرَع فى الأدب وقول الشعر، وشرح ديوان المتنبّى . وممـا يُنسب إليه من الخمريات — وقيل هما لغيره — قوله : [الوافر]

مجـرّةُ جَدْوَلٍ وسمـاءُ آسٍ * وأنجمُ نَرْجِسٍ وشموسُ ورد
ورعدُ مُثَلَّثٍ وسحابُ كأس * وبرقُ مُدامةٍ وضبـاب نَدِّ

قلت: ويُعجبنى فى هذا المعنى قول يزيد بن معاوية : [الكامل]

ومُـــدامةٍ حمـــراء فى قارورة * زَرْقاء تحملهـا يـــدٌ بيضـاءُ
فالراحُ شمسٌ والحَبَـابُ كواكبٌ * والكفّ قُطْب والإناءُ سمـاء

وما أظرف قول دِيك الجنّ عبد السلام بن رَغْبان : [الوافر]

شَرِبنا فى غروب الشمس شمسًا * لهـا وصفٌ يَجِـلّ عن الصفات
عجبتُ لعاصريها كيف ماتوا * وقـد صنعوا لنـا ماءَ الحيـاة

وممـا قيل فى هذا المعنى — دو بيت — :

ياساقى خُصّنى بما تهـــواه * لا تمزج أقداحى رعاك الله
دعها صِرْفًا فإنّنى أمزجها * إذ أشربها بذكر من أهواه

وفيها تُوفّى علىّ بن الحسين الشيخ الإمام الواعـظ أبو الحسن[(١)] الغَزْنَوِىّ الملقّب بالبرهان. قدِم بغـداد وسمع الحديث ووعظ ، وكان فصيحا مفوّها . كان السلطان مسعود السَّلْجُوقىّ يزوره. ولـمّا أقام ببغداد أمرت الخاتون زوجة الخليفة المستظهر أن يُبنى له رِباط ووقفتْ عليه قرية آشترتها من الخليفة المسترشد . وآنتفع النـاس بجاهه وماله . وكان له أدب ونظم . فمن شعره قوله : [السريع]

كم حسرة لى فى الحشا * من ولد إذا نَشَـا[(٢)]
وكم أردتُ رُشْـدَهُ * فمـا نشـا كما نشـا

(١) كذا فى ابن الأثير والمنتظم . وفى الأصلين : «أبو الحسين» . (٢) كذا فى شذرات الذهب والمنتظم وعقد الجمان . وفى الأصلين : * من ولد إذا انتشا *

وله فى غير هذا المعنى وأجاد : [السريع]

يحسُــدنى قومى على صَــنْعتى * لأنّنى فى صــنعتى فارسُ

سَهِرتُ فى ليلِىَ وآستنعسوا * هل يستوِى الساهرِ والنــاعسُ

وفيها توفّى السلطان مسعود بن محمد ملك الروم[1] . وتولّى ممالك الروم بعده آبنه قليج أَرْسلان[2] بن مسعود .

وفيها تُوفّى الشيخ أبو العِزّ بن أبى الدنيا القرشىّ الصوفىّ البصرىّ . كان أبوه محتسبَ البصرة، وكان شاعرا مجيدا (أعنى أباه)[3] . ومن شعره : [الرجز]

ما بال قلبى زائدًا غَرامُهُ * ودَمْع عيــنى هاطلًا غَمامُــهُ

وذلك الجمـرِ الذى خلفــتمُ * على الحشا لا ينطفى ضِرامـه

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها توفّى أبو القاسم إسماعيل ابن علىّ النيسابورىّ ثم الأصبهانىّ الحمّامىّ الصوفى فى صفر وقــد شارف المــائة . وأبو القاسم الحسين بن الحسن بن البُنّ الأسدىّ بدمشق فى ربيع الآخر. وأبو الحسن علىّ بن أحمد [بن الحسين بن أحمد بن الحسين][4] بن محمويه اليَزْدىّ[5] الشافعىّ المصرىّ . وأبو عبد الله محمد بن عبد الله[6] بن سلامة الكَرْخىّ فى شوّال . والشيخ أبو البيان [نبا][7] آبن محمد بن محفوظ القُرَشىّ بن الحَوْرَانِىّ الدمشقىّ اللغوىّ الشافعىّ الزاهد القُدوة .

§ أمر النيل فى هذه السنة ــ المــاء القديم ستّ أذرع وتسع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثمانى أصابع .

(١) يريد بالروم بعض بلادهم مثــل قونية وأقصرى وغيرهما ، كما صرح بذلك فى عقــد الجمان .

(٢) فى ابن الأثير : «قلج» بغير ياء . (٣) الذى فى عقد الجمان : «وكان أبو العز شاعرا فاضلا من شعره الخ» وساق أبياتا منها هذان البيتان . (٤) التكملة عن طبقات الشافعية . (٥) اليزدى : نسبة إلى يزد ، وهى مدينة متوسطة بين نيسابور وشيراز وأصبهان معدودة فى أعمال فارس . (٦) فى شذرات الذهب : «محمد بن عبيد الله» . (٧) زيادة عن شذرات الذهب وطبقات الشافعية وعقد الجمان .

*
* *

السنة الرابعة من ولاية الفائز بنصر الله على مصر وهى سنة ٱثنتين وخمسين وخمسمائة .

فيها جمع الملك محمد شاه بن محمود شاه بن محمد شاه بن ملك شاه السَّلْجُوقى التركمانَ والأكراد وسار حتّى قارب بغداد ، وبعث إلى الخليفة المقتفى يطلب منه الخطبة والسلطنة، فقيل له : السلطان هو سِنْجَر شاه بن ملكشاه عمّ أبيك، وأنتم مختلفون . فلم يلتفت محمد شاه حتّى قدِم بغداد وحصرها، ووقع له بها أمور؛ وطال الأمر بينهم إلى أن رحل منها إلى جهة هَمَذَان .

وفيها كانت زلازلُ عظيمة بالشأم وحَلَب وحَمَاة وشَيْزَر وغالب بلاد الشام والشرق ، وهلَك خلقٌ كثير، حتّى حُكى أن معلّمًا كان بحماة فى كُتّاب ، فقام من المكتب يقضى حاجة ثم عاد وقد وقع المكتب على الصبيان فماتوا بأسرهم . والعجب أنه لم يأت أحد يسأل عن صبىّ منهم بل جميع آبائهم ماتوا أيضا تحت الهدم فى دورهم . ووقعت أبراج قلعة حلب وغيرها، وهلك جميع من كان فى شَيْزَر إلا ٱمرأة واحدة وخادما . وساخت قلعة فامية، وٱنشقّ تلّ حَرّان نصفين، وظهر فيه بيوت وعمائر قديمة . وٱنشقّ فى اللّاذقيّة موضع ظهر فيه صَنَم قائم فى الماء ، وخربت صَيْدَاء وبيروت وطرابلسُ وعكّا وصُور وجميع قِلاع الفرنج . وعمِل شعراء ذلك العصر فى هذه الزلزلة أشعارًا كثيرة .

وفيها ملك الملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكى بن آق سُنْقُر المعروف بالشهيد حصن شَيْزَر، وزال مُلك بنى مُنْقِذ عنها بعد أن ملكوها سنين كثيرة .

وفيها تُوفّى أحمد بن عمر(١) الشيخ الإمام العلّامة أبو اللّيث السَّمَرْقَنْدِىّ الحنفىّ. كان إماما فقيها حسن الهيئة كثير الصَّمْت غزير العلم واسع الحفظ . حجّ وعاد إلى بغداد، وصنّف التصانيف المفيدة النافعة، وتفقّه به جماعة كبيرة . ولمّا خرج من بغداد خرج الناس لوداعه، فلمّا ودّعهم أنشد : [البسيط]

يا عالمَ الغيب والشّهاده * إنّ(٢) بتوحيدك الشهادهْ
أسأل فى غُرْبتى وكَرْبى * منـك وفاةً على الشهادهْ

وخرج فى قافلة؛ فلما ساروا قطع قوم الطريق على القافلة المذكورة وقتلوا منهم جماعة كبيرة من العلماء، فيهم صاحب الترجمة، فقُتِل الجميع شهداء .

وفيها توفّى أحمـد بن المبارك بن محمـد بن عبد الله . وُلِد سـنة آثنتين وثمانين وأربعمائة . كان أديبًا شاعرًا فاضلا . ومن شعره : [دو بيت]

سارُوا وأقام فى فؤادى الكَمَدُ * لم يلقَ كما لَقِيتُ منهـم أحدُ
شوقٌ وجوًى ونارُ وجدٍ تَقِـدُ * مالى جَلَدٌ ضعُفتُ مالى جلدُ

وفيهـا تُوفّى السلطان سِـنْجَر شاه آبن السلطان ملكشاه بن ألْب أَرْسلان بن داود بن ميكائيـل بن سَلْجوق بن دُقـاق، السلطان أبو الحـارث ــ وقيـل : آسمه أحمـد . وسمّى بِسِـنْجَر لأنّه ولد بسِنْجَار فى شهر رجب سـنة تسع وسبعين وأربعمائة حين توجّه أبوه إلى غَزْو الروم ــ ونشأ ببلاد الخُـوز(٣)، وسكن خُراسان وآستوطن مدينة مَرْو. وكان دخل بغداد مع أخيه محمد شاه على الخليفة المستظهر . قال سِنْجَر شاه : فلمّا وقفنا بين يدى الخليفة المذكور ظنّ أنى أنا السلطان، فافتتح

(١) كذا فى المنتظم وعقد الجمان . وفى الأصلين : « أحمد بن عمرو » . (٢) فى المنتظم وعقد الجمان : « منى بتوحيدك ... » . (٣) الخوز (بضم أوله) : بلاد خوزستان . وفى المنتظم : « ونشأ ببلاد الخزر » .

كلامه معي؛ فخدمت وقلت : يامولانا أمير المؤمنين، السلطانُ هو أخي، وأشرت إلى أخي محمد شاه؛ ففوّض إليه السلطنة وجعلني وليّ عهده .

قلت : ولمّا مات محمد شاه خُوطِب سِنْجَر شاه هذا بالسلطنة ، وكان قبلها في مُلك ضخم نحوًا من عشرين سنة، وخُطِب له على عامّة منابر الإسلام ؛ وأسره الترك أربع سنين ، حسب ما ذكرناه في وقته . ثم خلَص وكاد مُلكه أن يرجع إليه، فأدركتْه المنيّة فمات في يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الأول . ودُفِن بمَرْو في قُبّة بناها بها . وكان رَوَى الحديث وعنده فضيلة . وأصابه صَمَمٌ في آخر عمره . واستقرّ المُلك بعده لابن أخيه[1] أبي القاسم محمود بن محمد شاه بن ملكشاه السّلجوقيّ .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوفّي السلطان مُعِزّ الدين أبو الحارث سِنْجَر بن ملكشاه السّلْجوقيّ في [شهر] ربيع الأول، وبقي في المُلك نحوا من خمسين سنة . وأبو صابر عبد الصَّبُور بن عبد السلام الهَرَويّ . وأبو عمرو عثمان ابن عليّ البِيكَنْديّ[2] الزاهد بِبُخارى . وأبو حفص عمر بن عبد الله الحَرْبيّ المقرئ . وأبو بكر محمد بن عُبَيد[3] الله بن نصر بن الزّاغُونيّ[4] . وشيخ الشافعيّة أبو الحسن محمد بن المبارك بن الخَلّ . وأبو القاسم نصر بن نصر العُكْبَرِيّ الواعظ في ذي الحِجّة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع وإحدى وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا وإحدى عشرة إصبعا .

---

(١) في ابن الأثير وعقد الجمان : «استخلف على خراسان الملك محمود بن محمد بن بغراخان وهو ابن أخت السلطان سنجر» . (٢) البيكندي : نسبة الى بيكند، بلدة بين بخارى وجيحون على مرحلة من بخارى لها ذكر في الفتوح . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) في الأصلين : «محمد بن عبد الله» . والتصويب عن شرح القاموس ومعجم البلدان لياقوت وشذرات الذهب .

(٤) الزاغوني : نسبة إلى زاغوني، قال ياقوت : قرية ما أظنها إلا من قرى بغداد .

*
* *

السنة الخامسة من ولاية الفائز بنصر الله على مصر وهى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة .

فيها آتفق السلطان محمد شاه السلجوقى مع أخيه ملكشاه وأمده بعساكر، فسار إلى خوزستان وفتحها .

وفيها توفى عبد الأول بن عيسى بن شعيب بن إبراهيم أبو الوقت الهروى المنشأ السجزى[1] الأصل . ومولده فى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة . وحمله أبوه من هراة إلى بوشنج على عنقه، فسمع صحيح البخارى، وقدم بغداد وطال عمره وحدث وسمع منه خلائق وألحق الصغار بالكبار . وكان كثير التعبد والتهجد . ومات ببغداد ودفن بالشونيزية عن نيف وتسعين سنة .

وفيها توفى يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد الشيخ أبو الفضل الحصكفى[2] ولد بطنزة (مدينة صغيرة بديار بكر) ونشأ بحصن كيفا وآنتقل إلى ميافارقين . وكان إماما فى كل فن ، وله أدب وترسل وشعر . ومن شعره :

[البسيط]

والله ولو كانت الدنيا بأجمعها * تبقى علينا ويأتى رزقها رغدا
ما كان من حق حر أن يذل لها * فكيف وهى متاع يضمحل غدا

(١) السجزى : نسبة إلى سجستان ، من شواذ النسب . (٢) الحصكفى (بفتح الحاء وسكون الصاد وفتح الكاف وفى آخرها ياء) : نسبة الى حصن كيفا ، وهى قلعة حصينة شاهقة بين جزيرة ابن عمر وميافارقين . (عن آبن خلكان) .

قلت : وهذا الشعر تكلّم [به] الحَصْكَفيّ المذكور عن خاطرى . وكثيرا ما كنت ألهج بهذا المعنى نثرًا قبل أن أقف على هذين البيتين، فطابَقَا ما كان يخطُر ببالى، فلله درّه ! . ومن شعره أيضا قوله : [البسيط]

على ذَوِى الحبّ آياتٌ مترجِمةٌ * تُبين من أجله عن كلّ مشتبه
عرفٌ يلوح وآثارٌ تلوح وأسـ * ـرارٌ تبـــوح وأحشاءٌ تنوح به

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهـم فى هذه الســنة ، قال : وفيهـا تُوفّى أبو الوقت عبد الأوّل بن عيسى السِّجْزِيّ الصوفيّ فى ذى القعدة، وله ستّ وتسعون ســنة . وأبو مسعود عبد الجليل بن محمد كُوتاه الحافظ بأصبهان فى شعبان . وعلىّ بن عساكر ابن سرور المَقْدِسِيّ الكَيّال(1) بدِمَشق فى شـوّال عن ست وتسعين ســنة . والعلّامة أبو حفص عمر بن أحمد بن منصور النَّيْسابورىّ الصّفّار يوم النحر .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ســبع أذرع ســواء . مبلغ الزيادة ثمـانى عشرة ذراعا وعشر أصابع .

*
* *

السنة السادسة من ولاية الفائز بنصر الله على مصر وهى سنة أربع وخمسين وخمسمائة .

فيها غَرِقت بغداد وصارت تِلالًا لا يَعرِف أحد موضع داره .

وفيها تُوفّى عبد الواحد بن حُمَيد(2) بن مفرّج الدمشقىّ . كان أديبًا شاعرًا فصيحًا .

---

(1) فى شرح القصيدة اللامية فى التاريخ وشذرات الذهب : « الخشاب » .

(2) فى تاريخ مدينة دمشق : « عبد الواحد بن جهير بن مفرج » .

ومن شعره قوله من أوّل قصيدة : [الرمل]

ظالِمِى فى الحبّ أضحى حَكَمِى * كيف لا يَأْثم فى سَفْك دَمِى

كم كتمتُ الحبّ عن عاذلتى * حـــذَرَ البيـــن فلم ينكتِمِ

وكانت وفاته بدمشق فى ذى القعدة .

وفيها تُوفّى السلطان محمد شاه بن محمود شاه [بن محمد شاه][1] بن ملكشاه بن ألْب أرْسلان بن داود بن ميكائيل بن دقماق بن سَلْجوق، أبو نصر السلجوقىّ . قد تقدّم نبذة كبيرة من ذكره فى الحوادث . ولـمّا حاصر بغـداد كان مريضًا، وبلغه موت عمّه سِنْجَر شاه فزاد به المرض إلى أن مات على باب هَمَذان فى ذى الحجّـة . وآختلف الأمراء بعـد موته ؛ فمنهم من مال إلى أخيـه ملكشاه، ومنهم من مال إلى سليمان شاه، ومنهم من مال إلى أرْسلان شاه ؛ ثم آتّفقوا على سليمان شاه . وكان محبوسا بالموصـل؛ فجهّزه زين الدين[2] صاحب الموصل بإشارة الملك العادل نور الدين محمـود بن زَنْكى المعروف بالشهيد ؛ فأجلسوه على سرير الملك بهَمَذان . وكان قصدهم أن يأكلوا به البـلاد، لأنّه كان مشغولا باللّهو إلّا أنّه كان فاضـلا جَوادا مُشفقا أمينًا . وأما محمد شاه صاحب الترجمة فإنه كان شابًّا وعنـده شجاعة وإقدام وكرم .

وفيها تُوفّى محمد بن أبى عَقامَة أبو عبد الله قاضى زَبِيد[3] . كان حاكما على اليمن، ولـمّا تغلّب آبن مهدى[4] على اليمن قتله وقتل ولده، وكانا فاضلين .

---

(١) التكملة عن المؤلف فيما ذكره فى حوادث سنة ٥٥٢ هـ . (٢) هو زين الدين على كوجك بن بكتكين، كما فى ابن الأثير وآبن خلكان . (٣) زبيد (بفتح أوله وكسر ثانيه) : مدينة مشهورة باليمن .

(٤) هو على بن مهدى أبو الحسن الشهير بعبد النبى ملك اليمن . (راجع كتاب النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية لعمارة اليمنى) .

ومن شعر محمد هذا من أوّل قصيدة قوله : [البسيط]

للوجد عنكم روايات وأخبارُ * وللعُلا نحوكُم حاجٌ وأوطارُ
وحيث كنتم فثغرُ الرّوض مبتسمٌ * وأين سِرْتُمْ فدمعُ العين مِدْرارُ
لله قومٌ إذا حلُّوا بمنزلةٍ * حلّ النَّدى ويسير الجودُ إن ساروا
تشتاقكم كلُّ أرض تنزلون بها * كأنّكم لبقاع الأرض أمطار

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوفّي أبو القاسم أحمد بن المبارك بن عبد الباقي الذهبيّ القطّان . وأبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز العبّاسيّ المكيّ النقيب في شعبان . وأبو زيد جعفر بن زيد بن جامع الحَمَويّ صاحب « الرسالة »(١) . وأبو عليّ الحسن بن جعفر [بن عبد الصمد](٢) بن المتوكّل .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وثماني عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و إصبع واحدة .

⁂

السنة السابعة من ولاية الفائز بنصر الله على مصر وهي سنة خمس وخمسين وخمسمائة على أنّ الفائز مات فيها في شهر رجب، وحكم في باقيها العاضد بالله عبد الله .

فيها في يوم الجمعة سلخ صفر أُرْجِف ببغداد بموت الخليفة المقتفي بالله العباسيّ، فلمّا كان ثاني شهر ربيع الأوّل تحقّق الناس موته، ودُعِي الناس إلى بيعة وليّ العهد المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن محمد المقتفي، وتمّ ذلك وبُويع بالخلافة .

وفيها تُوفّي الحسن بن عليّ بن عبد الله بن أبي جَرادَة أبو عليّ ثقةُ الملك الحلبيّ الحنفيّ . نشأ بحلب ثم سافر إلى مصر، فتقدّم عند وزيرها الملك الصالح طلائع

(١) في شذرات الذهب : « مؤلف رسالة البرهان » .
(٢) تكملة عن شذرات الذهب والمنتظم وعقد الجمان .

آبن رُزِّيك، وكان طلائع المذكور يحترمه لفضله وبيته . ومات بمصر فى هذه السنة — وقيل : فى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة — وكان إمامًا بارعا فصيحا شاعرا .

ومن شعره : [البسيط]

يا صاحبىّ أطيـلَا فى مؤانستى * وذَكِّرانى بخُـلَّانى وعُشَّاق
وحدِّثانى حديثَ الخَيْف إنّ به * رَوْحًا لرُوحى وتسهيـلًا لآماق

وفيها تُوفّى حمزة بن أسد بن علىّ بن محمد أبو يَعْلى التميمىّ العميد الدمشــقىّ ، ويُعرف بآبن القَلانِسىّ . كان فاضلا أديبا مترسلا ، جمع تاريخ دمشق وسماه الذيل ، وذكر فى أوّله طَرَفًا من أخبار المصريّين وبعض حوادث السنين . وقد نقلنا عنــه نبذةً فى هذا الكتاب . وكانت وفاته بدمشق فى يوم الجمعة سابع شهر ربيع الأوّل ، ودفن يوم السبت بقاسيون . ومن شعره : [الكامل]

إيَّاكَ تَقْنَط عند كلّ شــديدةٍ * فشــدائد الأيّام سوف تهـونُ
وآنظُـر أوائل كلّ أمر حادث * أبدًا فمـا هو كائنٌ سيكـون

وفيها تُوفّى الأمير قايماز الأرجوانىّ أمير الحاج حجّ غير مرّة بالناس . وكان شجاعا عادلا رفيقا بالحاجّ محسنا إليهم . دخل مَيْدان دار الخلافة يلعب بالكرة فسقط من الفرس فمات ، فحزِن الخليفة عليه والناس ، ثم أمر الخليفــة أمراء الدولة أن يمشوا فى جنازته . وكان حجّ بالناس مدّة سنين .

وفيها تُوفّى الخليفــة المقتفى بالله أمير المؤمنين أبو عبــد الله محمد آبن الخليفــة المستظهر بالله أحمد بن المقتدى بالله عبد الله آبن الأمير محمد آبن الخليفة القائم بأمر الله عبــد الله بن القادر بالله أحمد آبن الأمير إسحاق آبن الخليفة المقتــدر بالله جعفر ابن المعتضــد بالله أحمد آبن الأمير الموفّق طلحة آبن الخليفة المتوكّل على الله جعفر ابن المعتصم محمد بن الرشيد هارون بن المهدى محمد بن أبى جعفر المنصور بن محمد

ابن علىّ بن عبد الله بن عباس الهاشمىّ العباسىّ البغدادىّ . بُويع بالخلافة بعد قتل ابن أخيه الرّاشد بالله فى شهر رمضان سنة آثنتين وثلاثين وخمسمائة . ومولده فى سنة تسع وثمانين وأربعمائة . وأمّه أمّ ولد تُدْعَى بُغْية النفوس — وقيل : نسيم — ومات فى يوم الأحد ثانى شهر ربيع الأوّل ودُفِن بداره بعد أن صُلِّى عليه بالمسجد. وكانت خلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وواحدا وعشرين يوما. ووَلِى الخلافة من بعده آبنه المستنجد يوسف. وكان إماما عالما أديبا شجاعا حليما دمِث الأخلاق كامل السُّودد، خليقا بالخلافة قليل المِثل فى الأئمة . رحمه الله تعالى .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها تُوفّى العميد أبو يَعْلَى حمزة ابن أسد التميمىّ آبن القَلَانِسِىّ رئيس دمشق فى عشر التسعين . وأبو يعلَى حمزة ابن علىّ بن هبة الله بن الحُبُوبِى[1] الثعلبِىّ[2] البزّاز فى جمادى الأولى . وصاحب غَزْنة خُسْروشاه[3] بن مسعود السُّبُكْتِكِينِىّ . والفائز عيسى بن الظافر بن الحافظ العُبَيْدىّ، أقاموه فى الخلافة بمصر وله خمس سنين أو دونها ، وكان يُصْرَع، فمات فى رجب وبايعوا العاضد . وتُوفّى المقتفى لأمر الله أمير المؤمنين محمد بن المستظهر بالله ابن المقتدى فى شهر ربيع الأوّل وله ستّ وستون سنة ، وكانت دولته خمسا وعشرين سنة ، وأمه حبشيّة . وأبو المظفّر محمد بن أحمد بن التُّرَيْكِى[4] الهاشمىّ . وأبو الفتوح محمد بن محمد بن علىّ الطائىّ الهمذانىّ .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وعشر أصابع .

---

(١) كذا فى المشتبه فى أسماء الرجال للذهبى وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ . وفى الأصلين : «الحنوى» . (٢) كذا فى الأصلين وتهذيب تاريخ دمشق . وفى شذرات الذهب : «التغلبى» .

(٣) هو السلطان الكبير خسروشاه بن بهرام شاه بن مسعود بن إبراهيم بن مسعود ابن السلطان محمود ابن سبكتكين . (عن عقد الجمان) . (٤) كذا فى المشتبه فى أسماء الرجال للذهبى والمنتظم وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ. وفى الأصلين: « الزمكى » ، وهو تحريف .

ذكر ولاية العاضد بالله على مصر

الخليفة أبو محمد عبد الله العاضد بالله آبن الأمير يوسف آبن الخليفة الحافظ بالله عبد المجيد آبن الأمير محمـد آبن الخليفة المستنصر بالله مَعَدّ بن الظاهر لله علىّ بن الحـاكم بأمر الله منصور بن العـزيز بالله نِزار بن المعزّ لدين الله مَعَـدّ بن المنصور إسمـاعيل بن القائم بالله محمد بن المهدىّ عبيـد الله ، الفاطمىّ العُبيدىّ ، المغربىّ الأصل المصرىّ ، الحادى عشر من خلفاء بنى عبيد بمصر ، والرابع عشر بالثلاثة الذين وَلُوا بالمغرب : المهـدىّ والقائم والمنصور . وُلِد سـنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وقيل سنة أربعين .

وقال قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلّكان ـــ رحمه الله ـــ : «وِلد يوم الثلاثاء لعشر بَقِين من المحرّم سنة سبع(١) وأربعين وخمسمائة ، و بويع فى رجب بعـد موت آبن عمّه الفائز بنصر الله سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وهو آبن إحدى عشرة سـنة وشهور . وكان أبوه يوسف أحد الأخوين اللذين قتلهما عبّاس الوزير بعد قتل الظافر» . انتهى .

وقال أبو المظفّر بن قِزَأُوغلى فى تاريخه : « وتُوفِّى (يعنى العاضد) يوم عاشوراء وعمره ثلاث وعشرون سنة ، فكانت أيّامه إحدى عشرة سنة . وآختلفوا فى سبب وفاته على أقوال . أحدها أنّه تفـكّر فى أموره فرآها فى إدبار فأصـابه ذَرَبٌ عظيم فمـات منه . والثانى أنّه لمّـا خُطِب لبنى العباس بلغه فآغتمّ ومات ؛ وقيـل : إنّ أهله أخْفَوْا عنه ذلك ، وقالوا : إن سَلِم فهو يعلم ، و إن مات فلا ينبغى أن ننغّص عليه هـذه الأيام التى بَقِيت من عمره . والثـالث أنّه لمّـا أيقن بزوال دولته كان

(١) الذى فى آبن خلكان (طبع باريس سنة ١٨٣٨ م) : «سنة ست وأربعين وخمسمائة» .

فى يده خاتم، له فصّ مسموم فمصّه فمـات منه . وجلس صلاح الدين فى عَزَائه ومشى فى جنازته وتولّى غسله وتكفينه، ودفنه عنـد أهله . وآستولى السـلطان صـلاح الدين على ما فى القصر من الأموال والذخائر والتُّحَف والجواهر والعبيـد والخدم والخيـل والمتاع وغيره . وكان فى القصر من الجواهر النفيسـة ما لم يكن عند خليفة ولا ملك، ممـا كان قد جُمع فى طول السنين . فمنه : القضيب الزُّمُرُّد وطوله قبضة ونصف، والجَبَل(١) الياقوت الأحمر، والدرّة اليتيمة مثل بيض الحمام، والياقوتة الحمراء وتسمّى الحافر، وزنتها أربعة عشر مثقالا . ومن الكتب المنتخبة بالخطوط(٢) النفيسة مائة ألف مجلد . ووجد عمامة القائم وطيلسانه، كان البَسَاسِيرىّ بعث بهما إلى المستنصر » (يعنى لمّـا آستولى البساسيرىّ على بغداد، وأَسَرَ الخليفة القائم العباسىّ، وخطب ببغـداد للمستنصر من بنى عبيد ، ثم بعث بعمامة القائم وطيلسانه، فأخذوهما خلفاء مصر فآحتفظوا عليهما، نوعا من النكاية فى بنى العبّاس، فهـذا شرح قول أبى المظفّر من عمامة القائم والطيلسان) . قال : « ووجدوا أموالا لا تُحدّ ولا تُحصى . وأفرد صـلاح الدين أهل العاضـد ناحية عن القصر، وأجرى عليهم جميع ما يحتاجون إليه، وسلّمهم إلى الخادم قراقوش ؛ فعزل الرجال عن النساء وآحتاط عليهم .

وممّا وُجد فى خزانة العاضد طبل القُولَنْج الذى صُنع للظافر ، وكان مَن ضربه خرج منـه ريحٌ وآستراح من القُولَنْج — قلت : قد تقـدّم الكلام قبل ذلك على هذا الطبل فى محلّه — . قال: «فوقع الطبل إلى بعض الأكراد فلم يدر ماهو فكسره، لأنّه ضرب عليه فخرج منه ريح فحَنِق وضربه وكسره .

(١) فى الأصلين : « والجمل الياقوت » . وما أثبتناه عن تاريخ الاســلام للذهبي وابن الأثير ومرآة الزمان .

(٢) عبارة مرآة الزمان وتاريخ الإسلام للذهبي : « بالخطوط المنسوبة » .

قال : «وفرّق صلاح الدين الأموال التى أخذها من القصر فى العساكر، وباع بعض الجوارى والعبيد، وأعطى للقاضى الفاضل من الكتب ما أراد، وبعث إلى نور الدين بعمامة القائم وطيلسانه وهدايا وتُحَف وطِيب ومائة ألف دينـار . وكان نور الدين بحلب فلمّـا حضرت بين يديه قال : والله ما كان لى حاجة إلى هـذا ، ما وصل إلينا عشر معشار ما أنفقناه على العساكر التى جهّزناها إلى مصر، وما قصدنا بفتحها إلّا فتح الساحل، [وقلع الكفّار منه](١). وآنقضت أيام الخلفاء المصريّين بوفاة العاضد، وعدّتهم أربعة عشر على عدد بنى أمية، إلّا أنّ أيّامهم طالت فملكوا مائتين وثمانى سنين، وبنو أمية ملكوا نيفًا وتسعين سنة . قال : وأوّل المصريّين عُبَيْد الله الملقّب بالمهدىّ» .

قلت : ليس هو كما قال : إنّ عُبَيْـد الله أوّل خلفاء المصريّين، وإنمـا أوّلهم المُعِزّ لدين الله مَعَدّ. نعم إن كان قصد بأن يكون أوّلهم ممّن دُعِىَ له على المنابر بالمغرب وأُطلق عليـه آسم الخليفة فيكون، وأمّا أنّه ملك مصر فلا . ويأتى بيـان ذلك . وقد تقدّم أيضا فى ترجمة المعزّ وغيره .

قال أبو المظفّر : « قال آبن عبـد البرّ : هو عُبَيْد الله بن محمـد بن ميمون بن محمد بن إسماعيـل بن جعفر الصادق — عليه السلام — . والثانى آبنه أبو القاسم محمد ويلقّب بالقائم بأمر الله، والثالث آبنه إسماعيل ويلقّب بالمنصور، والرابع آبنه معدّ ويلقّب بالمُعِزّ لدين الله» .

— قلت : وهذا المعز هو الذى تقدّم ذكره أنّه أوّل من ولى مصر من بنى عُبَيد، وبَنَى له جوهرٌ القائد القاهرة، وهو أوّل خليفـة سكن مصر من بنى عُبَيد، ولهذا

(١) زيادة عن مرآة الزمان .

كما نقول فى تراجمهم الأوّل من خلفاء مصر والرابع ممّن وَلى من آبائه بالمغرب، وعلى هذا سلكنا فى تراجمهم — .

قال : والخامس آبنه نِزار ويلقّب بالعزيز بالله، والسادس آبنه منصور ويلقب بالحاكم بأمر الله، والسابع آبنه علىّ ويلقّب بالظاهر لدين الله، والثامن آبنه مَعَدّ ويلقّب بالمستنصر بالله وقد وَلِى ستين سنة، والتاسع أبو القاسم أحمد ويلقّب بالمستعلى، والعاشر آبنه منصور ويلقّب بالآمر بأحكام الله، وآنقطع نسله، وولى آبن عمّه أبو الميمون عبد المجيد بن أبى القاسم بن المستنصر [ويلقّب(١) بالحافظ لدين الله] وهو الحادى عشر، والثانى عشر ولده إسماعيل ويلقّب بالظافر، والثالث عشر أبو القاسم عيسى ويلقّب بالفائز بنصر الله، والرابع عشر عبد الله بن يوسف بن الحافظ ويلقّب بالعاضد» . انتهى كلام صاحب مرآة الزمان وغيره .

قلت — : فائدة جليلة — لم يَلِ الخلافة أحد من الفاطميّين بعد أخيه، وهذا لم يقع لغيرهم . وأمّا عدد خلفاء بنى أمية فهم كما قال : أربعة عشر، لكنه ما عدّهم، فنقول : هم معاوية بن أبى سُفْيان، ثم آبنه يزيد بن معاوية، ثم آبنه معاوية بن يزيد، ثم مَرْوان بن الحَكَم، ثم آبنه عبد الملك بن مروان، ثم آبنه الوليد ابن عبد الملك، ثم أخوه سليمان بن عبد الملك، ثم آبن عمّه عمر بن عبد العزيز بن مروان، ثم يزيد بن عبد الملك، ثم أخوه هشام بن عبد الملك ثم الوليد الفاسق ابن يزيد بن عبد الملك ، ثم آبن عمّه يزيد بن الوليد بن عبد الملك، المعروف بالناقص، ثم أخوه إبراهيم، ثم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم المعروف بالحمار، وهو آخرهم، قُتل بسيف بنى العباس . وقد خرجنا عن المقصود ولنعد إلى ترجمة العاضد وما يتعلّق به .

(١) زيادة عن مرآة الزمان .

قلت : وكان وزير العاضــد شاوَر . وشاور هــذا هو الذى وقع له مع الأمير أسد الدين شِيرِكُوه الآتى ذكره ما وقع . يأتى ذلك كلّه فى ترجمة آبن أخيه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب مفصّلا ، لكن نذكر هنا من أحوال شاوَر المذكور نبذة كبيرة ليكون الناظر بعد ذلك فيما يأتى على بصيرة بترجمة شاوَر المذكور .

وكان شاوَر قد وزر للعاضد بعد قتل رُزِّيك ابن الملك الصالح طلائع بن رُزِّيك . وكان دخوله إلى القــاهرة من قُوص فى ســنة ثمان وخمسين وخمسمائة لـمّـا ملكها رُزِّيك ، ودخل معه خلق كثير ونزل بدار سعيد السعداء ، ودخل معه أولاده طَيّ وشجاع . فلما وزر زاد الأجنادَ على ما كان لهم عشر مرّات . وكان يجلس والأبواب مغلّقة عليه خِيفةً من حواشي رُزِّيك . وكان رزِّيك أنشأ أمراء يقال لهــم البرقية ، ويقال لكبيرهم ضِرْغام . فولّى شاوَر ضرغاما المذكور الباب ، وكان فارسا شجاعا ، جمع على شاوَر حتى أخرجه من القاهرة وقتل ولده الأكبر المسمى بطَيّ ، وبقى آبنه شجاع المنعوت بالكامل . فسار شاور إلى الشام ، وآستنجد بالملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكي بن آق سُنقُر المعروف بالشهيد ؛ فأرسل معه الملك العادل أحد أُمرائه وهو الأمير أسد الدين شِيرِكُوه بن شادى . يأتى ذكر ذلك كلّه فى آخر هذه الترجمة ، وأيضا فى ترجمة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب بأوسع من هذا ، بعد أن نذكر أقوال جماعة من المؤرّخين فى حقّ العاضد هذا وأحواله .

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ فى تاريخ الإسلام — بعد ما ساق نسبته إلى أن قال — : العُبَيْدىّ الرافضيّ الذى زعم هو و بيته أنّهم فاطميّون ، وهو آخر خلفاء مصر . ولد سنة ستّ وأربعين وخمسمائة فى أوّلها . فلمّا هلك الفائز آبنُ عمّه وآستولى الملك الصالح طلائع بن رُزِّيك الديار المصريّة ، بايع العاضدَ وأقامه صورة ، وكان كالمحجور عليه لايتصرّف فى كلّ مايريد ، ومع هذا كان رافضيّا سبّابًا خبيثًا .

قال ابن خلّكان : كان إذا رأى سُنّيًا استحلّ دمه. وسار وزيره الملك الصالح طلائع بن رُزّيك بسيرة مذمومة ، واحتكر الغلّات فغلت الأسعار ، وقتل أمراء الدولة خيفةً منهم ، وأضعف أحوال دولتهم، فقتل ذوى الرأى والبأس وصادر أولى الثروة . وفى أيام العاضد ورد حسين بن نزار بن المستنصر العُبَيْدى من المغرب وقد جمع وحشد؛ فلمّا قارب مصر غدَر به أصحابه وقبضوا عليه وأتَوْا به إلى العاضد فذبحه صَبْرًا فى سنة سبع وخمسين . ثم قَتَل العاضد طلائع بن رُزّيك ووزر له شاوَر؛ فكان سبب خراب دياره؛ ودخل أسد الدين إلى ديار مصر وقَتَل شاوَر، ومات أسد الدين شيرِكُوه وقام فى الأمر ابن أخيه صلاح الدين يوسف ابن أيوب، وتمكّن فى المملكة . انتهى .

وقال القاضى جمال الدين بن واصل(١) : حكَى لى الأميرُ حُسام الدين بن أبى علىّ قال : كان جَدّى فى خدمة صلاح الدّين، فحكى أنّه لمّا وقعت هذه الواقعة (يعنى وقعة السودان بالقاهرة) التى زالت دولتهم فيها، وزالت آل عبيد من مصر (يأتى ذكر هذه الواقعة فى آخر ترجمة العاضد إن شاء الله تعالى) قال : وشرع(٢) صلاح الدين يطلب من العاضد أشياء من الخيل والرقيق والأموال ليتقوّى بذلك. قال : فسيّرنى يوما إلى العاضد أطلب منه فرسا ولم يبق عنده إلّا فرس واحد، فأتيتُه وهو راكب فى البستان المعروف بالكافورىّ(٣) الذى يلى القصر، فقلت : السلطان صلاح الدين يسلّم عليك ويطلب منك فرسا؛ فقال: ما عندى إلّا الفرس الذى أنا راكبه، ونزل عنه وشقّ خُفّيْه ورمى بهما وسلّم إلىّ الفرس ، فأتيتُ به صلاح الدين، ولزم العاضد بيته .

(١) هو القاضى جمال الدين بن واصل محمد بن سالم الحموى المتوفى سنة ٦٩٧ هـ مؤلف كتاب «مفرّج الكروب فى أخبار ملوك بنى أيوب» فى ثلاثة مجلدات (عن كشف الظنون) . (٢) لعل الواو هنا زائدة من الناسخ . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٨ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

وآشـتغل صلاح الدين بالأمر وبقى العاضد معه صورة إلى أن خلعه وخطب فى حياته لأمير المؤمنين المستضىء بأمر الله العبّاسىّ، وأزال الله تلك الدولة المخذولة . انتهى .

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة[1] : اجتمعتُ بالأمير أبى الفتوح بن العاضد وهو مسجون مقيد فى سنة ثمـان وعشرين وستمائة ، فحكى لى أن أباه فى مرضه آستدعى صلاح الدين فحضر، فأحضرونا (يعنى أولاده) ونحن صغار فأوصاه بنا، فآلتزم إكرامنا وآحترامنا . ثم قال أبو شامة : وهم أربعة عشر خليفة وعدّهم نحوًا ممّـا ذكرناه، إلى أن قال : ويدّعون الشرف، ونسبتُهم إلى مجوسىّ أو يهودىّ، حتّى آشتهر لهم ذلك بين العوامّ ، فصاروا يقولون الدولة الفاطميّة والدولة العلويّة، وإنما هى الدولة اليهودية والمجوسية الملحدة الباطنيّة . قال : وقد ذكر ذلك جماعة من العلماء الأكابر [و] أنهم لم يكونوا لذلك أهلا ولا نسبهم صحيحا بل المعروف أنهم بنو عُبَيد، وكان والد عُبَيد هذا من نسل القدّاح المُلحد المجوسىّ . قال : وقيل إن والد عبيد هذا كان يهوديًّا من أهل سَلَمْيَة[2] وكان جوّادا . وعبيد كان آسمه سعيدا، فلمّا دخل المغرب تَسمَّى بعبيد الله وآدّعى نسبا ليس بصحيح، قال ذلك جماعة من علماء الأنساب . ثم ترقّت به الحال إلى أن ملك المغرب وبنى المَهْدِيّة[3] وتلقّب بالمهدىّ، وكان زنديقا خبيثا عدوّا للإسلام، من أوّل دولتهم إلى آخرها، وذلك من ذى الحجة سـنة تسع وتسعين ومائتين إلى سـنة سبع وستين وخمسمائة . وقـد بيّن نسبهم جمـاعة مثل القـاضى أبى بكر الباقلانى ، فإنّه كشف فى أوّل كتابه المسمّى

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٤ من هذا الجزء . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٩ من الجزء الثانى من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشـية رقم ١ ص ١٦٨ من الجزء الثالث من هذه الطبعة .

«كشف أسرار الباطنيّة» عن بطلان نسب هؤلاء إلى علىّ — رضى الله عنه — ، وكذلك القاضى عبد[1] الجبار بن أحمد آستقصى الكلام فى أصولهم . انتهى .

قلت . وقد ذكرنا نوعًا من ذلك فى عدّة تراجم من هذا الكتاب من بنى عُبَيْد المذكورين ، وفى المَحْضَر المكتَتَب من جهة الخليفة القائم بأمر الله العبّاسىّ وغيره

وقال بعضهم : كانت وفاة العاضد فى يوم عاشوراء بعد إقامة الخطبة بيُوَيمات قليلة فى أوّل جمعة من المحرّم لأمير المؤمنين المستضىء بالله ، والعاضد آخر خلفاء مصر ؛ فلمّا كانت الجمعة الثانية خُطب بالقاهرة أيضا للستضىء بسائر الجوامع ، ورجعت الدعوة العبّاسيّة بعد أن كانت قد قُطعت بها (أعنى الديار المصريّة وأعمالها) أكثر من مائتى سنة . وتسلّم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب قصر الخلافة ، وآستولى على ما كان به من الأموال والذخائر ، وكانت عظيمة الوصف ، وقَبَض على أولاد العاضد وحبسهم فى مكان واحد بالقصر ، وأجرى عليهم ما يموّنهم وعفّى آثارهم ، وقمع مواليهم وسائر نسائهم[2] . قال : وكانت هذه الفعلة من أشرف أفعاله ، فلنعم مافعل ؛ فإنّ هؤلاء كانوا باطنيّين زنادقة دعَوْا إلى مذهب التناسخ وآعتقاد حلول الجزء الإلٰهى فى أشباحهم . وقد قال الحاكم لداعيه : كم فى جريدتك؟ قال ستة عشر ألفا يعتقدون أنّك الإلٰه . وقال قائلهم — وأظنّه فى الحاكم بأمر الله[3] — :

[الكامل]

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ * فآحكُمْ فأنت الواحـد القهّارُ

(١) هو رأس المعتزلة فى عصره القاضى عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذانى صاحب المصنفات الكثيرة . ومن أجل مصنفاته وأعظمها كتاب دلائل النبوّة فى مجلدين أبان فيه عن علم و بصيرة جيـدة وكتاب طبقات المعتزلة وقد طال عمره ورحل الناس اليه من الأقطار وآستفادوا به . مات سنة ٤١٥ هـ . (عن كشف الظنون) .

(٢) عبارة كتاب الروضتين : «وفرق بين النساء والرجال ليكون ذلك أسرع إلى انقراضهم» .

(٣) هذا البيت لابن هانئ الأندلسى فى المعز لا فى الحاكم ؛ فان ابن هانئ توفى سنة ٣٦١ هـ وقد كان ابتداء خلافة الحاكم فى سنة ٣٨٦ هـ . (راجع ديوان ابن هانئ الأندلسى)

قال : فلعن الله المَدّاح والممدوح، فليس هذا فى القبح إلّا كقول فرعون : أنا ربّكم الأعلى . وقال الحافظ شمس الدين الذهبىّ : وقال بعض شعرائهم فى المهدىّ — وهو غاية فى الكفر — : [البسيط]

حــلّ برَقّادةَ المســيحُ * حــلّ بهــا آدم ونوحُ
حــلّ بها الله فى عُلَاه[1] * وما سوى الله فهو ريح

قال : وهــذا أعظم كفرًا من النصارى ؛ لأنّ النصارى يزعمون أن الجزء الإلٰهى حلّ بناسوت[2] عيسى فقط ، وهؤلاء يعتقدون حلوله[3] فى جسد آدم ونوح والأنبياء وجميع الأمة . هذا آعتقادهم . لعنهم الله ! .

وقال القاضى شمس الدين بن خلّكان — رحمه الله — : سمعت جمــاعة من المصريّين يقولون : هؤلاء القوم فى أوائل دولتهم قالوا لبعض العلمــاء : اُكتب لنا ألقابا فى ورقة تصلح للخلفاء، حتى إذا تولّى واحد لقّبوه ببعض تلك الألقاب . فكتب لهم ألقاباً كثيرة، وآخر ما كتب فى الورقة العاضد؛ فآتّفق أنّ آخر من وَلِى منهم تلقّب بالعاضد . وهذا من عجيب الآتّفاق . وأخبرنى أحد علمــاء المصريّين أيضا : أنّ العاضد المذكور فى آخر دولته رأى فى منامه أنّه بمدينة مصر، وقد خرجت إليه عقربٌ من مسجد هو معروف بها ، فلدغته . فلما آستيقظ آرتاع لذلك فطلب بعض معبّرى الرؤيا وقصّ عليه المنام؛ فقال : ينالك مكروه من شخص هو مقيم بالمسجد . فطلب والى مصر وقال له : اكشف عمّن هو مقيم بالمسجد الفــلانىّ — وكان العاضد قد رأى ذلك المسجد — فإذا رأيت به أحدا أحضِرْه إلىّ . فمضى الوالى

---

(١) رواية معجم البلدان لياقوت : فى الكلام على رقادة :

حل بها الله ذو المعالى * وكل شىء سواه ريح

(٢) الناسوت : طبيعة الانسان . (٣) الشعر واضح وتعليق المؤلف عليه لا يطابق معناه .

إلى المسجد فوجد به رجلا صوفيّا، فأخذه ودخل به إلى العاضد. فلمّا رآه سأله من أين هو، ومتى قدم البلاد، وفي أيّ شيء قدم؟ [وهو يجاوبه عن كلّ سؤال](١). فلمّا ظهر منه ضعف الحال والصدق والعجز عن إيصال المكروه إليه أعطاه شيئا وقال له : ياشيخ، أدع لنا وخلّى سبيله، وخرج من عنده وعاد إلى المسجد. فلمّا آستولى السلطان صلاح الدّين على الديار المصريّة وعزم على قبض العاضد [وأشياعه](١) وآستفتى الفقهاء [وأفتوه](١) بجواز ذلك لما كان عليه من آنحلال العقيدة وفساد الاعتقاد وكثرة الوقوع في الصحابة والآشتهار بذلك، فكان أكثرهم مبالغة في الفتيا الصوفيّ المقيم بالمسجد، وهو الشيخ نجم الدين الخُبُوشانيّ(٢). انتهى كلام آبن خلّكان.

ولمّا آستولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، كتب إلى الوزير ببغداد على يد شمس الدين محمد بن المُحَسّن بن الحسين بن أبي المَضَاء(٣) البعلبكّيّ الذي خطب أوّل شيء بمصر لبني العبّاس بإشارة السلطان صلاح الدين، وكان الكتّاب من إنشاء القاضي الفاضل عبد الرحيم البَيْسَانيّ، وكان ممّا فيه :

«وقد توالت الفتوح غربا(٤) ويمنا وشاما، وصارت البلاد [بل الدنيا](٥) والشهر بل الدهر حرمًا حراما، وأضحى الدّين واحدا بعد ما كان أديانا، والخلافة إذا ذُكِّر بها أهلُ الخلاف لم يَخِرُّوا عليها صُمًّا وعُميانا، والبدعة خاشعة، والجمعة جامعة، والمذلّة في شِيَع الضلال شائعة، وذلك بأنّهم آتّخذوا عباد الله من دونه أولياء، وسمّوا

(١) زيادة عن آبن خلكان. (٢) هو أبو البركات محمد بن الموفق بن سعيد بن علي بن الحسن ابن عبد الله الخبوشاني الملقب نجم الدين الفقيه الشافعي. والخبوشاني (بضم الخاء المعجمة والباء الموحدة وفتح الشين المعجمة وبعد الألف نون) : نسبة الى خبوشان، وهي بليدة بناحية نيسابور. توفي سنة ٥٨٧ (عن آبن خلكان). (٣) في الأصلين : «ابن أبي الصفاء». وما أثبتناه عن كتاب الروضتين في أخبار الدولتين (ص ١٩٥). (٤) في الروضتين : «عربا» بالعين المهملة. (٥) الزيادة عن الروضتين.

أعداء الله أصفياء، وتقطّعوا أمَرهم [بينهم] شِيَعًا، وفرّقوا أمر الأمة وكان مجتمعا؛ وكذّبوا بالنــار فعُجِّلت لهم نارُ الحتــوف، ونثرت أقلامُ الظُّبا حروفَ رءوسهم نَثْرَ الأقلام للحروف؛ ومُزِّقوا كلَّ مُمَزَّق، وأُخِذَ منهم كلُّ مُخَنَّق، وقُطِع دابرُهم، ووَعَظ آتيَهم غابرُهم، ورُغِمتْ أنوفهم ومنابرُهم؛ وحقّت عليهم الكلمــة تشريدًا وقتــلا، وتمّت كلمات ربّك صِدْقًا وعدلا. وليس السيف عمّن سواهم من [كفّار][1] الفرنج بصائم، ولا اللّيل عن السير إليهم بنائم. ولا خفاء عن المجلس الصاحبيّ أنّ مَنْ شَــدَّ عَقْدَ خلافة وحلّ [عقد][1] خلاف، وقام بدولة وقعد بأخرى قد عجز عنها الأخلاف والأسلاف؛ فإنّه مفتقرٌ إلى أن يُشْكَرَ ما نَصَح، ويُقلَّد ما فَتَح، ويُبلَّغ ما آقترح، ويُقَدَّم حقُّه ولا يُطَّرح، ويُقَرَّب مكانُه وإن نَزَح؛ وتأتيه التشريفات الشريفة. — ثم قال بعد كلام آخر — : وقد أنهض لإيصال ملطّفاته، وتنجيز تشريفاته[2]؛ خطيبَ الخطباء بمصر، وهو الذى آختاره بمصر لصعود المنــبر، وقام بالأمر قيامَ مَنْ بَرَّ. وآستفتح بلُبْس السواد الأعظم، الذى جمع الله عليه السواد الأعظم».

ثم كتب السلطان صــلاح الدّين إلى الملك العادل نور الدين يطلب منــه أباه وأقاربه. ويأتى ذلك كلّه فى ترجمة صلاح الدين مفصّلا، إن شاء الله تعالى. وقد ذكرنا أقوال جماعة من العلماء والمؤرخين فى أحوال العاضد وتوليته ووفاته ونسبه. والآن نذكر الأسباب التى كانت سببا لذهاب ملك العاضد وزوال دولة الفاطميّين بنى عُبَيد من ديار مصر، وآبتداء ملك بنى أيّوب على سبيل الآختصار مجملا. وقــد ذكرنا ذلك كلّه فى التراجم والحوادث على عادة سياق هــذا الكتاب من أوّله

(١) الزيادة عن كتاب الروضتين.

(٢) كذا فى كتاب الروضتين. وفى الأصلين: «وتنجز مشرفاته».

إلى آخره ؛ غير أنّ الذى نذكره هنا متعلّق بالوزراء وكيفيّة ٱنفصال الدولة الفاطمية وٱتّصال الدولة الأيّوبيّة .

فأوّل الأمر قتل العاضدُ وزيرَه الملك الصالح طلائع بن رُزّيك، وكنيته أبو الغارات الأرمنيّ الأصل. أقام وزيرا بمصر سبع سنين، وقد ذكرنا ٱبتداء أمره فى آخر ترجمة الظافر وأوّل ترجمة الفائز، وكان الفائز معه كالمحجور عليه . ولمّا مات الفائز أقام العاضدَ هذا فى الخلافة، وتولّى تدبير ملكه على عادته ، وولّى شاوَر بن مجير(١) السعدىّ الصعيدَ. ثم ثقُل طلائع هذا على العاضد فدبّر فى قتله . فلمّا كان عاشر شهر رجب سنة ستّ وخمسين وخمسمائة حضر الصالح طلائع إلى قصر الخلافة، فوثب عليه باطنىٌّ فضربه بسكّين فى رأسه، ثم فى تَرْقُوَته فحُمِل إلى داره، وقُتِل الباطنىّ. ومات الملك الصالح طلائع بن رُزّيك من الغد، فحزِن الناس عليه لحسن سيرته، وأُقيم المأتم عليه بالقصر وبالقاهرة ومصر . وكان جَوادًا ممدّحا فاضلا شاعرا كثير الصدقات حسن الآثار، بنى جامعا خارج بابى زويلة يعرف بجامع الصالح(٢)، وآخر بالقرافة(٣) وتربة(٤) إلى جانبه، وهو مدفون بها. وقام بعده فى الوزر ٱبنه رُزّيك بن طلائع

(١) فى الأصلين: «شاور بن محمد» . والتصويب عن النكت العصرية وشذرات الذهب وابن خلكان . (راجع بقية نسبه فى ٱبن خلكان) .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٣ من هذا الجزء .

(٣) جامع الصالح طلائع بن رزيك بالقرافة ، قال المقريزى عند الكلام على المساجد التى بالقرافة فى الجزء الثانى (ص ٤٠٧) من خططه : إن مسجد الصالح الذى بناه الصالح طلائع بن رزيك وزير مصر كان بخط جامع القرافة الذى عرف باسم جامع الأولياء .

وأقول : إن هذا الجامع يعرف اليوم باسم حوش أبي على ، وقد زال ولم يبق منه الا آثار بعض جدرانه. وموقعه فى الجنوب الشرقى لمسجد قديم يعرف اليوم بحوش خضراء الشريفة آثاره قائمة فى الفضاء الواقع بين جبانة سيدى عقبة ومصر القديمة — ومن هذا الوصف يتبين أن مسجد الصالح كان واقعا فى ذاك الفضاء بالقرب من حوش خضراء الشريفة .

(٤) تربة الصالح طلائع بن رزيك ، ورد فى كتاب الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة لابن الزيات أن تربة الصالح طلائع بن رزيك واقعة فى الجهة الغربية لجامع الأولياء بالقرافة الكبرى وهى ملاصقة لجامع من الجهة المذكورة .

=

ابن رزيك، ولُقّب بمجد الإسلام . وفرح العاضد بقتل طلائع المذكور إلى الغاية ، وكان فى ذلك عكســه، على ما يأتى : وهو أن رُزِّيك لمـّا وزر مكان والده طلائع سار على سِيرة أبيه، فلم يحسُن ذلك ببال العاضد، فأحبّ ذهابَه أيضا ليستبدّ بالأمور من غير وزير؛ فدسّ إلى شاوَر، فتحرّك شاور بن مُجير السعدىّ من بلاد الصعيد وجمع أوباش الصعيد من العبيــد والأوغاد ، وقــدم إلى القاهرة مُحْرِباً لرُزِّيك . فخرج إليه رزيك بن طلائع وقاتله والعاضد فى الباطن مع شاوَر ، فٱنهزم رزّيك . ودخل شاور إلى القاهرة وملكها وأخرب دور الوزارة ودور بنى رزِّيك، وٱختفى الوزير رزّيك المذكور إلى أن ظَفِــر به شــاور وقتله . يأتى بعض ذكر ذلك فى الحوادث كلّ واحد على حدته .

وتولّى شاوَر الوزارة، فعامل العاضــد بأفعال قبيحة وأساء السِّيرة فى الرعيّــة ، وأخــذ أمر مصر فى وزارته فى إدبار . ولـمّا كثُر ظلمه خرج عليــه أبو الأشبال ضِرْغام بن عامر(١) من الصعيد — وقيل من مصر — وحشد. فخرج إليه شاور بدَسْته فهزمه ضِرْغام ، وقُتل ولده الأكبر طَيْءٌ ؛ وخذَل أهلُ القاهرة شاوَر لبغضهم له . فهرب شاور إلى الشام ودخل إلى السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكِي المعروف بالشهيد، فٱلتقاه نور الدين وأكرمه . فطلب شاور منــه النجدة والعساكر وأطمعه فى الديار المصرية، وقال له : أكون نائبــك بها ، وأقنَع بمــا تعيّن لى من الضِّياع والباقى لك . فأجابه نور الدين لذلك وجهّز له العساكر مع الأمير أسد الدين شِيرِكُوه بن شادِى الكُرْدِىّ، أحد أمراء نور الدين . وخرجوا من دمشق فى العشرين

= وأقول : إن جامع الأولياء محله اليوم حوش أبى على السابق ذكره، فيكون موقع تربة الصالح بجوار هذا الحوش من الجهة الغربية .

(١) فى الاصلين هنا : « ضرغام بن ثعلبة » . والتصويب عن كتب التاريخ .

من جمادى سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، وكان مع أسد الدين شِيرِكوه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيّوب فى خدمته . فلمّا وصلوا إلى القاهرة خرج إليهم أبو الأشبال ضِرغام بن عامر بن سوار[1] فحاربهم أيّاماً ووقع بينهم حروب وأمور يطول شرحها ، إلى أن ٱلتقَوْا على باب القاهرة؛ فحَمَل ضِرْغام بنفسه فى أوائل الناس فطُعِن وقُتِل ، وٱستقام أمر شاوَر . فكانت وزارة ضِرْغام تسعة أشهر . وٱستولى شاوَر ثانيا على القاهرة . وكان خبيثاً سفّاكا للدماء . ولمّا ثبت أمره ظهر منه أمارات الغَدْر بأسد الدّين شِيرِكُوه . فأشار صلاح الدين يوسف بن أيّوب على عمّه أسد الدين شِيرِكُوه بالتأخر إلى بلبيس[2] . وكان أسد الدين لا يقطع أمْرا دون صلاح الدين ، ففعل ذلك وخرج إلى بلبيس، و بعث أسد الدين يطلب من شاوَر رزق الجند (أعنى النفقة) فٱعتذر وتعلّل عليه . فكتب أسد الدين إلى نور الدين يُخبره بما جرى، ودسّ شاوَر إلى الفرنج رُسلا يدعوهم إلى مصر و يبذُل لهم الأموال، فٱجتمع الفرنج من الساحل وساروا من الدَّارُوم[3] متّفقين مع شاوَر على أسد الدين شِيرِكُوه . فتهيّأ أسد الدين لحربهم وحاربهم فقَوِى الفرنج عليه وحاصروه بمدينة بلبيس نحو شهرين حتّى صالحهم أسد الدين على مال . وكان حصارهم له من أوّل شهر رمضان إلى ذى القعدة. ووقع بينهم حروب وأمور حتى بلغهم أنّ نور الدين

(١) فى الأصل المطبوع : « ضرغام من أسوان » . وفى الأصل الفتوغرافى « ضرغام فى سوار » . والتصويب عن وفيات الأعيان لابن خلكان فى ترجمة شاور بن مجير .

(٢) بلبيس : هى من المدن المصرية القديمة واقعة على الشاطئ الغربى لترعة الاسماعيلية من حدود الصحراء الشرقية . وكانت قاعدة الحوف الشرقى ثم كورة الشرقية من أول الفتح العربى الى سنة ١٢٥٤ هـ — ١٨٣٨ م حيث نقلت قاعدة مديرية الشرقية إلى بندر الزقازيق و بقيت بلبيس قاعدة المركز المسمى باسمها إلى اليوم .

(٣) الداروم : قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر، الواقف فيها يرى البحر إلا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ . خربها صلاح الدين لما ملك الساحل فى سنة ٥٨٤ هـ (عن معجم البلدان لياقوت) .

الشهيد قصـــد بلادهم من الشام؛ فعند ذلك رجعت الفرنج وصالحوا أســد الدين شِيرِكُوه، فعاد أسد الدين إلى الشام وهو فى غاية من القهر.

وأقام شاوَر بالقاهرة على عادته يظلِم و يقتُـل و يصادر النـاس ، ولم يبـق للعاضد معه أمر ولا نهى . وأقام أسد الدين بدمشق فى خدمة نور الدين إلى سـنة آثنتين وستين ، فعاد بعساكر الشام إلى مصر ثانيـا . وسببه أنّ العاضد لمّـا غلب عليه شاوَر كتب إلى نور الدين يستنجده على شاور وأنّه قد آستبدّ بالأمر وظلم وسفك الدم . وكان فى قلب نور الدين من شاور حزازة لكونه غَدَر بأسد الدين شِيرِكُوه وآستنجد عليه بالفرنج . فخرج أسد الدين بعساكر الشام من دمشق فى منتصف شهر ربيع الأوّل من سـنة آثنتين وستين المذكورة، وسار أسد الدين ومعه آبن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيّوب حتّى نزل برّ الجيزة[1] غربىّ مصر على بحر النيل . وكان شاوَر قد أعطى الفرنج الأموال وأقطعهم الإقطاعات وأنزلهم دور القاهرة وبنى لهم أسواقا تخصُّهم . وكان مقـدَّم الفرنج الملك مُرِّى وآبن نيرزان . فأقام أسـد الدين على الجـيزة شهرين ، وعدّى إلى برّ مصر والقـاهرة فى خامس عشرين جمـادى الآخرة، وخرج إليه شاوَر والفرنج. ورتّب شاور عساكره، فجعل الفرنج على الميمنـة مع آبن نيرزان ، وعسكر مصر فى الميسرة ، وأقام الملك مُرِّى الفرنجىّ فى القلب فى عسكره من الفرنج . ورتّب أسد الدين عساكره فجعل

(١) الجيزة : معناها الناحية والجانب ، وجمعها جيز ، والجيز : جانب الوادى ، وقد يقال فيه الجيزة . أنشأها العرب فى سنة ٢١ هـ — ٦٤٢ م على الشاطئ الغربى للنيل وسمّوها الجيزة لأنها فى المكان الذى اجتازوا فيه نهر النيل بين الفسطاط و بين جانب الوادى الغربى الممتدّ من الجيزة إلى الجبل . وكانت مدينة الجيزة فى عهد العرب قاعدة لكورة الجيزة ، وفى عهد المماليك قاعدة للأعمال الجيزية ، وفى عهد العثمانيين قاعدة لولاية الجيزة التى سميت مديرية الجيزة فى سنة ١٢٤٩ هـ — ١٨٣٣ م . ولم تزل هذه المدينة قاعدة لها إلى اليوم .

صلاح الدين فى الميمنة؛ وفى الميسرة الأكراد، وأسد الدين فى القلب[1]، فحمل الملك مُرّى على القلب فتعتعه ، وكانت أثقال المسلمين خلفه فاشتغل الفرنج بالنهب؛ وحمل صلاح الدين على شاوَر فكسره وفرّق جمعه. وعاد أسد الدين إلى ابن أخيه صلاح الدين وحملا على الفرنج فانهزموا، فقتلا منهم ألوفا وأسرا مائة وسبعين فارسا. وطلبوا القاهرة ، فلو ساق أسد الدين خلفهم فى الحال مَلَكَ القاهرة ، و إنّما عدل إلى الإسكندرية فتلقّاه أهلها طائعين، فدخلها وولّى عليها صلاح الدين .

فأقام صلاح الدين بها وسار أسد الدين إلى الصعيد فاستولى عليه ، وأقام يجمع أمواله . وخرج شاوَر والفرنج من القاهرة فحصروا الإسكندرية أربعة أشهر، وأهلها يقاتلون مع صلاح الدين ويُقَوّونه بالمال . وبلغ أسد الدين فجمع عرب البلاد وسار إلى الإسكندرية، فعاد شاوَر إلى القاهرة وراسل أسد الدين حتّى تمّ الصلح بينهم ، وأعطى شاوَر أسدَ الدين إقطاعا بمصر وعجّل له مالا . فعاد أسد الدين إلى الشام ومعه صلاح الدين. واعتذر أسد الدين إلى الملك العادل نور الدين محمود بكثرة الفرنج والمال . ورأى صلاح الدين لأهل الإسكندرية ما فعلوا، فلمّا ملك مصر بعد ذلك أحسن إليهم .

ثم إنّ الفرنج طلبوا من شاور أن يكون لهم شِحْنة بالقاهرة ويكون أبوابها بأيدى فُرسانهم ويُحمَل إليهم فى كلّ سنة مائة ألف دينار، ومَن سكن منهم بالقاهرة يبقى على حاله و يعود بعض ملوكهم إلى الساحل؛ فأجابهم شاوَر إلى ما طلبوا منه .

---

(١) الذى فى الروضتين : « ثم إنه (أسد الدين) جعل صلاح الدين ابن أخيه فى القلب وقال له ولمن معه : إن الفرنج والمصريين يظنون أنى فى القلب فهم يجعلون جرتهم بإزائه وحملتهم عليه . فإذا حملوا عليكم فلا تصدقوهم القتال ولا تهلكوا أنفسكم واندفعوا بين أيديهم ، فإذا عادوا عنكم فارجعوا فى أعقابهم . واختار من شجعان أصحابه جمعا يثق إليهم و يعرف صبرهم وشجاعتهم ووقف بهم فى الميمنة » .

كل ذلك تقرّر بين شاوَر والفرنج والعاضـد لا يعلم بشىء منه . وسار بعض الفرنج إلى الساحل . وكان الملك العادل نور الدين محمود يخاف على مصر من غلبة الفرنج عليها، فسار بعساكره من دمشق وفتح المُنَيْطِرة[(١)] وقلاعا كثيرة؛ نخاف من كان بمصر من الفرنج . و بيناهم فى ذلك عاد الفرنج من الساحل إلى نحو مصر فى سـنة أربع وستين، وطمعوا فى أخذها . وكان خروجهم من عَسْقلان والساحل إلى نحو مصر فى أوائل السـنة ، وساروا حتّى نزلوا ببلبيس، وأغاروا على الريف وأسروا وقتـلوا . هـذا وقد تلاشى أمر الديار المصرية من الظلم ولم يبق للعاضد من الخلافة سـوى الآسم والخطبة لا غير .

فلمّا بلغ شاوَر فعلُ الفرنج بالأرياف، أخرج من كان بمصر من الفرنج بعد أن أساء فى حقّهم قبل ذلك، وقتل منهم جماعة كبيرة وهرب الباقون. ثم أمر شاور أهل مصر بأن ينتقلوا إلى القاهرة ففعلوا ، وأحرق شاور مصر . وسار الفرنج من بلبيس حتّى نزلوا على القاهرة فى سابع صفر، وضايقوها وضربوها بالمجانيق . فلم يجد شاوَر بُدًّا أن كاتب الملك العادل نور الدين محمودا بأمر العاضد . وكان الفرنج لمّا وصلوا إلى مصر فى المرّتين الأوليين آطّلعوا على عوراتها وطمِعوا فيهـا ؛ وعلم نور الدين بذلك فأسرع بتجهيز العساكر خوفاً على مصر. ثم جاءته كتب شاور والعاضد؛ فقال نورالدين لأسد الدين شِيرِكُوه : خذ العساكر وتوجّه إليها ؛ وقال لصلاح الدين : اخرج مع عمّك أسد الدين؛ فآمتنع وقال : يامولاى، يكفى ما لَقِينا من الشدائد فى تلك المرّة. فقال نور الدين : لا بدّ من خروجك؛ فما أمكنه مخالفة مخدومه نور الدين المذكور ؛ نخرج مع عمّه، وساروا إلى مصر . و بلغ الفرنج ذلك فرجعوا عن مصر إلى الساحل . وقيل : إن شاوَر أعطاهم مائة ألف دينار . وجاء أسد الدين بمن معه من العساكر

(١) المنيطرة : حصن بالشام قريب من طرابلس .

ونزل على باب القاهرة . فٱستدعاه العاضد إلى القصر وخلع عليه فى الإيوان خِلْعة الوزارة ولقّبه بالمنصور، وسُرّ أهل مصر بذلك. وقيل : إنّه لم يستدعه، وإنّما بعث إليه بالخِلَع والأموال والإقامات؛ وكذلك إلى الأمراء الذين كانوا معه . وأقام أسد الدين مكانه وأرباب الدولة يتردّدون إلى خدمتــه فى كلّ يوم، ولم يقدر شاور على منعهم لكثرة العساكر ولكون العاضد مائلًا إلى أسد الدين المذكور. فكاتب شاوَر أيضا الفرنج وٱستدعاهم وقال لهم : يكون مجيئكم إلى دِمْياط[1] فى البحر والــبرّ . فبلغ ذلك أعيانَ الدولة بمصر، فٱجتمعوا عند الملك المنصور أسد الدين شِيرِكُوه وقالوا له : شاوَر فساد العباد والبلاد، وقد كاتب الفرنج، وهو يكون سبب هلاك الإسلام. ثم إنّ شاور خاف لمـا تأخّر وصول الفرنج، فعمل فى عمل دعوة لأسد الدين المذكور ولأمرائه و يقبضَ عليهم. فنهاه ٱبنه الكامل وقال له : والله لئن لم تنته عن هذا الأمر لأُعَرِّفنّ أسد الدين . فقال له أبوه شاوَر : والله لئن لم نفعل هذا لَنُقْتَلنّ كلّنا . فقال له ٱبنه الكامل : لَأنْ نُقتل والبلاد بيد المسلمين خيرٌ من أن نُقتل والــبلاد بيد الفرنج . وكان شاوَر قد شرَط لأسد الدين شِيرِكُوه ثلث أموال البلاد ؛ فأرسل أسد الدين يطلب منه المــال؛ فجعل شــاوَر يتعلّل و يماطل و ينتظر وصول الفرنج؛ فٱبتــدره أسد الدين وقتله .

وٱختلفوا فى قتــله على أقوال ، أحدها أنّ الأمراء ٱتّفقوا على قتله لمّـا علموا مكاتبته للفرنج ، وأنّ أسد الدين تمارض، وكان شاوَر يخرج إليه فى كلّ يوم والطبل والبُوق يضربان بين يديه على عادة وزراء مصر . — قلت : وعلى هذا القول يكون قول من قال : إنّ العاضد خلع على أسد الدين شِيرِكُوه بالوزارة ولقّبه بالمنصور فى أوّل قدومه إلى مصر ليس بالقوىّ ، ولعلّ ذلك يكون بعــد قتل شــاوَر ، على ماسيأتى

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١٢ من هذا الجزء .

ذكره . — بخاء شاوَر ليعود أسد الدين فقبض عليه وقتله . والثانى أنّ صلاح الدين وجُرديك آتّفقا على قتله وأخبرا أسد الدين فنهاهما، وقال : لا تفعلا، فنحن فى بلاده ومعه عسكر عظيم، فأمسكا عن ذلك إلى أن آتّفق أنّ أســد الدين ركب إلى زيارة الإمام الشافعىّ — رضى الله عنه — وأقام عنده، بخاء شاور على عادته إلى أســد الدين فآلتقاه صلاح الدين وجُرديك وقالا : هو فى الزيارة إِنزل ، فآمتنـع ؛ بخذباه فوقع إلى الأرض فقتــلاه . والثــالث أنّهما لمّــا جذباه لم يمكنهما قتــله بغير أمر أسد الدين فسحبه الغِلمان إلى الخَيْمة وآنهزم أصحابه عنه إلى القاهرة لِيُجيِّشوا عليهم . وعلم أسد الدين فعاد مسرعا، وجاء رسول من العاضد برُقعة يطلب من أســد الدين رأس شاوَر، وتتابعت الرُّسُل . وكان أسد الدين قد بعث إلى شاور مع الفقيه عيسى (١) يقول : لك فى رقبتى أيمان، وأنا خائف عليك من الذى عندى فلا تجئ . فلم يلتفت وجاء على العادة فوقع ما ذكرناه . ولمــا تكاثرت الرسل من العاضد دخل جُرديك إلى الخيمة وجزر رأسه، وبعث أسد الدين برأسه إلى العاضد فسُرَّ به . ثم طلب العاضد ولدَ شاوَر الملك الكامل وقتله فى الدِّهليز وقتل أخاه، وآستوزر أســد الدين شِيرِكُوه، وذلك فى شهر ربيع الأوّل . وهذا الذى أشرنا إليه من أنّ ولايةَ أسد الدين للوزر كانت بعد قتل شاوَر .

ولمــا قُتِل شاور وآبنه الكامل، بعث العاضــد منشورا بالوزارة لأســد الدين بخطّ القاضى الفاضل وعليه خطّ العاضد بمــا صورته :

(١) هو الفقيه أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد بن أحمد بن يوسف الهكارى الملقب ضياء الدين . كان أحد الأمراء بالدولة الصلاحية كبير القدر وافر الحرمة ، وكان فى مبدأ أمره يشتغل بالفقه فى المدرسة الزجاجية بمدينة حلب ، فاتصل بالأمير أسد الدين شيركوه ووصل صحبته إلى مصر . توفى سنة ٥٨٥ هـ . (ملخص عن آبن خلكان) .

« هــذا عهدٌ[1] لم يُعْهَدْ إلى وزير بمثـله ، فتقلّد ماأراك الله أهلا بحمله ؛ وخذ كتاب أمير المؤمنين بقوّة ، وٱسحب ذيل الأفتخار بخدمتك بيت النبوّة ؛ وٱلزم حقّ الإمامة تجد إلى الفوز سبيلا ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا » . ثم أرسل العاضد نسخة الأيمان إلى أسد الدين ، وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه على الوفاء والطاعة والصفاء . فتصرّف أسـد الدين شهرين ومات . ولـمّا ٱحْتُضِر أوصى إلى ٱبن أخيه صـلاح الدين يوسف بن أيّوب ، فوُلِّىَ صلاح الدين الوزارة ولُقِّب بالملك الناصر ، على ما يأتى ذكر ذلك كلّه فى ترجمتهما بأوضح من ذلك . ولـمّا وزر صلاح الدين ٱختلف عليـه جماعة من الأمراء عقيب وفاة أسد الدين . وبلغ الملكَ العادل نورالدين ٱتّفاقُ الأمراء عليه بمصر ، فقال له تُورَانْ[2] شاه بن أيّوب الذى لُقِّب بعد ذلك بالملك المعظّم ، وكان أسنّ من صلاح الدين : يامولانا ، أُريد أن أسير إلى أخى (يعنى إلى صـلاح الدين) فقال له نورالدين : إن كنت تسير إلى مصر وترى يوسف أخاك بعين أنّه كان يقف فى خدمتـك وأنت قاعد فلا تَسِر ، فإنّك تُفسِـد العباد والبلاد فتُحْوِجنى إلى عقوبتك بمـا تستحقّه ، وإن كنت تسير إليه وترى أنّه قائم مقامى وتخدِمه كما تخدمنى ، وإلّا[3] فلا تذهب إليــه . فقــال :

(١) وردت صورة العهد فى كتاب الروضتين ص ١٥٩ هكذا : «هذا عهد لا عهد لوزير بمثله ، وتقلد أمانة رآك أمير المؤمنين أهلا لحمـله ، والحجة عليك عنـد الله بما أوضحه لك من مراشد سبله ؛ فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوّة ، وٱسحب ذيل الفخار بأن اعتزت خدمتك الى نبوة نبوّة ؛ واتخـذ للفوز سبيلا ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا » . (٢) هو الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب بن شادى بن مروان الملقب بفخر الدولة ، وهو أخو السلطان صـلاح الدين . توفى سنة ٥٧٦ هـ . وتوران (بضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وبعدها راء ثم بعـد الألف نون) : لفظ أعجمى . وشاه (بالشين المعجمة) هو الملك باللغة العجمية . ومعنى توران شاه ملك المشرق . (راجع ٱبن خلكان) . (٣) لا يخفى أن عبارة الأصلين غير مستقيمة . وعبارة الروضتين : «فسر اليه وٱشدد أزره وساعده على ما هو بصدده» .

يامولانا ، سوف يبلغك ما أفعل من الخدمة والطاعة . وسار إلى مصر فتلقّاه صلاح الدين من بلبيس وخدمه وقدّم له المال والخيل والتُّحَف ، وأقام عنده على أحسن حال ، وفعل ما ضَمِن لنور الدين من خدمة أخيه صلاح الدين ، وقوّى أمر صلاح الدين به وآستقام أمره . كلّ ذلك والخطبة بآسم العاضد فى هذه السنين إلى سنة سبع وستين وخمسمائة ، على ما يأتى ذكره فى ترجمة السلطان صلاح الدين .

ولمّا تمّ أمر صلاح الدين بمصر خاف العاضد عاقبة أمره . وكان للعاضد خادم يقال له مؤتمن الخلافة ، وكان مقدّم السودان والخدم والمشار إليه بالقصر . فأمره العاضد بقتال الترك والغُزّ. وآتّفق العسكر المصرىّ مع الخادم وثاروا على الترك فقتلوا منهم جماعة . فركب صلاح الدين وشمس الدولة ودخلا إلى باب القصر ، وتقاتلا مع مؤتمن الخلافة ، وأبلى شمس الدولة بلاءً حسنًا ، وقُتل الخادم مؤتمن الخلافة وجماعة كبيرة من السودان بعد حروب وقتال عظيم . فأرسل العاضد إلى صلاح الدين يتعتّب عليه ويقول له : فأين أيمانانكم ! هذا الخادم جاهل فعل ما فعل بغير أمرنا فقال صلاح الدين : نحن على الأيمان والعهود ما نتغيّر ، وما قتلنا إلّا مَن قصد قتلنا . وقول العاضد : أين الأيمان والعهود يعنى بذلك أنّه لمّا مات أسد الدين شيركوه وأوصى لآبن أخيه صلاح الدين المذكور آختلف جماعة من أمراء نور الدين الذين كانوا قَدِموا مع أسد الدين على صلاح الدين ، ورام كلّ واحد منهم الأمر لنفسه آستصغارًا بصلاح الدين ، وهم : عين الدين[1] الياروقى رأس الأتراك ، وسيف الدين[2] المشطوب ملك الأكراد ، وشهاب الدين محمود صاحب

(١) فى الأصلين : «عز الدين» . وما أثبتناه عن ابن الأثير وكتاب الروضتين .

(٢) هو على بن أحمد الهكارى المشطوب ، كما فى الروضتين وآبن الأثير .

حارم[1] وهو خال صلاح الدين، وجماعة أُخَر؛ فبادر العاضد وآستدعى صلاح الدين وخلع عليه فى الإيوان خِلْعة الوزارة وكتب عهده ولقّبه الملك الناصر. وقيل: الذى لقّبه بالملك الناصر إنّما هو الخليفة المستضىء العباسىّ بعد ذلك.

ولمّا ولى الوزارة شرع الفقيه عيسى فى تفريق البعض عن بعض، وأصلح الأمور لصلاح الدين، على ما يأتى فى ترجمة صلاح الدين بعد ذلك. وبذل صلاح الدين الأموال وأحسن لجميع العسكر الشامىّ والمصرىّ فأحبّوه وأطاعوه، وأقام نائبا عن نور الدين، يُدْعَى لنور الدين على منابر مصر بعد الخليفة العاضد، ولصلاح الدين بعدهما. وآستمرّ صلاح الدين على ذلك والخطبة للعاضد، وقد ضَعُف أمره وقوِى أمر صلاح الدين، حتّى كانت أوّل سنة سبع وستين وخمسمائة، فكتب إليه الملك العادل نور الدين محمود يأمره بقطع الخطبة لبنى عُبَيد، وأن يخطُب بمصر لبنى العبّاس. فخاف صلاح الدين من أهل مصر ألّا يُجيبوه ولم يسعه مخالفة أمر نور الدين، وقال: ربّما وقعت فتنة لا تُتَدارك؛ فكتب الجواب إلى نور الدين يُخبره بذلك، فلم يسمع منه نور الدين وخشّن عليه فى القول، وألزمه إلزامًا لا مَحِيدَ عنه.

ومَرِض العاضد، فجمع صلاح الدين الأمراء والأعيان وآستشارهم فى أمر نور الدين بقطع الخطبة للعاضد والدعاء لبنى العبّاس، فمنهم من أجاب ومنهم من آمتنع؛ وقالوا: هذا باب فتنة وما يفوت ذلك، والجميع أمراء نور الدين، فعاودوا نور الدين فلم يلتفت وأرسل إلى صلاح الدين يستحثّه فى ذلك؛ فأقامها والعاضد مريض. وآختلفوا فى الخطيب فقيل: إنّه رجل من الأعاجم يُسَمَّى الأمير العالم، وقيل: هو رجل من أهل بعلبكّ يقال له محمد بن المحسّن بن أبى المَضَاء[2] البعلبكّىّ

(١) حارم: حصن وكورة جليلة تجاه أنطاكية، وهى من أعمال حلب. (عن معجم البلدان لياقوت).

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٤٣ من هذا الجزء.

المقدّم ذكره الذى توجّه فى الرسلية من قِبل صلاح الدين إلى بغداد ، وقيل : إنّه كان رجلا شريفا عجميا ، ورد من العراق أيام الوزير الملك الصالح طلائع بن رُزِّيك .

قلت : فأشبه أمرُ الفاطميّين فى هذا الأمر أمرَ العباسيّين لمّـا آنتقلت الدعوة منهم إلى الفاطميّين بنى عُبيد؛ فإنّه أوّل من خطب للمُعِزّ مَعدّ أوّل خلفاء مصر من بنى عبيد الخطيب عمر بن عبد السميع العبّاسىّ الخطيب بجامع عمرو وجامع أحمد ابن طولون، وهذا من باب المكافأة والمجازاة (أعنى أنّ الذى خطب لبنى عبيد كان عبّاسيا والذى خطب لبنى العبّاس الآن علوىّ) . انتهى أمر الفاطميّين . وأقيمت الخطبة لبنى العبّاس فى أوّل المحرّم، والعاضد مريض، فأخفى عنه أهله ذلك؛ وقيل: بلغه، فأرسل إلى صلاح الدين يستدعيه ليوصيه، فخاف أن يكون خديعةً فلم يتوجّه إليـــه .

ومات العاضـد فى يوم عاشوراء سـنة سبع وستين وخمسمائة، وآنقضت دولة الفاطميّين من مصر بموته . ونَدِم صـلاح الدين على قطـع خطبته ، وقال : ليتنى صـبرت حتّى يموت . ثم كتب صلاح الدين يُخبر الملك العـادل نور الدين بإقامة الدعوة العبّاسيّة بمصر . فكتب نور الدين كتابا إلى بغـداد من إنشاء العماد الكاتب الأصبهانىّ، وفيه : [الخفيف]

قد خطبنا للمستضىء بمصر * نائب المصطفى إمام العصر
ولدينـا تضاعفت نعمُ اللـ * ـه وجَلّت عن كلّ عَدٍّ وحصر
وآستنارت عزائم المَلِك العا * دل نور الدين الهمام الأغرّ
هو فتحٌ بِكْرٌ ودون البرايا * خصّنا الله بآفتراع البِكْر (١)

(١) هذه رواية الروضتين . وفى الأصلين :

* خصه الله بآنتزاع البكر *

وهى أطول من ذلك . وصفا الوقت لصلاح الدين وسمى السلطان، وصار يُخطب بآسمه على منابر مصر بعد الخليفة العبّاسىّ والملك العادل نور الدين محمود . وكان آبتداء مرض العاضد من أواخر ذى الحجة سنة ست وستين وخمسمائة . فلمّا كان رابع المحرّم سنة سبع وستين جلس العاضد فى قصره بعد الإرجاف بأنّه أثخن فى مرضه، فشوهد وهو على ما حقّق الإرجاف من ضعف القُوَى وتخاذل الأعضاء وظهور الحُمَّى . وقيل : إنّ الحمّى فشت بأعضائه ، وأمسك طبيبه المعروف بآبن السديد(١) عن الحضور إليه، وآمتنع من مداواته وخذله ، مساعدةً عليه للزمان وميْلًا مع الأيام . ثم خُطب فى سابع المحرّم بآسم الخليفة المستضىء بالله العبّاسىّ وصُرِّح بآسمه ولقبه وكنيته بمصر، حسب ما تقدم ذكره . فمات العاضد بعد ذلك بثلاثة أيام فى يوم الآثنين يوم عاشوراء . وكان لموته بمصر يوم عظيم إلى الغاية، وعظم مُصابه على المصريّين إلى الغاية ، ووجدوا عليه وَجْدًا عظيما لا سيّما الرافضة، فإنّ نفوسهم كادت تَزْهَق حزنًا لآنقضاء دولة الرافضة من ديار مصر وأعمالها . وقد تقدّم التعريف بأحوال العاضد فى أوّل ترجمته من عدة أقوال، فلا حاجة لتكرار ذلك فى هذا المحلّ .

---

(١) هو القاضى الأجل السديد أبو المنصور عبد الله ابن الشيخ السديد أبى الحسن على . كان رئيس أطباء مصر فى عصره . وكان عالما بصناعة الطب خبيرا بأصولها وفروعها جيد المعالجة كثير الدربة حسن الأعمال باليد وخدم الخلفاء المصريين وحظى فى أيامهم ونال من جهتهم من الأموال الوافرة والنعم الجزيلة مالم ينله غيره من سائر الأطباء الذين كانوا فى زمانه ولا قريبا منه، وكانت له عندهم المنزلة العليا والجاه الذى لا مزيد عليه . وعمر عمرا طويلا . وكان أبوه أيضا طبيبا للخلفاء المصريين مشهورا فى أيامهم . وكان يسكن فى القاهرة عند باب زويلة فى دار قد آعتنى بها وبولغ فى تحسينها . وكانت وفاته فى سنة ٥٩٢ هـ . وله ترجمة وافية فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (ج ٢ ص ١٠٩ — ١١٢) .

السنة الأولى من ولاية العاضد على مصر وهى سنة ستّ وخمسين وخمسمائة.

فيها توفى محمود بن نعمة الشيخ أبو الثناء الشِّيرازىّ الشاعر المشهور. كان أديبا فاضلا بارعا. ومن شعره يعارض قول آبن سُكَّرة فى قوله : [البسيط]

جاء الشتاء وعندى من حوائجه * سبعٌ إذا القَطْر[1] عن حاجاتنا حبسا
كيس وكِنٌّ وكانون وكأس طِلًا * مع الكَبَاب وكُسٌّ ناعمٌ وكسا

فقال الشِّيرازىّ : [الطويل]

يقولون كافات الشتاء كثيرةٌ * وما هى إلّا فردُ كافٍ بلا مِرَا
إذا صحّ[2] كاف الكيس فالكلُّ حاصلٌ * لديك وكلّ الصيد يوجد فى الفَرا

ولغيره فى المعنى : [الوافر]

وكافات الشتاء تُعَدُّ سبعًا * وما لى طاقة بلقاء سبع
إذا ظَفِرتْ بكاف الكيس كفّى * ظَفِرتُ بمفردٍ يأتى بجمع

وأمّا ما يشبه قول آبن سُكَّرة فكثير. من ذلك ما قاله آبن قزل :

[البسيط]

عَجِّلْ إلىّ فعندى سبعةُ كَمَلتْ * وليس فيها من اللّذات إعوازُ
طارٌ وطَبْلٌ وطُنبورٌ وطاسُ طلًا * وطَفْلةٌ وطَبَاهيجٌ[3] وطَنّازُ[4]

(١) وقع تحريف فى هذا الشعر فى الأصلين. والتصويب من مقامات الحريرى.

(٢) فى الأصلين : «يصح». وما أثبتناه عن بغية الوعاة للسيوطى وابن خلكان ومقامات الحريرى.

(٣) الطباهيج والطباهجة : طعام من بيض و بصل ولحم مشرح، معرب تباهة بالفارسية.

(٤) الطناز : الساخر المضحك.

قلت : لم يحك وفاته الشنب . وأكثر الصَّفَدىّ(١) فى المعنى فقال :

[البسيط]

إنْ قدّر الله لى بالعمر وآجتمعتْ * سبعٌ فما أنا فى اللّذات مغبونُ

قصرٌ وقِـــدرٌ وقوّادٌ وقَحْبَتُـــه * وقهـــوةٌ وقناديلٌ وقانون

وله أيضـا : [الطويل]

ثمانيةٌ إنْ يَسْمَح الدهرُ لى بها * فمالى عليه بعـــد ذلك مطلوبُ

مَقَامٌ ومشروبٌ ومزجٌ ومأكلٌ * وملهًى ومشمومٌ ومالٌ ومحبوبُ

وللسِّراج الورّاق(٢) فى هذا المعنى أيضا — وهو عندى أقربهم لقول آبن سُكَّرة — :

[البسيط]

عنـدى فديتُـك لَذّاتٌ ثمانيـةٌ * أنفى بها الحزنَ إن وافى وإن وَرَدا

راحٌ ورَوْحٌ وريحانٌ وريقُ رَشًا * ورفرفٌ ورياضٌ ناعمٌ ورِدَا

ولغيره فى المعنى : [البسيط]

إذا بلغتُ من الدّنيـا ولذّتها * سـبعًا فإنّىَ فى اللذات سـلطانُ

خمرٌ وخَوْدٌ وخاتونٌ وخاتَمُها * وخضرةٌ وخَلاعات وخُلّانُ

وقد خرجنا عن المقصود فى الآستطراد فى معنى هذين البيتين . ولنعد لمـا نحن بصـــدده .

وفيها كانت مقتـلة وزير العـاضد الملك الصالح طلائع بن رُزِّيك الأرمـنىّ أبى الغارات ، أقام وزيرا سبع سنين . وقد تقدّم ذكر طلائع هذا فى ترجمة جماعة من خلفاء مصر : الحافظ والفائز والعاضد ، وكيف كان قدومه إلى مصر وكيف قُتِل .

(١) كذا وردت هذه الجملة فى الأصلين . ولعل صوابها : « قلت : لم يحكه ، وفاته السبب » وهو ابن قزل .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٢١ من هذا الجزء .

وكان ملكا جوادا ممدّحا شاعرا بليغا . ومن شعره من جملة أبيات، وكان قد خرج من الحمّام فقال : [الخفيف]

نحن فى غفلةٍ ونومٍ وللمو * تِ عيونٌ يقظانةٌ لا تنامُ
قد دخلنا الحمّام عامًا ودهرًا * ليت شعرى متى يكون الحِمامُ [1]

فقُتِل بعد قوله بثلاثة أيام . ومن شعره أيضا إلى صديق له بالشام : [البسيط]

أحبابَ قلبىَ إن شـطّ المَزارُ بكم * فأنتمُ فى صميم القلب سُكّانُ
وإن رجعتم إلى الأوطان إنّ لكم * صدورَنا عِوَضَ الأوطانِ أوطانُ
جاورتمُ غيرَنا لمّا نأتْ بكمُ * دارٌ وأنتم لنا بالودّ جيران
فكيف ننساكمُ يومًا لِبُعْـدكمُ * عنا وأشخصكم للعين إنسان

وفيها تُوفِّى القاضى الأعزّ أبو البركات بن أبى جَرَادَة، أخو القاضى ثقة الملك الحسن بن علىّ بن أبى جَرَادَة . كان أبو البركات هذا أمينا على خِزانة الملك العادل نور الدين الشهيد، وكان فاضلا بليغا . كتب إلى أخيه بمصر قصيدة منها : [الطويل]

أحبـاب قلبى والذين أودّهم * وأشتاقهم فى كلّ صبح وغَيْهَب

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى الإشارة [2]، قال : وفيها تُوفّى أبو حكيم إبراهيم بن دينار النَّهرَوَانىّ الحنبلىّ الزاهد . والملك الصالح طلائع بن رُزِّيك الأرمنىّ الرافضىّ .

---

(١) رواية هذا المصراع فى ابن الأثير وكتاب الروضتين والنكت العصرية ونثر الجمان للفيومى (نسخة مخطوطة فى ثلاث قطع محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٤٦ تاريخ) :

* قد رحلنا الى الحمام سنينا *

(٢) الإشارة : اسم كتاب للذهبى .

وأبو الفتح عبد الوهاب بن محمد بن الحسين بن الصابونيّ الخفّاف . وأبو محمد محمد ابن أحمد بن عبد الكريم التميميّ بن المادح(١) .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا .

* * *

السنة الثانية من ولاية العاضد على مصر وهى سنة سبع وخمسين وخمسمائة .

فيها تُوفّي الحسين بن عليّ بن القاسم بن المظفّر قاضي القضاة أبو عليّ الشّهْرُزُوريّ قاضي الموصل . كان عظيم الشأن عالما فاضلا عفيفا، رحمه الله .

وفيها تُوفّي الشيخ الصالح الزاهد عَديّ بن مُسافر بن إسماعيل بن موسى بن مَرْوان ابن الحسن بن مروان بن الحَكَم بن مروان، القُدوة شرف الدين أبو الفضائل الأمويّ الهَكّاريّ، استوطن ليلش(٢) من جبل الهَكّارِيّة(٣) إلى أن مات بها في سنة ثمان(٤)، وقيل سنة سبع وخمسين وخمسمائة، ودُفِن بزاويته، وقبره بها ظاهر يُزار . وكان فقيها عالما عابدا فصيحا متواضعا حسن الأخلاق مع كثرة الهيبة والوَقار، وهو أحد كبار

(١) كذا في الأصل المطبوع وشرح القصيدة اللامية في التاريخ. وفي شذرات الذهب والأصل الفتوغرافي : « المارح » بالراء .

(٢) في ياقوت : « ليلش » : قرية في الحجف ، من أعمال شرقي الموصل منها الشيخ عدى بن مسافر الشافعي . وفي الأصل المطبوع « لالش » . وفي الأصل الفتوغرافي : « لاش » . وكلاهما تحريف .

(٣) في الأصلين : « في جبل الهكار » . والتصويب عن وفيات الأعيان لابن خلكان ومعجم البلدان لياقوت . والهكارية (بالفتح وتشديد الكاف وراء وياء) : بلدة وناحية وقرى فوق الموصل في بلدجزيرة ابن عمر يسكنها أكراد يقال لهم الهكارية . (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٤) في ابن خلكان : « وتوفي سنة سبع ، وقيل : سنة خمس وخمسين وخمسمائة » .

مشايخ الطريقة، وأحد العلماء الأعلام فيها . سلك فى المجاهدة طريقا صعبا بعيدا. وكان القطب محيي الدين عبد القادر ينوّه بذكره ويُثنى عليه كثيرا، وشهد له بالسلطنة (يعنى على الأوليـاء)، وقال : لو كانت النبوّة تنال بالمجاهدة لنالهـا الشيخ عَدِىّ ابن مسافر . وكان فى أوّل أمره فى الجبال والصحارى مجـرّدا يأخذ نفسه بأنواع المجاهدات مدّة سنين، وكانت الحيّـات والسباع تألفه، ثم عاد وسكن بزاويته . وتلمذ له خلق كثير من الأوليـاء، وتخرج بصحبته غير واحد من ذوى الأحوال. وكان له كلام على لسان أهـل الطريقة فى توحيد البـارئ عظيم . ومناقبـه كثيرة يضيق هذا المحلّ عن آستيعابها، رحمه الله .

الذى ذكرهم الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى أبو يَعْلَى حمزة بن أحمد [بن فارس](1) بن كَرَّوس السلمىّ الدمشقىّ . والشيخ عَدِىّ بن مسافر الهَكّارِىّ الزاهد العارف، يوم عاشـوراء . وأبو المَظَفّر هبـة الله بن أحمـد الشِّبْلِىّ القصّارُ فى سلخ العـام .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأربع أصابع .

***

السنة الثـالثة من ولاية العاضد على مصر وهى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة .

فيها سار الملك العـادل نور الدين محمود بن زَنْكِى المعـروف بالشهيد إلى قتال قليج(2) أرْسلان ابن السلطان مسعود صاحب بلاد الروم، ووقع له معه أمور وحروب .

---

(١) التكملة عن شذرات الذهب وتهذيب تاريخ دمشق لابن بدران .

(٢) فى آبن الأثير : « قلج » بدون ياء .

وفيها ظهر شاوَر بن مجير السعدىّ وجمع جمعا كثيرا وقتل وزير العاضد صاحب الترجمة رُزِّيك بن طلائع بن رُزِّيك، وتولّى الوزارة عوضه .

وفيها تُوفِّى عبد المؤمن بن علىّ أبو محمد القَيْسِىّ الكُومِىّ الذى قام بأمره محمد بن تُومَرْت المعروف بالمهدىّ . قال آبن خلّكان : رأيت فى بعض تواريخ الغرب أن آبن تُومَرْت كان قد ظَفِر بكتاب يقال له الجَفْر، وفيه ما يكون على يده . فأقام آبن تومرت مدّه يتطلّبه حتى وجده وصحِبه وهو إذ ذاك غلام ، وكان يتفرّس فيه النجابة، ويُنشِد إذا أبصره : [البسيط]

تكاملتْ فيك أوصافٌ خُصِصتَ بها * فكلّنا بك مسرورٌ ومُغتبِطُ
السنّ ضاحكةٌ والكفّ مانحةٌ * والنفسُ واسعةٌ والوجهُ منبسطُ

وكان يقول آبن تومرت لأصحابه : صاحبكم هذا غلّاب الدّول . ولم يصح عنه أنّه آستخلفه، بل راعى أصحابُه فى تقديمه [إشارتَه](1)، فتمّ له الأمر . وأوّل ما أخذ من البلاد وهْرَان ثم تِلِمْسان ثم فاس ثم مَرّاكُش بعد أن حاصرها أحد عشر شهرا، وذلك فى سنة آثنتين وأربعين وخمسمائة، وآستوثق له الأمر وآمتدّ ملكه إلى الغرب الأقصى والأدنى وبلاد إفْرِيقيّة، وتسمّى أمير المؤمنين . وقصدته الشعراء وآمتدحته . ذكر العِماد الكاتب الأصبهانىّ فى «كتاب الخريدة» أنّ الفقيه أبا عبد الله محمد بن أبى العبّاس لمّا أنشده : [البسيط]

ماهزّ عِطْفَيْه بين البِيض والأَسَلِ * مثلُ الخليفة عبدِ المؤمن بنِ على

أشار إليه بأن يقتصر على هذا البيت، وأمر له بألف دينار . وكانت وفاة عبد المؤمن المذكور فى العشر الأخير من جُمادى الآخرة، وكانت مدّة ولايته ثلاثا وثلاثين سنة

(١) التكملة عن آبن خلكان .

وأشهرا . والكُومِىّ المنسوب إليها هى كُومِيَة(١) قبيلة صغيرة نازلة بساحل البحر من أعمال تِلِمْسَان .

وفيها تُوفّى محمد بن عبد الكريم أبو عبد الله سديد الدولة بن الأنبارى كاتب الإنشاء بديوان الخليفة . أقام كاتبا به نيّفا وخمسين سنة ، وناب فى الوزارة . وكان بينه و بين الحَريرىّ صاحب المقامات مكاتبات ومراسلات .

وفيها تُوفّى يحيى بن سعيد النصرانىّ البغدادىّ أوحد زمانه فى الطّبّ والأدب ، له ستون مقامة ضاهى بها مقامات الحريرىّ ، وله شعر جيّد . من ذلك فى الشيب : [الخفيف]

نَفَرَتْ هندُ من طلائع شيبى * وٱعترتها سآمةٌ من وُجومِ
هكذا عادة الشياطين يَنْفِرْ * نَ إذا ما بدتْ رجومُ النجوم

الذين ذكرهم الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوفّى الزاهد أبو العبّاس أحمد بن محمد بن قُدَامة . وأبو منصور شَهردار بن شِيرَوَيْه الديلمىّ بهَمَذَان . وصاحب الغرب عبد المؤمن بن علىّ بن علوىّ القَيْسِىّ التِلِمْسَانىّ فى جمادى الآخرة بمدينة سلا(٢) . والصاحب جمال الدين محمد بن علىّ الأصبهانىّ الملقب بالجَوَاد وزير الموصل .

§ أمر النيل فى هذه السنة الماء القديم خمس أذرع وثلاث عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثمانى أصابع .

---

(١) كذا فى الأصلين وعقد الجمان . وقد ضبطها بالعبارة فقال : «بضم الكاف وسكون الواو وكسر الميم وفتح الياء آخر الحروف وفى آخرها هاء» . وفى ابن خلكان : «الكومى بضم الكاف وسكون الواو وبعدها ميم هذه النسبة إلى كومة» .

(٢) سلا : مدينة بأقصى المغرب ليس بعدها معمور إلا مدينة صغيرة يقال لها غرنيطوف . وهى مدينة متوسطة فى الصغر والكبر موضوعة على زاوية من الأرض قد حازاها البحر والنهر ، فالبحر شماليها والنهر غربيها جار من الجنوب . (عن معجم البلدان لياقوت) .

***

السنة الرابعة من ولاية العاضد على مصر وهى سنة تسع وخمسين وخمسمائة .

فيها توفى الحسن بن محمد بن الحسن الشيخ أبو المعالى الوَرْكانِى الفقيه الشافعى — ووَرْكان : بلد بنواحى قاشان — كان إماما فى فنون العلوم، عاش نيفا وثمانين سنة .

وفيها توفى محمد بن على بن[1] [أبى][2] المنصور الوزير أبو جعفر جمال الدين الأصبهانى وزير الأتابك زَنْكى وسيف الدين غازى وقطب الدين مودود ، وكان هو الحاكم على الدولة . وكان بينه و بين زين الدين كُوجَك مصافاة وعهود ومواثيق . وكانت الموصل فى أيامه ملجأ لكلّ ملهوف . ولم يكن فى زمانه من يضاهيه ولا يقاربه فى الجود والنَّوال ؛ وكان كثير الصِّلات والصدقات ، بنى مسجد الخَيف بِمنًى وغَرِم عليه أموالا عظيمة ، وجدّد الحِجْر إلى جانب الكعبة ، و زخرف البيت بالذهب ، و بنى أبواب الحرم وشيّدها ورفع أعتابها صيانةً للحرم ؛ و بنى المسجد الذى على عَرَفة والدرج الذى فيها ، وأجرى الماء إلى عرفات ، وعمل البرك والمصانع ؛ وبنى على مدينة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم سُورًا ، وكانت الأعراب تنهبها ، وكان الخطيب يقول على المنبر : اللّهمّ[3] صُن من صان حرم حريم نبيّك محمد صلى الله عليه وسلم . وكانت صدقاته تسير إلى المشرق والمغرب ، رحمه الله تعالى .

وفيها تُوفّى أبو الفرج عبد الله بن أسعد بن علىّ بن عيسى الموصلىّ المعروف بآبن الدهّان و بالحِمصِىّ أيضا ، الفقيه الشافعى المنعوت بالمهذّب الشاعر المشهور .

---

(١) هو الذى تقدّمت وفاته فى الماضية فى قول الذهبى . (٢) التكلة عن ابن خلكان وابن الأثير وعقد الجمان ونثر الجمان للفيومى . (٣) فى عقد الجمان ونثر الجمان للفيومى : « اللهم صن حريم من صان حرم نبيك بالسور، محمد بن على بن أبى منصور » .

كان فصيحا فقيها فاضلا أديبا شاعرا، غلب عليه الشعر وآشتهر به، وله ديوان صغير وكلّه جيّد، ورحل البلاد ومدح بمصر الوزير الصالح طلائع بن رُزِّيك وغيره . ومن شعره فى غلام لَسَبَتْه نحلة فى شفته : [الرمل]

بأبى مَنْ لَسَبته نحلةٌ * آلمتْ أكرم شىء وأجَـلّ
أثّرتْ لسبتُهـا فى شَـفَةٍ * ما براها اللهُ إلّا للقُبَـلْ
حَسِبَتْ أنّ بفيـه بيتَهـا * إذ رأت ريقته مثل العسل

ومن شعره أيضا : [الكامل]

قالوا سلا، صدَقوا، عن السُّلوان ليس عن الحبيبِ
قالوا فَـلِمْ تركَ الزيا * رةَ قلتُ من خوف الرقيبِ
قالوا فكيف يعيش مَـعْ * هذا فقلتُ من العجيب

الذين ذكرهم الذهبىّ [وفاتهم] فى هذه السنة ، قال : فيها تُوفّى أبو سـعد (١) عبـد الوهاب بن الحسن الكِرْمانِىّ آخر من رَوى عن آبن خلف وغيره . والسـيد أبو الحسن علىّ بن حمزة العلوىّ الموسوىّ بهراة، وكان مسندها وله إحدى وتسعون سنة . وأبو الخير محمد بن أحمد بن محمد البَاغْبان (٢) .

أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القـديم ثمـانى أذرع وثمانى أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وعشر أصابع . وزاد بعد طلوع السِّماك (٣) بعدّة أيام .

(١) فى الأصلين : «أبو سعيد» . وما أثبتناه عن شذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ .
(٢) الباغبان (بفتح الموحدتين وسكون المعجمة) : نسـبة الى حفظ الباغ ، وهو البستان . (عن شذرات الذهب) .
(٣) السماك ، واحد السماكين . وهمـا كوكبان نيران يقال لأحدهما السماك الرامح ، وللآخر السماك الأعزل . وفى حديث ابن عمر أنه نظر فاذا هو بالسماك فقال : قد دنا طلوع الفجر فأوتر بركعة . وطلوع السماك الأعزل مع الفجر يكون فى تشرين الأول . (راجع اللسان مادة سمك) .

* * *

السنة الخامسة من ولاية العاضد على مصر وهى سنة ستين وخمسمائة .

فيها فتح الملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكى الشهيد بَانْيَاس عَنْوَةً، وكان معه أخوه نصرة[1] الدين ، فأصابه سهم فأذهب إحدى عينيه؛ فقال له أخوه نور الدين : لو كُشف عما أُعِدّ لك من الأجر لتمنّيت ذهاب الأخرى، فحمد الله على ذلك .

وفيها فوّض الملك العادل شَحْنَجِيَة[2] دمشق إلى صلاح الدين يوسف بن أيوب، فأظهر صلاح الدين السياسة وهذّب الأمور، وذلك فى حياة والده وعمّه أسد الدين شِيرِكُوه .

وفيها تُوفّى أمير أميران نُصرة الدين بن زَنْكى بن آق سُنْقُر التركىّ أخو الملك العادل نور الدين المقدّم ذكره فى ذَهاب عينه فى فتح بَانْيَاس . وكان أميرا شجاعا مقداماً عزيزا على أخيه نور الدين محمود، وعظُم مصابه عليه؛ رحمه الله .

وفيها تُوفّى حسّان بن تميم بن نصر الشيخ أبو الندى الدمشقىّ المحدّث، سمع الحديث وحجّ ومات فى شهر رجب، ودُفِن بمقبرة باب الفراديس .

وفيها تُوفّى الشيخ المعتقَد محمد بن إبراهيم الكِيزَانِىّ[3] أبو عبد الله الواعظ المصرىّ . قيل إنه كان يقول : إنّ أفعال العباد قديمة . ولمّا مات دفن عند قبر الإمام الشافعىّ بالقرافة الصغرى ، وآستمرّ هناك إلى أن نبشه الشيخ نجم الدين الْخُبُوشَانِىّ فى أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وأخرجه ، فدُفِن بمكان آخر فى القرافة .

---

(١) فى الأصلين : « نصير الدين » ، والتصويب عن الكامل لابن الأثير وعقد الجمان والروضتين وما سيأتى للؤلف . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٠٢ من هذا الجزء .

(٣) الكيزانى (بكسر الكاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الزاى وبعد الألف نون) : نسبة إلى عمل الكيزان وبيعها . (عن وفيات الأعيان لابن خلكان) .

وقبره معروف يُقصد للزيارة . قيــل إنّ الخُبُوشانيّ لمـّا أراد نبشه قال : لا يتّفق مجاورة زِنديق إلى صِدّيق . ثم نبشه قال صاحب المرآة وغيره : كان (يعنى الكِيزَانِىّ) زاهدا عابدا قَنوعا من الدنيا باليسير . وله شعر جيّد، وديوانه مشهور . ومن شعره :

[الرمـــل]

اِصرفوا عنّى طبيــبى * ودَعُــونى وحبيــبى

عَــلّلوا قلــبى بذكرا * هُ فقــد زاد لهيــبى

طاب هَتكى فى هـــواه * بيـن واشٍ ورقيب

ما أُبالى بفَــوات النّـ * ـفسِ ما دام نصيــبى

ليس من لام وإن أطـ * ـنبَ فيــه بمصيب (١)

جسدى راضٍ بسقمى * وجفــونى بنحيــبى

ومن شعره أيضا قوله من أبيات : [الكامل]

يا من يتيــه على الزمان بحسنه * اِعطِف على الصّبّ المشوق التائه

أضحى يخاف عــلى احتراق فؤاده * أسَــفًا لأنّك منه فى سَــوْدائه

قلت : وللكِيزَانىّ كلام فى علم الطريق ولسان حُلْو فى الوعظ، وكان للنـاس فيه محبّة ولكلامه تأثير فى القلوب ؛ ولا يُلتفت لقول الخُبُوشَانِىّ فيه ؛ لأنّهما أهل عصر واحد ، وتهوّر الخُبُوشَانىّ معروف ، كما سيأتى ذكره فى وفاته إن شاء الله تعـالى .

وفيها تُوفّى محمد بن عبد الله بن عبّاس الشيخ أبو عبد الله الحَرّانِىّ . كان شهد عند القاضى أبى الحسن الدامَغانىّ الحنفىّ ، وعاش حتّى لم يبق من شهوده غيره . وسمع الحديث ، وصنّف كتابا سمّاه «رَوْض الأدباء» . قال الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن

ٱبن الجَوْزِىّ فى تاريخه : زرتُه يومًا وأطلت الجلوس عنده ؛ فقلت له : ثقّلت عليك . فأنشدنى — رحمه الله — : [الوافر]

لئن سَمَّيتَ(١) إبرامًا وثقــلًا * زياراتٍ رفعتَ بهنّ قدرى
فمـا أبرمتَ إلّا حبلَ ودّى * ولا ثقّلتَ إلّا ظهرَ شكرى

وكانت وفاته فى جمادى الآخرة .

وفيها توفّى يحيى بن محمد بن هُبَيْرة بن سعيد بن حسن الشيبانىّ(٢) — قد رفع نسبه صاحب مرآة الزمان إلى عدنان — هو الوزير عون الدين أبو المظفّر بن هُبَيْرة . ولد سنة تسع وتسعين وأربعمائة بقرية الدُّور(٣) من أعمال العراق، وقرأ بالروايات وسمع الحديث الكثير، وقرأ النحو واللغة والعروض ، وتفقّه على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل رضى الله عنه، وصنّف الكتب الحسان . وكان قبل وزارته فقيرا؛ فلما أضرّ الفقر بحاله تعرّض للخدمة، فجعله الخليفة المقتفى مُشرفا فى المخزن، ثم صار صاحبَ الديوان ثم ٱستوزره ، فسار فى الوزارة أجمل سيرة . وكان دينًا جَوَادا كريما . دخل عليه الحَيْصَ بَيْص الشاعر مرّة ؛ فقال له ٱبن هُبَيْرة : قد نظمتُ بيتين، تقدِر أن تُعزّزهما بثالث؟ قال : وماهما؟ قال : [البسيط]

زار الخيالُ بخيلًا مثلَ مُرسِلِه * ما شاقنى منه إلا الضمُّ والقُبَلُ
ما زارنى قطُّ إلّا كى يوافقَنى * على الرُّقادِ فينفيه ويرتحلُ

فقال الحَيْص بَيْص من غير رَويّة :

وما درَى أنّ نومى حِيلةَ نُصِبتْ * لِوَصْلِه حين أعيا اليَقْظةَ الحِيَلُ

(١) فى الأصلين : «لئن ضمنت» . وما أثبتناه عن هامش الأصل والمنتظم لابن الجوزى .

(٢) فى ابن خلكان : «بن سعد بن الحسين» .

(٣) الدور : المراد بها دور بنى أوقر، وهى المعروفة بدور الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة، وفيها جامع ومنبر . و بنو أوقر كانوا مشايخها وأرباب ثروتها . و بنى الوزير بها جامعا ومنارة، و بينها و بين بغداد خمسة فراسخ . (عن معجم البلدان لياقوت) .

فأعجبه وأجازه . وكانت وفاة آبن هُبَيْرة فى جمادى الأولى بغأة، وله إحدى وستون سـنة .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هـذه السنة، قال : وفيها تُوفّى أبو العبّاس أحمد آبن عبـد الله [بن أحمد بن هِشام][1] بن الحُطَيْئَة الفاسىّ الناسخ المقرئ بمصر . وأبو النَّـدَى حسّان بن تميم الزيّات . والوزير أبو المظفّر سـعيد بن سهل الفلكىّ فى شوّال . وأبو الحسن[2] علىّ بن أحمد اللّبّاد بأصبهان . وعلىّ بن أحـمد بن مُقَاتِل السُّوسىّ الشَّاغُورِىّ[3] . وأبو القاسم عمر بن محمد بن البَزْرِىّ الشافعىّ فقيه الجزيرة . وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن العبّاس الحَرّانىّ العدل ببغداد . والقاضى أبو يَعلَى الصغير شيخ الحنابلة محمد بن أبى خازم آبن القاضى أبى يَعْلَى بن الفَرّاء . والشريف أبو طالب[4] محمد بن محمد بن أبى زيد العَلوِىّ البصرىّ النقيب . والوزير عَوْن الدِّين يحيى بن محمد بن هُبَيْرة الشيبانىّ فى جمادى الأولى بغأة وله إحدى وسـتون سـنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وخمس عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثمانى عشرة إصبعا .

⁂

السنة السادسة من ولاية العاضد على مصر وهى سـنة إحدى وستين وخمسمائة .

---

(١) تكملة عن شذرات الذهب وغاية النهاية . (٢) فى شذرات الذهب . «أبو الحسين» .
(٣) الشاغورى : نسبة الى الشاغور، محلة بالباب الصغير من دمشق مشهورة، وهى فى ظاهر المدينة . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) فى شـذرات الذهب : « أبو طالب محـمد بن محمد بن محمد ... الخ» . وفى شرح القصيدة اللامية فى التاريخ : « أبو طاهر محمد بن محمد بن العلوى » .

فيها هرَب عِزّ الدين محمد بن الوزير عَوْن الدّين بن هُبَيْرَة من دار الخلافة، وكان صُودر بعد موت والده .

وفيها تُوفى عبد العزيز بن الحسين بن الحَبَّاب أبو المعالى القاضى الجليس السعدى، كان يجالس خلفاء مصر من بنى عُبَيْد فسُمّى الجليس . وكان أديبا مترسّلا شاعرا . ومن شعره وأبدع : [الطويل]

ومن عَجَبٍ أنّ الصوارمَ فى الوَغَى * تحيضُ بأيدى القوم وهى ذكورُ
وأعجبُ من ذا أنّها فى أكُفِّهم * تأجّجُ نارًا والأكُفُّ بحورُ

وفيها تُوفى شيخ الإسلام تاج العارفين محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبى صالح موسى بن عبد الله بن يحيي الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله ابن موسى الجَوْن بن عبد الله المَحْض بن الحسن أبى محمد المُثَنَّى بن الحسن بن علىّ ابن أبى طالب الهاشمىّ القرشىّ العلوىّ الجيلىّ الحنبلىّ السيد الشريف الصالح المشهور المعروف بسبط أبى عبد الله الصَّوْمَعِىّ الزاهد . وكان يُعرف بجِيلَان(1) . وأمّه أمّ الخير أمَة الجبّار فاطمة بنت أبى عبد الله الصَّوْمَعِىّ . مولده بجيلان فى سنة إحدى وسبعين وأربعمائة . كان شيخ العراق صاحب حال ومقال، عالما عاملا قُطْب الوجود، إمام أهل الطريقة، قُدوة المشايخ فى زمانه بلا مدافعة . ومناقبه وشهرته أشهر من أن تذكر . كان ممّن جمع بين العلم والعمل، أفتى ودرّس ووعظ سنين، ونظم ونثر؛ وكان محقّقا، صاحب لسان فى التحقيق، وبيان فى الطريق . وهو أحد المشايخ الذين طنّ ذكرهم فى الشرق والغرب . أعاد الله علينا من بركاته وبركات أسلافه الطاهرين .

(1) لعلها : « وكان يعرف بالجيلانى » . وجيلان (بالكسر ، والنسبة إليها جيلانى وجيلى وكيلانى بلغة العجم) : اسم لبلاد كثيرة من وراء طبرستان . (عن معجم البلدان لياقوت) .

وفيها تُوفّى محمــد بن حَيْدَر بن عبــد الله الشيخ أبو طاهر البغــدادىّ الأديب الشاعر المعروف بآبن شعبان . ومن شعره من أوّل قصيدة : [الطويل]

خليلىّ هــذا آخر العهــد منكما * ومِنّى فهل من موعدٍ نَســتجدُّه

وفيها تُوفّى محمــد بن يحيى بن محمد بن هُبَيْرة أبو عبد الله عزّ الدّين آبن الوزير عون الدين . كان فاضلا كبير الشأن عظيم القدر . ناب عن أبيه فى الوزارة مدّة، ثم قُبِض عليه بعد موت أبيه وصُودر وحبس، ثم هرب من محبسه خوفا على نفسه فلم يستتر أمره، وأُخِذ وقُتِل خنقا . وكان من بيت علم وفضل ورياسة .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوفّى أبو طاهر إبراهيم ابن الحسن بن الحُصَين الشافعىّ بدمشق . وأبو عبد الله الحسن بن العبّاس الرُّسْتُمىّ الشافعىّ فى صــفر وله ثلاث وتسعون سنة . وأبو محمد عبد الله بن رِفَاعة بن غَدِير السَّعْدىّ الفَرَضىّ فى ذى القعدة وله أربع وتسعون سنة . والحافظ أبو محمد عبد الله ابن محمد الأَشِيرىّ — وأَشِير[1] : بين حِمْص و بعلبكّ — وأبو طالب عبد الرحمن بن الحسن بن العَجَمِىّ بحلب . والقُدوة الشيخ عبــد القادر الجيلى شــيخ العراق وله تسعون سنة .

§ أمر النيــل فى هــذه السنة — المــاء القــديم ست أذرع و إحدى عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .

---

(١) أشــير : مدينة فى جبال البربر بالمغرب فى طرف إفريقية الغربى مقابل بجانة فى البر . كان أوّل من عمرها زيرى بن مناد الصنهاجى جدّ المعز بن باديس . ومن أشير هــذه الشيخ الفاضل أبو محمد عبد الله ابن محمد الأشيرى إمام أهل الحديث والفقه والأدب بحلب خاصة و بالشام عامة . (عن معجم البــلدان لياقوت وتقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل) . ومنه يعلم ما بين هذا و بين كلام المؤلف من خلاف .

✦

السنة السابعة من ولاية العاضد على مصر وهى سنة ٱثنتين وستين وخمسمائة .

فيها تزوّج الخليفة المستنجد بالله بٱبنة عمّه أبى نصر بن المستظهر، ودخل بها فى شهر رجب ليلة الدعوة التى كان يعملها فى كلّ سنة للصوفيّة وغيرهم؛ وغنّى المغنّى : [الطويل]

يقول رجالُ الحَىِّ تَطمَعُ أن ترى * محاسنَ ليلَى مُتْ بداء المَطامِع
وكيف ترى ليلَى بعينٍ ترى بها * سواها وما طَهَّرتَها بالمدامع
وتلتذّ منها بالحديث وقد جَرَى * حديثُ سواها فى خُرُوق المسامِع

وكان مع الصوفية رجل من أهل أصبهان، فقام قائما وجعل يقول للغنّى : « أى خواجا كفت » [(١)] وهو يكرّر ذلك، والمغنّى يعيد الأبيات حتى وقع الرجل ميتا؛ فصار ذلك الفرح مأتما؛ وبكى الخليفة والصوفيّة ولا زالوا يترافصون حوله إلى الصباح، فحملوه إلى الشُّونِيزيّة فدفنوه بها، وكان له مشهد عظيم .

وفيها عاد الأمير أسد الدين شِيرِكُوه بعساكر دمشق إلى مصر، وهى المرّة الثانية . وقد تقدّم ذلك كلّه فى ترجمة العاضد .

وفيها ٱحترقت ٱللبّادون [(٢)] و باب الساعات بدمشق حريقا عظيما صار تاريخا . وسببه أنّ بعض الطبّاخين أوقد نارًا عظيمة تحت قِدْر هَرِيسة ونام، فٱحترقت دكّانه ولعبت النار فى اللبّادين وغيرها إلى أن عظُم الأمر .

وفيها تُوفّى أحمد بن علىّ بن الزّبير القاضى الرشيد . كان أصله من أُسْوان وسكن مصر، وكان من شعراء شاوَر بن مُجِير السَّعْدىّ، وله فيه مدائح، إلّا أنّه لم ينجُ من شرّ

(١) فى عقد الجمان : «أى اخو حاجى كفت» .
(٢) اللبادون : موضع بدمشق مشرف على باب جيرون . (عن معجم البلدان لياقوت) .

شاوَر، اتّهمه بمكاتبة أسد الدين شيرِكُوه فقتله . وكان فاضلا شاعرا، وله التصانيف المفيدة، من ذلك كتاب «جنّات الجَنان و رياض الأذهان»(١) ذيّل به على اليتيمة .

ومن شعره : [الطويل]

تَوَاطَـا على ظُلمى الأنامُ بأسْرِهم * وأظلمُ مَنْ لاقيتُ أهلى وجِيرانِى
لكل امرئٍ شيطانُ جِنّ يَكيدُه * بسوء ولى دون الورَى ألفُ شيطان

وفيها تُوفّى يحيى بن عبد الله بن القاسم القاضى تاج الدين الشَّهْرُزُورِىّ . كان إماما فاضلا شاعرا فصيحا، مات بالموصل . ومن شعره يُوازن(٢) قصيدة مِهْيَار التى يقول فيها : [المتقارب]

وعَطِّلْ(٣) كئوسك إلّا الكبار * تجـد للصغار أناسًا صِغارا

وفيها تُوفّى محمد بن الحسن [بن محمد](٤) بن على العلّامة أبو المعالى بن حَمْدُون الكاتب، الملقب كافى الكُفاة، بهاء الدين البغدادىّ . كان فاضلا ذا معرفة تامّة بالأدب والكتابة من بيت مشهور بالرياسة والفضل هو وأبوه وأخواه أبو نصر وأبو المظفّر . وأبو المعالى هذا هو مصنّف كتاب «التذكرة»(٥) وهو من أحسن التصانيف، يشتمل على التاريخ

(١) فى كشف الظنون : «جنان الجنان» . (٢) لعل المؤلف سها عن ذكر الشعر الذى يوازن به شعر مهيار أو ذكره وسقط سهوا من النساخ . (٣) رواية ديوان مهيار (ج ١ ص ٣٥٠ طبع دار الكتب المصرية) : «... إلا الكبير * ... للصغير ...» . (٤) التكلة عن المنتظم وابن خلكان وعقد الجمان وما سيأتى للؤلف . (٥) هى تذكرة ابن حمدون المشهورة . ويوجد منها بدار الكتب المصرية الجزء الحادى عشر، وأول ما فيه من الباب السابع والأربعين فى أنواع السير والأخبار وعجائبها وفنون الأشعار وغرائبها . والجزء الثانى عشر، وأوله : الباب الثامن والأربعون فى مزح الأشراف والنوادر و ينتهى بذكر السفلة وأصحاب المهن والسوقة . وهما مخطوطان بخط قديم واضح ومحفوظان تحت رقم ١٥١٤ أدب . وتوجد أجزاء مختلفة متفرقة من التذكرة بخزائن الاسكوريال فى أسبانيا وراغب باشا وعاشر أفندى فى الآستانة وخزائن برلين فى ألمانيا ولندن فى بريطانيا وفى الخزانة الوطنية فى باريس . وأجزاؤها الثلاثة الأولى عثر عليها بدمشق الأستاذ الباحث عيسى اسكندر المعلوف ووصفها مع ترجمة مؤلفها بالجزء العاشر من المجلد الرابع من مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق . وقد طبع الباب الثانى أو القسم الثانى من هذه التذكرة وهو ستة فصول فى ١١٨ صفحة بمصر سنة ١٣٤٥ هـ — ١٩٢٧ م .

والأدب والأشعار، وقفتُ عليه وهو فى غاية الحسن . وكان ابن حمدون المذكور صاحب ديوان الخليفة المستنجد العباسىّ، و روى عن المستنجد قول أبى حفص الشِّطْرَنْجِىّ[1] فى جارية حَوْلاء، وهو : [الطويل]

حَمِدتُ إلهى إذ بُليتُ بحبّها * وبى حَوَلٌ[2] يُغنى عن النظر الشَّزْرِ
نظرت إليها والرقيب يخالنى * نظرتُ إليه فٱسترحتُ من العذر

وقال ابن خلّكان: إنه تُوفّى ببغداد فى يوم الأربعاء من شهر رجب سنة خمس[3] وسبعين وخمسمائة، بخلاف ماذكرناه من قول أبى المظفّر .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : فيها تُوفّى أبو البركات الخَضِر ابن شِبْل بن الحسين[4] بن عبد الواحد خطيب دمشق . والحافظ أبو سعد[5] عبد الكريم [بن محمد[6]] بن منصور التميمىّ السَّمْعانىّ تاج الإسلام[7] محدّث خُراسان فى شهر ربيع الأوّل وله ست وخمسون سنة. وأبو عَرُوبة عبد الهادى بن محمد بن عبد الله بن عمر بن مأمون السجستانىّ الزاهد . وجمال الأئمة بن الماسح أبو القاسم علىّ بن الحسن الكلابىّ الدمشقىّ فى ذى الحجّة . وأبو الحسن علىّ بن مهدىّ بن

---

(١) هو عمر بن عبد العزيز مولى بنى العباس . توفى فى خلافة المعتصم . (عن فوات الوفيات) .
(٢) رواية ابن خلكان : « على حول » . (٣) الذى فى ابن خلكان «... وكانت ولادة ابن حمدون المذكور سنة خمس وتسعين وأربعمائة وتوفى يوم الثلاثاء حادى عشر ذى القعدة سنة اثنتين وستين وخمسمائة ودفن يوم الأربعاء بمقابر قريش ببغداد، وكان موته فى الحبس » . (٤) فى الأصلين : « الخضر بن شبل بن عبد الجبار » . والتصويب عن تهذيب تاريخ دمشق ومرآة الزمان وعقد الجمان .
(٥) فى وفيات الأعيان لابن خلكان : « ... أبو سعد و يقال أبو سعيد ... » . (٦) التكملة عن طبقات الشافعية وشذرات الذهب وابن الأثير ونثر الجمان ووفيات الأعيان وما سيأتى فى الأصل فى السنة التى تلى هذه السنة . (٧) فى الأصلين : « ابن تاج الاسلام » بزيادة « ابن » سهوا .

الهلال الطبيب . والعلّامة أبو شجاع عمر بن محمد البسطامىّ ثم البلْخىّ . وأبو عاصم قيس بن محمـد السُّوَيْقِىّ المؤذّن . وأبو عبـد الله محمد بن إبراهيم بن ثابت المصرىّ الكيزانىّ (١) الواعظ فى المحرّم . وأبو المعالى محمد بن محمد بن محمد فى شهر ربيع الآخر . والمبارك بن المبارك بن صدقة السمسار . وأبو طالب المبارك بن خُضَيْر الصيرفىّ . وأبو الفرج مسعود بن الحسن الثقفىّ فى رجب وله مائة سنة . وأبو القاسم هبة الله ابن الحسن الدقّاق (٢) فى المحرّم .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القـديم أربع أذرع وأربع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .

*
* *

السنة الثامنة من ولاية العاضد على مصر وهي سنة ثلاث وستين وخمسمائة .

فيها أبيع الورد ببغداد مائة رطل بقيراط وحبّة .

وفيها زاد ظلم أبى جعفر بن البَلَدِىّ وزير الخليفة، واستغاث أهل بغداد منه .

وفيها تُوفّى ظافر بن القاسم الأديب أبو منصور الجُذَامِىّ الإسكندرىّ المعروف بالحدّاد الشاعر المشهور . كان فصيحا فاضـلا بليغا . وشعره فى غاية الحسن . وهو صاحب القصيدة الذالية التى أوّلها : [الكامل]

لو كان بالصبر الجميل مَلاذُهُ * ما سَحَّ وابلُ دمعـه ورَذَاذُهُ
ما زال جيشُ الحبّ يغزو قلبه * حتّى وَهَى وتَقَطّعتْ أفلاذه
لم يبقَ فيـه من الغرام بَقِيّةٌ * إلّا رسيسٌ يحتـويه جُذاذُه

---

(١) تقدمت وفاته سنة ٥٦٠ هـ وراجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٦٧ من هذا الجزء .

(٢) فى شذرات الذهب : « هبة الله الحسن » .

مَنْ كان يرغَبُ في السلامة فليكن * أبدًا من الحَدَقِ المِرَاضِ عِياذُه
لا تَخْدعنك بالفتور فإنّه * نَظَرٌ يضرّ بقلبك آستلذاذه
يأيها الرّشأ الذى من طَرْفِه * سهمٌ إلى حَبِّ القلوبَ نفاذُه
دُرٌّ يلوح بفيك مَنْ نَظّامُه * خمرٌ يجول عليه من نَبّاذُه
وقناةُ ذاك القدّ كيف تقوّمتْ * وسِنانُ ذاك اللّحْظ ما فُولاذه
رِفْقًا بجسمك لا يذوب فإنّنى * أخشى بأن يجفو عليه لاذه(1)
هاروت يعجز عن مواقع سحره * وهو الإمام فَمَنْ ترى أستاذُه
تالله ماعَلِقتْ محاسنُك آمرأً * إلّا وعزّ على الورَى آستنقاذُه
أغريتَ حُبَّك بالقلوب فأذعنتْ * طوعًا وقد أودَى بها آستحواذُه
مالى أتيتُ الحبَّ(2) من أبوابه * جهدى فدام نِفارُه ولِوَاذُه
إيّاكَ من طمع المُنَى فعزيزُه * كذليله وغنيُّه شحّاذُه

ومنها :

داليّةُ آبن دُرَيْدٍ آستهوَى بها * قومًا غداة نَبَتْ به بغداذه
دانُوا لزخرف قوله فتفرّقت * طمعًا بهم صَرْعاه أو جذاذُه

ويحكى أنّ آبن ظَفَر أمير الإسكندريّة أحضره مرّة ليبْرُد له خاتمًا قد ضاق في خِنْصَره؛ فقال ظافر المذكور : [السريع]

قصّرَ عن أوصافك العالمُ * فآعترف(3) الناثرُ والناظمُ
مَنْ يكن البحرُ له راحةً * يَضيقُ عن خِنصَره الخاتَمُ

---

(1) اللاذ : ثياب حرير حمر، واحدها لاذة .

(٢) فى ابن خلكان : «... الحظ من أبوابه * جهدى فدام نفوره ... »

(٣) فى ابن خلكان : «وكثر الناثر... الخ» .

وكانت وفاته فى هذه السنة. وقال ابن خَلِّكان: فى سنة تسع وعشرين وخمسمائة.

وفيها تُوُفّى عبد الكريم(١) بن محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبّار الإمام الحافظ أبو سعيد بن السَّمْعانىّ(٢) التميمىّ، مولده بمَرْو. وكان إماما فاضلا محدّثا فقيها. ذيّل على تاريخ أبى بكر الخطيب، ورحل إلى دِمشق. قال ابن عساكر: ثمّ عاد من دمشق إلى بغداد فسَمَّعَ تاريخ الخطيب وذيّله، وعاد إلى خُراسان وعَبَر النهر(٣)، وحدّث ببَلْخ وهَرَاة. وصنّف كتابا سماه «فرط الغرام إلى ساكنى الشام» وأرسل به إلى دمشق وهو بخطّه فى ثمانية أجزاء تشتمل على أخبار وحكايات. ومات بمَرْو فى شهر ربيع الأوّل.

وفيها تُوفّى الأمير زين الدّين علىّ بن بُكْتِكين بن مُظَفّر الدّين كُوكُبُورى(٤)، المعروف كُوجَك(٥)، التركىّ. كان حاكما على الموصل وغيرها، وكان حسن السِّيرة عادلًا فى الرعيّة. وكان أوّلا بخيلا مَسيكا، ثمّ إنّه جاد فى آخر عمره، و بنى المدارس والقناطر والجسور. وحكى أنّ بعض الجند جاءه بذَنَب فَرَس وقال له: مات فرسى، فأعطاه عوضه؛ وأخذ ذلك الذنب آخر وجاءه به وقال له: مات فرسى، فأعطاه عوضه؛ ولا زال يتداول الذنبَ اثنا عشر رجلا، وهو يعلم أنّه الأوّل و يعطيهم الخيل. فلمّا أعجزوه أنشد: [الكامل]

ليس الغبىُّ بسيِّدٍ فى قومه * لكنّ سيّد قومه المتغابى

فعلموا أنّه عَلِم فتركوه. ولما كَبِر سِنُّه سلّم البلاد إلى قطب الدين مودود، وقال له: إنّك لا تنتفع بى، فقد كَبِرْتُ وضَعُفت قوّتى وخاننى سمعى و بصرى. وكان الأَتَابك

(١) ذكر المؤلف وفاته، فيما نقله عن الذهبى، فى السنة الماضية.

(٢) السمعانى: نسبة إلى سمعان، جدّ أو بطن من تميم. (عن لب اللباب).

(٣) المراد به نهر جيحون:

(٤) ضبطه ابن خلكان بضم الكافين بينهما واو ساكنة ثم باء موحدة مضمومة وواو ساكنة بعدها راء.

(٥) ضبط فى عقد الجمان بالقلم (بضم الكاف وفتح الجيم). ومعناه: القصير أو الصغير.

زَنْكِى قد أعطاه إِرْبِل[١]، فمضى إليها وأقام بها حتّى مات فى ذى الحجّة . وكانت أيّامه على الموصل إحدى وعشرين سنة ونصفا . وملك بعده آبنه زين الدّين يوسف آبن علىّ بن مُظَفَّر الدِّين كُوكُبُورِى .

وفيها تُوفّى محمد بن عبد الحميد[٢] أبو الفتح علاء الدّين الرازىّ[٣] السَّمَرْقَندِىّ صاحب «التعليقة» و «المعترض والمختلف» على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة، رضى الله عنه . وكان إماما بارعا مفتّنًا، كان من فرسان الكلام؛ قدم بغداد وناظر وبَرَع وفاق أهلها . وكان شحيحا بكلامه ؛ فكانوا يُورِدون عليه أسئلة وهو عالم بأجوبتها ، فيكاد ينقطع ولا يذكرها لشحّه ولئلّا تستفاد منه؛ وعلم ذلك منه علماء عصره . وقيل : إنّه تنسّك وترك المناظرة مع شهادة أهل عصره من العلماء له بالسَّبْق والفضيلة .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوفّى أبو المعالى أحمد آبن عبد الغنى البَاجِسْرَائِىّ[٤] . والقاضى الرشيد أبو الحسين[٥] [أحمد بن] علىّ بن الزُّبير الأُسْوانِىّ الكاتب بمصر . وأبو المظفّر أحمد بن محمد بن علىّ الكاغَدِىّ فى رجب ببغداد . وأبو بكر أحمد بن المقترب الكَرْخِىّ فى ذى الحجّة . وأبو المناقب حَيْدَرة بن عمر بن إبراهيم العَلَوِىّ الزَّيْدِىّ فى ذى الحجّة بالكوفة . وأبو طاهر الخَضِر بن الفضل

---

(١) إربل : مدينة كبيرة فى فضاء من الأرض واسع بسيط ، وهى بين الزابين تعد من أعمال الموصل . (عن معجم البلدان لياقوت) . وبها قلعة حصينة .

(٢) فى الأصلين : « عبد المجيد » . والتصويب عن المنتظم والبداية والنهاية وتاج التراجم ومعجم البلدان لياقوت واللباب وأنساب السمعانى . وذكر فى هذه الكتب الأخيرة الثلاثة فى كلامها على « أسمند » وهى قرية من قرى سمرقند . وفى معجم البلدان وتاج التراجم أنه توفى سنة ٥٥٢ هـ » .

(٣) فى الأصلين : « الدارى » . وما أثبتناه عن المنتظم وعقد الجمان والبداية والنهاية .

(٤) الباجسرائى : نسبة الى باجسرى ، بلد بنواحى بغداد .

(٥) فى الأصلين هنا : « أبو الحسن على بن زبير » . والتصويب والتكملة عن وفيات الأعيان لابن خلكان .

الصّفّار، ويعرف بزُحَل، فى جمادى الأولى، وله إجازة عالية . وأبو الفضل شاكر ابن علىّ الأَسْـوَارِىّ[١] . وأبو محمد عبـد الله بن علىّ الطَّـامَذِىّ[٢] المقرئ بأصبهان فى شعبان . والشيخ العلّامة أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله السُّهْرَوَرْدِىّ[٣] عن ثلاث وسبعين سـنة . وأبو الحسن علىّ بن عبد الرحمن الطُّوسِىّ بن تاج القرّاء . وعمرو بن سمّان البغـدادىّ . وأبو الحسن محمد بن إسحاق بن محمد بن الصابئ . والشريف الخطيب أبو الفتوح ناصر بن الحسن الحُسَيْنىّ[٤] المقرئ بمصر. وأبو بكر محمد ابن علىّ [بن عبد الله][٥] بن ياسر الجَيَّانِىّ[٦] الأندلسىّ . ونفيسة بنت محمد بن علىّ البزّازة[٧] . والصائن هبة الله بن الحسن بن هبـة الله بن عساكر فى شعبان وله خمس وسبعون سنة . وأبو المظفّر هبة الله بن عبد الله بن أحمد بن السَّمَرْقَنْدِىّ . وأبو الغنائم هبة الله بن محفوظ بن صصرى . ومدرّس النّظاميّـة أبو الحسن يوسف بن عبـد الله ابن بُنْدَار الدمشقىّ .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .

---

(١) الأسوارى (بفتح أوّله والواو وسكون السين آخره راء) : نسبة الى أسوار من قرى أصبهان . والذى فى شذرات الذهب : «شاكر بن أبى الفضل الأسوارى الأصبهانى» . (٢) الطامذى : نسبة الى طامذ، قرية بأصبهان . (عن لب اللباب) . (٣) السهروردى (بضم السين المهملة وسكون الهاء وفتح الراء والواو وسكون الراء الثانيـة ومهملة) : نسبة إلى سهرورد، بلد عنـد زنجان . (٤) كذا فى الأصلين وغاية النهاية . وفى شذرات الذهب «ناصر بن الحسين» . (٥) التكلة عن شـذرات الذهب . (٦) الجيانى : نسبة الى جيان، مدينة لها كورة واسعة بالأندلس . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٧) فى الأصل المطبوع : «البراد» . وفى الأصل الفتوغرافى : «البوارة» . والتصويب عن شذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ .

*
* *

السنة التاسعة من ولاية العاضد على مصر وهى سنة أربع وستين وخمسمائة .

فيها ملك السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكِى الشَّهيد قلعة جَعْبَر(١) من صاحبها آبن مالك العُقَيْلِيّ(٢) .

وفيها قدم أسد الدين شِيرِكُوه إلى الديار المصريّة ومعه آبن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيّوب لقتال الفرنج . وهذه قَدْمته إلى مصر الثالثة التى ملك فيها مصر، حسب ما تقدّم ذكره فى ترجمة العاضد : من قتله لشاوَر، وتوليته الوزر للعاضد، ووفاته بديار مصر، وتولية صلاح الدين يوسف بعده .

وفيها تُوفِّى حُمَيْد بن مالك بن مُغيث بن نصر بن مُنْقِذ الأمير أبو الغنائم الكِنَانِيّ . مولده بشَيْزَر(٣)، ثمّ آنتقل منها وسكن دمشق، ثم رَحَل إلى حلب ومات بها فى شعبان . وكان أديبا فاضلا شاعرا .

وفيها تُوفِّى عبد الخالق بن أَسَد بن ثابت الإمام أبو محمد الدِّمَشْقيّ الحنفيّ . كان فقيها مُفْتِيًا عارفا بالحديث وفنون العلوم، ودرس بالصادِريّة(٤) بدمشق ومات بها .

ومن شعره : [الكامل]

قال العواذل ما آسم مَن * أضنى فؤادَك قلت أحمد
قالوا أتَحْمَدُه وقد * أضنى فؤادَك قلت أحمد

الذى ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوفِّى الأمير مُجير الدِّين [آبق بن محمد](٥) بن بُورِى بن طُغتِكِين الذى أخذ منه نور الدين دمشق ، ثم صار

(١) قلعة جعبر : على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين . (٢) فى آبن الأثير : «صاحبها هو شهاب الدين مالك بن على بن مالك العقيلى» . (٣) فى تهذيب تاريخ دمشق : «ولد بشيراز» . (٤) فى الاصلين : «الصاروجية» . وما أثبتناه عن شذرات الذهب وتاج التراجم . (٥) التكملة عن عقد الجمان .

أميرا ببغداد . والملك أبو شجاع شاوَر بن مجير بن نِزَار السعدىّ، وزير العاضد، قتله جُردِيك النُّورِىّ . والملك المنصور أســد الدين شِيرِكوه بن شَادِى بفجأة بعد شــاور بشهرين . وأبو محمد عبد الخالق بن أسد الحنفىّ الحافظ فى المحرّم . وأبو الحسن علىّ ابن محمد بن علىّ البَلَنْسِىّ(١) المقرئ فى رجب وله أربع وتسعون سنة . وقاضى القضاة زكىّ الدِّين علىّ بن المنتخب [محمد بن](٢) يحيى القرشىّ الدمشقىّ فى شوّال غريبا ببغداد وله سبع وخمسون سنة . وأبو الفتح محمد بن عبد الباقى بن البَطِّىّ الحاجب مُسْنِد العراق فى جمادى الأولى وله سبع وثمــانون ســنة . والحافظ أبو أحمــد معمر ابن عبــد الواحد القرشىّ بن الفاخر الأصبهانىّ فى ذى القعــدة بطريق الحجــاز وله سبعون سنة .

§ أمر النيل فى هــذه السنة — المــاء القديم ستّ أذرع وثمانى أصابع . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وآثنتا عشرة إصبعا .

\+ \+ \+

السنة العاشرة من ولاية العاضــد على مصر، وقد وزر له الملك الناصر صلاح الدِّين يوسف بن أيّوب، ولم يكن له مع صلاح الدين إلّا مجرّد الآسم فقط، وهى سنة خمس وستين وخمسمائة .

فيها نزل الفرنج على دِمْياط يوم الجمعة فى ثالث صفر، وجدّوا فى القتال، وأقاموا عليها ثلاثة وخمسين يوما يحاصرونها ليلًا ونهارًا . ونذكر هذه الواقعة بأوسع من هذا فى أوّل ترجمة صلاح الدِّين إن شاء الله .

---

(١) البلنسى : نسبة الى بلنسية ، كورة ومدينة مشهورة بالأندلس ، وهى شرق تدمير وشرق قرطبة . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) التكملة عن شذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ، وراجع وفاة أبيه فى حوادث سنة ٥٣٧ هـ من هذا الجزء .

وفيها تُوفّى حمّاد بن منصور البُزَاعِىّ(١) الحلبىّ ويُعرف بالخرّاط. كان أديبا شاعرا فصيحا . ومن شعره فى كريم : [الخفيف]

ما نوالُ الغَمَام وقت ربيعٍ * كنوال الأمير وقت سَخَاء(٢)

فنوالُ الأمـير بَدْرَةُ مالٍ * ونوال الغمام قَطْـرةُ ماء

قلت : ومن الغاية فى هذا المعنى قول الشيخ علاء الدين علىّ الوَدَاعِىّ(٣) . [البسيط]

مَنْ زار بابك لم تَبْرَحْ جوارحُـه * تَرْوِى أحاديثَ ما أوليْتَ من مِنَنِ

فالعين عن قُرَّةٍ والكَفُّ عن صِلَةٍ * والقلبُ عن جابرٍ والسمعُ عن حسنِ

وفيها تُوفّى محمد بن إبراهيم بن هانئ أبو القاسم المغربىّ . كان من شعراء الخلفاء الفاطميّين . ومن شعره من أوّل قصيدة مدح بها بعض خلفاء مصر : [الرمل]

اِمسَحُوا عن ناظرى كَحْلَ السُّهَادِ * وٱنفُضُوا عن مَضْجَعى شوكَ القَتَادِ

أَوْ خـذوا منّى الذى أبقيـتُمُ * ما أُحِبّ الجسم مسلوبَ الفـؤادِ

وفيها تُوفّى مودود بن زَنْكِى بن آق سُنْقُر الملك قطب الدّين صاحب الموصل وأخو السلطان الملك العادل نور الدين محمود الشهيد . ولمّا آحتُضِر مودود هذا

---

(١) البزاعى : نسبة الى بزاعة ، وهى بلدة من أعمال حلب فى وادى بطنان بين منبج وحلب بينها وبين كل واحدة منهما مرحلة ، وفيها عيون ومياه جارية وأسواق حسنة . (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٢) الذى فى معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص أن هذين البيتين لرشيد الدين الوطواط ، واسمه محمد بن محمد بن عبد الجليل ، كما فى بغية الوعاة للسيوطى ومعجم الأدباء لياقوت .

(٣) الوداعى (بالفتح ومهملتين : نسبة الى بنى وداعة بطن من همدان ، وقال ابن الأثير : إنما هو وادعة ، أو الى أبى وداعة السهمى . وعلاء الدين الوداعى هو صاحب التذكرة الكندية فى خمسين مجلدا . توفى سنة ٧١٦ هـ . (عن فوات الوفيات) .

أوصى بالمُلك لولده عِماد الدين زَنْكى، وكان أكبرهم[1] وأعزّهم عليـه . وكان الحاكم على الموصل فخر الدين عبد المسيح، وكان يكره عِماد الدّين زَنْكى هذا؛ وكان عِمادالدين قد أقام عند عمّه نور الدين محمود بحلب مدّة وتزوّج بابنته، فلا زال فخر الدين المذكور بقطب الدين مودود حتّى جعل العهد من بعـده لولده سيف الدين غازى وعزل عِماد الدين زَنْكى؛ فعزّ ذلك على نور الدين وقصد الموصل وقال : أنا أحقّ بتدبير ملك أولاد أخى .

الذين ذكرهم الذهبىّ فى هـذه السنة ، قال : وفيها تُوفّى أبو بكر عبد الله ابن محمد بن أحمد بن النَّقُور البزّاز فى شعبان عن إحدى وثمانين سنة . وأبو المكارم عبد الواحد بن محمد بن المسلّم بن الحسن بن هلال الأزدىّ العدل فى جمادى الآخرة. وأبو القاسم محمود بن عبدالكريم الأصبهانىّ التاجر. وصاحب الموصل قطب الدين مودود ابن أتابك زَنْكى .

§ أمر النيل فى هذه السنة ــ المـاء القديم خمس أذرع وثمانى عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وأربع عشرة إصبعا .



السنة الحادية عشرة من ولاية العاضد على مصر، وتحكّم وزيره الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب، وهى سنة ست وستين وخمسمائة .

فيها سار الملك العادل نور الدين محمود من دِمشق إلى الموصِل وسلّمها لابن أخيه عِماد الدين زَنْكى بعد أمور وقعت بينـه و بين فخر الدين عبد المسيح المقدّم ذكره فى المـاضـيـة .

(١) يريد أكبر أولاده، كما فى عقد الجمان .

وفيها بنى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب مدرسة للشافعيّة[1]، وكان موضعها حبس المعونة، وبنى بها أيضا مدرسة للمالكيّة تعرف بدار الغزل[2]. وولّى صدر الدّين عبد الملك بن در باس[3] الكردىّ القضاء بالقاهرة .

وفيها فى جمادى الآخرة خرج صلاح الدّين يوسف بن أيّوب بعساكر العاضد إلى الشام فأغار على غزّة وعسقلان والرملة ومضى إلى أيْلة، وكان بها قلعة فيها

---

(١) مدرسة الشافعية التى كان موضعها حبس المعونة . ذكر المقريزى عند الكلام على ذكر السجون فى الجزء الثانى (ص ١٨٧) من خططه سجنين باسم حبس المعونة أحدهما بمصر (الفسطاط)، والثانى بالقاهرة . فقال : حبس المعونة بمصر يقال له أيضا دار المعونة لأنها بنيت بمعونة المسلمين ينزلها ولاتهم، وعرفت أيضا بدار الفلفل . وكانت واقعة قبلى جامع عمرو بن العاص بمصر، وقد جعلت دارا للشرطة، واستمرت كذلك من أول الإسلام إلى أن حولها يانس العزيزى الى حبس يعرف بالمعونة فى سنة ٣٨١ هـ . ولما ولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حكم مصر جعل هذا الحبس مدرسة وهى التى تعرف بالشريفية . وقال ابن دقاق فى الجزء الرابع من كتاب الانتصار ص ٩٣ : إن المدرسة الشريفية بجانب جامع مصر فى شرقيه بناها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .

وأقول : إن يانس العزيزى هو يانس الصقلى صاحب الشرطة فى عهد الخليفة العزيز بالله نزار الفاطمى وقد نقل الشرطة إلى مكان آخر، وإن المدرسة الشريفية وهى مدرسة الشافعية زالت . ومحلها اليوم أرض فضاء فى الجنوب الشرقى من جامع عمرو بمصر القديمة مشغولة بأفان الجير والفواخير . (معامل الفخار) .

(٢) مدرسة المالكية المسماة بدار الغزل . قال ابن دقاق (ص ٩٥ ج ٤ من كتاب الانتصار) : «إن المدرسة المالكية وهى المعروفة بالقمحية كانت تعرف بدار الغزل وهى قيسارية يباع فيها الغزل، جعلها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب مدرسة للمالكية» . وقال المقريزى عند الكلام على المدرسة القمحية فى الجزء الثانى (ص ٣٦٤) من خططه : «إن هذه المدرسة بجوار الجامع العتيق بمصر (جامع عمرو بمصر القديمة) . كان موضعها قيسارية تعرف بدار الغزل هدمها السلطان صلاح الدين وأنشأ موضعها مدرسة للفقهاء المالكية فى النصف من شعبان سنة ٥٦٦ هـ» .

وأقول إن هذه المدرسة قد زالت . ومحلها اليوم أرض فضاء فى الجهة الشرقية من جامع عمرو بمصر القديمة بجوار أفان الجير والفواخير . وفى الأصلين : «بدار العدل» وهو تحريف .

(٣) فى كتاب الروضتين : «ابن درباس» .

جماعة من الفرنج، وآنتقاه الأسطول فى البحر، فآفتتحها وقتل من فيها وشحنها بالرجال والعُدَد؛ وكان على درب الحجاز منها خطر عظيم . ثم عاد صلاح الدين إلى مصر فى جمادى الآخرة .

وفيها فى شعبان آشترى تقىّ الدين عمر بن شاهنشاه منازل العزّ[1] بمصر، وعملها مدرسة للشافعيّة .

وفيها توفّى الخليفة المستنجد بالله أمير المؤمنين أبو المظفر يوسف بن المقتفى لأمر الله محمد بن المستظهر بالله أحمد بن المقتدى بأمر الله عبد الله الهاشمىّ العباسىّ البغدادىّ . آستُخلف يوم مات أبوه فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة . ومولده فى سنة ثمانى عشرة وخمسمائة . وأمّه أمّ ولد تسمى «طاوس» كَرَجيّة، أدركت خلافته . وكان المستنجد أسمر طويل اللّحية معتدل القامة شجاعا مهيبا عادلا فى الرعيّة ذكيّا فصيحا فَطِنا، أزال المظالم والمكوس . وكانت وفاته فى يوم السبت ثامن شهر ربيع الآخر، ودُفِن بداره . وكانت خلافته إحدى عشرة سنة وشهرا .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع سواء . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وإحدى وعشرون إصبعا .

---

(١) منازل العز، قال المقريزى عند الكلام على منازل العز فى الجزء الأول (ص ٤٨٤) من خططه : إن هذه المنازل بنتها السيدة تغريد أم الخليفة العزيز بالله نزار الفاطمى، ولم يكن بمصر أحسن منها وكانت مطلة على النيل لا يحجبها شىء عن نظره، ومازال الخلفاء من بعد المعز يتداولونها، وكانت معدّة لنزهتهم... وموضعها الآن المدرسة التقوية منسوبة للملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادى . وقال المقريزى (ج ٢ ص ٣٦٤) عند الكلام على مدرسة منازل العز : إن الملك المظفر نزل فى منازل العز فسكنها مدّة ثم آشتراها فى شهر شعبان سنة ٥٦٦ ﻫ إلى أن ولاه عمه السلطان صلاح الدين نيابة حماة وما معها فى سنة ٥٨٢ ﻫ فوقف منازل العز على فقهاء الشافعية .

وأقول : إن منازل العز كانت واقعة على شاطئ النيل بمصر القديمة . ومحلها اليوم مجموعة المبانى التى تحد من الغرب بشارع مصر القديمة، ومن الجنوب مدخل شارع المرحومى، وحارة الشرافوة وعطفة زاهر، ومن الشرق جنينة الجمجعى وعطفة الاسرلى، ومن الشمال شارع القبوة . وأما المدرسة التقويّة فتعرف اليوم باسم جامع شهاب الدين أحمد المرحومى الذى يتوسط هذه المنطقة بشارع المرحومى بمصر القديمة .

ذكر ولاية أسد الدين شِيرِكُوه على مصر

وقد آختلف المؤرّخون فى أمر ولايته على مصر، فمنهم من عدّه من الأمراء، ومنهم من ذكره من الوزراء . ولهذا أخّرنا ترجمته إلى هـذه السنة، ولم نسلُك فيها طريق أمراء مصر . وقد ذكرنا من تردّده إلى مصر وقتـله لشاوَر وتوليته الوزارة من قِبَـل العاضد نبذةً كبيرة فى ترجمة العاضـد المذكور . ونذكر ترجمته الآن على هيئة تراجم أمراء مصر؛ ففى مساق هـذه الترجمة وفى سياق تلك الترجمة جمعٌ بين القولين، وللناظر فيهما الآختيار، فمن شاء يجعله وزيرا، ومن شاء يجعله أميرا .

هو الملك المنصور أسد الدِّين شِيرِكُوه بن شادِى بن مَرْوَان عم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب . يأتى بقيّة نسبه وما قيـل فى أصله فى ترجمة آبن أخيه صلاح الدين المذكور، من أقوال كثيرة . وقد تقدّم من حديثه نبذة كبيرة. ونسوق ذلك كلّه هنا على سبيل الآختصار، فنقول :

كان شاوَر قد توجّه إلى الشام يستنجد نور الدين فى سنة تسع وخمسين وخمسمائة؛ فنجده بأسد الدين شِيرِكُوه هذا بالعساكر، ووصلوا إلى مصر فى الثانى من جمـادى الآخرة من سنة تسع وخمسين، وغَدَر بهم شاوَر ولم يَفِ بمـا وعدهم به؛ فعادوا إلى دِمشق وعرّفوا نور الدين بذلك. ثم إنّ شاوَرَ ألجأته الضرورة لطلبهم ثانيا[(1)] خوفا من الفرنج؛ فعاد أسد الدين ثانيا إلى مصر فى شهر ربيع الأول سنة آثنتين وستين؛ وسلك

(١) أجمعت المصادر التى بين أيدينا ، كالكامل لابن الأثير وسـيرة صلاح الدين الأيوبى وكتاب الروضتين ، على أن سبب عودة أسـد الدين شيركوه إلى مصر فى المرة الثانية هو الانتقام من شاور الذى غدر بهم فى المرة الأولى ومالأ عليهم الفرنج بعد أن استنجدهم على ضرغام فنجدوه ، وأن يحولوا دون تمكن الفرنج فى مصر حين أراد شاور أن يمكن لهم فيهـا بتمهيد السبل لهم . وقد تقدّم أن ذكر المؤلف فى ترجمة العاضد أن العاضـد كتب إليهم يستنجدهم على شاور ، ومثله فى مرآة الزمان . فما فى الأصل هنا من أن شاور ألجأته الضرورة لطلبهم ثانيا ، غير صحيح .

طريق وادى الغزلان(١) وخرج عند وادى إطفيح، فكانت بينه و بينهم وقعة هائلة . وتوجّه صلاح الدين إلى الإسكندرية وآحتمى بها وحاصره شاوَر، لأنّه كان قد وُقِّع بينهم و بينه أيضا، وآصطلح عليهم مع الفرنج. ثم رجع أَسد الدين من الصعيد نجدةً لآبن أخيه صـلاح الدين، وأخذه وسار إلى بلبيس حتّى وقع الصلح بينـه و بين المصريّين، وعاد إلى الشام. فحنِق نور الدين لذلك ولم يمكنه الكلام لآشتغاله بفتح السواحل، ودام ذلك إلى أن وصل الفرنج إلى مصر وملكوها فى سنة أربع وستين وقتلوا أهلها. أرسل العاضد يطلب النجدة من نور الدين فنجدهم بأسد الدين شِيرِكُوه، وهى ثالث مرّة، فمضى إليهم أسد الدين وطرد الفرنج عنهم، وملك مصر فى شهر ربيع الأوّل من سـنة أربع وستّين وخمسمائة. وعزم شاور على قتل أسـد الدين وقتـل أصحابه أكابر أمراء نور الدين معه؛ ففطن أسد الدين لذلك فآحترز على نفسه. وعلم ذلك صلاح الدين يوسف بن أيوب أيضـا، فآتفق صـلاح الدين يوسف مع الأمير جُرديك النُّورىّ على مسك شاور وقتله؛ وآتّفق ركوب أسد الدين إلى زيارة قبر الإمام الشافعىّ — رضى الله عنه — وكان شاوَر يركب فى كلّ يوم إلى أسد الدين؛ فلمّـا توجّه إليه فى هذا اليوم المذكور قيل له: إنّه توجّه إلى الزيارة. فطلب العود؛ فلم يمكنه صلاح الدين وقال: انزل، الساعة يحضر عمّى. فآمتنع فجذبه هو وجُرديك فأنزلوه عن فرسه وقبضوا عليه وقتلوه بعد حضور أسـد الدين. وقد تقدم ذكر ذلك كلّه مفصلا فى ترجمة العاضد.

وخلع العاضد على الأمير أسـد الدين شِيرِكُوه المذكور بالوزارة، ولقّبه بالملك المنصور. فلم تطُل مدّته ومات بعـد شهرين بفجأة فى يوم السبت ثانى عشر جمادى

(١) وادى الغزلان: يعرف اليوم بوادى شراش بالجبل الشرقى تجاه ناحية القبابات بمركز الصف فى شمال وادى إطفيح.

الآخرة — وقيل : يوم الأحد ثالث عشرينه — سنة أربع وستين وخمسمائة، ودُفِن بالقاهرة ثم نُقل إلى المدينة . وقال آبن شدّاد (١) : «كان أسد الدين شِيرِكُوه كثير الأكل، كثير المواظبة على أكل اللحوم الغليظة، فتواتر عليه التُّخَم والخوانيق وهو ينجو منها بعد مقاساة شدّة عظيمة ، ثم آعترضه بعد ذلك مرض شديد وآعتراه خانوق فقتله في التاريخ المقدّم ذكره» .

قلت : ولمّا مات تولّى آبن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيّوب الوزارة من بعده . وكان أسد الدين أميرا عاقلا شجاعا مدبّرا عارفا فطنا وَقُورا . كان هو وأخوه أيّوب من أكابر أمراء نور الدين محمود الشهيد ، وهو الذى أنشاهم حتى صار منهم ما صار . رحمهم الله تعالى .

＊＊＊

انتهى الجزء الخامس من النجوم الزاهرة، ويليه الجزء السادس، وأوّله :

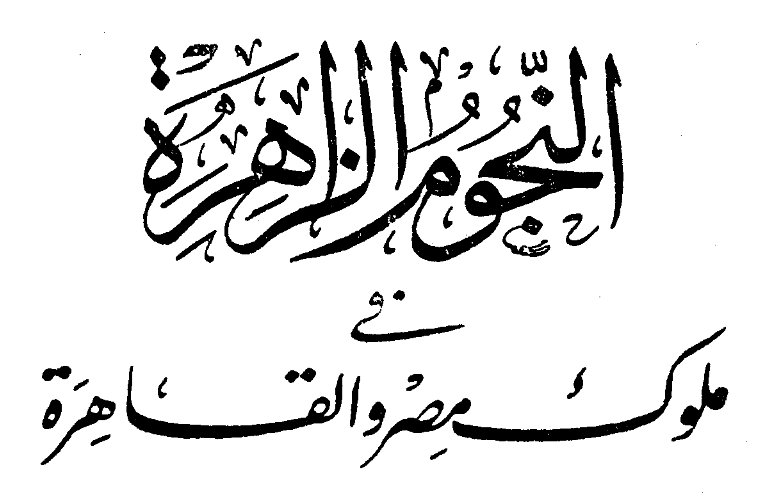
ذكر ولاية السلطان الناصر صلاح الدين على مصر

---

(١) هو قاضي القضاة بهاء الدين أبو العز يوسف بن رافع بن تميم الأسدى الحلبي الشافعي المعروف بابن شداد مؤلف سيرة السلطان صلاح الدين الأيوبي المسماة بـ«النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» . ولد سنة ٥٣٩ هـ وتوفى سنة ٦٣٢ هـ .

مطابع كوستاتسوماس وشركاه
٥ شارع وقف الخربوطلي بالظاهر - تليفون ٤٤١١٨
١٣ شارع حسن الأكبر القاهرة - تليفون ٥٢٦٣٩ بعابدين

تراثنا



تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

الجزء الخامس

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب
مع استدراكات وفهارس جامعة

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر